الأعمال الشعرية الكاملة

محمد مهدي الجواهري



شاعر الرفض والإباء

الجزء الثاني

دراسة وتقديم

عصام عبد الفتاح



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : الأعمال الشعرية الكاملة

(محمد مهدي الجواهري) الجزء الثاني

دراسة وتقديم : عصام عبد الفتاح

رقــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١١



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

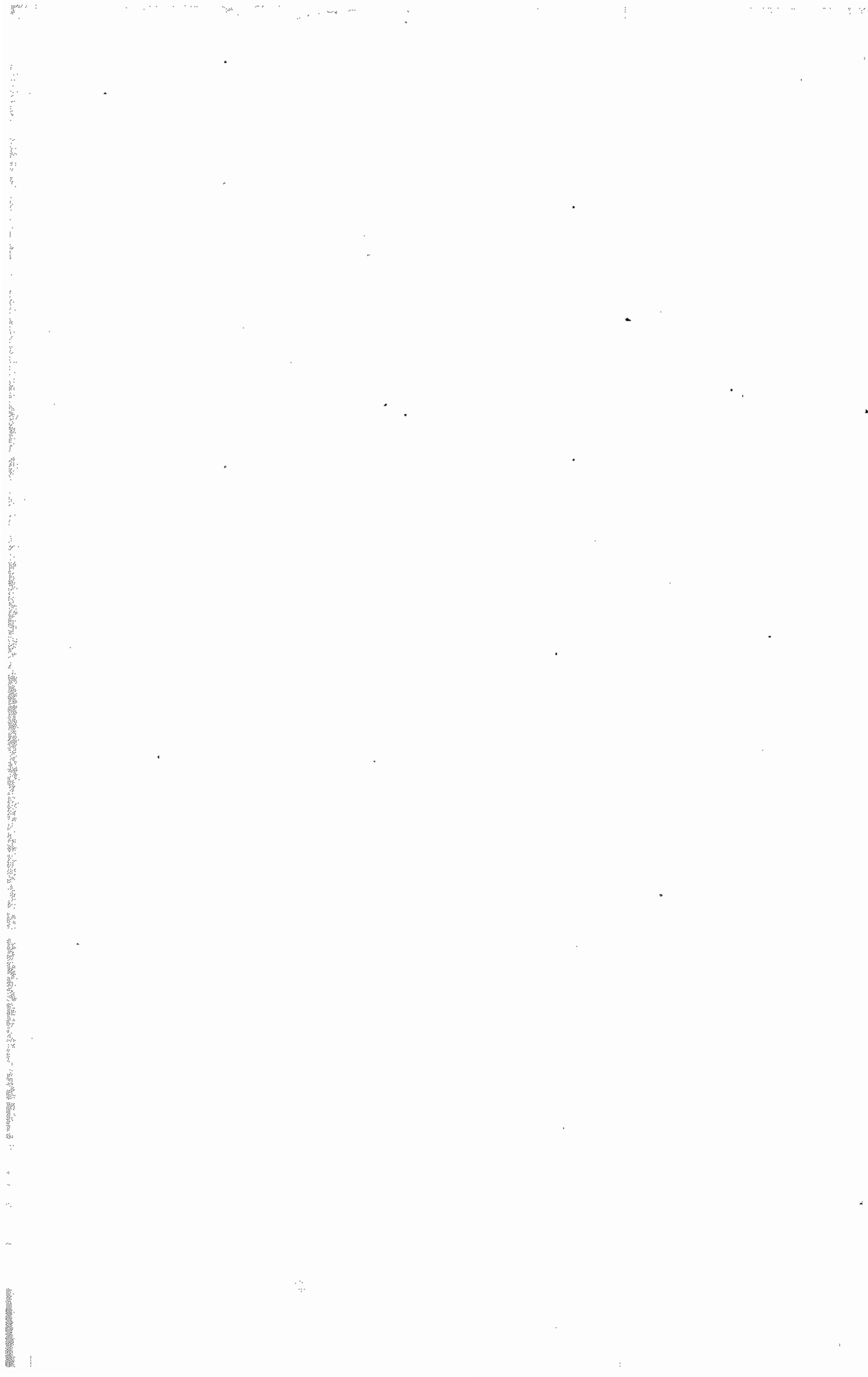
Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من الأعمال الكاملة للشاعر العربي الكبير «محمد مهدي الجواهري» تناولنا في الجزء الأول سيرة الشاعر .. ومجموعة دواوينه الشعرية الأولى .. وهنا في هذا الجزء نتناول المجموعة الأخيرة من دواوينه .. وبعض قصائده التي لم يحوها ديوان من قبل .. وإن نُشرت في بعض الجرائد والمجلات العربية في أحيان متفرقة معظمها كان في حياة الشاعر .. وقد نوهنا لذلك في هوامش هذا الجزء .

والآن نبدأ قراءتنا مع الجزء الثاني من ديوان الجواهري .

عصام عبد الفتاح



سر فى جهادك

سر فى جهــادك يحتضــنك لــواء — نثــرت عليــه قلوبهــا الشــهداء
ضــوى بــه علــق النجيــع كأنــه — قــبس ينــار بــه الــدجى ويضــاء
مــن عهــد «زغلــول» يــرف وتحتــه — لمكابــدى وهــج الــوغى أفيــاء
لم يخــزه الخلــف الكــريم ولا ازدرى — الأبنــاء مــا شرعــت لهــا الآبــاء
فــدت الكرامــة بالحيــاة ، ولم تقــل — إن الكرامــــة للحيــــاة فــــداء
إن الجهــــاد صـــحيفة مخضـــوبة — جمــدت عليهــا للشــعوب دمــاء
هوت العروش على مدب سطورها — وتصــاغرت لحروفهــا الكــبراء
حمــراء صــارخة ومــن لمــح الســنا — للتضـــحيات فإنهـــا بيضـــاء
الهاديــــات الخــــابطين تســــاقطت — منهــا عــلى خطــواتهم أضــواء
ضــلوا الطريــق فأرشــدتهم هامــة — منخوبـــة ، أو إصـــبع جـــذاء
آمنـــت بالفـــادين ..كـــل بنيـــة — لم تعلهـــا أشـــلاؤهم فهبـــاء

أزعـــيم مصر وللشـــعوب أمانـــة — مــا انفــك يحمــل ثقلهــا الأمنــاء
الصــامدون عــلى وعــورة دربهــم — مــا مســـهم ضـــجر ولا إعيــاء
والصـــابرون عـــلى الجـــلاد وإنهـــا — لمجالــــدين تنــــاثرت أشــــلاء
ينهـــى بهـــا المتشـــككون وإنهـــا — أمـــر لحـــر مـــؤمن ونـــداء
ورســـالة خلـــق البليـــغ سريـــرة — لأدائهـــا لا القالـــة البلغـــاء
إن الضـــمير متـــى تخـــون ربـــه — شـــك ، فقـــد خـــان اللســـان أداء

سر في جهادك تمش خلفك أمة ... هي بالطموح منيعة عصماء

شرف يمد الحق أن غريمها ... شاكي السلاح، وأنها عزلاء

عركت صروف الدهر لم تبطش بها ... غمى ولا طاشت بها نعماء

ترمى فتدفع بالرماة إصابة ... وتزيد في تجريبهم أخطاء

واستكملت عدد الجهاد فذادة ... شم الأنوف، وقادة أكفاء

في كل يوم أبلج ينفي بها ... ظلم الشكوك، وأزهر وضاء

يجتث من دغل القديم مشذب ... فيها .. ويحدث لبنة بناء

وجزاهم خيرا جزوه بمثله ... وطن أفاء ظلاله وأفاءوا

حتى انتهت لك فاضطلعت بعبئها ... ولمثل متنك كانت الأعباء

ولمثل نفسك ما تفل بمثله ... عند النفوس عزيمة ومضاء

فاصمد فحقك قوة مرهوبة ... الأقوياء إزائه ضعفاء

وانفذ بطعنتك الصميمة إنها ... داء البغاء وإنها لدواء

فلقد تعجب مستبيح غاصب ... أن المباح ذمارهم رحماء

ولقد تساءل مقتل متكشف ... للبغي أين الطعنة النجلاء

ولقد تشكت من هوان لديغها ... في الناس تلك الحية الرقطاء

أزعيم «مصر» متى ترد إنطاقها ... تنطق وتفصح نقمة خرساء

مكبوتة كالنار أعلت وقدها ... وسط البيوت مصرة نكباء

سبعون عاما «والكنانة» تغتلي ... والنيل يشخب والجموع تساء

وترابة الوادي تئن وحولها ... مرعوبة تتجاوب الأصداء

والـذل يعـتصر النفـوس جرانـه ... وكـأن حشرجـة الصـدور رغـاء
وعـلى العيـون مـن المغاضـة جمـرة ... وعـلى القلـوب مـن الهـوان غثـاء
وثـرى دنشـواى الخضـيب تصـوبه ... بالـذكريات غمامـة سـوداء
وصحائف التاريخ أفسدت زهوها ... مـا عـاث فى جنباتهـا الـدخلاء
كقـوائم الطـاووس حـين تروعـه ... يغـدو زقـاء ذلـك الخـيلاء
وكـأن منطقـة «القنـال» تلوثـت ... بـالواغلين جريمـة شـنعاء
وكـأن مغـرز كـل رجـل مـنهم ... صـوت يصـيح متـى يـتم جـلاء
سر فى جهـادك تلـق حولـك ترتمـى ... سـت الجهـات لخصـمك البغضـاء
هى خير ما أسدى الطغاء وأسلفت ... كـف الغـزاة ومـا أفـاد بـلاء
ومـن الصـدور الموغرات ذخـيرة ... ومـن الـذخول كتيبـة شـهباء
واشـدد جنائـك لا ينلـك مثـبط ... بالمغريـات ولا يخنـك دهـاء
واحذر فملء ثياب خصمك غـادر ... حـذر الجنـان وكائـد مشـاء
بـز الثعالـب فى اقتنـاص أخيـذها ... وشـأى الـذئاب بـها تسـاس الشـاء
متنمـر يغشـى الضـعاف كأنـه ... بمسـوحه مترهـب بكـاء
يسـتل مـن قعـر النفـوس إباءهـا ... وعـهاد مـا تبنـى الشـعوب إبـاء
ويشـيع فيهـا اليـأس أن تعلـو يـد ... مـن دونـه أو أن يقـوم بنـاء
أو أن يـدوربغير مـا يـوحى بـه ... فلـك لهـا ، أو أن تطـول سـماء
أو أن تمخـض عـن زعـيم بطنهـا ... مـا لم «يعمـد» عنـده الـزعماء

«شر البـزاة» قنصـت ، فى يقظاتـه ... خطـر ، وفى غفواتـه إغـواء
يـأتى الحمامـة وكرهـا إن أخلـدت ... ذعـرا وأنـذر بـالحمام فضـاء

واستمته شر الظروف وقد هفا ... وتلقفته غابة شجراء
فتوق أن ترخى يديك فلم تزل ... فيه حياة تختشى وذماء

أثبت كعوبك تغل تحتك ساعة ... رمضاء ثمة تبرد الرمضاء
وتمل بالبرحاء تحمد غبها ... وتمد من أنفاسك الصعداء
ما أهون السراء إن لم تغشها ... وتزك طهر نتاجها الضراء
شرف السياسة أن تخوض غمارها ... مستبسلا وكذلك الهيجاء
لو لم يكن عقبى تضال مناضل ... إما ..وإما لم يكن زعماء

سبحان آلاء الشعوب فإنها ... لتقلب الأيام كيف تشاء
والله فى همم الرجال، وإن رمى ... رجم الظنون، وشعوذ الجهلاء
المحكمو أسر الشعوب تبدلت ... دول بهم فإذا هم الأسراء
ناموا على الغبق اللذيذ وأصبحوا ... فإذا الصبوح مدامع ودماء
وإذا العبيد النائمون على العصا ... تاهون فى أوطانهم أمراء
وإذا وخيز الشوك يفرش ملعبا ... فرشته أمس حديقة غناء
وإذا بحكم الأخرقين كما انبرت ... حمقاء تنقض غزلها خرقاء

يا وفد «مصر» رأيت كيف تحولت ... لنقيضها الأسماء والأشياء
أرأيت كيف الظلم أثبت صورة ... لخرافة تعيى بها العنقاء
نزل السراة على الصعالك عالة ... فلهم غداء عندهم وكساء
عشرون مليونا عريق مجدهم ... للبيض من حلفائهم أجراء

منهم وإن سلخت جلود نسائهم ... للغانيات معاطف وفراء
وبهم وإن فجرت عروقهم دما ... للشاربين تفجر الصهباء
ومن الجياع وإن خوت أمعاؤهم ... للاعبين موائد خضراء
ومن البلاد وإن تشرد أهلها ... حصن يقيهم غارة ووقاء
ومن الشباب بمصر رغم أنوفهم ... عمن بلندن جزية وفداء
وكذلكم يجزى الحليف حليفه ... دستور شرع سنه الحلفاء
ند يعاهد نده ووراءه ... قدر يقهقه ساخرا وقضاء
فإذا تململ قيل بئست شيمة ... طعن الوفاء بها ، وبئس وفاء
رحماك تاريخ الشعوب تحدنا ... ما شئت ، إلا أننا بلداء

سر في جهادك على جذوة قابس ... من «طور سينا» تقبس الصحراء
ولعل قافلة تسير القهقرى ... فيها يبدل سيرها حداء
ولعل مضطجع النيام تهزه ... كف الصباح فيحسر الإعفاء
ولعل أهل الكهف يفرج عنهم ... فإذا هم يقظ به أحياء
أزعيم «مصر» تلفتت لك جيرة ... رثاء ، باد بؤسها ، عجفاء
تستاقها كف الخطوب كأنها ... نعم يراح بسرحها ويجاء
حسرت عن المرعى وراحت ترتعى ... منها الخطوب وتسمن الأرزاء
واجتاحها حب السلامة ذلة ... ومن السلامة للشعوب وباء
تتدافع الشهوات بين عصابة ... وصابة ، وتجاذب الأهواء
أزعيم «مصر» وقد ينيم على الأذى ... حمد ، ويغرى بالخمول ثناء

ومن القساوة في العتاب مودة ... ومن الثناء خديعة ورياء
وكذا الشعوب يمد في نزواتها ... ملق وينعش ذهلها إغراء
لزمت جموع «الرافدين» جحورها ... مثل الأرامل ضمهن خباء
وتبنت الشكوى، فكل سلاحها ... عند التصادم آهة حراء
تلك «العواصم» كان ستر تتقى ... خزر العيون به وكان غطاء
واليوم وهي على العراء كأنها ... بين العوالم سوأة نكراء
كانت على عهد «البداء» جنائنا ... واليوم وهي بقيعة جرداء
يتفيأ المتحكمون ظلالها ... والأجنبي .. وأهلها فقراء
وتروح تستسقي الغمام ظوامئ ... في حين يغرق آخرين الماء
وبجمرة «الدستور» تشق أمة ... وعليه يبرد معشر سعداء
أخذ «العبيد» الموثقون بحبله ... وانسل منه عبيده الطلقاء
وكأن «نصفا» زبدة مواعة ... منه و«نصفا» صخرة صماء

لم يبق شيء يستفز مسامحا ... لم تبل هذي الأمة السمحاء
زعم المبرأ حالها أن قد مشى ... فيها السقام وأعظلت أدواء
كذبا فعند المشرقين نظائر ... مما تحس وعنده نظراء
أمم غزا المستعمرون ديارها ... ونفوسها، وعتوا بها ما شاءوا
شرعت لها بدع الضلال وعبدت ... سبل الخنا واستحدث الزعماء
وتضافر الإقطاع ينخر صلبها ... والجهل، والأدقاع، والإثراء
وتعددت فيها المذاهب ضلة ... وتفرقت شيعا بها الآراء
وبحالك من ليلها كانت يد ... تمتد من تاريخها بيضاء

وتروح تمسح كل موطن علة ... حتى يحل محلها الإبراء
لا هم جنبني الضلال أأمة ... عقر البطون وأمة عشراء
مل المقام «زعيم مصر» بموطن ... صافى به سراقه الخفراء
أصفى فلا عود ولا إبداء ... وخوى فلا دلج ولا إسراء
وهفا فخيل الحادثات تدوسه ... وتدرس كل بطيئة عجلاء
بين اثنتين فساسة قد أوثقوا ... بالأجنبى وساسة جبناء
و«محايدون» يفاخرون بأنهم ... عما يحيق بأهلهم غرباء
هووا السلامة حيث كل عشيرهم ... صرعى ، وكل رفاقهم أنضاء
و«مناوشون» يبادلون خصومهم ... غزلا ، فلا عنت ولا إيذاء
و«مهذبون» خصومة وطريقة ... مرنون فى أسلوبهم ظرفاء
يدرون من معنى «السياسة»أنها ... كأس بها يتقارع الندماء
متسامحون يميلهم ترف الصبا ... وتشيع فيهم رخوها النعماء

و«مخدرون» يُسهِّلون مهمة الجراح ... ساعة تبتر الأعضاء
و«منفسون» كأنهم صمامة ... ينفى بها ضغط البخار الماء
طورا على المستعمرين ، وتارة ... حرب على أعدائهم شعواء
يبغون أنصاف الحلول ،وإنهم ... أدرى بأن المنصفات هراء
متصيدو جاه يرون طريقه ... أن يجمع الدهماء والوجهاء
فهم مع الغرثى صباحا ، غيرهم ... فى الليل ساعة تسرج الأبهاء
يتعطفون على «السواد» وإنه ... منهم كما احتكت بهم «حرباء»

ويبصبصون لمدقع، ويمسهم ... ضر إذا مس التراب حذاء
ويثرثرون عن الإخاء وحولهم ... خول أسارى عندهم، وإماء

و«مظاهرون» على الطغاة وإنهم ... شرط لهم إن صرّحت هيجاء
يتراشقون على الرخاء كما رمت ... بالورد أترابا لها غيداء
فإذا تفجرت الجموع وآذنت ... بالفجر تلك الليلة الطخياء
نهضوا لتفريق الصفوف، وأقسموا ... أن لا يمس الحاكمين بلاء
ثم ارتقوا أدراجهم فإذا بهم ... رغم العبيد السادة الوزراء
و«مثقفون» ثناهم عن شعبهم ... بيع يدر عليهم وشراء
أعمتهم عن كل قصد شهوة ... ولقد تحس طريقها عمياء
زوت «الشباب» عن البلاد مطامع ... مجذومة، ومنافع خساء
حتى من الألم الحبيس تصوحت ... جنباتهم، وتعرت السيماء
بشس الضلوع فلا الرماح تقصفت ... فيها، ولا عصفت بها الشحناء
واستسلم «الشعراء» إلا عصبة ... تسقى الحميم، وأخلد «الأدباء»
واستأثر «الفنان» يرسم «بطة» ... حسناء تمسح ريشها حسناء
وتنفس «الفقهاء» أي منهم ... عند الصلاة الضارع البكاء

وتغيبت بين السجون «عصارة» ... هي في عيون مسلط أقذاء
غطت على فقر الرجال كما ارتمت ... في القفر تزهى «واحة» خضراء
ومشت على البلد المليح نسائم ... من روحهم، وتساقطت أنداء
ومضوا على النهج السوي وإنه ... في «الرافدين» لكربة وعناء

وتحملـوا ديـة الصـمود وإنهـا ... زبـر الحديـد يجـره السـجناء

حبسوا «الضمائر» أن تلاث كما أبت ... أكـل الثـدى عـلى الطـوى عـذراء

وتنكـروا للحـاكمين فيـاهم ... أكـل لسـوط عـذابهم وغـذاء

ولقد تروعك، حين تنظر من «عل» ... فيهـا لأسـفل، هـوة جوفـاء

المـوت يكمـن عنـدها وتسـدها ... خلـل الرمـاد «الثـورة» الحمـراء

فمكـرش نفـج الحضـين كمقـرب ... بـادى الوحـام كأنـه «النفسـاء»

ومصـعلك لصـق الهـوان كـأنما ... قدفتـه مـن أحشـائها الغـبراء

وشـواحب ضـنك العظـام خـدودها ... وكـأنهن بـهـا نـزفن خـواء

ولواهـب حمـر الخـدود كـأنما ... فـيهن مـن شرب الـدماء حيـاء

ومكافـأون عـلى الجـرائم خـير مـا ... يجـزى الكـريم لأنهـم قربـاء

ومزاملـو قعـر السـجون كرامـة ... ويعـذبون لأنهـم كرمـاء

****

إلى الشعب المصري

يـا «مصر» تسـتبق الـدهور وتعثـر ... والنيـل يزخـر والمسـلة تزهـر

وبنـوك والتـاريخ فى قصـبيهما ... يتسـابقون فيصـهرون ويصـهر

والأرض ينقـذ مـن عمايـة أهلهـا ... نـور يـرف عـلى ثـراك وينـشر

هذا «الصعيد» مشت عليه مواكـب ... للـدهر مثقلـة الخطـى تتبخـتر

فى كـل مطـرح وكـل ثنيـة ... حجـر بمجـد العـاملين معطـر

يهـزا مـن الأجيـال فى خطراتهـا ... «الكرنـك» الثـاوى بهـا و«الأقصر»

مشت القرون متمهات ، سابق ... منها يحدث لاحقا ويخبر
يصل الحضارة بالحضارة ما بنى ... فيكم «المعز» وما دحا الإسكندر
وتناثر الجمرات حولك ، نابغ ... يخفى ، وآخر عبقرى يظهر
ووسعت أشتات الفنون كأنها ... فلك يدور وأنت أنت المحور

يا مصر لم تبخس جمالك ريشة ... مرت عليه ، ولم يخنك مصور
لله جوك أى مبعث فتنة ... حتى الطبيعة عنده تتمصر
الليل عندك غير ما عرف الدجى ... فى أرض غيرك والصباح المسفر
وكأنما من صنع جوك وحده ... قمر على كبد السماء منور
وكأن مذهبة الأصيل ملاءة ... بمذاب ما نضت القرون تعصفر
وتمور حبات رملك بينها ... رفق الدهور وعنفها يتمور
ومشى الضباب على سماك كأنه ... مما أثارته الحوادث عثير

يا «مصر» مصر الشعب: لا غاياته ... تفنى ، ولا خطواته تتقهقر
باق وكل معمر فإلى مدى ... عال ، وكل منيعة تتدهور
جبروته الأعلى ، فلا «نيرونه» ... شيء ، ولا «فرعونه» المتجبر
يلوى على ما لا يطاق ، ويرتضى ... ما لا يليق ، ويستكين ويصبر
يزرى به المتحكمون فيزدرى ... وتنال منه الحادثات ويسخر
حتى يظن به الظنون مؤمل ... ويحار فى تعليله متفكر
ويروح يسدر فى الغواية سادر ... ويشط فى غلوائه مستهتر
فإذا استوى أجل ، وحانت ساعة ... وتكافأت فرص ، وحم مقدر

واستنفد المتضاربون قداحهم   وانفض عن خسر الربيح الميسر
ألقى لهم يده وشد ذراعه   فإذا يد الطاغى أذل وأقصر

يا مصر مصر الأكثرين ولم يزل   فى الشرق يرضخ للأقل الأكثر
وهنا ، وثمة ، لا يزال منعم   أشر بنعمة خالقيه يكفر
هذا السواد أعز ما ضمت يد   للطارئات وخير ما يستذخر
مديه بالعيش الرخى فلم يكن   ليصون ملكا جائع يتضور
ودعيه يشعر أن شقة بيته   علق يصان ، ونعمة لا تكفر
ثم اقذفى المستعمرين بوعيه   نارا تشب ، وصاعقا يتمطر
وتقحمى الغمرات صدرك محتم   ومداك متسع ، ووجهك مسفر
يا مصر ليس بمنقذ أوطانه   حرج الفؤاد ، ولا عديم معسر
والملك ينسف من قواعد أسه   صدر بمضطرم الحزازة موغر

يا مصر والدنيا يعن مخاضها   والأمر يفجأ ، والفجاءة تغدر
وخطى الشعوب سريعة ، وأمامها   دنيا بها تبنى الشعوب تعمر
وجهاد كل مذادة عن حقها   بالعدل ما بين الرعية ينصر
يامصر فى سوح الجهاد ركائز   تهدى المضل طريقه وتحذّر
ووراء أجداث الضحايا إصبع   يومى إليك بها وعين تنظر
مائة تقضت ، كل يوم مظهر   لمكافحين ، وكل يوم مخبر
لم تفترى عزما ولم تهنى يدا   تتصارعين وغاصبا لا يفتر

يا مصر: لو وعت الجموع ولو صفا ... كدر النفوس ولو أثاب مقصر
فتماسكي فوراء جيلك آخر ... أقسى على نقد الجدود وأقدر
يجزي البناة المحسنين، ويزدري ... بالناكصين عن الجهاد، ويسخر
وتشابكي فيد القوى عظامها ... مما تشابكها الشعوب تكسّر
وتكاشفي لا يستغل مخرج ... ما تبتغين، ولا يشط مفسر
ألقى له الورق الصريح فإنه ... بالحق يغلب، والصراحة يقمر
كذب المعرف للسياسة أنها ... من راح أكثر من سواه يمكر
إن الشجاع هو الصريح بوجهه ... يوم الكريهة والجبان يغرر

أنا ضيف مصر وضيف طه ضيفها ... ما بعد ذلك للمفاخر مفخر
أنا ضيف مصر فلن أثقل فوقها ... ظلي بما الكه تعاب وتنكر
وإذا عتبت فمثلما مس الثرى ... غيث تخلله سحاب أكدر
يا مصر: لاءمت البسيطة شملها ... فالكون أصغر، والمسافة أقصر
وتلاقت الدنيا فكاد مشرق ... من أهلها بمغرب يتعثر
ويكاد بيت في العراق بجذوة ... مضرومة في «تبيت» يتنور
وهنا يكاد بمصر يسأل أهلها ... هل في العرق أعاجم، أم بربر
ويكاد يجهل أن «بغدادا» بها ... كانت يد الدنيا تطول وتقصر
أو أن «كوفانا» و«بصرة» منهما ... كانت إلى الأمم الحياة تصدر
أيكون عذر الجهل أن عمومة ... أغنى، وأن بني أخيها أفقر
أو أن تضيق بخنصريها راحة ... إذ كان أصغر ما تضم الخنصر

يــا مصر إن الرافــدين لجــذوة ـــــ لــو أن مــاء جــذوة تتســعر
طفحــت ضــفافها دمــا ، وتصــافقا ـــــ بــالموت ينــذر والحيــاة تــبشّر
تنســاب دجلـة لـيس يـدرى سـابح ـــــ فيهــا متــى تطغــى بــه وتــدمّر
وتغــط أثبــاج الفــرات كأنهــا ـــــ جبــل عــلى قيعانــه يتســور
وعــلى الجبــال محــلأون كــأنهم ـــــ فى الجــو عقبــان تلــوب وأنسر
ومصــارع الشــهداء فى جنباتهــا ـــــ شــبح يخيــف الســادرين ويســهر
لا يعلمــون وفى السـماء صــواعق ـــــ عــن أى ســقف فــوقهم تتحــدر

يــا مصر لم يعــد الكــلام خديعــة ـــــ إن اللســان هــو الضــمير الأصــغر
إنــا وإيــاكم كــما احتاجــت يــد ـــــ ليــد ، وإن كــذب الــدعاة وزوروا
إنـــا إذا أنّ الجـــريح بأرضــكم ـــــ ناغـــاه مجــروح يــئن ويزفــر
وإذا استقى نخـب الجهـاد شـهيدكم ـــــ فلـــه هنـــاك مهلـــل ومكـــبر
وإذا تفجــرت العــروق كريمــة ـــــ ســالت عــروق جمــة تتفجــر
إنــا لنســأل حــين نرمــى ســهمنا ـــــ عــن أى ســهم فى «الكنانــة» ينثــر

يـا مصر لـيس مـن العـراق مفـرق ـــــ ينــدس مــا بــين الصــفوف ويحشر
إنــا لنــبرأ مــن نصــوص عنــدنا ـــــ تمضى عــلى مــا لا نحــب وتمهــر
تمضى على صدع الصفوف وفوقها ـــــ راحــت يــد المســتعمرين تــؤشر
قولــوا لأولاء الــذين يــرونكم ـــــ إنــا بضــوء خطــاهم نســتبشر
إن العــراق مســير ، ومحلــه ـــــ فى حيــث مصر تكــون حــين تخــير

قولوا لهم أعطوا الأديب يراعه ... وتلمظوا جمراته وتصبروا
وتنظروا هذي السحابة ريثما ... يعلو الخطيب ويستقيم المنبر
قولوا لهم خلو «السفير» وأسفروا ... ودعوا حراب الأجنبي وأصحروا
وستعلمون من المجلي في غد ... ومن المكب لوجهه المتعفر
ومن المقيم على تراث بلاده ... ومن المشرد تائها يتعثر

يا مصر مصر الأكثرين تحية ... من جرحي الدامي أعف وأطهر
إنا وأنتم في خضم واحد ... موج المصائب حولنا يتكسر
ولنا غريم في السياسة مارق ... مذق، يكيل لنا الوعود ويغدر
يستاق كل طريدة ويبيحها ... ويجيء كل جريرة ويبرر
هو ذلك الدجال يلبس، كاذبا ... ريش النعامة وهو ذئب أمعر
هو من عرفت «بدنشواي» ومثلها ... ألف تداس بنعله وتحقر
هو من بلونا، ليت أن بلاءنا ... حز الرقاب أو الوباء الأصفر

حييت مؤتمر الثقافة عنده ... عقد الحياة عسيرة تتيسر
أكبرت جهد المخلصين نهارهم ... يبني الصفوف وليلهم يتفكر
النكارين نفوسهم لم تزههم ... متع الحياة وزهوها المتبطر
نهجوا طريق القادمين وكله ... مستوحش من خيفة مستوعر
واستنزفوا بالواجبات دماءهم ... تجري بمدرجة الحياة وتهدر
وتساقطوا قطعا فمن أشلائهم ... يمتد هذا العالم المتحضر
ما روعة التاريخ لو لم يسقه ... دمهم به يزكو ومنه يزهر

أفدى الذين استنهضوا أوطانهم
شأن الهداة المرسلين وطوروا

لضمان ألفة شملها ما ألفوا
ولكى يحرر أهلها ما حرروا

أبوا الخنوع فآثروا أن يقبلوا
والمغريات تريدهم أن يدبروا

من كل مشوى على جمر اللظى
يسقى «الحميم» وفى يديه «الكوثر»

ألقى خطاه بحيث يتقد الثرى
جمرا ، وحيث جحيمه تتسعر

وبحيث تستعرى الفلاة ذئابها
وتثور أضبعه عليه وأنمر

وبحيث يفرش كل شبر فوقها
جثث الذين تقحموا فتكوروا

وراءه ، وأمامه ، مدموغة
آثار سفر شككوا فتحبروا

وشجبت أن الفكر راح يهينه
نفر بحرمة علمه يتستر

ما انفك يوهم نفسه ويضلها
عن نهجها أن الثقافة متجر

أوفى على بؤس الجموع وذلها
من برجه متبخرا يتأطر

وتملق المتغطرسين كأنه
عبد لما شاء الولاة يسخر

آمنت بالخلق القويم ، وإننى
بالعلم ، منزوع الضمير ، لأكفر

ولكل آثام الدنى مغفورة
إلا الخيانة إثمها لا يغفر

شر السموم العلم إن لم يحمه
حرم يصان ، وذمة لا تخفر

ولقد يهون منكب متفرج
كحصان دارة جلجل يستشزر

لو لم يهال الأجنبى مثقف
يبنى على ما خططوا ويدمر

باسم الثقافة راح يدلف ها هنا
وهنا ، مريب خطوة مستنكر

يتساءل الجمهور عنه أخابر ... سحاب الحياة مثقفا أم مخبر

ومثقف باسم «العلاقة» بينهم ... يستعمرون وبينه يستعمر

أرخى العنان وراح يورد نفسه ... في أي ماء يوردون ، ويصدر

«متتيمس» يرمى البلاد بمنهج ... منه المياه «التيمسية» تقطر

ومثقف صعد السلالم مقعدا ... مثل الجواد على الحواجز يطفر

بز النظائر وهو أحدث منهم ... وشأى العباقر وهو أجوف يصفر

ألقى له الدستور رحب خوانه ... ما شاء من ألوانه يتخير

أشياخ «مؤتمر الثقافة» إنكم ... مني بما تشكو الثقافة أخبر

تمضي السنون وكل شيء جامد ... تتطور الدنيا ولا يتطور

هدر جهودكم إذا لم تبضعوا ... منها الضمير ، وكم جهود تهدر

سترون علتها العصية أنها ... بدن نكرمه ، وروح نحقر

راجعت ما نهج الدعاة فلم أجد ... مستعمرا فيها بشر يذكر

ووجدت كف الأجنبي كما اشتهت ... من خلقة الجيل الجديد تصور

ودم الضحايا فيه عق فلم يسل ... فوق الطروس عبيره المنتشر

أما الثقافة في العراق فإنها ... سم به نسقى ومنه نخدر

ذاق العراق المر مما سامه ... باسم الثقافة مارق مستأجر

ومفرق زرع «الخلاف» وإنه ... شجر عن الجيل المزعزع يثمر

وسلوا عن «الأيام» فيه فعندنا ... في كل يوم منهج يتغير

ولكل أونة لكل وظيفة ... «من آل نعم رائح فمبكر»

يمشى بظلهما الغريب كما احتمت ... فى أمس «بين الكاعبين المعصر»
ماذا يفيد مثقفون يميزهم ... عمن سواهم «مذهب» أو «عنصر»
ولمن تراد ثقافة من أمرها ... تبكى البلاد، ويضحك المستعمر
«طه».. ونور الفكر أوفى حرمة ... والمجد أوفر، والمكانة أوقر
سبعون من سوح الجهاد قضيتها ... للخير تعمل جاهدا وتفكر
تستن زحمة دربها وتجوزه ... وتشق خابط ليلها وتنور
وتجىء بالرأى الصريح وإنه ... للآن أصعب ما يكون وأندر
ويقيم من رهج القيامة حاقد ... ويثور الدنيا عليك مثور
وتمر مرفوع الجبين مجليا ... تحثو التراب بوجهه وتغبر
لله درك أى هم شاغل ... يحيا به الليل الطويل ويسهر
ويسامر الدنيا فكل ضميمة ... فيها ندى من نثاه وسمر
يروى القريب إلى البعيد حديثه ... ويسر فيه الغائبين الحضر
يا صاحب «المتعذبين» وعنده ... مما يعانون، العذاب الأكبر
ومنور الجيل الجديد كما هدى ... فى الليل مختبطا شهاب نير
أشكو إليك، لأن مثلك عارف ... مثلى، وليس لأنك المستوزر
ركضت بى الخمسون لا حلباتها ... توفى العثار ولا العنان يقصر
وتناهبت شعرى بمحض غبارها ... فبياضه بسواده يتنذر

طه .. وما جزعا أبث شكايتى ... فأنا الهزبر المستميت القسور
وأنها المقيم بحيث تشتجر القنا ... فوقى، وحيث كعوبها تتكسر

لكن بمحتملين وزر سواهم — أن لا يروح لمارق يستأجر
خلفي من الذكر الجميل أجله — ومعي من النفر العديد الأكثر
وبكل بيت من قصيدي منشد — وبكل حفل من شذاتي مجمر
وثرى الجدود يمدني بهباته — وبمجد تلك التضحيات يذكر
ودم الشهيد مضرجا وثيابه — تطوى ، وفي يوم الحساب ستنشر
وأنا لسان الشعب كل بلية — تأتيه أحمل ثقلها وأصور
وإذا تفطر من فؤادي جانب — حدبت على قلوبه تتفطر
إني لأحسب حين آخبر ذمتي — أن البلاد إلى ضميري تنظر
وكأن منها حين أنوي نية — رصدا يطوقني . وحين أفكر
لم أدر «طه» والشعوب كريمة — أقسو فأعتب ، أم ألين فأعذر
أيضيق بي وبمن جنيت عليهم — بلد بمن رمت الروامي يزخر
يا أيها الفكر العظيم تحية — من شاعر بعميم لطفك يغمر
أوليتني حسن الرعاية إنها — شرف سيذكر ما حييت ويشكر
وعليك يا مصر السلام ، وإنه — ذوب الحشاشة من فمي يتقطر

***

عبد الحميد كرامي

هذه القصيدة ألقاها الشاعر في الحفلة التي أقامتها لجنة تأبين عبد الحميد كرامي في بيروت عام ١٩٥٠ وكان الشاعر قد لبى دعوة اللجنة إياه للاشتراك في الحفل المذكور بعد إلحاح شديد تضمنته برقيات ورسائل عديدة.. وكان للقصيدة صداها وأثرها البليغان في كل أرجاء لبنان.. ونشرتها عدة صحف في بيروت ، وأعادت

نشرها أكثر من مرة ..

كانت الوزارة القائمة ، حين إلقاء القصيدة ، هي وزارة رياض الصلح .. وبعد يومين استقالت الوزارة وشكلها حسين العزيني .. وقد دشنت الوزارة الجديدة أعمالها بـ «طرد» الجواهري من لبنان !

وللعلم فإن العويني رئيس الوزراء الجديد ، والصلح رئيس الوزراء المستقيل كانا من أعضاء لجنة التأبين التى دعت الشاعر لحضوره والمشاركة فيه .

لقد أثار حادث الطرد هذا ضجة كبيرة ، فى لبنان والعراق ومصر .. وشاركت معظم الصحف اللبنانية فى الاحتجاج الشديد على هذا الحادث ..

ونكتفي ، هنا ، بما كتبه الدكتور « جورج حنا » فى جريدة «النهار» ..

قال :

«لا يعيب لبنان شيء أكثر مما يعيبه تحقيره للفكر واضطهاده المفكرين فهذا البلد الذى طالما تمنينا بأن يلصق به لقب بلد الإشعاع ما فتئ القائمون على أمره يعملون لإزالة هذا اللقب عنه .

بعد كل الاضطهادات التي استهدف لها رجال القلم والأدب والفكر الحر ، تتوج الدوائر المختصة قائمتها بطردها من لبنان محمد مهدى الجواهري شاعر العرب الأكبر .

قصيدة الجواهري في حفلة المغفور له عبد الحميد كرامي لم تكن جوهرة شعرية وأدبية وحسب ، وإنما كانت أجمل لوحة يرسمها فنان عن العالم العربي .

ماذا قال الجواهري ، وبماذا كفر لكي يطرد من بلد بعث إليه بعشرين رجاء قبل أن يأتي إليه ؟

ومن هو الذي غضب على الجواهري ، لأن الجواهري ثائر على الاستعمار ودعاة المستعمرين ؟

وأي لبناني ، بل أي عربي . يجرؤ على الجهر برأي مخالف لرأى الجواهري؟

والله ما كنا نريد أن يكون طرد الجواهري من لبنان فاتحة عهد هذه الوزارة .. لقد كنا نأمل منها غير ذلك .

بقى أن نسأل :

من الذي طرد الجواهري من لبنان ؟

باق – وأعمار الطغاة قصار – من سفر مجدك عاطر موار
متجاوب الأصداء تفح عبيره لطف . ونفح شذاته إعصار
رف الضمير عليه فهو منور طهرا كما يتفتح النوار
وذكا به وهج الإباء فرده وقدا يشب كما تشب النار
العمر عمر الخالدين يمده فلك بطيب نثاهم دوار
يتمخض التاريخ في أعقابهم حمدا ، وتعصف ليلة ونهار
أما النفوس الزاخرات عروقها بالمغريات فنشوة وخمار

عبد الحميد وكل مجد كاذب إن لم يصن للشعب فيه ذمار
والمجد أن تهدى حياتك كلها للناس لا برم ولا إقتار
والمجد أن يحميك مجدك وحده في الناس .. لا شرط ولا أنصار
والمجد إشعاع الضمير لضوئه تهفو القلوب ، وتشخص الأبصار
والمجد جبار على أعتابه تهوى الرؤوس .. ويسقط الجبار

جانبت مزلقة الطغاة وإنها ... بالورد تفرش والنضار تنار
وسلكت نهج المخلصين وإنه ... أسل يخضب من دم وشفار
لو كنت تستام الحياة رخيصة ... وافاك منها مغنم وتجار
ولو ارتضيت الحكم أعرج أهوجا ... لمشت إليك عجولة أوطار
جئت الوزارة ليلة ونهارها ... فرأيت كيف تراكم الأوزار
ورأيت كيف الحكم يشمخ كاذبا ... في حين يملأ دفتيه العار
ولمست كرسيا يرج كأنه ... نعش يدق بجنبه مسمار
ورأيت إذ «باريس» شلت كفها ... كيف اصطفاه بلندن نجار
فنفضت كفك من حطام عنده ... يخزى البنون وتخجل الأسفار
وخرجت موفور الكرامة عالقا ... من فوق مفرقك الأغر الغار
بوركت خالصة الضمير فإنك ... الجنات تجرى تحتها الأنهار
قد كان وسعك أن تغالط ذمة ... أو أن تغرر والهوى غرار
وتقول كنت وكان صنع معاشر ... أعطوا يدا للأجنبي وساروا
أو أن تسمى «الشر» يهلك أمة ... خيرا كما يتصنع الأشرار
أو أن تجيء «النفع» وترا أجذما ... في حين تشفع عنده الأضرار
حوشيت ما قيم الرجال إذا ارتمى ... منها الضمير، وصوح الإيثار
لا يقدر الحرمان مما يشتهي ... ويتاح .. إلا القادة الأبرار
لا بد أن يرى - وإن طال المدى ... بالناس - موهوب الثياب معار
إيه «كرامة» والقريض وسيلة ... للخير، لا خمر ولا أسمار
يلوى من الخيل الجياد عنانها ... حتى يتاح لركضها مضمار

ومزيـــة الـــزعماء أن حيـــاتهم خصـــب وأن ممـــاتهم إثـــمار
فـإذا ذكـرت بـك الـبلاد فعـاذر فهـي الحبيـب لنفسـك المختـار
عبـد الحميـد ومـا تـزال كعهـدها شـعب يـذل وأمـة تنهـار
ومسـلطون عـلى الشـعوب برغمهـا السـوط يـدفع عـنهم والنـار
وصـحافة صـفر الضـمير كأنهـا سـلع تبـاع ، وتشـترى ، وتعـار
ومبصبصـون كـأنهم عـن غـيرهم مسـخ ، ومـن آثامـه آثـار
يتهـافتون عـلى مـواطئ أرجـل يـومى لهـم بكعوبهـا ويشـار
قـدر أنـاخ عـلى الـبلاد بكلكـل فنبـا بـه مـتن ، وزل فقـار
وغمامـة سـوداء ران جرانهـا عنتـا فـلا غيـث ولا إصـحار

لبنـان يـا بلـد الصـباحة تجـتلي والعلـم يقطـف ، والنهـى تشـتار
يـا مـوطن الأحـرار حـين يسـومهم خسـف وحـين تشرد الأحـرار
ناغيـت حسـنك والصـبا لي شـافع ومسـحت تربـك والهـوى لي دار
وأثـرت مـن «قيثـارتي» فتجاوبـت بحفيـف «أرزك» تلكـم الأوتـار
ومشـت تـذيع عـلى القـوافي عطرهـا وجمالهـا الأنجـاد والأغـوار
حتـى إذا زحـم الشـباب ولطفـه ثقـل الحيـاة تحطـم القيثـار
ونهضـت للمحتـل أرضـك ، بطشـة أشر ، وسـوط عذابـه هـدار
ومنعـت أن أغشـى ربوعـك بعـدها أو أن أزورك ،«والحبيـب يـزار»
وظللـت أرقـب يـوم يوثـق آسر عـات ، ويـوم يفـك عنـك إسـار
أسـفا فقـد أنهـت إلي – مشـوبة بـالحزن – يـوم خلاصـك الأخبـار
أهداكـه إذ فـر جحفـل غاصـب جـيش لآخـر غاصـب جـرار

وبدا يزحزح عن سماك مذنبا ... رجم سواه مذنب سيار

لبنان نجوى مرة وسرار ... إنا بحكم بلائنا سمار
ماذا يراد بنا وأين يسار ... والليل داج ، والطريق عثار
والوحش يربض فى الثنايا منذرا ... والموت جار بها زآر
أعقاب لبنان تدنس وكره ... للأجنبى قواعد ومطار
أو بحره نبع الفخار يشقه ... فى كل يوم منهم بحار
أو فخر منهاض الجناح بأنه ... بجناح أقتم كاسر طيار
اليوم ينزل عشه ويدوسه ... لا الريش ينجده ولا المنقار
وغدا يلقفه وينتف ريشه ... فيها يلقف أجدل جبار

أشباب لبنان يضام لأنه ... يقظ على عقبى المصير يغار
ألمثلهم صاغ القيون حديدهم ... وبنى السجون لمثلهم معمار
هل غيرهم حطب الوغى إن شبها ... باغ وعم الخافقين أوار
أو غيرهم يسقى الثغور دماءه ... لتمر منها غدرة وفجار
السوط ذل لا تُقر هوانه ... إلا بسلخ جلودها الأبقار
والسجن لو علمت من الثاوى به ... لتساقطت بناته الأحجار

كنا لكم نعم النذير لو ارعوى ... غاو ، ولو ألوى به إنذار
ما أشبه التاريخ دامى جرحنا ... كجروحكم بأكفنا نغار

كان الغريب وكان بغي سافر ... ولقد يهون منكرا إسفار
جمعت به شتى الصفوف ووحدت ... شتى القلوب، ونامت الأوغار
وتوضحت فيه المعالم لم تشب ... دجلا، ولن تطمس بها الآثار
وبه تكشف كل أريد حالك ... داج، كما تنكشف الأقمار
وتمايزت - للمؤثرين نفوسهم ... والمؤثرين بلادهم - أقدار
قد كان ميدان الجهاد يسوده ... حكمان وقد جاحم، وفرار
كبت به الهوج الهجان لوجهها ... وحوى الجياد كريمة مضمار
وهفا الدعى فلم يفاخر أنه ... يعلوه من رهج الجهاد غبار
حتى إذا لقحت قبيل أوانها ... شعواء يجهل كنهها الثوار
ومضى بوزر مغامر ومتاجرا ... ومبرر شهداؤها الأبرار
ألقى لنا المستعمرون عصابة ... كانت تضم شتاتهم أجحار
من حاضنى حكم الدخيل وناصرى ... سلطانه إن عزه الأنصار
ممن بلا «لورانس» صدق ولائهم ... للتاج لا دغل ولا إسرار
راحوا فما بكت الديار عليهم ... وغدوا فلم يفرح بهم ديار
وبنوا لنا بيتاً أقمنا عشره ... ولمن هناك التسعة الأعشار
ثم انكفأنا نصطلي بوقيدة ... نحن الوقود لها، ونحن النار
وانصاع يدفع من دماء جزية ... شعب تغل جهوده أنفار
وتخربت - لتسد أجواز السما ... تلك القصور - من الجموع ديار
وبدت على تلك الملايين التي ... شرت الحرير لغيرها، أطمار
وأفاق مخدوع ليسمع هاتفا ... «خف الهوى وتقضت الأوطار»
وتساءلوا فيم استجدوا ثورة ... وعلى من امتشقوا الحسام وثاروا

أعلى الدخيل السامرى ومثله ... وأمر منه عجله الخوار
ولأجل من ألمن مضوا ببقية ... رأف الغريب بمثلها ، وأغاروا
الأجل أن يسقى الطغاة دماءهم ... ولهم – إذا رفقوا بهم – أسآر
تلك الثلاثون العجاف ، أذلها ... سوط الرعاة ، ومسها الأضرار
جمدت على الجلد اليبس ضروعها ... من فرط ما احتلبت لها أشطار
لم تبق منها الطارئات جزارة ... لو كان يعرف رحمة جزار

سرعان ما خفق اللواء وشرعت ... نظم ، وقامت دولة وشعار
الجور صلب كيانها ، ونظامها ... الإقطاع والإذلال والإفقار
لم يبق شبر لم تنله معرة ... أو لم تنشه مذلة وصغار
وبكل آونة فويق بناته ... ينقض من هذا البناء جدار
صور مزيفة كأن نحاسها ... من فرط ما لمع الطلاء نضار

كنا نشاجر – حين نرحل – غاصبا ... إذ كان بين الغاصبين شجار
واليوم والوحى الملقن واحد ... حجز توحد بيننا وحصار
والأمن كان وكان معنى فقده ... أن البلاد تحفها أخطار
فإذا به شبح تهدد أسه ... صحف ، وتنسف ركنه أشعار
كنا نقيم الكون حين يمسنا ... ضر ، وحين يهدنا إعصار
والآن نحن إذا اشتكينا غاصبا ... قالوا : أولاء بنوكم الأخيار
«ممن حملن بهم وهن عواقد ... حبك النطاق» حرائر أطهار

أولاء أنتم غير أن إطارهم منا ، وبئست صورة وإطار
ولنحن أعرف من هم ولمن هم ولمن تمثل هذه الأدوار
ومن المصرف من فضول عنانهم ولمن يعود الورد والإصدار

تنهى وتأمر ما تشاء عصابة ينهى ويأمر فوقها استعمار
خويت خزائنها لما عصفت بها الشـ ـهوات ، والأسباط ، والأصهار
واستنجدت – ودم الشعوب ضمانها ورفاهها – فأمدها «الدولار»
يلوى به عصب البلاد ، وتشترى ذمم الرجال ، وتحجز الأفكار
عرفوا مصايرهم إذا جلى غد في المشرقين ، ولاحت الأنوار
وإذا استوى أجل فزعزع طارئ عات ، وقر من الشعوب قرار
ورأوا بأعينهم فجيعة أهلها إذ عرسوا ، وحبورهم إذ طاروا
وتيقنوا أن لا وجار يقيهم حتفا ، وللضب الضليل وجار
فهم وفرط الحقد لاث دماءهم كلب بهم لدمائنا وسعار
وهم يحدون الأظافر منهم علما بيوم تقلم الأظفار

قلنا لهم : فيم اللجاجة والسما تعطى وتمنع ، والقضا غدار
وعلى م يشتط الممثل منكم رفقا بساعة ترفع الأستار
وعلى م يوغل في الحماسة راقص بأشد مما ينفخ الزمار
وعلى م يسدر في الصبابة سادر وعلى م يخلع في الغرام عذار
قلنا لهم : إن الشعوب منيخة أبدا ، وحكام الشعوب سفار
قلنا لهم : إن النبي محمدا يأبى الخنا والواحد القهار

قلنـا لهـم : إن البيـاض لشـحمة ... والليـل ليـل والنهـار نهـار
فـأتى الجـواب لنـا بـأن نهـاركم ... ليـل ، وأن عشـيركم كفـار
وإذا أبيـتم فالجريمـة أنكـم ... للبلشـفية ، بيننـا أنصـار
لـو كنـت منهم لم أكـافئ غيرهم ... بـالخير مما عجلـوا وأثـاروا
يـا أيهـا المتحكمـون وإننـا ... ودماءنـا مثـل البهـيم جبـار
قولوا الصحيح سنستبيح جلودكم ... للسـالخين لأنكـم أحـرار

إنـى – وللـذواد عـن أوطـانهم ... وشـعوبها الإجـلال والإكبـار–
لى فى العـراق مقالـة مـأثورة ... وكأنهـا مثـل بـه سـيار
أبصرت شـمطاء تتيـه وفوقهـا ... تشـكو الضـياع قـلادة وسـوار
جسـد تعـوض بـالحلى وجرسـه ... إذ غـاض منـه شـبابه الفـوار
فـذكرت كيـف يشـد مـن متغطـرس ... واهـى الضـمير ، ضـميره المنهـار
ورأيـت فى سـوق النخاسـة تعتلى ... وجـه الرقيـق مهانـة وصـغار
وبآسـن مـن بؤسـهم مسـتنقع ... قـد راح يـنفخ صـدره سمسـار
فـذكرت ما تلقى الشعوب ضعيفة ... عـزلا تسـوس أمورهـا أغـمار
وذكـرت كيـف المسـتظل بغـيره ... يـوحى ويـوهم أنـه جبـار
عبـد الحميـد وطهـر نفسـك جنـة ... وجميـل صـنعك روضـة معطـار
يـا دارجـا فى الخالـدين ضـميره ... صـلت عليـك الرفقـة الأبـرار

***

أيها الوحش ...
أيها الاستعمار ...

خل شدقيك يمصان دمي
ويمجان دما كالعلق
خل عيشي مضغة من علقم
خله نهب الطوى والقلق

سمن الكلب على لحم الشعوب ... واكسه من عريها أبهى حلل
واخلع البؤس عليها والشحوب ... وأسل ذوب الأسى بين المقل
وانشر الرعب على كل الدروب ... لا تنرها بشعاع من أمل

ثم دعها نهزة للألم
تتلظى في جحيم الحرق
هل سوى أن تغتدي بالضرم
وتلوى في وساد الأرق

أيها الوحش وما أزكى الوحوش ... تتحدى الجوع بالمفترس
تغتذي أطفالها فيما تنوش ... تحت أستار الدجى والغلس
وتغذي بعظام و«مشوش» ... ونفايات الدم المنبجس

أيها الوحش الضروس المحتمي

بفصاحات اللغى والمنطق
وبما شرعة من نظم
يحتزى منهن وجه الورق

أيها الوحش الذى ذاق الزنوج — سكرات الموت من أنيابه
جرمهم أن عدموا لونا يموج — بالدم الأزرق من أنسابه
أيها الوحش الذى سام الفروج — أن يلدن البيض من أترابه

ميز العرق وفاضل بالدم
وتصاعد طبقا عن طبق
وامنح السادة رق الخدم
واعط للصبح زمام الغسق

أخنق الفكرة فى صدر يضوع — ترها فى آخر أذكى تفوح
إنها كالشمس إن هم طلوع — صاح أو لم يصح الديك يلوح
لا يغطى من سنا الشمس السطوع — عاصف يغدو عليها ويروح

سوف يهزا الصبح بالليل العمى
حين تنداح سماء المشرق
وسينجاب غشاء الظلم
عن صباح مستفيض ألق

أيهـا الـوحش أطـل عهـد الظـلام تبعـد السـاعة عـن موعـدها
بـرر الجـور بأسـياط الطغـام تبعـث النقمـة مـن مرقـدها
كـم وكـم هـزت أهـازيج الظـلام أمـة غارقـة فى ددهـا

فـامض فى ميـدانك المـزدحم
بجـراثيم الخـنا واسـتبق
فغـدا يكـبح عـض اللجـم
مـن عنـان السـادر المنطلـق

أيهـا الـوحش ولابـد النشـور إن حـرا منجـز مـا يعـد
ونحـوس الفلـك الحـر تـدور ويـد القـوة تعلوهـا يـد
أيهـا الـوحش ، ولابـد ، القبـور قاذفـات حممـا ترتعـد

تغـتلى مـن غيظهـا المحتـدم
وتجـافى رحـمة المرتفـق
فيـد تسـقيك كـأس العلقـم
ويـد آخـذة بـالمخنق

أيهـا الـوحش تسـمع تسـمع صرخـات الحقـد تطـوى المشرقـين
تـر ذوب الـدم بـين الأدمـع يرتمـى مـن حنـق فى المقلتـين
ركـب تعرفهـا فى المركـع تقتضـيك اليـوم شر الـركبتين

عكســـت أدراج تلـــك الســـلم
فـــارتقى الكـــابى وزل المرتقـــى
وستســـقيك مجـــاج الحمـــم
أمـــم أغصنصـــتها بـــالشرق

أيهـــا الـــوحش وأشـــباح الجيـــاع زاحفـــات بـــالبطون الخاويـــة
ألـــف ويـــل لـــك مـــن هـــذا الصراع يـــوم تشـــتط الـــذئاب العاويـــة
ســـوف تجتاحـــك هاتيـــك الضـــباع ســـاربات فى القفـــار الخاويـــة

أسرجـــت أحداقـــها بـــالضرم
مـــن شـــظايا دمهـــا المحـــترق
ألـــف ويـــل لـــك مـــن منـــتقم
محـــرج نفـــس عنـــه مخنـــق

خـــل هـــذا الكـــوخ فى حـــر الهجـــير يعصـــم العـــذراء أن تنزلقـــا
خلهـــا والغيـــد تزهـــى بـــالحرير ترتـــدى العفـــة ثوبـــا خلقـــا
خلهـــا فى لفحـــات الزمهريـــر تتـــذرى مـــن رمـــاد طبقـــا

أو ليســـت حـــرة فى معصـــم
مـــن تقاليـــد النجـــار المعـــرق
عصـــم الله كـــرام الـــنعم

وســـمت بـــالطهر عـــن منزلـــق

خـــل هـــذا الوغـــد أو ذاك الـــزنيما يجمـــع الأشرار مـــن هنـــا وهنـــا
خـــل فى محنتـــه شـــعبا كـــريما خلـــه منقســـما مـــنهم ومنـــا
خـــل مـــن يشـــجب تفريقـــا ذميـــما بـــالأذى والبـــؤس والشـــتم معنـــى

ارم حـــــرا واثبـــــا بـــــالتهم
وابتـــدع مـــا لم يكـــن واختلـــق
ثـــم جـــرد صـــنما مـــن مجـــرم
غـــــارق فى خزيـــــة مختنـــــق

أهـــن العلـــم وحـــط الأدبـــا بالـــذى تخلـــق مـــن هـــذى النجـــوم
واكتشـــف فى كـــل يـــوم ذنبـــا حيـــثما حمـــت عـــلى الهـــون يحـــوم
ثـــم قلـــده الكنـــى والرتبـــا زخـــرف يفنـــى ومجـــد لا يـــدوم

ثـــم جنـــد خلقـــه كالخـــدم
مـــن حطـــام الـــبشر المرتـــزق
خـــل مـــن علمتـــه بـــالقلم
رهـــن إيـــماء الخـــؤون الأحمـــق

***

معروف الرصافي

لاقيت ربك بالضمير ... وأنرت داجية القبور
وأشعت في الأبد البهيم ... طلاقة الأبد المنير
وذهبت لم تعلق يداك ... بغير مكرمة وخير
وسمرت والألم الدفين ... ونعم ذلك من سمير
ونطقت بالخرس المبين ... ولست بالعي الحصور
إن زم من فمك الزمان ... فلن يزم فم الشعور

ونزلت حيث تذوبت ... غر الجماجم من عصور
حيث «الهوام» ترنحت ... بشراب «آلهة» طهور
وسمعت «أصداء» الحياة ... ترن من «بم» و «زير»
حيث ارتمى سجع الحمام ... على «البغام» على «الزئير»
وبحيث تزدحم النوابغ ... مثل نحل في قفير

أضفيت قافية تشع ... على «قصيد» من عشير
وأجد في سفر الردى ... سطر لمؤتلق السطور
وكشفت عن صدر يتيه ... بقلبه بين الصدور
عريان إلا من صميم ... الحب والألم الغزير
لله درك من جريء ... دون فكرته جهير
أنكرت أن «الدين» لم ... يبرح مليا بالقشور
يجتر من «أحكام» ... بئر لوثت بدم البعير

يلهـو بـه مـن لـيس يعـرف ... مـا «البجـير» مـن «العجـير»
قـد كنـت تـؤمن أن عقبـى ... المـوت شـيء فى الضـمير
وحياتـك الـدنيا لجنتهـا ... مثـال والسـعير
«الله» عنـدك كـان رمـز ... سـعادة الجمـع الغفـير
والكفـر ألا تغضـب ... الأشرار فى شـجب الشرور
والفسـق فى شرب الـدماء ... ولـيس فى شرب الخمـور

واكبـت ركـب البائسـين ... وجبـت مترفـة القصـور
ومريـت خلـف البـؤس والنعمـى ... شـطيرا فى شـطير
ومسـحت مـن دمـع اليتـيم ... بآهـة الكبـد الحـرور
و «المرضـعات» وقـد خـوت ... أثـداؤهن مـن الضـمور
وتيـبس الطفـل الرضـيع ... فـما سـوى نفـس بهـير
عـاطيتن حشاشـة ... بـاللطف تنطـف والشـعور

مـا زلـت تقـدح مـن زنـاد ... الفكـر موهوبـا فتـورى
أيقظـت هاجعـة عـلى ... فـرش مـن البلـوى وثـير
تغفـو عـلى حلـم الخنـوع ... وترتعـى طيـف الثبـور
ووقيتهـا شر المـزا لـق ... فى الجهالـة والوعـور
قرعتهـا أن تسـتنيم ... مـن الهـوان عـلى شـفير
وأدلـت مـن زنـق النعـاس ... بجفنهـا التعـب الحسـير
وطلبـت منهـا أن يـوفر ... وعيهـا سـهر «الخفـير»

ســـــاءلتها أيـــن المصـــير وألـــف وحـــش فى الحظـــير
وأريتهـــا التـــاريخ يزخـــر بالبشـــــير وبالنـــــذير
تتفـــاغر «الهـــوات» فيـــه وتـــنجلى ســـبل العبـــور
يتناديـــان عليـــك أيـــا شـــئت مـــن درب فســـيرى
كـــم تخلـــدين ، وكـــل شـــىء يســـتحثك أن تثـــورى
ونحـــت مـــن عـــود الطغـــاة وقـــد جســـا نحـــت الشـــجير
زعزعـــت ســـاقة بغـــيهم وضربـــت منهـــا فى الجـــذور
وشـــجبت أن تبقـــى الجمـــوع لعابريهـــا كالجســـور
وفضـــحت غـــش المســـتعير بـــما فضـــحت مـــن المعـــير

وســـحقت «ديـــدان» الزعامـــة أفرخـــت بـــين الجحـــور
يتجنبـــون عـــن العســـير ويشـــجعون عـــلى اليســـير
يعيـــيهم الـــدرب الطويـــل فيهرعـــون إلى القصـــير
مـــا المجـــد كـــأس تجتليهـــا للســـقاة يـــد المـــدير
المجـــد يخنـــق بـــين أو تـــار ، وولان ، وحـــور
مـــا فخـــر مـــن يمشـــى عـــلى ضـــوء الكواكـــب والبـــدور
والمجـــد لـــيس رضـــا الـــوزير ولا مصـــاقبة «الســـفير»
المجـــد صـــنو للـــدماء وللســـجون وللقبـــور

وأطـــرت مـــن تلـــك «النحـــوس» معششـــات فى الوكـــور

تلــك «التقاليــد» العريقــة في الغبـــاء وفي الـــدثور
ورفعــت مــن تلــك «الأسـيرة» باســم ربــات الخــدور
مثـل السـوام أحـل بيـع رقابهـا باســـم «المهـــور»
والوائـــد الســفاح بــرر جرمــه باســم «الغيــور»
فحملــت عنهــا طيعــا ديــة التحــرر والســفور
«معــروف» أمــس منحتنــى عطــف الكبــير عــلى الصــغير
وأســـيت جرحـــى ، إن جرحــك نــاغر جــم البثــور
خبرتنــى أن خضــت قــبلى مــا اســتفاض مــن البحــور
ســيرت فيهــا كالســفين مــواخر الكلــم الشــهير
وبكيــت مجــدا ضــاع مــا بــين «الخورنــق»و «الســدير»
يلهــو عــن «الغــدِ» بالــذي قــد كــانَ في أمــسِ الــدبير
خبَّرتنــي كيــفَ انكفــأتَ وأنــتَ تَعْثُــرُ بــالنُّمور
نهــبَ العيــونِ الحاقــدات عليــكَ مِــن خُــزرٍ وصــور
رهــينَ إفــكٍ مــن طغــام يُرجِفــونَ بــه وزور
خبَّرتنــي كيــفَ ادَّرعــتَ بنشــرةِ الشــهم الصَّــبور
كيــفَ امتُحنــتَ وقــد هــوتْ رَخَــمُ الطيــورِ عــلى النُّســور
مــا كنــتَ يــا «معــروفُ» منــ ـــعدِمَ العضــيدِ ولا النَّصــير
كنــتَ الــرَّكينَ عــلى القلــو بِ، المُســتفيضَ عــلى الثغــور

أقســمتُ بالصــالينَ ، دونَ شُــعوبهِمْ، حــرَّ الســعير
بُمســاقِطينَ لهــا النــدى ومرَّمضــينَ عــلى الهجــير

بالقيـــــــــادة المتطلِّعيـــــــــ ـــنَ إلى السـما مِثـلَ الصُـقور
بالســـــــادة المُتكدِّحيـــــــ ـــنَ لخيرهـا كَـدْحَ الأجـير
بالســـــابقينَ زمـــــانُهمْ أعيـا ، وغـذّوا في المسـير
بـــالنور يفــتحِمُ النفــوسَ مــنَ النظـيم، أو النثـير
بـــالكفِّ تُـــومئ للطريـــ ـــقِ كأنهـا يُنبـوعُ نـور
بـــالظُّفر مُـــدَّميًا لِمـــا نَحَـتَ الحيـاةَ عـلى الصخور
بـــالرأس مُشـــتعلاً وقـــدْ ضـوّى بـهِ وَخْـطُ القتـير
لـــو لا شَـــذاتُكَ وهـــي عِلــ ـــقٌ لا يُعـوَّضُ بـالنظير
وهواتـــفٌ كـــرُّ السنيــــ ـــن يُجـدُّ منهـا والشُّهور
لعجبـــتُ مـــن هـــذا التشـــا كُـل في حياتـكَ والمصـير
مـا كـانَ أشـبهَ نعشَـكَ البــ ـــالي بمُنْجَـردِ السريـر
وحفــيرَكَ الـــداجي بخُـــصّ عشـتَ فيـهِ كالأسـير
وفُضـــالةَ الكفـــنِ الأسيــــ ـــفِ بـذلكَ الثـوبِ الحسـير
والوحشـــةَ الطَخْيـــاءَ مثـــلَ كآبـةِ القلـبِ الكسـير

«معـــروفُ» نـــمْ فـــوقَ الـــتُرابِ فلسـتَ مـن أهـل الحرير
وتمـــلَّ مـــن «دُودٍ» أعـــزَّ عليـكَ مـن لُكَـعٍ شَريـر
مـــن نـــاصرٍ لـــكَ في الـــعشيِّ وعـاقرٍ لـكَ في البُكـور
ومُعـــيِّرٍ لـــكَ أنَّ جـــدَّكَ لم يَمُـضَّ دمَ الفقـير
لم يُـــرضِ بـــالملقِ الـــوُلاةَ ولا تزلَّـفَ للأمـير
لم يُعطِـكَ السُـحتَ المحـرَّمَ إرثَ مـتروفِ الضمـير

فوُصمتَ بالفقرِ الطهور ... وراحَ يَفْخَرُ بالفُجور
ومساوم لكَ أن رآكَ ... حُرِمتَ من شَرْوى نَقِير
يبغي ضميركَ ساترًا ... لضميرِهِ العَفِنِ الحقير
كالجيفةِ النتناءِ يُبـ ... ـغَى عندَها أرَجُ البَخُور

«معروفُ» نمْ فوقَ الترا ... ب مضمَّخا بشذا العُطور
بالمحسناتِ الصُّنع لم ... تطلُبْ بها أجرَ الشَّكور
والعابقاتِ كأنها ... مُتَفَتِّحُ الزَّهَرِ النَّضير
والصاخباتِ كأنها ... موجٌ يزمجرُ بالهدير
وإذا سألتَ عن «العراق» ... فقدْ وَقَعْتَ على الخبير
الجورُ يَخْطَفُ أَهْلَهُ ... خَطْفَ الأجادِلِ للطيور
والسوطُ يأكُلُ منهُمُ ... أكْلَ الذِّئابِ من الجزور
والوعيُ يدفعُ بالوُعاةِ ... من السجون إلى القبور
والذُّلِّيُّ يعصِفُ في مشا ... رِفِهِ، ويطفحُ في الثغور
زَّلتْ متونُ لمدَّعينَ ... بهِ عن الحِملِ العسير
وترَّنحتْ زُمَرُ الشبابِ ... بِ بقاصماتِ للظهور
وتراكضتْ فيه تجولُ ... كما اشتهتْ خيلُ المُغير

«معروفُ» كنتَ تَعُبُّ من ... ضَنَكٍ وفكرٍ في غدير
أنا منهما أسقي وأشربُ ... بالصغير وبالكبير
ما كانَ أشبهَنا وما ... أدنى مصيرَكَ من مصيري
إنَّا كلانا نازلانِ ... من القضاء على حفير

تنويمة الجياع

نـامي جيـاعَ الشَّـعْبِ نـامى ... حَرَسَـتْكِ آلِهَـةُ الطَّعـام
نـامي فـإنْ لم تشـبَعِي ... مِـنْ يَقْظـةٍ فمِـنَ المنـام
نـامي عـلى زُبَـدِ الوعـود ... يُـدَافُ في عَسَـلِ الكـلام
نـامي تَـزُرْكِ عـرائسُ الأحـلام ... في جُـنْحِ الظـلام
تتَنَـوَّري قُـرْصَ الرغيـفِ ... كَـدَوْرةِ البـدرِ التمام
وَتَـرَيْ زرائِبَـكِ الفِسـاحَ ... مُبَلَّطَـاتٍ بالرُّخَـام
نـامي تَصِـحّي! نِعْـمَ نَـوْمُ ... المـرءِ في الكُـرَبِ الجِسَـام
نـامي عـلى حُمَـةِ القَنـا ... نـامي عـلى حَـدِّ الحُسَـام
نـامي إلى يَـوْم النشـورِ ... ويـومَ يُـؤْذَنُ بالقِيَـام
نـامي عـلى المسـتنقعاتِ ... تَمُـوجُ بـاللُّجَج الطَّـوامِي
زَخَّـارةً بشـذا الأقَـاح ... يَمُـدُّهُ نَفْـحُ الخُـزَام
نـامي عـلى نَغَـم البَعُـوضِ ... كأنَّـهُ سَـجْعُ الحَـمَام
نـامي عـلى هـذي الطبيعـةِ ... لم تُحَـلَّ بـه «ميـامي»
نـامي فقـد أضـفى «العَـرَاءُ» ... عليـكِ أثـوابَ الغـرام
نـامي عـلى حُلُـم الحواصـدِ ... عاريـاتٍ للحِـزَام
متراقِصَـاتٍ والسِّـيَاط ... تُجِـدُّ عَزْفَـاً بأرْتِـزَام
وتغـازلي والنَّـاعِمَات الزاحفـاتِ ... مـن الهـوام
نـامي عـلى مَهْـدِ الأذى ... وتوسَّـدِي خَـدَّ الرَّغَـام
واسـتفرِشِي صُـمَّ الحَصَى ... وَتَلَحَّفـي ظُلَـلَ الغَـمَام

نـامي فقـد أنهـى « مُجيعُ الشَّـعْبِ » أيَّـــــامَ الصِّـــــيَام
نـامي فقـد غنَّـى « إلـهُ الحَـرْبِ» ألْحــــانَ السَّــــلام

نـامي جِيَـاعَ الشَّـعْبِ نـامي الفَجْـــــرُ آذَنَ بانْصِرام
والشمسُ لـنْ تُؤذيـكِ بَعْـدُ بـما تَـــــوَهَّج مـــــن ضِرَام
والنـورُ لَـنْ «يُعْمِـي» جُفونـاً قـــد جُـبِلْنَ عــلى الظــلام
نــامي كعهــدِكِ بــالكَرَى وبلُطْفِـــهِ مـــن عَهْـــدِ «حَــام»
نـامي.. غَـدٌ يسـقيكِ مـن عَسَـلٍ وخَمْـــرِ ألْـــفَ جَـــام
أجــرَ الــذليلِ وبــردَ أفئــدةٍ إلى العليـــــا ظَـــــوَامِي
نــامي وســيري في منامِــكِ مـــا اســـتطعتِ إلى الأمــام
نــامي عــلى تلــك العِظَــاتِ الغُـــرِّ مـــن ذاك الإمـــام
يُوصِــيكِ أن لا تطعمـــي مـــن مـــالِ رَبِّـــكِ في حُطَــام
يُوصِـيكِ أنْ تَـدَعي المبــاهِجَ واللذائـــــذَ لِلئـــــام
وتُعَــوِّضِي عـــن كـــلِّ ذلــكَ بالســـجودِ وبالقيـــام
نــامي عــلى الخُطَــبِ الطِّــوَالِ مـــن الغطارفـــةِ العِظَــام
نـــامي يُسَـــاقَطْ رِزْقُـــكِ الموعـــودُ فوقَـــكِ بانتظـــام
نــامي عــلى تلــكَ المبــاهج لم تَـــدَعْ سَـــهْماً لِرَامِـــي
لم تُبْــقِ مـــن «نُقَـــلٍ» يسرُّكِ لم تَجِئْـــــهُ .. ومـــــن إدَام
بَنَــتِ البيــوتَ وَفَجَّــرَتْ جُـــرْدَ الصـــحارى والمـــوامي
نــامي تَطُــفْ حُــورُ الجِنَــانِ عليـــكِ منهـــا بالمُـــدَام
نــامي عــلى الــبَرَصِ المُبَــيَّضِ مـــن ســـوادِكِ والجُـــذَام

نـــامي فكَـــفُّ الله تغســـلُ عنـــــكِ أدرانَ السَّــــــقَام
نـــامي فحِـــرْزُ المـــؤمنينَ يَـــذُبُّ عنـــكِ عـــلى الـــدَّوَام
نـــامي فـــما الـــدُّنيا ســـوى «جسر»عـــلى نكَـــدٍ مُقَـــام

نــــــامي ولا تتجـــــادلي القـــولُ مـــا قالـــتْ «حَـــذَام»
نـــامي عـــلى المجـــدِ القـــديم وفـــوقَ كـــوم مـــن عِظَـــام
تيهـــي بأشـــباهِ العصـــامِيّنَ! منـــكِ عـــلى «عِصَـــام»
الـــرافعينَ الهَـــامَ مـــن جُثَـــثٍ فَرَشْـــتِ لهُـــمْ وهَـــام
والـــواحمينَ ومـــن دمائِـــكِ يرتـــــوي شَرَهُ الوِحَـــــام
نـــامي فنومُـــكِ خَـــيْرُ مـــا حَمَـــلَ المُـــؤَرِّخُ مـــن وِسَـــام

نـــامي جيـــاعَ الشـــعبِ نـــامي بُرِّئْـــتِ مـــن عَيْـــبٍ وذَام
نـــامي فـــإنَّ الوحـــدةَ العصـــماءَ تطلُـــــبُ أنْ تنـــــامي
نـــامي جِيَـــاعَ الشَّـــعْبِ نـــامي النـــومُ مـــن نعـــم الســـلام
تتوحَّـــــدُ الأحـــــزابُ فيـــــه ويُتَّقَـــى مِـــن خَطَـــرُ الصِـــدام
تَهْـــدَا الجمـــوعُ بـــهِ وتَســـتغني الصُّـــفوفُ عَـــنِ انقســـام
إنَّ الحماقـــــةَ أنْ تَشُـــــقِّي بـــالنُهوضِ عصـــا الوئـــام
والطَّـــــيْشُ أن لا تَلْجَئِـــــي مِـــن حاكِميـــكِ إلى احتكـــام
الـــنفسُ كـــالفَرَسِ الجَمُـــوح وعَقْلُهـــا مثـــلُ اللجـــام
نـــامي فـــإنَّ صـــلاحَ أمـــرٍ فاســـــدٍ في أن تنـــــامي

والعُـرْوَةُ الـوثقى إذا استيقَظتِ ... تُـؤذِنُ بانفصام
نـامي وإلا فالصُّفوفُ ... تـؤُول منـكِ إلى انْقِسام
نـامي فنومُـكِ فِتْنَـةٌ ... إيقاظُها شرُّ الأثام
هـل غـيرُ أنْ تَتيَقَّظِي ... فتُعَاوِدِي كَـرَّ الخِصام

نـامي جيـاعَ الشـعبِ نـامي ... لا تقطعـي رِزْقَ الأنـامِ
لا تقطعـي رزقَ المُتَـاجِرِ ... والمُهَنْـدِسِ.. والمُحَامِي
نـامي تُريحِي الحـاكمينَ ... مِـن أشـتباكٍ والتحَـامِ
نـامي تُـوَقَّ بـكِ الصَّحَافَةُ ... مِـن شُـكُوكٍ واتِّهَـامِ
يَحْمَـدْ لـكِ القـانونُ صُـنْعَ ... مُطَـاوِعٍ سَـلِسِ الخُطَـامِ
خَـلٍّ «الهُمَامَ!» بفضـل بنومِـكِ ... يَتَّقِـي شَرَّ الهُمَـامِ
وتَجَنَّبِي الشُّبُهَاتِ في ... وَعْـيٍ سَيُوصَـمُ بـاجْتِرَامِ

نـامي فجِلْـدُكِ لا يُطِيـق ... إذا صَـحَا وَقْـعَ السِّهَامِ
نـامي وخَـلِّي الناهضيـنَ ... لوحـدِهِمْ هَـدَفَ الرَّوَامِـي
نـامي وخَـلِّي اللائمـينَ ... فـما يُضِـيرُكِ أن تُلامِـي
نـامي فجـدرانُ السُّجُونِ ... تَعِـجُّ بـالموتِ الـزُّؤَامِ
ولأنـتِ أحـوجُ بعـدَ أتعـابِ ... الرُّضُـوخِ إلى جَمَـامِ
نـامي يُـرَحْ بمنامِـكِ ... «الـزُّعَمَاءُ» مِـن داءٍ عُقَـامِ
نـامي فحقُّـكِ لـن يَضِيـعَ ... ولسـتِ غُفْـلاً كالسَّـوَامِ

إن «الرُّعـــاةَ!» الســـاهرينَ ســـيمنعونَكِ أنْ تُضَـــامِي

نـــامي عـــلى جَـــوْرٍ كـــما حُمِـــلَ الرَّضِـــيعُ عـــلى الفِطَـــام
وَقَعـــي عـــلى البلـــوى كـــما وَقَـــعَ الحُســـامُ عـــلى الحُســـام
نـــامي عـــلى جَـــيْشٍ مِـــنَ الآلام محتشـــدٍ لُهـــام
أعطـــي القيـــادةَ للقضـــاءِ وحَكِّميـــهِ في الزِّمَـــام
واستسلمي للحادثـاتِ المشـفقاتِ عـــلى النِّيَـــام
إنَّ التـــيقظَ - لـــو علمـــتِ- طليعـــةُ المـــوتِ الـــزؤام
والـــوَعْيُ سَـــيْفٌ يُبْـــتَلَى يـــومَ التَّقَـــارُع بانْـــثِلام

نـــامي شَـــدَاةَ الطُّهْـــرِ نـــامي يـــا دُرَّةً بـــينَ الرُّكَـــام
يـــا نبتـــةَ البلـــوى ويـــا ورداً ترعـــرعَ في اْهتضـــام
يـــا حُـــرَّةً لم تَـــدْرِ مـــا معنـــى اْضـــطغانٍ وانتقـــام
يـــا شُـــعْلَةَ النُّـــورِ التـــي تُـــعْشِي العُيُـــونَ بـــلا اضـــطرام!
سُـــبحانَ رَبِّـــكِ صُـــورةً تزهـــو عـــلى الصُّـــوَرِ الوِسَـــام
إذْ تَخْتَفِـــينَ بـــلا اهـــتمام أو تُسْـــفِرينَ بـــلا لِثَـــام
إذْ تَحْمِلِـــينَ الشرَّ صـــابرةً مِـــنَ الهُـــوج الطَّغَـــام
بُوركْـــتِ مـــن «شَـــفْعٍ» فـــإنْ نـــزلَ الـــبلاءُ فمـــن «تُـــؤَام»
كـــم تصـــمُدِينَ عـــلى العِتَـــابِ وتَسْـــخَرينَ مـــن المـــلام
سُـــبحانَ ربِّـــكِ صـــورةً هـــي والخطـــوبُ عـــلى انسـجام

نامي جياعَ الشعبِ نامي ... النومُ أَرْعَى للذِّمَام
والنومُ أَدْعَى للنُزُولِ ... على السَّكِينَةِ والنِّظَام
نامي فإنَّكِ في الشَّدائدِ ... تَخْلُصِينَ من الزِّحَام
نامي جياعَ الشَّعْبِ لا تُغْنَيْ ... بِسَقْطٍ من كلامي
نامي فما كانَ القَصِيدُ ... سوى خُرَيْزٍ في نظام
نامي فقد حُبَّ العَمَاءُ ... عَنِ المساوئ والتَّعَامِي
نامي فبئسَ مَطَامِعُ الواعِينَ ... من سَيْفٍ كَهَام
نامي إليكِ تحيّتي وعليكِ ... نائمةً سلامي

نامي جياعَ الشَّعْبِ نامي
حَرَسَتْكِ آلهةُ الطعام

***

قفص العظام

تعالى المجدُ يا قفصَ العظام ... وبوركَ في رحيلك والمُقام
وبورك ذلك العُشُّ المضوي ... بوحشتهَ.. وبالغُصص الدوامي
وصابتك التحايا عاطرات ... بما لم يحتمل صوبُ الغمام
تعالي المجدُ لا مالٌ فيخزي ... ولا مُلكٌ يُحلَّل بالحرام
ولا نشبٌ تُهانُ الروح فيه ... فَتَخْضَعَ للطُغاة وللطَغام
ولكن مهجةٌ عَظُمَتْ فجلّت ... وجَلَّ بها المرومُ عن المَرام
تعالي المجدُ يا أم الرزايا ... تمَخَّضُ عن جبابرة ضِخام

تملي القبرُ منها أيّ عطر ... ووجهُ الأرض أيّ فتيَ هُمام
وُهبتِ الثروةَ الكبرى دماءٌ ... وروحاً وارتكنتِ إلى حُطام
ونوَّرْت الدروبَ لساكنيها ... وعُدْت من « السواد » إلى ظلام
وأبْتِ كما يؤوبُ النَّسرُ هيضَتْ ... قوادمُهُ بعاصفةٍ غُرام
فدتكِ الأمهات مكرَّشات ... تثَاقلُ بالفضولِ من الطَّعام
تبلَّد كالربيظةِ في رخاءٍ ... وتثغو في التثاؤب كالسَّوام
حَجَجْتُ إليكِ والدنيا تلاقي ... عليك بكل قاصمةٍ عُقام
وفي صدري تجولُ مسوَّمات ... من البلوي عَصَيْن علي اللّجام
وأماتُ المطامح في ضلوعي ... حواشدُ يضطربن من الزَّحام
وطارتْ بي علي الخمسين ذكرى ... أقلَّتْني إلى عهد الفطام

وحُطَّت بين تلك وبين هذي ... حُمول من دموع وابتسام
ورحتُ أُعيدُ أعداداً رِطاباً ... وأحطاباً إلى « عُشِّ الحمام»
فما هي غير أن لاحت لعيني ... مخايلُ من ملامحِك الوسام
وروعةُ صورة بإطار مجدٍ ... يجللها من الكرَبِ الجِسام
ورفتْ في نَديفٍ مّنْ مشَيب ... ذوائبُ لم ترفُّ علي أثام
وضوّت من جبينك لي غضون ... بها يَغْنَي الزمانُ عن الكلام
وطُفْتِ بخاطري حتى تمشّي ... حنانُكِ مثلَ بُرْءٍ في سقام
فكنتِ الدهرَ أنت وكان لمحٌ ... لشخصِك يرتمي كل الأنام
وكنتِ السمع مني لا ورائي ... سواك صديً يرِنُّ ولا أمامي

فيـا شـمسي إذا غابـت حيـاتي نشـدتُك ضـارعاً ألا تُغـامي
ويـا «متعوبـة» قلبـا وروحـا أخـافُ عليـك عاقبـةَ الجِمام
ويـا مكفوفـةً عـن كـل ضرٍّ نشـدتُكِ أن تكُفّـي عـن ملامـي
فلـيس يُطيـقُ سـهماً مثـل هـذا فـؤادي وهـو مُرْتكـزُ السِّـهام
لقـد كنـتِ الحسـامِ عـلي ظـروف حُمْلـتُ بهـا عـلى حـدِّ الحسـام
وقـد كنـتُ الحـرون عـلي هجـين يحـاول أن يُسَـيّرَ مـن زمـامي
ولـيس رضـيعُ ثـديكِ بالمجـاري ولـيس ربيـبُ حِجْـرِكِ بالمضـام
تعـالي المجـد يـا قفـصَ العظـام وبـورِكَ في رحيلـك والمقـام

***

مقالة كبُرت

ماانفـك يـا مصر والإذلالُ تعويـدُ يسـومُكِ الخسـفَ كـافورٌ وإخشـيدُ
مقالـةٌ كـبرت الحـبّ شـافِعُها حبُّ المسودين لـو شـاؤوا لما سيدوا

***

الثائر ولله الغد لله

يقول شوقي:

«لم يكـن لي غـد» هـل قالهـا وهـو لـه فـاهمُ
«فلم يكـن» يفيـد معني مضى و«لي غـد» مسـتقبل قـادم

فكتب تحتها الأستاذ الجواهري:

يبكـي عـلي أمـس لـه أخطـل لم يسـتثره غـدُه القـادمُ

إنَّ غـــداً يعرفـــه ثـــائرٌ   لا المستكينُ السادرُ الناعم

***

في مؤتمر المحامين ..

سلامٌ على حاقدٍ ثائرٍ   على لاحِبٍ من دم سائرِ
يَخُبُّ ويعلمُ أن الطريـ   ـق لابُدَّ مُفضٍ إلى آخرِ
كأنَّ بقايا دم السابقيـ   ـن ماضٍ يُمهِّدُّ للحاضرِ
كأنَّ رميمَهُمُ أنجمٌ   تُسدِّدُ مِن زللِ العاثر
وليسَ على خاشعٍ خانعٍ   مُقيمٍ على ذُلِّهِ صابر
عفا الصبرُ مِن طللٍ داثرٍ   ومن مَتْجرٍ كاسدٍ بائر
يغُلَّ يدَ الشعبِ عن أن تُمدَّ   لكسرِ يدِ الحاكمِ الجائر
ويأمرُه أن يُقِرَّ النزولَ   على إمرةِ الفاسقِ الفاجر

سلامٌ على جاعلينَ الحتوفَ   جسرًا إلى الموكبِ العابر
على ناكرينَ كرامَ النفوسِ   يذوبونَ في المجمعِ الصاهر
سلامٌ على طِّيباتِ النذورِ   سلامٌ على الواهبِ الناذر
وليس على واهبينَ العراء   ضحاياهمُ خَشيةَ النَاحر
سلامٌ على غاصبٍ ما يُريدُ   من فمِ مُستذئبٍ كاسر
وليس على رابطٍ حقَّه   بخيطٍ من الأملِ السادر
بليدٍ يَظنُّ خلاصَ الشعوبِ   يُبتاعُ بالثمنِ الخاسر

سلامٌ على غَمراتِ النضال ... سلامٌ على سابحٍ ماهر
عَنودٍ يُصارعُ لُجَّ الخُطوبِ ... وصخّابَ أذيِّها الزاخر
يَصُدُّ - وقد زَحَمَتْهُ الحتوف - ... وشقَّ الرئيُّ على الناظر
بعينٍ إلى الحجِ تَطْمِي ... وعينٍ إلى الشاطئ الآخَرَ
تبسَّمَ الهوَّة المُجتواه ... تكشَّفُ عنْ فَمِها الفاغر
لأنَّ السماءَ رمتْ نحوَهُ ... صدى سابحٍ خلفَه ماخِرِ
سلامٌ على حُسنِ ذاكَ المصيرِ ... سلامٌ على البطلِ الصائر

سلام علي خالع من غد ... فخارا علي أمسه الدابر
وليس على عائش كالغراب ... على جيف الساحق الغابر
سلام علي نبعة الصامدين ... تعاصت علي معول الكاسر
تهب لتخضد منها الرياح ... فترتد عن خاضد قاهر
وليس علي غصن ناعم ... رشيق يميل مع الهاصر

سلام علي مدقع غامر ... خصيب بإيمانه عامر
وليس على مدع كاذب ... وسادته - زغب الطائر
يروح ينفج من حضنه ... بدعوى من الكلم النافر
ويكشف عن محرب «حارد» ... ويطوي على خائف خائر
أفي الغنم أشجع من قسور ... وفي الغرم أجبن من صافر

سلام على مثقل بالحديد ... ويشمخ كالقائد الظافر

كـأن القيـود عـلى معصـميه ... مفـاتيح مسـتقبل زاهـر
أقـول لملقـي بتلـك الجبـاب ... هـزوء بأهوالهـا سـاخر
تبـوأ مـن سـجنه غابـة ... تـدور عـلى أسـد خـادر
مقـيم عـلي العهـد كالديـدبان ... تعاليـت مـن حـارس سـاهر
تعاليـت مـن محنـق لا يطيـق ... بيانـاً سـوي النظـر الخـازر
تعاليـت مـن عـاجز قـادر ... وبوركـت مـن دارع حـاسر
تعاليـت مـن قـدوة تتـدي ... ومـن مثـل مـنجح سـائر

سمير الأذي والظـلام الرهيـب ... خـلا الحـي بعـدك مـن سـامر
ويـا جـذوة الفكـر إن العـراق ... حـريص عـلى مـؤمن فـاكر
ويا لامعاً حيث سـود الخطوب ... تطـيح بـأي سـني بـاهر
تنزهـت عـن صـدأ الطارئـات ... لأنـك مـن معـدن نـادر
سـلمت فأنـت منـاط الرجـاء ... لشـعبك في غـده البـاكر
وأنـت الإمـام لتلـك الصـفوف ... في زحفهـا الحاشـد الظـافر
تـذوب مـن جسـمك الضـامر ... فتضـفي عـلى عرضـها الـوافر
وتعلي حسـاب الضـحايا الكثـار ... لترفـع مـن مجـدها الكـاثر
وأنـت المـؤدي عـن الأرشـدين ... ديـات المـقصر والقـاصر

سـلمت فإنـك في نـاظري ... فـإن غبـت ففـي خـاطري
سـلمت فـإن غصـون السـنين ... عـلى وجهـك الشـاحب الغـابر
سـطور مـن المجـد لا تنمحـي ... وعشـت وعاشـت يـد السـاطر

وإن الغبـار.. غبـار النضـال ... بمفرقـك الألـق العـافر
سنا «الغار» يضفر للصامدين ... وعـاش صمودك مـن ضـافر
سلمت فما كان هون الجسوم ... عـلى شرف الـروح بالضـائر
ولا كـان بـري الحديـد اللحوم ... عـلي الحـر بالمأكـل الخـاشر
سـلمت فـلا بـد مطمـورة ... حوتـك.. تـدور عـلى الطـامر

سـلام عـلي مصر في أمسـها ... منـاراً لـدى الغيهـب العـاكر
تمـد الحضـارة في جزرهـا ... وتـدفع مـن موجهـا الحـاسر
سـلام عـلي يومهـا المجـتلي ... مـن التضـحيات بـه.. البـاهر
سـلام غـدها المرتجـي ... عـلى بـاطن منـه أو ظـاهر
سـلام عـلي المهـج الطـاهرات ... تسـيل عـلي الـوطن الطـاهر
سـلام عـلي مهـدرات الـدماء ... غِضـاباً كشقشـقة الهـادر
ويـا وفـد مصر السـلام ... سـلام المـواطن لا الزائـر
تمـرون منـا بـذكراكم ... مـرور الحبيـب عـلى الخـاطر
ونـدفع عـنكم ثقـال الخطـوب ... دفـاع الجفـون عـن النـاظر
ونـنصركم بنيـاط القلـوب ... وحسـبكم ذاك مـن نـاصر
دمـاً بـدم نحضـن الآصرات ... وبـورك بالحاضـن الآصر
ومنـا ومـنكم لفـك الإسـار ... سـباق لقطـع يـد الآسر
سـلو الرافـدين فكـم أجريـا ... إلى النيـل فـيض الـدم المـائر
وكـم رد نحوهمـا طميـه ... يـد المسـتمن بهـا الشـاكر
وكـم نحـن سرنـا عـلى هـديكم ... هـدى الركـب بالكوكـب السـائر

ثقوا بالنجاح لمستضعفين ... تجمعهم ترة الواتر

ويا رسل الحق من أهلنا ... سلام لجمعكم الزاهر
ومني إليكم تحايا الجموع ... علي فم شاعرها الشاعر
ترف كنفخ الشذا العاطر ... وتهمي كصوب الحيا الماطر
أبثكم لا أحب الحماس ... ولا أنا للنقص بالناكر
ولست بملق غبار النكوص ... على المرهبات.. ولا العاذر
وما زلت أعرف أن الأديب ... طبيب.. أخو مبضع سابر
يقوم – لينهض من جيله – ... بدور المبشر والزاجر
وينكأ من قرحه مثلما ... يضمد جرحه الناغر
بلينا.. وأنتم.. بمستعمر ... أكول شروب لنا غادر
يهون علي نابه لحمنا ... هوان الجزور علي الجازر
وزدنا عليكم بأن القضاء ... رمانا بمنحدر حادر
وأنا الطريق إلى مشرق ... من الشمس عند الدجى الداجر
وأنا خصصنا من الخائنين ... بالعدد الأرذل الوافر
أبثكم لا أحب الشكاة ... ولكنها همسة الحائر
تريكم يد الغاصب المختفي ... وراء يد الخائن السافر
مضي أمس يسحب من خلفه ... شباباً كزهر الرُبى العاطر
على الجسر يمحون عن شعبهم ... وتاريخه.. فجرة الفاجر
هم الجمرات دماً فائراً ... يسعر فيض الدم الفاتر
إلي الآن تلبس هذي الجموع ... من فضلهم حلة الشاكر

ولما أمالوا خيام العتاة ... بعات من العاصف العاصر
وكادت تطيح بأوتادها ... إلي « حيث » و« الأبد الداهر »
تنصل من نحرهم غاصب ... وأومـا إلى « عبده » الناحر
فطاح بهم كورود الربيع ... تهاوت بريعانها الناظر
وفروا خِفافاً فرار الأبيق ... يحِنُّ إلى ربقة الآسر

ومدت يد من وراء الحجاب ... لثان يساوم كالتاجر
فكان ستاراً على سوءةٍ ... تبدت بها سوءة الساتر
وردت « هلوك » إلى بغيها ... وعادت إلى أمسها الداعر
وخفت « لكاع » إلى الراجمين ... تبحث عن راحم غافر
ورفت على « الطهر » راياتها ... رفيف الشراع على داسر
تنصب من صدرها الفاجر ... كأن لم يعد ثم من ذاكر
كأن لم يعد ثم من حافظ ... لسود صحائفها ناشر
خسئت.. فحسبك من مخبر ... يحدث عنك ومن خابر
فإن يذهب المستكين الضعيف ... يجيء ألف محترب قادر
وإن يطمس البغي تلك القبور ... ترشد إليها يد القابر
ومثلك لف نضال الشعوب ... ألوفا ببركانه الثائر
وأشرف منك لتنورها ... رمتها سجورا يد الساجر

عتاب وإن لاح صفو العتاب ... لدي البعض كالنغم النافر
عتاب وليس على خائن ... بآلاء موطنه كافر

وليس علي الشعب يعطي الدماء ... يــــإيماءة القائـــــد الآمـــــر
ولكــن عــلي نفــر « أوســط » ... تجمـــــد كــــاللبن الخـــاثر
قعيــد ويكــره سـعي الجمـوع ... إلى الخــــير كـــالمرأة العــــاقر
فــلا هــو للشــعب في كلــه ... ولا هـــو للجانــــب الآخـــر
ولكــن كــما شــغلت نفســها ... بنحيــين أخــت بنــي عـــامر
فكــف تهــده غــيظ الجمــوع ... وكــف عـــلى منصــب شــاغر
ضــعاف يــراودهم مكــرهم ... فيخشـــون مـــن ثعلـــب مـــاكر
كما يفحص «الـورق» اللاعبـون ... يخـــافون مـــن لاعـــب قـــامر
وإلا فــما خـــوف مســـتوثق ... عفيــــف بأطماحــــه طـــاهر
إلي المجـد.. بـئس المتاع الـدلاء ... تـــدلي بمســـــتنقع غـــائر
وبـئس الحيــاة لمــلء البطـون ... تمـــد إليهـــا يـــدا صـــاغر

أقــول: وقــد لاح غــول الــبلاء ... يفــرج عـــن شـــدقة الكـــاشر
وخفت « للندن » تلك اللصوص ... تلــبس ثــوب الــدجي العــاكر
تحـــوك بـــرغم أنـــوف الـــبلاد ... نســيج الهــلاك لهـــا الـــدامر
وراحـــــت تســـيل بألعابهـــا ... لعـــاب الأفـــاعي يــد الســاحر
وذرت قـــــرون لمســــــتعبد ... بنعـــــرة ســــيده نـــــاعر
إلي كــم تــداري شــيوخ العــراق ... وأقطـــــاب محـــوره الـــــدائر
عجـــــولاً تـــــربي لمســــتعمر ... ويلعـــن في عجــل « الســامري »

***

الدم الغالي

خلي الدم الغالي يسيل ... إن المسيل هو القتيل
هذا الدم المطلول يختصر ... الطريق به الطويل
هذا الدم المطلول إن ... عز الكفيل هو الكفيل
أن يسترد به الأسير ... وأن يعز به الذليل

مُدى بهامك فالجهاد ... لديه من هام تلولُ
متراكمات لا تبالي ... الدهر يقصر أو يطول
يحلو التفيؤ – في ذراها ... للمناضل – والمقيل
كم لوحت للسالكين ... وكم نهتم أن يميلوا
الخالدات الشامخات ... وكل شامخة فصول
والحاكمات العادلات ... وكل حاكمة تدول
من ههنا « فجر » يطل ... ومن هنا « ليل » يزول
وكان مخضبة الدماء ... فويقها « الشفق » الظليل

مدي بهامك إنها ... منكوسة.. حمل ثقيل
يلهو بها المتحكمون ... ويستبد بها الدخيل
مدي بها « جسرا » ... يمهد للرعيل به الرعيل
مدي بهامك كالقداح ... يجيل نثرتها المجيل
وتقامري والموت إن ... خلاصك الربح الجزيل
خلي الدم الغالي يسيل ... ضوءاً يُنارُ به السبيل

عـــذراً يقـــوم عـــلى الطغـــاة ... الســـــافحين.. بـــــه الـــــدليل

هــــذا الــــدم الرقـــــراق ... ركــــاض لغايتــــه عجــــول

متحـــــدر كالســـــهم صــــلباً ... لا يزيـــــــغ ولا يميـــــــل

يصــــل المناضــــل بالمناضــــل ... حـــين يعييــــه الوصـــول

غــــرر الكفــــاح إليــــه تعــــزى ... حـــين تنســــب والحجــــول

خــــلي الــــدم الغــــالي يســــيل ... فلطالمـــــا جــــف المســـيل

ولطالمــــا ذوت الكرامــــة ... مـــثلما تـــذوي الحقـــول

هــذا الســحاب الجــون يستسقي ... بــــه البلـــــد المحيــــل

خــــلي الــــدم الغــــالي يســــيل ... كـــــما يســــيل السلســـبيل

عـــذباً.. وإن غـــص الـــدعي ... بــــه وإن شرق الــــدخيل

هــذا الــدم الرقــراق نهــاض ... بـــما يعيـــي حمـــول

يـــذكرني بجمرتـــه العـــزائم ... إذ يبلـــــدها الخمـــــول

خــــلي الــــدم الغــــالي يســــيل ... فـــالبغي مرتعــــه وبيـــل

هــــذا الــــدم الغــــالي ... حييــــي في تواضــــعه خجـــول

كالــــدود يزحــــف في الــــتراب ... وعنــــده المجــــد الأثيـــل

هــذا الــدم الغــالي غــريم ... للمحـــــب لــــه عـــذول

يلقـــــي الضــــنين المســــتعز ... بــــه ويعشــــق مــــن يـــذيل

هــــذا الــــدم المطلــــول ... حــــل حــــين تعتـــاص الحلـــول

قــل للشــباب بــمصر والــدنيا ... لمــــن يصــــبغي تقـــول

هذا أوان الجولة الكبري ... تبارك من يجول
هل غير أن يفني لتسعد ... بعده الأجيال جيل
دفع الدماء عن المواطن ... حرة ثمن قليل
ولدي البطون الطاهرات ... عن الذي يمضي بديل
إن لم تصولوا للذياد ... عن الحياض فمن يصول
خوضوا دم المستعمرين ... فطالما خيضت وحول
وتصيدوهم مثلما ... صيدت لمحترش وعول
لكم الديار ومجدها ... وفخارها الضخم الأثيل
والنيل يشخب بالنعيم ... كأنه الضرع الحفيل
والشاطئان المرعيان ... وريف مرجهما الخضيل
والفارعات تزينت ... ورقا كما ضفر الجديل
لكم المروج وعطرها ... ونسيمها العبق العليل
وتذبذبون على الهوامش ... مثلما عاش النزيل
تتفيأون ذري الغريب ... كأنكم نشء فسيل

سل هيكل التاريخ كم ... داست محاربه خيول
كم موكب للبغي جال ... به وكم سحبت ذيول
كم فصدت فيه العروق دما ... ولم يشف الغليل
سل هيكل التاريخ تنبئك ... الشهود به العدول
المهدرات من الدماء ... كما تهادرت الفحول
والعافيات من الضحايا ... مثلما عفت الطلول

سـل هيكـل التـاريخ كـم غـال المواكــب فيــه غــول
وهــل انتهــتْ – إلا بـها تنهــي الشـعوب – بــه الفصــول

***

ذكرى

ذكـري تصـيح عـلى المـدي آثارهـا وتشـب جـذوتها.. وتـذكو نارهـا
ويضـاء مـن شرر الفتيـة ليلهـا حقـداً.. ويشرق بالـدماء نهارهـا
وتجـل عـن فـيض الـدموع مخافـة مـن أن يشـاب بمائهـن أوارهـا
ذكـري سـيعلق بـالأثيم غبارهـا ويـرف فـوق ثـري الشـهيد عمارهـا
سـتظل تصرخ هـذه آثـاره أمـا الجنـاة فخزيهـا آثارهـا
ذكـري سـتعبق مـن شـفاه رواتهـا أبـد الأبيـد نديـة أخبارهـا
سـيروح مضـفورا لكـل مناضـل مـن زهـر أضرحـة الضـحايا غارهـا
سـتطوف كأسـاً يسـتلذ سـقاته ممـا يفـوح وينـتشي سـمارها

***

أنا الفداء

غـذيت بشـتمك سـيد الشـعراء ديـدان أوبئـة بغـير غـذاء
علقـت زواحفهـا بمجـدك مـثلما طمـع العليـق بدوحـة عليـاء
وتهضـم الأرجـاس ذكـرك مـثلما ضـيم الأريـج بجيفـة نتنـاء
مـن عـالم «الجـبروت» نـزل عـنصر كـان الغريـب بعـالم «الجبنـاء»
كـان الغريـب بعـالم مـتمخض عـن خـائن ومخـرب ومرائـي

وأنا الفداء لمخلص متعذب ... أما الدعي ففدية لحذائي

***

اللاجئة في العيد

كادت حجول الدجي تطوي على الغرر ... وأوشك النسر أن يهوي بمنحدر

وفحمة الليل والإصباح يعجلها ... ما انفك يقدح فيها النجم بالشرر

كأنما نسمات الفجر فاترة ... ما يسلم الليل من أنفاس محتضر

كأنه.. ورجوم الشهب تفرده ... يلم أذيال عجلان على سفر

وراح يرعى « سهيل » وحده جزعاً ... فلول جيش من الظلماء مندحر

يلم ما حصد الإصباح من قطع ... وما ارتمى لنجوم الليل من كسر

أراح صمت الدياجي في غياهبها ... ما أتعب الرأد من سمع ومن بصر

وصكت الروح أصداء تجد بها ... في عالم الناس رؤيا عالم الفكر

كأنما الخطرات الغر عالقة ... بجنح داج من الظلماء معتكر

الهاديات خطى الأقوام من عصر ... والمشرفات على الدنيا إلى عصر

وثم حيث الضفاف الجرد ينعشها ... برد الندي ومسيل السلسل الخصر

وحيث تنحدر الأجراف هاوية ... مهوي مدب من الرقراق منحدر

غوت جراء مشوقات فطارحها ... ثغي من الشاء أو ثأي من البقر

ونقنقات « بنات الماء » خالطها ... صر الجنادب لم تكفف عن الهذر

وخفقة لشراع في مخارقه ... ملاعب للصبا والشمال العطر

كأن ساحرة مرت بإصبعها ... على شتيت من الألوان والصور

ولاءمت نافر الأنغام ناشزها ووقعتها بلا عود ولا وتر
دنيا من «الزنج» في الأجواء راقصة على خطى الشهب من عار ومتّزر
حتى إذا الفجر أبدي من نواجذه ونم عنه سنا الأوضاح والغرر
وضم ذاك الغراب الجون قادمه علي الجوانح صنع الخائف الحذر
وروع الجانب الغربي منبلج من جانب الشرق موعوداً علي قدر
دب السنا وتعرت نجمة السحر وانزاح ثوب دجي عريان منحسر
وفي المجرة.. والإصباح يطفئها جمال نبعين فياض ومندثر
وانداح في الأفق ضوء راح منتشراً علي الغيوم وبين الماء والشجر
وزعزعت من ليالي الصيف حالمة سمراء ظمياء لو لم ترم بالقصر
ودغدغت نسمات الفجر ناعمة نعس الجفون وما استرخي من الشعر
واشتاقت الصبح الغرب راعية حسناء سارحة في البدو والحضر
واستيقظت دجلة كسلي كأن يداً راحت تنفض عنها رعشة الخدر
قرت شواطئها واهتز واسطها نظير لو حين مسبوك ومنكسر

وثم غربى بغداد ودجلتها وتحت منتطح الأطباق والحجر
وحيث ترتفع الأسوار مطبقة على وجوه صفيقات من الصعر
عش للاجئة ضمت جوانحها علي ضحايا لما سموه بالقدر
علي صبايا كأغصان مجففة لم يبق في عودها ماء لمعتصر
و« فعمة » كنبات الظل ما عرفت عصف الخطوب.. ولا إلمامه الكدر
نهب العيون جمال من غضارته تكاد ترتد عنه العين من خفر
وأمهم دوحة جرداء شامخة هوت بها فأطاحتها يد الغير

وحولهم من علوج المال أمسخة	مثل الخنازير صفوها على السرر
ذوو الرقاب الغلاظ الشاخبات دما	يطوون أفئدة قدت من الحجر
من كل محتقب الأوزار.. منتفخ	من خزيها.. بدماء الناس متجر
تحميهم من يد الجمهور أنظمة	مطاطة لهم تنداح كالأكر
تلف من خزي ماضيهم وحاضرهم	وتبتني لذويهم شامخ الأسر
كأن تلك الضحايا حول جيرتها	نفي القشور بيبسات من الثمر

وحين ألقت عليها الشمس نضرتها	وجددت عهدها من حسنها النضر
وساقطت فوقها أولى أشعتها	وذوبت عطرها في نحرها العطر
تثاءبت وكأن الصبح أفزعها	فاسترجعت طرفها مرعوبة النظر
كانت علي موعد منه يؤرقها	علما بأي مصير منه منتظر
كانت تود لو أن الليل لم يطر	من وكره.. ولو أن الصبح لم يثر

وزغردت صبية فاستعبرت جزعاً	لصبية حولها صرعى من الخور
مبرئين بلا إثم وإنهم	فيما يجرون من بؤس ومن صغر
أثام مجتمع عاث الفساد به	فعاد وهو بقايا هيكل نخر
لم يبق خزيا وعارا لم يجئ بهما	ولم يدع فيهما فخراً لمفتخر
تهدي العذاري لدور العهر مسبغة	ويحشدون لها السكين كالبقر
ويحرم النصف من حق الحياة به	ومن مساقط نور الشمس والقمر
ويستبيح به نصف محارمه	لأنه مفرغ في صورة الذكر
أودت بهم كف مزري ومحتقر	ولم تغثهم يداً مزر ومحتقر

مـن عـابثين بـلا خـوف ولا خجـل — وعـــائبين بـــلا جـدوي ولا أثــر
نقش عـلي الماء يبغـي أن يصـد بـه — مـن الخنـا والأذى نقـش عـلى الحجـر
تمضي الضـحايا بـه صـماء بـاردة — تكـاد تلعـن مـن يـمضي عـلى الأثـر

ومـر طيـف مـن الـذكري يجللـه — وقـر الحيـاة ومـا فيهـا مـن العـبر
وراءهـا شـبح المـاضي كـأن بـه — مسـا مـن الجـن أو لمسـاً مـن الـذعر
ما كـان أبعـده عـن بؤس حاضرهـا — ومـا تمثـل مـن أيامهـا الأخـر
بـدا لهـا أنهـا كـالمجتلى فرقـاً — طيـف الجنـان فسـاحاً وهـو في سـقر
وصـافحت عينهـا « يافـا » وبهجتهـا — في مـورق مـن مغانيهـا ومزدهـر
وبيـتهم في أعاليهـا .. وغرفتهـا — في ظـل كـوخ مـن الأغصـان مشـتجر
ووالـد كـان يرعاهـا بمكتـدح — غـال رخـيص رفيـع الشـأن مـؤتجر
وفـيح « بيـارة » مـا انفـك عابقهـا — يسري إليهـا بفـواح مـن الزهـر

ورن في سـمعها لحـن أعـاد لهـا — بـوق « الجهـاد » بوجـه الآبـق القـذر
وصوت « شيخ » يعبي فـوق مئذنـة — زحـف الجنـود مـن الآيـات والسـور
واستعرضت وهـي في أسمال بـذلتها — جيشـاً يحـارب بالأمجـاد مـن مضر
تَمُـدُّه دول « سـبع » يعينـهم — عـلى الرعايـا ضِـعافاً.. بطـش مقتـدر
وأبصرت « مـدفعاً » يرمـي قذائفـه — إلى الـوراء رتيبـاً.. صـنع مبتكـر
وصـوت داع ينـاديهم ليرتحلـوا — كيلا يعوقـوا طريـق الزحـف والظفـر
وكـي يعـودوا إلى الأوطـان طـاهرة — مـن رجـس متشـح بالـذل معتمـر
وغـام في عينهـا مـن مـوت والـدها — مـا لا تطيـق بـه عـين عـلى النظـر

بدا لها صدره الدامي على مضض وطعنه « التائه » المستأسد النعر

قالوا لها إنه «ضب» بلا «ذنب» و « قطة » دونها ناب ولا ظفر

قالوا لها إنه « مسخ » بمرتدع مما يخيفونه يكوي ومزدجر

وراعها أنها تصغي لمتدح مسعي حماة « فلسطين » ومفتخر

وأنها تنتشي من خمرة الظفر في كل مجتمع منهم ومؤتمر

ثم ارعوت فإذا الدنيا تطالعها بما يثوب إليه كل مفتكر

ثم استقرت على أشلاء رازحة من كل مترب الخدين منعفر

مرمية في حنايا الخص يغمرها بالبؤس أي غريق فيه منغمر

سينهضون ولا حول لمنتهض ويطلبون ولا عذر لمعتذر

وينظرون لأتراب وعندهم ما عندهم من لبانات ومن وطر

ورأس « حسان » لم تسمح ذوائبه كف ولم تنض عنه وعثة الشعر

وثوب « داود » في اللبات منخرق لولا الحياء لقالت غير منستر

يا ليلة العيد ماذا أنت جالبة علي جناحك من نفع ومن ضرر

يا ليلة العيد كم شاهدت من عجب في الدهر منك ومن أترابك الأُخر

لقيد تنورن عن صبح به بلج بينا تلبدت سوداء فلم تنري

وهل يسر صباح العيد مبتئسا يمسي ويصبح في الدنيا على سفر

يا ليلة العيد إن الجوع منتظر فرائساً حرة.. والعار منتظري

الآن أقحم حتى لات مقتحم فقد تصبرت حتى لات مصطبر

وقد تحرجت في وسع ومقتدر والآن أخرج عن وسعي ومقتدري

سأفتديهم وبئس الجوع من خطر بما سأحمل من نفسي على الخطر

ثم ارتدت خير ما أبقي الزمان لها ... من مظهر لصروف الدهر مدخر
وأصلحت زينة قد كان أفسدها ... ما خلفت لوثة الترنيق والسهر
وقبلت أمها كالمرتجى سلفاً ... غفران جرم فظيع غير مغتفر
كأنها عصرت فيها براءتها ... وطهرها.. وجمال الروح في الصغر
ثم استدارت فليت الطهر لم يغر ... وليت دائرة الأفلاك لم تدر
وليت هذا المهين الروح من ورق ... لم يلف يوماً..ولم يقرض ولم يعر

سخرية الخلق لا سخرية القدر ... هذا التفاوت في الإدقاع والبطر
هذا الصباح الذي يلقي بناظرة ... على القصور.. ومن أخرى على الحفر
علي صريعين من بؤس ومن خور ... هنا .. وثمة من قصف ومن سمر
تلقى على حسك البؤس له قدم ... تشكو بما انتعلت وخزاً من الإبر
بينها تخوض أخري منه في بؤر ... زخاة بلبانات وفي غدر
صبح ألم « بغيداء » وإخوتها ... هو الملم بذاك الفاسق الأشر
وحين واسطت الشمس الفضا ومشت ... تنير خلقا دجا روحا فلم ينر
كانت مباءة رجس في ملاعبها ... تدمي بطهر على الأقدام منتحر
وكان علج نواميس مهرأة ... يعب حراً طليقاً من دم هدر
وكان في سوق أعراض مهددة ... يبتاع غصن كريم ناضج الثمر
وكان في آسن مستنقع علق ... يمتص من عرق طهر ثم منفجر
وكان مجتمع يروي برمته ... عن الضحيات فيه أفحش السير
يروي حكاية رجس فيه محتشم ... ومعدم طاهر الأعراق محتقر

عن خائضين غمار الهون من غصص وقـانعين مـن الأوشـال بـالغمر

وطـار « حسـان » في أثوابـه فرحـاً ولـو دري بالـذي فـيهن لم يطـر
يعـل بالعيـد أقـوام ذوو ظمـأ لا يسـألون عـن الإيـراد والصـدر
لا يـأبهون بـأن كانـت منابعـه مـن جـاحم بوقيـد العـار مسـتعمر
فـإن رأيـت بثـوب العيـد ذا سـغب فظـن خـيراً ولا تسـأل عـن الخـبر
فـإن مجتمعـاً يطـوي عـلى دخـل لا يسـألون بـه عـن لوثـة الأُزر

***

يوم الشهداء في إيران

سـالت لـتملي مـا تشـاء دماؤهـا وهـوت لترفـع شـأنها شـهداؤها
وانصـاع مخضـوباً يركـز نفسـه مـا بـين ألويـة الشـعوب لواؤهـا
ضـاءت وبالمهجـات تفـرش أرضـها بالمكرمـات النـيرات سـماؤها

***

ما تشاؤون

مـا تشـاءون فاصـنعوا فرصـة لا تضـيع
فرصـة أن تحكمـوا وتحطـوا.. وترفعـوا
وتـدلوا عـلى الرقـاب وتعطـوا وتمنعـوا

مـا تشـاءون فاصـنعوا لكـم الأرض أجمـع
لكـمُ النـاسُ أكتـع مِـن ذويهـمْ وأبصـع

خول عندكم خذوا ... من تشاءون أو دعوا
قد خلقتم لتحصدوا ... وعبيدا ليزرعوا
لكم «الرافدان» و«الزاب» ... ضرع فأضرعوا
تخصب الأرض تحتكم ... ما أمرتم وتمرع
ليت أن الجموع ... فيهن شاء وترتع
ما تشاءون فاصنعوا ... الجماهير هطع
ما الذي يستطيعهُ ... مُستضامونَ جوَّع

ما تشاءون فاصنعوا ... كل عاص يطوع
فشباب يخيفكم ... للمطامير يدفع
وضمير يهزكم ... بـ(الكراسي) يزعزع
ولسان ينوشكم ... بالدنانير يقطع
ما تشاءون فاصنعوا ... جوعوهم لتشبعوا

مزقوا ما استطعتم ... من جلود.. ورقعوا
هل سوى أن أعينا ... بدم القلب تدمع
وقلوباً نياطها ... حشرجات تقطع
وعراة على الدروب ... حيارى تجمع
أرهبوهم ليضرعوا ... وخذوهم وأوجعوا

ما تشاءون فاصنعوا ... وأغذوا وأسرعوا

قعقعوا من قداحكم | فالليالي تقعقع
ما تشاءون فاصنعوا | لكم الناس مصنع
لكم الحكم ملعب | في نهار.. ومخدع
لكم الأمر مسبح | باللبانات مترع
ما تشاءون فاصنعوا | وأجيدوا وأبدعوا
انظموا «المال» كالقصيد | بحوراً وقطعوا
لكم «عقده» الفريد | وللشعب مصرع

ما تشاءون فاصنعوا | تستعزوا وتمنعوا
ضيقوا ما استطعتم | من خناق ووسعوا
ما نهبتم فوزعوا | للحواشي وأقطعوا
عن ذويكم وعنكم | الدساتير تدفع
القوانين شرعة | بحراب تشرع
والأراجيف شرطة | « والتقارير» مدفع
والسجون المزمجرات | قطار مدرع
والتآويل في القضاء | بلاء مبرقع
كاذب من يخيفكم | بعظات ويصدع
ويريكم مصارعاً | لطغاة « تصرعوا »
حسبوا الليل مركبا | فإذا الفجر يطلع
وإذا الدرب موصد | وإذا الريح زعزع
وإذا كل روضة أزهرت | أمس بلقع

كـــاذب ! كـــل همــه — أن تخــافوا وتفزعــوا
لكــم «الجــن» تهــرع — مــثلما «الإنــس» تخضــع

أنــتم «الشــمس» في السماء — وأزكــي وأرفــع
وعقــاب عــلى الجــواء — منيــع وأمنــع
أنــتم المــوت هــل يحين — مــن المــوت مصرع
أنــتم «الخلــد» هــل يغيض — مــن الخلــد منبــع
أنــتم «الســل» يختفــي — في صــدور.. ويرجــع
أنــتم « الله » واحــداً — وهــو لا شــك .. أربــع
فرصــة لا تضــيع — مــا تشــاءون فاصــنعوا

***

أخاوديّ

بقلــب أم بنعشــك حــين مــادوا — ودمعــي أم رثــاؤك يســتعاد
ومــن ضــحكاتك العــذبات صبحا — أم الناعيــك لــيلا يســتزاد
ومــن إنســان عينــي أم ســواه — يجلــل بيتــك الألــق الســواد
ومــن ذكــري تــروق أم افتقــاد — يشــق تــؤودني الكــرب الشــداد
رمتــك أبــا محمــد الليــالي — ورميتهــا قضــاء لا يــذاد
وصــادتك الحتــوف وأي حــي — يفــوت شــباكهن ولا يصــاد
وأي مثــار نقــع لم تدســه — خيــول منيــة صــلب صــلاد
عــلي أني لفــرط أسي وحــب — أكــاد أخــال أنــك مســتعاد

كأنك أول الأحياء ألقي | به أحبابه جدثا وعادوا
وأول جوهر علق فريد | بسوق الموت كان له نفاد
طواك ومنية كفن صغير | به المرجو يطوي والمراد
وحل الخمسة الأشبار صدر | رحيب ضم دنياه بجاد
كأن ضريحك الزاكي إناء | به المعروف ينضح والسداد
كأن ترابه العبق المزكى | لجمرة مطمح خمدت رماد

أخا ودي ولا كان الوداد | عواقبه الفجيعة والحداد
ولا كانت ليال من صفاء | على أسحارها شجناً يعاد
وآراء يزودنا سناها | وفي آصالها للموت زاد
كأن لم نحتضد شوك الليالي | ولم يسلس لنا منها القياد
ولم يعشب بمخضر الأماني | مراح نستطب ومستراد
كأن لم تمح ساعات التلاقي | ونجواهن ما كتب البعاد

أحباي الذين جروا تباعاً | كأن الموت بينهم طراد
أحقا أن مثواكم حفير | نضائده لأرؤسكم وساد
أحقاً أن أنفسكم هباء | أحقاً أن ألسنكم جماد
أحقاً أن أعينكم تناست | - خلاف عيوننا - كيف السهاد
أكاد إدخال أنكم نيام | وأن لا بد ينتفض الرقاد
وأن لا بد يجمعنا ندي | ويذكي شوقنا السمر المعاد
وأن الصبح موعدنا وأنا | لأعيننا بطلعته ارتياد
كفى جزعاً بأن يخفي حفي | بإخوان له فيقال بادوا

ولـــولا فـــرض تضـــحية وحـــق ... لقلـــت: ومـــا المـــآل ومـــا المفـــاد

أخـــا ودي وإنـــك في ضـــميري ... وإن ألـــوي بنـــا وبـــك افتقـــاد
أجـــر كبـــدي فـــإن بهـــا شـــجوناً ... مـــن الـــذكري لجمرتهـــا اتقـــاد
وفـك لـو اسـتطعت صـفاد روحـي ... وكيـــف وأنـــت يوثقـــك الصـــفاد
حلفـت بطهـر نفسـك وهـو حلـف ... يجـــر بـــه الظنـــين ويســـتقاد
وبالســـنن الـــذي تجـــري عليـــه ... ركـــائزه الرجاجـــة والرشـــاد
يمينـــاً بـــالمروءة .. في نهـــار ... مواســـاة .. وفي ليـــل رفـــاد
يمينـــاً بالوفـــاء .. ولـــو تـــأتي ... بـــه ضر ولـــو جلـــب اضـــطهاد
يمينـــا بـــالهموم لهـــا اعتكـــاف ... بصـــدرك نـــزلا ولهـــا احتشـــاد
لقـد كنـت الضـماد عـلى جروحـي ... فهـــن النازفـــات ولا ضـــماد
تجـافي النـوم بعـدك عـن جفـوني ... كـــأن شـــفار جفنـــي القتـــاد
وطـــاح بـــعشي العـــالي عصـــوف ... وطـــار بزرعـــي الـــسوافي جـــراد
يعـــزُّ عـــلى أن ســـواد عينـــي ... بـــه مـــن فقـــد طلعتـــك ارتـــداد
وأن يلقـــي بمرثيـــة لســـاني ... وأن يجـــري بمنعـــاك المـــداد
جريـــت إلى المـــدي خببـــاً فقلنـــا ... تجـــاوز ســـابقيه أو يكـــاد
وحـــين همـــت لمجدبـــة غيـــوث ... وحـــين ذكـــا لموريـــة زنـــاد
وحـــين اشـــتد حرصـــاً مســـتميت ... ذخيرتـــه حياتـــك والعتـــاد
وحـــين دنـــت عليـــك معرشـــات ... غصـــون الخـــير حـــان لهـــا انعقـــاد
هـــوت بـــك مـــن ذري جبـــل منيـــف ... يـــد ضـــاقت بصرعاهـــا الوهـــاد
كـــما تشـــأي قرائنهـــا لتكبـــو ... ولكـــن كبـــوة المـــوت الجيـــاد

أخـــا ودي وكـــل منـــاي قـــول ... يجانبـــه غـــرور واعتـــداد

يجـــانبني بـــه فخـــر حـــرام ... عـــلي لأن مبـــدأه معـــاد

فـــإن أذكـــر ذويـــك فـــرب فخـــر ... تشـــارك والألـــوف بـــه أحـــاد

وإني حـــين أبتعـــث القـــوافي ... تشـــيد بفضـــل مكرمـــة تشـــاد

أديـــن بـــأن منـــاط مجـــد ... مشـــاع لا الطريـــف ولا الـــتلاد

ونبـــع المجـــد لا يفنـــي معـــين ... لـــه.. إلا إذا فنـــي العبـــاد

زهانـــاً أن تشـــابكنا عروقـــاً ... ويزهـــي وفـــرة الخصـــب الســـواد

ســـنابل مـــن زروع نـــاضرات ... تـــوزع يـــوم يقتســـم الحصـــاد

وأنصـــبة تـــوفي فانتقـــاض ... عـــلى قـــدر المـــوفي وازديـــاد

صـــميم الفخـــر أنّ لفـــت بطـــون ... مكرمـــة وأصـــلاب عـــداد

مـــآثر غيرنـــا ضـــيفت إلينـــا ... ومفخرنـــا لمفخـــرهم يـــزاد

يـــزين البيـــت أن لـــه ســـناداً ... لـــه بســـواه في المجـــد اعتضـــاد

وأوتـــاداً مـــن الجـــارين شـــوطاً ... بـــه ســـيدوا.. وآخـــر فيـــه ســـادوا

أتمـــوا مجـــد غـــيرهم وفـــاتوا ... وقيـــدوا نحـــو مكرمـــة وقـــادوا

ســـتحصي مـــا لنـــا أو مـــا علينـــا ... شـــداد في محاســـبة لـــداد

فللأجيـــال مـــا أبقـــي جهـــاد ... يشرفكـــم .. ومـــا أفتـــي اجتهـــاد

وللتـــاريخ مـــا أســـدي وأجـــدي ... قـــراع الظـــالمين أوالجـــلاد

وللأوطـــان أي دم زكـــي ... أطـــاح البغـــي منـــه والفســـاد

فتـــي القـــوم الـــذين لكـــل خطـــب ... كفـــاء أن ينـــادوا أو ينـــادوا

كفــــاء للفخــــار فقــــد دعــــاهم لبــــذل الــــروح تضــــحية فجــــادوا
أجبــــت أبــــاك مــــن ينــــادي وقلبــــك جــــاوب الحســــن الجــــواد
أثمــــة نــــدوة تبغــــي حلومــــاً موطــــدة.. ورأيــــاً يســــتفاد
وبيــــنكم هــــوي مــــني خضــــيب ينــــز دمــــا كــــما نــــز الــــشهاد
فــــؤادي بيــــنكم يثــــوي مقــــيماً كــــأن ضريحــــه مــــنكم فــــؤاد
فيــــا لــــك مــــن عــــماد لم يثبــــت عــــلى قــــدم لكثــــرة مــــا يــــآد
وبيــــت صــــيح نهبــــاً في ذويــــه كــــأن المــــوت فيــــه هــــو العــــماد
أحبــــاي الــــذين بهــــم تحــــلي حيــــاة صحصــــح وبهــــم تــــراد
بــــذكراكم.. وذكــــراكم يمــــين تحــــاط بهــــا الأخــــوة والــــوداد
ليعجبنــــي بجنــــبكم فــــراش يوســــدني ثــــراكم أو مهــــاد
وذلــــك مهــــبط لا بــــد منــــه فعمــــر الحــــي للميــــت امتــــداد
شــــقاء في جــــواركم نعــــيم وصــــاب يســــتقي معكــــم شــــهاد
ســــقيتم كــــل مــــاطرة.. وإن لم تســــقوها فــــلا نــــزل العهــــاد

***

ظلام...

ظــــلام يفــــور.. ونجــــم يغــــور
وزنجــــي ليــــل يخيــــف الــــدهور
حمــــول لثقــــل الــــدياجي صــــبور
كــــأن ثنايــــاه عــــش النســــور
كــــأن المجــــرة فيهــــا بثــــور

وأقـــزاع غـــيم هنـــا.. أوهنـــا
كـــأن الحلوكـــة فيهـــا ســـنا
كـــأن الإلـــه الـــذي هيمنـــا

يفجـــر مـــن جنبـــات العصـــور
غبـــاء الفســـوق وعهـــر الفجـــور
وينســـــل ممـــــا تحيـــك الشرور

رداء يجللهـــــــا أدكنـــــــا
بـــه تتزيـــي بنـــات الخنـــا

كـــأن الســـموات قفـــر يبـــور
كـــأن يـــداً مـــن وراء الســـتور
تـــراوح بـــين الحصى والصـــخور
هنالـــك حيـــثُ الشرابُ الطَّهـــور

يلـــوث منـــه طفـــاح الزنـــا

كـــأن العـــوالم رهـــن الثبـــور
كـــأنَّ الطبيعـــةَ بنـــتُ القبـــور
كـــأنَّ القبـــور بحـــور تـــدور
كـــأنَّ البحـــور ســـماء تمـــور
كـــأنَّ الســـماء عجـــاجٌ يثـــور
كـــأنَّ العجـــاجَ بشـــيرُ النُشـــور

كـــأن النشـــور كفـــاح يطـــول
تـــكسر فيـــه القنـــا والنصـــول

وتسحب للموت فيه ذيول
كأن الرعود قراع الطبول
كأن الغيوم مساق العجول
كأن البروق خيال يجول
كأن الأعنة ريح شمول
كأن سنا البرق نصل يغور
كأن الهزيم حوار يدور

أَجَلْ أيُّها الفَلَكُ العاصفُ
سمعناكَ
يا أيُّها الهاتف
أجل أيها الغرب القاصف
أجل أيها المرعب الخائف

أجل يا مخيف السما والصقور
ويا من يخاف الصبا والدبور
ويا من نعته بغاث الطيور

أجل أيها الفلك الأعجف
أجلْ أيّها الصاعقُ الأجوف
أجل أيها الشارقُ الأغدف
أجل من خُيولكَ ما يَعْصِفُ
وما يستطير.. وما يزحف

أثـــر مـــن بروقـــك مـــا يخطـــف
ومـــا النـــور مـــن مثلـــه يـــأنف
ودف مـــا يـــرق بـــما يعنـــف
أســـل مـــن دمائـــك إذ ترعـــف
فويـــق الـــدموع التـــي تـــذرف
أجـــل أيهـــا الحجـــل ! « المشرف »
سمعناك :
إنك إذ تهتف
وإذ تســـــتبين .. وإذ تهـــــرف

سمعناك :
إنك إما تخور
لتســـمع حتـــى أصـــم الصـــخور
وتبعـــث حتـــى رمـــيم القبـــور
وتجمـــع حتـــى عظـــام الطيـــور

أجـــل أيهـــا الفلـــك .. العاصـــف

أقـــم يـــا ظـــلام رواق الضـــباب
وشـــد في فيافـــك ســـود القبـــاب
وغـــط الســـما بجنـــاحي عقـــاب
ومـــج حنقـــاً مزيـــداً كالعبـــاب
وجـرر عـلى الأرض ذيـل السـحاب

أقـــم: لا ختـــام ولا مطلـــع
وخـــيم فـــلا نجمـــة تلمـــع
ولا همســـة مـــن فـــم تســـمع

أشـــع وحشـــة هـــي صـــنع الإلـــه
فقـــد يصـــنع الإنـــس حتـــي شـــياه
وأرغـــم بســـوطك صـــعر الجبـــاه

ليبنـــي مـــن فـــزع مســـجداً
ينـــاجي العبيـــد بهـــا ســـيدا
وتعبـــد موحشـــها هجـــداً

أقـــم أيهـــا الرعـــب لا تـــبرح
وجـــدد شخوصـــك في المسرح
وزنـــدك مســـتور فاقـــدح

ودم هكـــذا غضـــباً ينبـــع
ومرجـــاً بـــه غصـــص ترتـــع
ثـــراء هـــو الحـــزم الأمنـــع
إذا ابتلـــع الشـــمس مســـتنقع

فإنـــك مهـــما تشـــع مـــن ســـواد
وتلـــبس دياجيـــك ثـــوب الحـــداد
ويـــذر مـــع الـــريح منـــك الرمـــاد

ومهـــما ارتمـــت خافقـــات الظـــلال

فويـق السـهوب وبـين الرمـال
ترجفهـا بـين آل .. وآل

كآبـة ديجـورك الزاحـف
ووحشـة زنجيـك الراجـف
وملهـم قيثـارك العـازف

ومهـما ترامـت رؤوس الجبـال
تثـير مـن الرعـب مثـل الخبـال
بحيـث تهـيم بنـات الخيـال

وقـد آد مـستهن وزر الخطايـا
حـواسر مـن فـرط هـول.. عرايـا
تجـوس الثـري .. وتجـوب الثنايـا
فلسـت ببـالغ رعـب البرايـا
إذا خطـرت في بـرود الجـلال
وقـد سـترت جيفـاً في الحنايـا
وإن هـي زرت جيـوب الكـمال
وقـد راعهـا قبحهـا في المرايـا

إذا الفجـر دغـدغ نهـد الرحـاب
ومسـته منهـا شـذاة فـذاب
وطـم غـدير الصبـاح الهضـاب
إذا انـدفق الضـوء مـن كـل بـاب

ونفــض بــالنور وجــه الـتراب

إذا الجانــب المعشــب الممــرع
تلفــع في بــــرد يصـــقع
أحــس لظـــي قبلـــة تُطبــعُ

مـن الشـمس مغموسـة بالرضـاب
إذا الشـمس مـزق عنهـا الحجـاب
سموح مع الـريح.. رخـص الإهـاب
إذا غـــص تنورهــا المســتطاب
بفـيض مـن الضـحكات العـذاب
إذا هـــي ألقـــت مجــاج اللعـــاب

لتبصـق في وجــه خلــق كــدود
زحــوف عــلى بطنــه مثــل دود
أجــير ويشـــمخ صـــنع العبيــد

إذا مــا النهــار المــليء الوطـــاب
بعهــر النفــوس .. ونبــل الثيــاب
أشـاخ – وشـاخ – جمـوع الـذباب
تمـــرغ في الحمـــأت الرطـــاب

فعــد أنــت يــا زاهيــاً كــالغراب
ويــا شــامخاً كــالحلوم الغضــاب
ويــا نافــذاً.. نافعــاً.. كــالحراب

فلف البرايا لهذا الخضاب
تجدد به عهدها بالشباب

غفا الحقد يا ليل والحاقد
ولفهما نعشك البارد
غفا نفس عقن حارد

يضيق به قفص الأضلع
وناب وبيء من المضجع
ويطفو على القفر والبلقع

غفا الحقد يا ليل كالمومس
وكلت عياء فلم تهجس
ونامت ضمائر في أنفس

مشي الرجس فيها يلوث الدما
ويرقي بأنفاسها سلما

ويطلع في عينها والفم
نظائر من روحها المظلم
وأزباد سم من الأرقم
ورحت حناناً على المجرم

تكفنها بغداف الجناح
وتلعنها بصفير الرياح
وتمسخها إذ يلوح الصباح
وحين يمسح طهر البطاح

نشاوي المروج.. ونعس الأقاح

ذئاباً تنزي رشاقاً خفافا
ووحشاً يسوم الحياة اختطافا
وأغلية تتهادي .. لطافا
زفير من البؤر الآسنات
ولفح من الشيم الماجنات

يمد رداء الوجوه الصباح
علي الخطرات الغلاظ القباح

ويذكي أريج الندي والسماح
علي باطن كله منتن
وفيضاً من الكلمات الفصاح
علي الخزي عن نفسه يعلن
كما أعلنت نتنات الجراح
برغم الضماد الذي تبطن

غفا الحقد يا ليل والحاقد
ولفهما نعشك البارد
وفر بك النفس الصاعد
من المجد يلعنه الماجد

تعفن منه المروج الفساح
وتوبا به عطرات المراح

غفت بك يا ليل ذات الوشاح
يراودها كل نذل وقاح
سفيه من البغي والاجتراح
وترضع منها بنات السفاح

ثدي الخنا.. ورضاع الفجور
يسم القلوب التي في الصدور
وتسمن منها عِجاف الشرور

وترتع
حتى إذا الصبح لاح
وآذنها النور بالافتضاح
تخطت إلى الحسنات الوضاح

تحملن وزراً ولاء الغبايا
يسوم به الخسف مثل المطايا

لتستر منهم كما يزعمون
عواء الصدور.. ونبح البطون
وعهر الفسوق الذي يضمرون
فداء لوجهك يا أسود
غرانق أوجهها صرخد
كأن بها سرجاً توقد
وأرواحها جثث همد
أساري لأهوائها أعبد

بهـا الـدود مـن خسـة يزحـف
وأشـباح مأثمـة ترجـف
ومهلكـة بالخنـا تنطـف
فهـم جيـف فوقهـا عكـف

وهـم في مفاحصـهم يزحفـون
وهـم في مفـاجرهم يرجفـون
وهـم بالمفـاخر إذ يسـترون
صـفاق الوجـوه وخـزر العيـون

لبـدون أكثـر خزيـاً وعـاراً
فليـت الخنـا عنـدهم والشـنارا
أمـاط الـدجي وتـردى النهـارا
وعـاف مـن المجـد ثوبـاً مُعـارا
ولاح عـلى خـير حـال يكـون

وليـت الفجـور الـذي يبطنـون
تمشي صريحـاً ووافي جهـاراً
وألقـي مـن الكـذب عنـه الخمـارا
ولم يتبرقـع بـذاك الفتـون
يضـاعف قبحـا بـه واحتقـارا

وليـت الهلـوك أزاحـت دثـارا
فـلا بـالزواني ولا بالعـذاري

ولا بالـــذي يتقيـــه المجـــون
ومـــا تتحامـــاه حتـــى الظنـــون

***

الشباب المستخنث

مـــن مبلـــغ الأجيـــال أن شـــيبية يتكحلـــون
يتخططـــون فـــإن عجبـــت فـــإنهم يتحمـــرون
أم هـــم وقـــد لبســـوا الجديـــد غرانـــق يتـــأنقون
المـــائعون مـــن الـــدلال المنعمـــون المترفـــون
يتـــأطرون مـــن النعـــيم كـــما تـــأطرت الغصـــون
إني رأيـــت وليتنـــي قـــد كنـــت ممـــن يعمهـــون
زمـــرا مـــن نفـــر المخنـــث يسرحـــون ويمرحـــون
يتهاجنـــون وبالمناكـــب بيـــنهم يتـــدافعون
في حيـــث يـــنخفض الحيـــاء وحيـــث ترتفـــع الســـجون

***

كما يستكلب الذيبُ

عـــدا عـــلى كـــما يســـتكلب الـــذيب خلـــق ببغـــداد أنـــماط أعاجيـــب
خلـــق ببغـــداد منفـــوخ ومطـــرح والطبـــل للنـــاس منفـــوخ ومطلـــوب
خلـــق ببغـــداد ممســـوخ يفـــيض بـــه تـــاريخ بغـــداد لا عـــرب ولا نـــوب
لا الأريحـي الـــذي ضـــمت ملاعبهـــا ولا التقـــي الـــذي ضـــمت محاريـــب

ولا الكريم يميناً جودها رفه ... ولا الكريم ضميراً جوده طيب
ولا الرفيع عن الدنيا يليق به ... لوم لمطلب دنيا وتقريب
لو شئت مزقت أستاراً مهلهلة ... فراح سيان مهتوك ومحجوب
لبان للناس مصدوقاً بلا دغل ... مبرقع من إباء القوم مكذوب

إني لأعذر « أحراراً » إذا برموا ... بالحر يلويه ترغيب وترهيب
والصابرين على البلوى إذا عصفوا ... بالصابر الشهم آدته المطاليب
والخابطين بظلماء كأنهم ... «بغل الطواحين» يجري وهو معصوب
فما لعبدان أهواء.. وعندهم ... في كل يوم من التغرير أسلوب
عفر الجباه على الأقدام شيخهم ... من السبالين بالإيماء مسحوب
القاعدون إذا اشتدت مجلجلة ... وطاح ضحيان محروب ومكروب
والراكضون إذا انجابت عجاجتها ... كأنهم في الميادين اليعاسيب
النافجون من الأحضان أخبثها ... وإن غذتها وربتها الأطابيب
والعالفون حصيد الذل راكمه ... هم والجدود ! فموروث ومكسوب
علاهم – فعلوا بالجور غيرهم – ... سوط الولاة على الظهرين ملهوب
وما لهذا الجبان النكس قد هزئت ... منه.. ومن صحبه الغيد الرعابيب
وما لمستخنث وغد وسادته ... ريش النعام من « الدهناء » مجلوب
منافقون يرون الناس أنهم ... شُم.. أُباة.. أماجيد.. مصاحيب
وإنهم قادة صيد وأنهم ... غر المصابيح والدنيا غرابيب
والناس والله يدري أنهم همل ... غفل.. سوام.. عضاريط.. مناخيب

مشت إلى بعوضات تلدغني ... وهل يحس دبيب النمل يعسوب
ما أغرب الجلف لم يعلق به أدب ... وعنده الكريم الحر تأديب
وصاحب السواة النكراء أعوزه ... كي يستر الناس.. ثوب عنه مسلوب
تسعون كلباً عوى خلفي وفوقهم ... ضوء من القمر المنبوح مسكوب
ممن غدتهم قوافي التي رضعت ... دمي فعندهم من فيضه كوب
وقبل ألف عوى ألف فما انتقصت ... « أبا محسد » بالشتم الأعاريب

يا منطوين على بغضي لعلمهم ... أني لدي الناس..أني كنت محبوب
تغلي الحزازات فيهم إن أرؤسهم ... دون وكعبي رفيع الشأن مرهوب
ويستثير شجاهم أصيد عصرت ... منه الخطوب وشدته التجاريب
يردد الجيل عن جيل أوابده ... فهن في الدهر تشريق وتغريب
يشدو بجمراته ما شب مضطرم ... وبالحنين له ما حنت النيب
ما كنت أول محسود نهضمه ... وكس.. وحاربه بالسب مسبوب
ولست أول مأخوذ بمجتمع ... يمشي الضلال به.. والإفك والحوب
ولست آخر ركاض مشي رهقاً ... فجاوز العدو مشي منه تقريب
يا غامرين خلت من كل مكرمة ... نفوسهم.. وخلا من قبل ملحوب
مسهدين على مجدي ونسبته ... كما تسجل للنهر المناسيب
يريح جنبي إن يذكي جوانحكم ... جمر من الضغنة الحمراء مشبوب
أطلت همكم والدر ينذركم ... أن سوف لا ينقضي هم وتعذيب
يبقي القصيد لظى والأرض مشربة ... دماً.. وتذري مع الريح الأكاذيب

***

أبيات

ينقضي عهد التصابي وأصبو ... وتخب الأيام بي وأحب

يا فؤادي أأنت جذوة نار ... كلما هبت الرياح تشب

طال عمر الدجى وإن نور الفجر ... وإن راح شارق يستتب

الدياجي في القلب.. لا الثغر ... يغتر ولا العين من ضياء تعب

***

التعويذة العمرية

عوذت وجهك

عوذت وجهك بالقمر ... وبما أضاء وما ازدهر

وبما تفتح من ضميم ... النبت أو نور الزهر

بالاي من « عاد »و «نمرود » ... ومنزلة « البقر »

عوذته بـ « العفص » رطباً.. ... أو يبيساً يدخر

من شر حاسدك الذميم ... على سناك المزدهر

والشانئيك الأغبياء ... علي حجاك المسبطر

وعلي اصطبارك صبر ... مروان الحرون إذا أصر

يا تحفة العصر الحديث ... بحيث تحسده العصر

يا أيها « الفكر » العظيم ... بحيث تنحسر الفكر

يا خير من حكم البلاد ... وخير من « ساس »[1] البشر

يـا خـالق « النـواب » خلـق « الطـير » مـن طـين الحفـر
يـا منقـذ الـوطن العزيـز مـن العـدو المستـحر
يـا فـاتح « الكـاوور » والبـاغي بهـا عـات أشر
يـا غارمـا تلـك الجيـوش وغـانما ذاك الظفـر
يـا منقـع الأرض اليبيسـة مـن دمـاء بنـي التـتر
سـبحان خالقـك المـبرأ كيـف صـاغك مـن درر

***

خبث للشعر أنفاس

خبـت للشـعر أنفـاس أم اشـتط بـك اليـاس
أم الحـي وقـد أغفيـت إبـلاس وإخـراس
كـأن لم يعـترف ناسـا فهـل أنـت بـه النـاس
ويـا رب المقـاييس تـرى أعيـاك مقيـاس
أكفـراً بالقياسـات ومـا قـيس.. ومـن قاسـوا
أم الخـير شـكا النـدرة حيـث الشر أكـداس
أم الثـروة للقـبح وعنـد الحسـن إفـلاس
أم العبـد عـلى الأحـرار قـوام ونخـاس
أم الفكـر بـأظلاف الوحـوش الغـبر ينـداس
أم الأصـنام أربـاب أم الأرؤس أعجـاس
أم الصـيد الضراغـيم لهـا للبـوم إسـلاس
أم المـوت غشي الحـي فـما في الـدار أحـلاس

أدر كأسك « باخوس » فقد صوحت الكاس

وعد يحمدك سمار ولح يتبعك جلاس

ودغدغ ضرع خابية يدر الضرع إبساس

وأسرجها بمضمار تخلت عنه أفراس

تفجر أيها الينبوع ينطف منك إحساس

يروي البلقع الأجرد لا الزهر.. ولا الآس

نعوك كأنها منعاك للغربان أعراس

وخالت نفسها دوحاً على فبرك أغراس

ودق هناك ناقوس ورنت ثم أجراس

وقام عليك للناعين رجام وقداس

وللعبرات أشكال وللباكون أجناس

نعوك رجاء أن تزهي بما كفنت أدراس

وأن تبعث أموات وأن تنشر أرماس

ورحت – لعنت – لا نفس ولا صدر ولا راس

تمد لهم كما مدت لغرقى اليم أمراس

وتوهمهم وعيش القوم أوهام وأحداس

تضارب فيك أقداح فأخماس وأسداس

مدي حتى إذا روت يبيس الحقد أوكاس

وضوى من لظي الضغنة إظلام وإدماس

مـــدي حتـــي إذا انزاحـــت ... مــــن الأحقـــاد أكـــداس
وأبليـــت فـــرط مـــا شـــدت ... منــــــازعهن أقـــــواس
عبقــت كــما مشــت في الفجــر ... للنســـــمات أنفــــاس
وصبت كـما يصـوب الغيـث ... فيـــه اللطـــف والبـــاس
ولحـــت كـــما انـــبرى يختـــال ... للكربـــــات لبـــــاس
تنصــــب صـــدرك العريـــان ... إذ لم يبـــــق برجـــــاس
وتشـــعل مـــن دم القلـــب ... وقـــــد أعـــوز نـــبراس
وتكتـــب في غضـــون الوجـــه ... إذ لم يلـــــف قرطـــــاس
أجـــل يـــا مبضـــعا يجـــرح ... بالرحمـــــة إذ ياســـــو

ترفــــق إن جـــرح القـــوم ... قتـــــال وحســـــاس
أثـــــارت منـــــه أدواء ... وأقـــــذاء.. وأرجـــــاس
تثبـــت أيهـــا الإيـــمان ... لا يطرقـــــك وســـــواس
وقـل : هـل غـير مـا حجـر ... لثـــــالئهم أو المـــــاس
ويـــا صـــل الرمـــال السـمر ... لا يرهبـــــك نســـــناس
تجـــامح أيهـــا الليـــث ... فـــما شـــأنك إســـلاس
ولم تعــــوزك أظفــــار ... ولم تخــــــذلك أضراس
وعنــــدك أشــــعث لبــــد ... عــــلى كتفيــــك نـــواس
لـــك الصـــبغة لم تعلـــق ... بهـــا شـــية وإلبـــاس
فـــما أنـــت وأصـــباغ ... مهـــــــــراة.. وأوراس
وقـــدس غابـــك الملتـــف ... لم تدركـــه أقـــداس

فـــما أنـــت وأقفـــاص | بهـــا يزحـــف خنـــاس
تجـــامح حـــارس الغـــاب | وإن هـــوم حـــراس
فأنـــت « القيـــل » والبـــاغون | صـــيداً منـــك أخيـــاس

وأنـــت لكـــل مفـــترس | ربيـــب الغـــدر فـــراس
ســـلاماً أيهـــا النـــاس | فـــإن العـــرق دســـاس
وإيمانـــا ولـــن تنهـــار | للإيـــمان أســـاس
منيعـــاً.. لا الأسي.. لا الشـــك | لا الحرمـــان.. لا اليـــاس
وجبـــاراً كـــما شـــدت | ضـــلوع الصـــيد أتـــراس
وحلـــواً مـــثلما حـــلي | مـــن الوحشـــة إينـــاس
« ألا لا تخـــب أنفـــاس | ولا يـــذهب بـــك اليـــاس

***

كفارة.. وندم..

ستبقي — ويفني نيزك وشهاب — | عـــروق أبيـــات الـــدماء غضـــاب
لطـــاف كأنفـــاس النســـيم نـــوافح | كريـــاه صـــم كالصـــخور صـــلاب
هـــوت عـــذبات العمـــر إلا صـــوامداً | عـــلي لفـــح إعصـــار فهـــن رطـــاب
وجـــف وريـــق منـــه إلا نديـــة | تعاصـــت عـــلى الأيـــام فهـــي شـــباب
عييـــت بطـــب الأحمقـــين وجهلهـــم | بـــأن النفـــوس الخـــيرات عجـــاب
فهـــن إذا مـــا الأمـــر هـــان أبـــاطح | وهـــن إذا مـــا الجـــد جـــد هضـــاب
وهـــن « منفيـــات » لأن هويهـــا | بألســـنهن يـــزدري ويعـــاب

وهن «عظيات» لأن صريحها ... يئن أنين الكلب حين يشاب
يضيق بها كون وهن فسائح ... وسبع سماوات وهن رحاب
يساقين أحقاباً وهن ظوامئ ... ويطعمن أجيالاً وهن سغاب
وينحتن والدنيا لهن نموذج ... ويرسمن والرؤيا لهن خضاب

أقول وقد كل الجواد فلم تجل ... مسومة غالوا بهن عراب
ولاح محك للرجال فلم يكن ... هنالك إلا زائفون كذاب
وصوح قاع الطيبات وأعولت ... عليها من الضغن الخبيث ذئاب
وقاء اللئيم الدون ما في ضميره ... وجف فما عند الكريم شراب
حنانيك نفسي لا يضق منك جانب ... إذا ضاق من رحب النفوس جناب
ولا يتهضمك انخفاض فطالما ... تخفض نسر صاعد وعقاب
وشامخة الأدواح يلوي عنانها ... مع الريح والمحض الصريح يراب
ومالك من عتب على الدهر إنما ... عليك لما هونت منه.. عتاب
تقحمته حتى كأنك فوقه ... وأنك إذ طم العباب عباب
ورحت سماحاً تحضنين صروفه ... كما احتضن السيف الجراز قراب
فلا تهن الشكوى عليك وإن مشت ... بمنحسر بادي الضلوع حراب
فإن تقتنص منك الليالي فريسة ... وإن يجتمع ظفر عليك وناب
وإن تتشابك للحزازات أجمة ... ويلتف للحقد المبرح غاب
فلليث أضري ما يري إذ تهيجه ... وأقتل ما تخشاه حين يصاب

هبيني لم أسلف جميلا ولم أقل ... جميلاً.. ولم تخضب على ثياب
ولم أزج تلك التضحيات كريمة ... بها راح يجزي مدع ويثاب

ولم أدع للجـلي كقـيس ورهطـه ... وللحـيس تـدعي خـثعم وكـلاب
فهـل أنـا إلا مـن سـواد نقـائصي ... إلي نقـص أزكـاهم حصي وتـراب

حنانيك نفسي دونك الكون كله ... فـرني بـه يسـمع صـدي وجـواب
محلقـة طـيري وإن هـب عاصـف ... وأخلـد ليـل.. واسـتكن ضـباب
وسـاخرة حتـى تزيـغ شـواخص ... إليـك.. وحتـى تستشـيط رقـاب
وعـامرة ظـلي ولـو أن عالمـاً ... برمتـه عـن جانبيـك خـراب
ولا تعـرفي حـداً فأنـت مفـازة ... سـتبقي عصـوراً تقتفـي وتجـاب
وكـوني على شتى طباعك حـرة - ... فأنـت إلى شـتى الـدهور خطـاب
فـإن آب أقـوامٌ ليـوم وليلـةٍ ... فأنـت لأجيـال تعـن مـآب
وإن تحـو أجسـاماً جلـودٌ فـإنما ... حـوي الفلـك الـدوار منك إهـاب

تعـالي فقـد أغلى نسيجك حـاضر ... كمثلـك فـذ جللتـه صـعاب
وشعب على البلوي يعيش وموطن ... لكـل الهمـوم الخانقـات مثـاب
ولـن يجـد الآتـون مثلـك عنـدما ... يخـف قـراع.. أو يهـون طـلاب
فـلا تكتمـي عابـاً فمجـدك كـاذب ... إذا لم يشـبه للجراحـة عـاب
ولـوحي خـلال الحادثـات مشـعة ... كـما لاح مـابين الغيـوم شـهاب
ومـا هـي إلا غمـزة ثـم تـنجلي ... ومـا أنـت إلا خمـرة وحبـاب
دعيهـا تسـل قيحـاً « لوحـدك » ثـرة ... جـراح أجـدت فانتكـأن.. رغـاب
فهـن لـنفح الطيبـات مجـامر ... وهـن لعطـر الـذكريات عيـاب
وهـن ومـا يـترفن كـأس وخمـرة ... وثغـر كعـاب رودة ورضـاب
هـو الشـعر موجوعـاً ينـابيع رحمـة ... وخلـوا مـن القلـب الجـريح سراب

أللناس زاد غير آهة شاعر … وغير الدم المنزوف منه شراب

ولا تجزعي أن لا تجازي بطيب … وإن راح يحصي الطيبات كتاب
فإن تجاراً إن تعوض مؤمناً … جنان وولدان بها وكعاب
يتمم مجد التضحيات وأهلها … وآثارها أن لا يكون ثواب
وأبلغ منه إن يحل بمنعم … من المرتجي من الثواب.. عقاب

ويا وطناً ردت على ظلاله … مصوحة روي ثراك سحاب
ندي المسك فيها عبرتني عجاجة … وفيها سيحثي بالحمام تراب
ولكنني آس لنهب مقسم … وليس به للصالحين نصاب
وبيت لسراق تلوذ بركنه … سباق على تهديمه وغلاب
مجافية أحكامه.. فهو جنة … لرجس وللزاكي لظى وعذاب
ومعكوسة حتى كأن خياره … به خطأ .. والأرذلون صواب
أطاحت بأعشاش النسور بغاثه … وحل به خير الوكور غراب
وجاعت ملايين به وزروعه … لسبع سمان يعتلفن.. نهاب

ويا طينة ديفت بشطآن دجلة … لأنت أريج ينتشي وملاب
ويا صورة أخاذة أي روعة … وسحر وإغراء بهن يذاب
لأنت لأوطان تحب رسالة … وأنت لذكري من بهن كتاب
تخطي أصيل فوق دجلة خاضب … عليه من الغيم الشتيت نقاب
وبعثر لون فوق لون كأنها … تصبغ في الأفق الرحيب ثقاب
على النخل من جو حفيف ذؤابة … وفوق القباب البيض منه قباب
وما هي إلا برهة ثم أرزمت … سماء.. وحنت للرعود سقاب

مشت غيمة تستاق أخرى وخلفها ... من الليل يمشي موكب وركاب
توارب للإشراق باب.. وفتحت ... من الغرب للريح الندية باب
تنضد منها غيمة فوق غيمة ... فهن رزاح عندها ولغاب
وأربد جو مكفهر.. وجلجلت ... رعود وأرخي جانحيه رباب
وأحكم بين الأرض والأفق موهنا ... عراك يرجي غبه ويهاب

سرى البرق وهاج السنا فتنورت ... كوي في الضفاف استجمعت وقباب
وطارت بألواح الزجاج شرارة ... تمزق منها للظلام حجاب
وران نضيد من غيوم كأنما ... فجاج به مغبرة وشعاب
علي الجانب الغربي للبرق دعوة ... لدي الجانب الشرقي منه تجاب
تحلب ضرع من سحاب وآخر ... وحل وطاب مفعم ووطاب
مدي ليلة حتى إذا الفجر مسها ... وبدل منها صغة وخضاب
ودغدغت السعف المغفي نسائم ... لطاف.. نديات الشذاة.. عذاب
ونقل رعيان الغيوم قطيعها ... إلى آخر يسقي بها ويصاب
تزحزح مركوم من الغيم وانبرت ... تهاوي ربي منسوفة.. وهضاب
وحالت سما مأهولة فإذا بها ... لدي الصبح قفر موحش ويباب

***

الراعي

لف العباءة واستقلا ... بقطيعه عجلا.. ومهلا
وانصاع يسحب خلفه ... ركبا يعرس حيث حلا

أوفي بهـــا .. صـــلا بـــزاحم | في الرمـــال الســـمر صـــلا
يرمــــي بهـــا جـــبلا فتتبـــع | خطـــوة .. ويحـــط ســـهلا
أبـــدا يقاســـمها نصـــيباً | مـــن شـــظيف العـــيش عـــدلا
يصـــلي كـــما تصـــلي الهجـــير | ويســـتقي ثمـــداً وضـــحلا
يـــومي فـــتفهم مـــا يريـــد | ويرتمـــي فتهـــب عجـــلى
وتكـــاد « تعـــرب بالثغـــاء » | هـــلا و « حـــيهلا » و « هـــلا »
يقفـــو بعـــين الـــنسر ترقـــب | أجـــــدلا – ذئبـــــا أزلا
ويحـــوط كالأســـد اجتبـــي | أشـــباله .. جـــديا وســـخلا
أوفى عـــلى روض الحيـــاة | يجوبـــه حقـــلاً فحقـــلا
وارتـــد يحمـــل مـــا يصـــون | ذمـــاً ومـــا أغنـــي وقـــلا
« نايـــا » يـــذود بـــه الـــوني | ويلـــون النســـق المملا
وعصـــا يهـــش بهـــا | ويرقـــي ذروة .. ويقـــيم ظـــلا

يـــا راعـــي الأغنـــام أنـــت | أعـــز مملكـــة وأعـــلى
لله ملكـــــك مـــــا أدق | ومـــا أرق .. ومـــا أجـــلا
يرويـــك مـــن رشـــفاته | قمـــر الســـماء إذا أطـــلا
ويقيـــك في وعـــث السري | وهـــج المجـــرة أن تضـــلا
وتلـــم في الأســـحار عنقـــود | النجـــــوم إذا تـــــدلى
أبـــداً تشـــيم الجـــو تعـــرف | عنـــده خصـــباً ومحـــلا
وتكـــاد تغـــرف وابـــلاً | حـــذقا وترشـــف منـــه طـــلا
تزهـــي بـــأن الأرض خضراء | زهـــت نبتـــاً وبقـــلا

وتـــود لـــو حنــت الفصــول عـــلي الربيـــع فكـــن فصـــلا

ولـــو أن كـــل النـــاس مثلـــك مـــــن غضـــــارتها تمـــــلى

أعطيــت نفســاً لمــت الأجــزاء حتــــــى صرن « كـــــــلا »

وأســـلت « بعـــدا » في غـــمار الـــذكريات فعـــاد « قـــبلا »

عريـان مـن « عقـد » النفـوس عصـــلن فاستعصـــين حـــلا

لم تـــرع مـــن شـــجر التكالـــب وارفــــاً حقــــداً وغِــــلا

وجهلـــت مترفـــة الحيـــاة تـــــذوبت كســـــلا وذلا

لم تخـش بـؤس غـد يشـوه مـــن جمـــال « اليـــوم » شـــكلا

لا تعـرف « الأشـباح » رعنـاء الخطـــي.. شـــوهاء.. خجـــلي

أطيافـــك الزهـــر النـــدى شــــذاً.. وألوانـــاً.. وظـــلا

ومطـــارح « المعـــزي » تعـــاود عنــــدها وطنــــا وأهــــلا

وكسرحـــك الراعـــي تعـــن رؤاك .. معلمـــــة وغفـــــلا

ترتـــاد « معجمـــة » الـــدني وتجوســـها فصـــلاً ففصـــلا

وتســـامر النجـــوي تعـــب بكأســـها نهـــلاً وعـــلا

وتـــري ملونـــة الطبيعـــة إذ تغـــــم .. وإذ تحـــــلى

غـــول الظـــلام إذا تعـــلى وســـنا الصـــباح إذا تجـــلى

حييــت راعــي الضــأن يرعــى ذمـــــة كـــــبرت و « إلا »

تلــــك الأمانــــة أودعــــت أثقالهـــا كفـــواً وأهـــلا

كانـــت لـــه غـــلا وآخـــر شـــاءها للنـــاس غـــلا

مـــا أقـــبح الـــدنيا إذا ضـــل الرعـــاة ومـــا أضـــلا

نفسي ..

نـفسي ونفـس المـرء إن عـدمت ... ممـــا يثـــير فإنهـــا عـــار

لـو كنـت خصمك كـان مطلبي ... أن لا يهـــب عليـــك إعصـــار

هــل كنــت إلا طينــة عفنــت ... إن لم تمسـك.. مـن لظـي.. النـار

أعزيـــزتي ظـــلي مؤججـــة ... تصـــليك أحقـــاد وأوغـــار

وتثـــيرك الـــذكرى ولا عنـــت ... يغنـــي ولا حقـــد ولا ثـــار

إن النفـــوس يـــزين أثرتهـــا ... عنـــد الصراع الحـــق إيثـــار

***

قال ... وقلت

ونجـي مـثلي غبـي وحمـل المـرء ... هـــم المغفلـــين غبـــاء

مـــن أولاء الـــذين يســـخر راع ... ورعايـا مـنهم.. وذئـب وشـاء

قـال والحـال.. قلـت إني مـن ... حـال هبـاء خلـو كهـذي بـراء

قـال والنـاس.. قلـت شيء هـراء ... خـدم عنـد غـيرهم أجـراء

غنـي الـدود عـن سـواه بمسـعاه ... وهـــم مـــن تواكـــل فقـــراء

ومسـفون ينكـرون عـلى الصـقر ... المعـــلى أن يحتويـــه ســـماء

الضـــحايا لـــديهم النبغـــاء ... والبعيـــدون عـــنهم العظـــماء

وقريـب مـنهم خنـوع وإسـفاف ... وكـــذب وغفلـــة ومـــراء

قـــال لله أنـــتم الشـــعراء ... عـدد الرمـل عنـدكم أهـواء

أمـس والشـعب كله معجـزات ... لـــك واليـــوم كلـــه أســـواء

قلت مهلا يا صاحبي ظلمات — الليل في عين حالم أضواء
أرأيت الكواز أنفس ما يملك — ذخراً طين خبيث وماء
صانعاً منه ألف شكل جراراً — قائلا في نعوتها ما يشاء
يتغنى بكوزه وكأن الكوز — في الحسن كوكب وضاء
وكذا كل خالق يترضي — ما تسني.. وهكذا الشعراء

***

يا أم عوف

يا « أم عوف » عجيبات ليالينا — يدنين أهواءنا القصوي ويقصينا
في كل يوم بلا وعي ولا سبب — ينزلن ناساً على حكم ويعلينا
يدفن شهد ابتسام في مراشفنا — عذباً بعلقم دمع في مآقينا
ويقترحن علينا أن نجرعه — كالسم يجرعه « سقراط » توطينا

يا «أم عوف» وما يدريك ما خبأت — لنا المقادير من عقبي ويدرينا
أني وكيف سيرخى من أعنتنا — تطوافنا .. ومتى تلقي مراسينا
أزري بأبيات أشعار تقاذفنا — بيت من « الشعر المفتول » يؤوينا
عشنا لها حقباً جلي نداللها — فتجتوينا .. ونعليها فتدنينا
تقتات من لحمنا غضا وتسغبنا — وتستقي دمنا محضا وتظمينا
يا « أم عوف » حرمنا كل جارحة — فينا لنسرج هاتيك الدواوينا
لم يدرِ أنا دفنا تحت جاحمها — مطالع.. يتملاها براكينا

يا « أم عوف » بلوح الغيب موعدنا — هنا.. وعندك.. أضيافاً .. تلاقينا

لم يبرح العام تلو العام يقذفنا ... في كل يوم بموماة ويرمينا

زواحفاً نرتمي آناً .. وآونة ... مصعدين بأجواء شواهينا

مزعزعين كأن الجن تسلمنا ... للريح تنشرنا حيناً وتطوينا

حتى نزلنا بساحٍ منك محتضن ... رأد الضحى والندى والرمل والطينا

مفيئ بالجواء الطلق منصلت ... للشمس تجدع منه الريح عرنينا

خلت السماء بها تهوي لتلثمه ... والنجم يسمح من أعطافه لينا

فيه عطفنا لميدان الصبا رسنا ... كاد التصرم يلويه ويلوينا

يا « أم عوف » وما آه بنافعة ... آه على عابث رخص لماضينا

على خضيل أعارته طلاقتها ... شمس الربيع وأهدته الرياحينا

سالت لطافاً به أصباحنا ومشت ... بالمن تنطف والسلوى ليالينا

سمح نجر به أذيالنا مرحاً ... حيناً.. ونعثر في أذياله حينا

آه على حائر ساد ويرشدنا ... وجائر القصد ضليل ويهدينا

آه على ملعب – إن نستبد به ... ويستبد بنا – أقصى أمانينا

مثل الطيور وما ريشت قوادمنا ... نطير رهواً بما اسطاعت خوافينا

من ضحكة السحر المشبوب ضحكتنا ... ومن رفيف الصبا فيه أغانينا

يا « أم عوف » وكاد الحلم يسلبنا ... خير الطباع وكاد العقل يردينا

خمسون زمت مليئات حقائبها ... من التجاريب بعناها بعشرينا

إذ نحن من هذه الدنيا ضراوتها ... وإذ مغاني الصبا فيها مغانينا

يا « أم عوف » بريئات جرائرنا ... كانت.. وآمنة العقبى مهاوينا

نستلهم الأمر عفواً لا نخرجه ... من الفحاوي ولا ندري المضامينا

ولا نعـــاني طويـــات معقـــدة / كـــما يحـــل تلاميـــذ تمارينـــا
نـــأتي المـــآتى مـــن تلقـــاء أنفسـنا / فـــيما تصرفنـــا منهـــا وتثنينـــا
إن ننـــدفع فبعفـــو مـــن نوازعنـــا / أو نرتـــدع فـــبمحض مـــن نواهينـــا
مـــا إن يـــرين علينـــا خـــوف منقلـــب / ولا نراقـــب مـــا تجـــزي جوازينـــا
لا الأرض كانـــت مغـــواة تلقفنـــا / غـــدرا .. ولا خاتـــل فيهـــا يـــداجينا
إذا ارتكســـنا إغاثتنـــا مغاوينـــا / أو ارتكضـــنا أقلتنـــا مـــذاكينا
أو انصـــببنا عـــلى غـــاي نحاولهـــا / عـــدنا غـــزاة.. وإن طاشـــت مرامينـــا
كانـــت محاســـننا شـــتي.. وأعظمهـــا / أنـــا نخـــاف عليهـــا مـــن مســـاوينا
واليـــوم لم تـــأل تســـتشري مطامحنـــا / وتقتفيهـــا عـــلى قـــدر معاصـــينا
فـــما نعـــالج خرقـــا مـــن مهازلنـــا / إلا بأوســـع منـــه في مآســـينا
يـــا « أم عـــوف » أدال الـــدهر دولتنـــا / وعـــاد غمـــزا بنـــا مـــا كـــان يزهونـــا
خبـــا مـــن العمـــر نـــوء كـــان يرزمنـــا / وغـــاب نجـــم شـــباب كـــان يهـــدينا
وغـــاض نبـــع صـــفا كنـــا نلـــوذ بـــه / في الهـــاجرات فيروينـــا ويصـــفينا

يا « أم عوف » وقد طال العناء بنا / آه عـــلى حقبـــة كانـــت تعانينـــا
آه عـــلى أيمـــن مـــن ربـــع ضـــبوتنا / كنـــا نجـــول بـــه غـــراً ميامينـــا
كانـــت تجـــد لنـــا الأحـــلام حاشـــية / مذهوبـــة كلـــما قصـــت حواشـــينا
كنـــا نقـــول إذا مـــا فاتنـــا ســـحر / لا بـــد مـــن ســـحر ثـــان يواتينـــا
لا بـــد مـــن مطلـــع للشـــمس يفرحنـــا / ومـــن أصـــيل عـــلى مهـــل يحيينـــا
واليـــوم نرقـــب في أســـحارنا أجـــلاً / تقـــوم مـــن بعـــده عجـــلى نواعينـــا

يا « أم عوف » كواد أنت نازلة ... دمثاً فسيحا.. نديّاً كان وادينا
في مثل رملتك الحمراء زاهية ... كانت تخب « عفاريتا » مهارينا
ومثل خيمتك الدكناء فارهة ... كانت ترف على رمل صوارينا

يا « أم عوف » وما كنا صيارفة ... فيها نحب ولا كنا مرابينا
لم ندر سوق تجار في عواطفهم ... ومشترين مودات وشارينا
لا نعرف الود إلا أنه دنف ... من الصبابة يعتاد المحبينا
فما نصابح إلا من يماسينا ... ولا نراوح إلا من يغادينا
يا «أم عوف» ولا تغررك بارقة ... منا ولا زائف من قول مطرينا
غفلا أتيناك لم تعلق بنا غرر ... ولا حجول وإن رفت هوادينا
إنا أتيناك من أرض ملائكها ... بالعهر ترجم أو ترضي الشياطينا
إن لم يلح شبح للخوف يفزعنا ... فيها يلح شبح للذل يصمينا
يا « أم عوف » أأوهام مضللة ... أم الأساطير يبدعن الأساطينا
من عهد « آدم » والأقوام مزجية ... خوف الشرور.. الضحايا والقرابينا
أكلما ابتدع الإنسان آلهة ... للخير صيرها شر ثعابينا

يا «أم عوف» سئمنا عيش حاضرة ... ترب سقطين شريراً ومسكينا
وحش وإن روض الإنسي جامحها ... قفر.. وإن ملئت ورداً ونسرينا
ضحاكة الثغر بهتاناً وحاملة ... في الصدر للشر أو للبؤس تنينا
وخانقاً من « قراميد » يحوطنا ... حوط السجون مناكيداً مساجينا
ران الخمول عليه .. واستبد به ... جذب الجواذب من هنا ومن هينا

ولقمة ردها ما نسترق به — وما نكافح زقوماً وغسلينا
يا « أم عوف » وقد شبنا بمعترك — نرعى المقاييس منه والموازينا
عمياً ندور على مرمى حوافره — معقودة بتواليه نواصينا
ما انفك فحش تظنيه يلاحقنا — حتى عدينا بفحش في تظنينا
فما نصدق أفواها بألسنة — ما لم يقمن عليهن البراهينا
ولا بأفئدة حتى تعاهدنا — بأن أنياطها ليست ثعابينا
وقد بشمنا بمود من مراتعنا — يغشي النفوس وموب من مراعينا
لا يلمس الروح فينا من يصاحبنا — ولا تحد حدود من يعادينا
ولا ينم بس من يضاحكنا — ولا يرف بجفن من يباكينا
ولا تسيل على اللبات أنفسنا — إلا ذما ثم تغشاها غواشينا
وآنس أن بئسنا فهو مادحنا — أغمه إن نعمنا فهو هاجينا
يضوي لثامته شر يحيق بنا — حقداً .. ويسمنها خير يواتينا
لم يدر أنا على الحالين يرمضنا — من بؤس خلق سوانا يعنينا
وأننا حين يروي الناس نبعهم — نروي بنبع هموم فجرت فينا
وأننا نحسب الخالين من ألم — غرثى عفاة وإن كانوا قوارينا
لم يدر أن النفوس العامرات بني — تبقى على نكد الدنيا عناوينا

يا رملة الله ردي عن تحيتنا — بخيرٍ ما فيك من لطف وحيينا
وسامرينا فقد ألوى بنا سمر — وطارحينا فقد عيت قوافينا
ردي بها وهبته الشاء من وتر — إذ ثغا رددته الروح تلحينا
ونبحة من « كليب » خلت نبرتها — من زخرف القول تحريكاً وتسكينا

وخطبــة تســمع الــرهطين ملفيــة ... في الذئب والحمل المرعوب مصغينا

عــوي هزيعــا فــردت عنــه ثاغيــة ... كانــت تقــول لــه «آمــين» .. آمينــا

وحولــه الشــاء والمعــزي مهومــة ... تزجي الأكــارع أو ترخــي العثانينــا

تهــش للمــرج فينانــاً وترعــدها ... رؤيــا تمثــل جــزارا وســكينا

أغفــي ونصــب خيشــوماً يحس بــه ... خُطي اللصوص ويستاف السراحينا

ولفــه وهــج الأصــواف يوقــدها ... عــن صر «كــانون» تنــوراً وكانونــا

ويــا بســاطاً مــن الخضراء طــرزه ... صــوب الغــمام أفانينــاً أفانينــا

أوص المــروج بنــا خــيراً لعــل بهــا ... مــن ضــنكة الــروح فينــا مــا يــداوينا

جئنــا مغانيــك نُســاكاً يــبرحهم ... لقيــا حبيــب أقــاموا حبــه دينــا

ولاءمتنــا شــعاب منــك طــاهرة ... كــما تضــم المحاريــب المصــلينا

لم ألــف أحفــل منهــا وهــي موحشــة ... بالمؤنســات.. ولا أزهــي ميادينــا

ولا أدق بيانــاً مــن مجاهلهــا ... ولا أرق لمــا توحيــه تبيينــا

حتــى كــأن الفجــاج الغــبر تفهمنــا ... والمــبهمات مــن الــوادي تناغينــا

تجاوبــت بصــدي الــدنيا مفاوزهــا ... واستعرضت من بني الـدنيا الملايينا

وانساب حشد الرمال السافيات بها ... يحصي الأنــاسي منهــا والأحابينــا

كم لمت الشمس أوراساً وكم قطفت ... مــن الأهلــة عرجونــاً فعرجونــا

وكم حوت من ربيع الدهر أخيلة ... فطــرن رعبــاً.. وأفراســاً فعرينــا

أحالهــا النــور شــيئاً غــير عالمهــا ... حتــى كأنــا بــواد غــير وادينــا

حتــى كأنــا وضــوء البــدر يفرشــها ... نــمشي عــلى غيمــة منــه تماشــينا

***

الأرض .. والفقر

أوقد من الحق للداجين نبراساً ... وأقرع لإيقاظ الكهف أجراسا

وأعط اليراع كما عودت حرمته ... واملأ بها يخلد القرطاس..قرطاسا

يا منصف الناس في هم وفي ألم ... أمعن – لك الخير – فيما ينفع الناسا

أنر دروباً دجت حتى كأن بها ... وحشاً من الفقر والإذلال فراسا

قرأت «سفرك» وضاحا تليح به ... للناس من جذوات الحق نبراسا

«والأرض» والفقر ضدان التقي طرف ... يحيي بآخر يردي النبل والباسا

قرأته فكأن الأرض تطلع لي ... غولا يجوب رياحينا وأوراسا

وطاف بي طائف من أمس مزدهراً ... يشيع في الشرق أعياداً وأعراسا

هذي القفار تلوح اليوم موحشة ... في أمس كانت أفانينا وأغراسا

كانت جنانا رواء العدل ينفحها ... عطراً ويملؤها بشراً وإيناسا

طابت رخاء فطاب الملك مجتمعاً ... منها.. وطابت نفوس القوم إحساسا

حتى إذا اجتاحت الأطماع ساحتها ... تجيل فيها من الإدقاع أفراسا

وحطها الظلم من علياء عزتها ... وسامها الخسف إفقارا وإبلاسا

ومزقت نوب شتي أواهلها ... وفرقتهن ألواناً وأجناسا

في حين راحت بما امتصت وما انتزفت ... تزهي «خضيراء» نشوي تنعظ الراسا

عادت يبابا كأن الموت يحضنها ... كمن تحضن أجداثا وأرماسا

ويا أمينا على النجوي إذا افتقدت ... ممالك خانها الحراس حراسا

هز « المسوسين » على النقد يوقظهم ... وعظ فقد يعظ التاريخ سواسا

ترجم لنا نقدات القوم نلف بها ... عند الصراع متاريساً وأتراسا

إن يجلف الحق أو يدرد فإن بها ... فيها تقوم أظفاراً وأضراسا

خير الأكف يد بالخير مترعة ... تنضو عن الشعب أسمالا وأدراسا

إنا لنبدل كي نعمي بصائرنا ... عن الحقائق ميزانا ومقياسا

فالعباقر يوم السلم « أحمرة » ... وبالمغاوير يوم الحرب أنكاسا

وننصب الوهم سلطاناً ونمنحه ... يد المذلة إخلاءً وإسلاسا

ونلهب المصلحين الغر مثلبة ... ونستزيد من الوسواس خناسا

ليت الكفاف ومثوي الطهر مرجسة ... أن لا نميز على الأطهار أرجاسا

ترجم لنا نقدات القوم تلق بها ... على السفينة نهب الريح أمراسا

وصب كما بلت الأنواء مجدبة ... وطب كما عبق الريحان أنفاسا

***

خلفت غاشية الخنوع..

خلفت غاشية الخنوع ورائى ... وأتيت أقبس جمرة الشهداء

ودرجت فى درب على عنت السرى ... ألق بنور خطاهم وضاء

خلفتها وأتيت يعتصر الأسى ... قلبى وينتصب الكفاح إزائى

وحمدت نفسا حرة لم تنتقص ... شهد الوفاء بعلقم الإغراء

صبغان يأتلقان ما عصف الدجى ... بالناس لون سنا ولون دماء

يلـدان فجـرا صـادقا حلـو السـنا ... خضـل الظـلال مـنعم الأفيـاء

مـن عهـد «قابيـل» وكـل ضـحية ... رمـز اصـطراع الحـق والأهـواء

ومـرارة الثكـل المقـدس إرثـة ... مـن «آدم» جـاءت ومـن «حـواء»

وفظاعـة التـاريخ بلـوى فكـرة ... تهـدى السـبيل بفكـرة عميـاء

قـد قلـت للإلـف الخـدين يـدلنى ... أنـى تكـون معـالم الفيحـاء ؟

قف بى على النسر الخضيب ولم لى ... منـه نسـيل قـوادم حمـراء

وتخـط بـى أرضـا تعفـر فوقهـا ... ملـك السـماء مـدوخ الأجـواء

قـف بـى فلسـت بمـأتم لرثـاء ... أيهـان عـرس رجولـة ببكـاء

قـف بـى ألم هنـا قـوافى جمعـت ... للمجـد مـن ألـف بـه أو يـاء

أنـا لا أرى العصـماء غـير عقيـدة ... مناسـبة فى فكـرة عصـماء

هـذا أنـا .. عظـم الضـحية ريشـتى ... أبـدا ولفـح دمائهـا أضـوائى

أسـتلهم الـنغم الخفـى يمـوج فى ... جـرح الشـهيد بثـورة خرسـاء

وأحـس أن يـد الشـهيد تجرنـى ... لتلفنـى وضـميره بـرداء

هاتيـك أبيـاتى يصـوغ خيالهـا ... دون «العنـاصر» عـنصر الأرزاء

وأولاء أزهـارى يرعـرع نشـأها ... نبـع الأسـى وخميلـة الضراء

كسـبيكة الإبريـز تعـدل قـوة ... الشـهداء فيهـا رقـة البؤسـاء

قـالوا قـرابين ، فقلـت أرادهـا ... لـلأرض مـن وصى بهـا لسـماء

عنـى الإلـه بهـا فصـيّر أمرهـا ... للنـاس فى أخـذ لهـم وعطـاء

واختار للفدى للفضل صفوة ... من ناهضتين بثقله أكفاء
يهبون أرواحا فتنهض أمة ... شماء مرساة على الأشلاء
وأثابهم عنها الخلود فها هم ... نصب شخوص في عيون الرائي

عدنان إن دما وهبت رسالة ... أنا من صميم دعاتها الأمناء
آمنت بالحمر النوافح في الثرى ... يبسا ، أريج الواحة الخضراء
المهديات العمى أية رؤية ... والمسمعات الصم أي دعاء
والمنزلات على المدى سور الهدى ... ورسالة الآباء للأبناء
والجاعلات «الجيل» جسر رديفه ... وبنيه للآتين رمز فداء
آمنت لا وحي العقيدة وحدها ... لكن بما أسلفت من خلصائي
آمنت إيمان الحجيج بقصده ... فهناك لي جدث على البطحاء
آمنت إيمان النهار بشمسه ... فلقد غمرت بنورها الوضاء
آمنت إيمان الدماء بنفسها ... فأنا الصبيغ بها صباح مساء

عدنان لو أفضي إليك ندائي ... ولو استمعت للهفتي ودعائي
ولو انعطفت إلى أحبتك الألى ... يتصيدون رؤى القريب النائي
أطريك لو أنجاك مطر من أذى ... ولو استردك سالما إطرائي
عدنان يا لطفا تفجر عن دم ... يا جدولا ينساب في صحراء
ياضحكة الفجر الندي تهشمت ... بنعيب فوهة بومة نكراء
قالوا أتعرفه ؟ فقلت وكنهه ... عرفان نور الشمس باللألاء

ولـــرب أرواح تـــذيع صـــفاتها ... حتـــى وإن عريـــت عـــن الأســـماء
يـــا أيهـــا البطـــل الموحـــد أمـــة ... بدمائـــه ، قدســـت مـــن بنـــاء
أســـلفت للأجيـــال خـــير عطـــاء ... ولقيـــت مـــن عقبـــاك خـــير جـــزاء
وأقمـت مـن ذكـراك مزحـف فيلـق ... فى كـــل معركـــة وخفـــق لـــواء
اليـــوم تحصـــد أمـــة حلـــو الجنـــى ... ممـــا زرعـــت بهـــا مـــن الخلفـــاء
الحارســـين الشـــعب مـــن أعدائـــه ... والشـــعب يحرســـهم مـــن الأعـــداء
والشـــاربين بمثـــل مـــا يســـقونه ... بالحـــب صـــنع النخبـــة النـــدماء
عـــدنان لا ثـــار فأنـــت مـــبرأ ... مـــن ضـــغنة ، عـــف عـــن الجبنـــاء
كفـــت الجريمـــة خزيـــة ونكايـــة ... لمعـــذبين بجـــرمهم تعســـاء
عدنان ما جدوى قصاصك من يد ... ألـــوى بهـــا مســـتعمر ، جـــذاء
عـــدنان ثـــأرك أن تطـــوح أمـــة ... بركـــائز المـــوحين للعمـــلاء

عـدنان أنطقنـى فقـد خنـق الشـجا ... بفمـــى البليـــغ مقالـــة البلغـــاء
حاســـبت نفســـى والأنـــاة تردهـــا ... فى معـــرض الـــتصريح للإيـــماء
بينى لعنـت فلسـت منـك وقـد مشـى ... فيـك الخمـول ولسـت مـن خلطـائى
مـــاذا يميـــزك والســـكوت قســـيمة ... عـــن خـــانع ، ومهـــادن ، ومرائـــى
أبأضـــعف الإيـــمان يخـــدع نفســـه ... مـــن ســـن حـــب المـــوت للضـــعفاء؟
أيـــزم مـــن شـــفة عـــلى عـــذباتها ... نضـــحت أمـــانى عـــزة وإبـــاء؟
خـلى النقـاط عـلى الحـروف وأوغـلى ... فى الجهـر مـا وسـعت حـروف هجـاء

مـــا أنـــت إذ لا تصـــدعين فواحشـــا | إلا كـراضـــية عـــن الفحشـــاء

أضـــحية الحلـــف الهجـــين بشـــارة | لـــك في تكشـــف ســـوءة الهجنـــاء
أسطورة «الأحلاف» سوف يمجها | ريـــخ مثـــل خرافـــة «الحلفـــاء»
سرعـــان مـــا تنهـــد بعـــد أوارة | تعشـــى العيـــون كفحمـــة الطرفـــاء
قـــالوا «تعاقـــدنا» فقلـــت هنئـــتم | بقـــران فـــرط خنـــا بفـــرط غبـــاء
واهـــزأة الأحـــلاف بـــين مســـخر | ومســـخرين ، وســـيد وإمـــاء
يـــا مـــن رأى «حلفـــا» عجيبـــا أمـــره | بـــين الثـــرى وكواكـــب الجـــوزاء
وتعلقـــت هـــزءا عـــلى أضـــوائه | بنيـــوت ذؤبـــان أكـــارع شـــاء

هاتيـــك أنعـــم حلفـــة وإخـــاء | إعصـــار طـــاعون وريـــح وبـــاء
وعصـــارة للـــرجس تنســـف مـــا ابتنـــى | الأجـــداد مـــن أكرومـــة وحيـــاء
وجيـــوش بغـــى تســـتعين بمثلهـــا | مـــن خـــائنى وطـــن ومـــن دخـــلاء
نســـجوا نســـيج العنكبـــوت وهـــا هـــم | منـــه بليلـــة حاطـــب عشـــواء
واهـــى الخيـــوط يشـــف عـــما تحتـــه | فكـــأنهم منـــه بغـــير غطـــاء
واعتـــاص رتـــق فتوقـــه حتـــى مشـــى | ســـأم الكـــلال عـــلى يـــد الرفـــاء

دوى عـــلى المســـتعمرين صـــواعقا | وعـــى الشـــعوب ويقظـــة الـــدهماء
وتكشـــفوا عريـــا عـــلى أضـــوائها | مثـــل اللصـــوص بليلـــة قمـــراء
وتقيحـــت مـــن زمنـــة فتعفنـــت | بصـــديدهن ضـــمائر الأجـــراء
فهـــم كفـــاجرة تغطـــى جهـــدها | صـــدق الفجـــور بكـــاذب الخـــيلاء

وهـم كخرقـاء تـنفش عهنهـا | صـيفا وتـنقض غزلهـا بشـتاء
وهـم يزمـون الحقائـب خشـية | مـن فجـأة الأقـدار كـالنزلاء
سـتغذ فى غـد القريـب كتائـب | لحتـوف معتصـمين كالزبـاء
سـتدوس أقـدام الشـعوب كخرقـة | مهـروءة مـن كـان سـوط بـلاء
سـيرون كيـف تجيـد فى إبانهـا | صـنع المعـاجز جمـرة البغضـاء
سـيرى عتـاد الأجنبـى بعينـه | مرمـى عقيـدة أمـة عـزلاء
سـتعود تصـهر طلقـة وقذيفـة | ترمـى الطغـاة سلاسـل السـجناء

عـوذت «جلـق» بالضـحايا جمـة | مـن كيـد همـاز بهـا مشـاء
مـن سـائرين القهقـرى لم يعرفـوا | بـين الجهـات السـت غـير وراء
عوذتهـا بـأغر أبلـج مصـلت | كالسيف «شـكرى» كاشـف الغماء
بالحامـل الأعبـاء يشـمخ فوقهـا | أمـل العروبـة أثقـل الأعبـاء
بمسـعر الجمـرات يحـدو أمـة | لم تخـل فى الأزمـات مـن حـداء
عوذتهـا بشـبيبة ، رأد الضـحى | مـن بعضـها ولطافـة الأنـداء
عوذتهـا بالمـالكى ورهطـه | مـن صـفوة العقـداء والـزعماء
مـن نـاذرين نفوسـهم لم يعرفـوا | فـيهن غـير فريضـة وأداء
بشراة مـوت يزحفـون إلى الـوغى | زحـف الحبيـب لموعـد ولقـاء
وبراقـد فى «ميسـلون» وطيفـه | متنقـل ينهـى عـن الإغفـاء

يا شام يا لمح الكواكب في دجى | يا موكب الأعراس في صحراء
يا موئل الذكرى يغطي أرضها | وسماءها حشد من الأصداء
يا أم «أقيال» ومدرج أمة | وعرين أشبال وكهف رجاء
يا أخت «غسان» ينام رهطه | يوماً بجلق – سيد الشعراء–
يا بنت «مروان» يركز راية | حمراء فوق رمالك السمراء
يا ملعب البيض الغرائر يمحي | يوم الغرام به بيوم لقاء
أبدا يضوع به لفتيان الحمى | غزل يذوب على لظى الهيجاء
جل العلا أبنيت من أشلاء | أرفعت فوق جماجم ودماء؟
لله أنت أكل يومك حاشد | برجولة ومروءة وفتاء؟
في أي جو عابس لم تسفري | ريا الجنان ندية الأضواء؟
وبأي سوح مكارم لم يرتفع | علم عليك مثلث الأجزاء؟
اليوم عيد الواهبين، وفي غد | عيد الفتوح ، وأمس عيد جلاء
قدما دمشق لسنة عودتها | في الحمد من عود على إبداء
أفزعت من محل الخطوب سياسة | بناءة ونتجت من عشراء

سلمت يداك فقد قسوت عليهما | في عصر رأس الحية الرقطاء
لم يبق منها غير سؤر حشاشة | يلوى بها ذنب وغير ذماء
أنهي فديتك أمرها وتخلصي | منها ومن قشر لها ملساء

وتحضنى جيلا أسلت لرعيه ... خير الصدور وأكرم الأثداء
ردى الأمانة يستسر بنورها ... «عدنان» وهو بلجة الظلماء
أنفاسك الروحاء هن بقية ... للمجد من أنفاسك للصعداء
يا كوكب الشهداء شكوى مرة ... لك ترتمى من كوكب الشعراء
قسما بقبرك وهى حلفة صادق ... أجلى بيانا من أجل ثناء
ما ضيعة الشهداء فى أسر الردى ... كمتاهة الشهداء فى الأحياء
فى كل يوم ميتة ملحودة ... بالصبر آونة وبالإغضاء
وبكل زاوية ضمير يلتوى ... لى الطعين بحربة عقفاء
أبدا تنز دما جراح كرامة ... هانت هوان الجرح فى عجماء
حسب الكريم من الأذى إحجامه ... حتى عن الشكوى من الإيذاء
وكفى الشجاع روية وعزيمة ... ذلا تمنى عيشة الجبناء
وسقيت من وعى البلاد وعزها ... ما يصطفيك بروضة غناء

***

قصة..

قال طفلى – وقد رميت بقاع ... وتلاقت على شتى البقاع
لزنى فى العذاب حاكم «بغداد» ... بأمر من أجنبى مطاع
واجتوانى حكام «مصر» و «لبنان» ... يخافون مقولى ويراعى
كنت أنى حللت ثم وهنا ... من عتو الولاة ضيف السباع
أبتى كيف يستجيب لك الرزق ... وقد جانبتك شتى الدواعى
ولديك الحمل المطوع ما كان ... لحر سواك بالمستطاع

عـن حـرام.. أم عـن طـماع ولم تعـ ـــرف حراما.. ولا خسيس طـماع

قلت : احفظ عني حديث الطباع ومـــداها في رفعـــة واتصـــاع
أنـا سميت شـاعر البلـد الأوحـد مـــلء الأفـــواه والأســـماع
كـــل عـــرس أنـا «المغنـــي» وفي كـــل عـــزاء أنـا الهتـوف الناعي
كسر الموت من جناحي وطاحت في ســـبيل الـــذياد عنـــه ذراعـــي
وحرمـــت النعـــيم مـــد جناحيــه يقينـــي ومـــن معـــي كـــالشراع
عــن يميني وعــن شـمالي عــزين شـــبه نـــاس شـــتائت أوزاع
فهـم الصـاحب المداجي ، وخـدن يـــوم خمـــر ، وتـــوأم في رضـــاع
أيسروا مـــؤثرين إرغـــادة الـــواني عـــلى شـــقوة الكمـــي الشـــجاع
وحـــوالي كـــل منـــتفخ الأوداج مـــن فـــرط بطنـــه وارتبـــاع
كـــل مســـتقبح القـــذالين غطـــت جـــده العـــيش منـــه نكـــر الضـــباع
وبهـــيم أوفـــت بـــه غفلـــة الدهـــــــر عـــلى أي مركـــب ومتـــاع
مـن قصـور ومـن حبـور ومـن ميـ ـــسور جـاه ، ومـن قـرى ، وضـياع
وأنـــا عنـــدهم أثـــير عـــلى فـــرط اخـــتلاف في زحفهـــم واندفاعي
أشتكي صادقا ويشكون عن كذب – بـــلادا تنوهـــت – وخـــداع
لم يمـــروا يومـــا ببـــابي .. كـــأن لم تـــك بـــاب العـــلى وغـــر المســـاعي
وكـــأن لم تـــداو مـــنهم نفوســـا وبئـــت .. جمـــرة القصـــيد المـــذاع
وكـــأن لم يـــدروا بـــأني لـــو شئـــ ـــــت لأنزلـــت في جنـــان وســـاع

أنا خصم الإقطاع والإدقاع وكثير فى ذلكم أتباعى
لم أدع منه مقتلاً لم أمرغه بسهمين ولم أطله بباعى
وغريب جم البداعة والأيام تأتى غرائب الإبداع
أن يقينى شر احتاجى إلى الأد نين «شيخ» فى ذروة الإقطاع
لا أسميه .. إنه يمقت «التمجيد» من بائع ومن مبتاع
كان يسعى إلى إذ لا صديق بموات ، ولا قريب بساعى
كان يهتز مشرقا بين موقيه ضمير المولّه الملتاع
كان ينصب فى الدياجر سودا حلكا مثل كوكب منصاع
كان يبدو كأنه من حياء وحباء ، ونخوة ، فى صراع
كان يوحى لحن الوفاء ويستوحى صداه ، حلو اللقا والسماع
كان محض النجار والحب والإعزاز والصمت.. كان محض الطباع
كان بقيا النماذج الغر من فرسان يومى أكرومة وقراع
قال طفلى : أذلك الملك النازل صبحا مع الندى والشعاع
الذى كنت أرتعى منه فى نومى بمرج رحب الظلال مشاع
المليح السرور واللطف فى الأنفس غمت من كربة وارتياع
قلت : بل ذلك الكريم الواعى يتقصى أمر الكريم المضاع
ليس يعفى ندى الكريم دجى الليل ولا صمته من الإشعاع

***

الجزائر

ردى علقم الموت لا تجزعى ولا ترهبى جمرة المصرع

فــما ســعرت جمــرات الكفــا ... ح لغـــير خليــق بهـــا أروع
ولا تهنـــى إن ســـوم الفخـــا ... ر يشـــق عـــلى الهـــين الطيــع
دعـــى شـفرات ســيوف الطغـاة ... تطبـــق منـــك عـــلى المقطـــع
فأنشـــودة المجـــد مـــا وقعـــت ... عـــلى غـــير أوردة قطـــع
وخـلى النفـوس العـذاب الصـلاب ... تســـيل عـــلى الأســـل الشرع
فســـارية العلـــم المســـتقل ... بغـــير يـــد المـــوت لم ترفـــع
ومـــدى يـــداً لمجـــر النجـــوم ... وأخـــرى إلى الجـــدث البلقـــع
فإنـــك والمـــوت دون الحيـــاض ... صـــنوان لـــلشرف الأرفـــع
ردى علقـــم المـــوت بـئس الحيـاة ... ترنـــق بالـــذل مـــن مكـــرع

«جزائـــر» يـــا كوكـــب المشرقيـــ ... ـــن دجـا الشرق مـن كربـة فـاطلعى
ويـــا عقـــب العـــرب المغـــربين ... أعيـدى صـدى «عقبـة» تسـمعى
أجـــدى عهـــودا عفـــت وابعثـــى ... نوافـــع مـــن ســـفرها الممتـــع
إذ الحـــق يغمـــر مـــن بلقـــع ... ربـــى الخلـــد فى مســـكه الأضـــوع
وإذ «يثـــرب» تلهـــب المشرقيـــ ... ـــن بـــالعبقرى وبـــالألمعى
وإذ يهـــزأ البـــدوى الأميـــ ... ـــن مـن تـاج «قـيصر» أو «تبـع»
وإذ حـــور «الأنـــدلس» تصـــطبى ... لـــرود أعاريـــب فى «الأجـــرع»
وإذ غـــن أغياضـــها تســـتمن ... قفـــرا يبيســـا بـــلا أزرع
و«رومـــا» تكـــب عـــلى وجهها ... وتمســـح مـــن خـــدها الأضرع
تكفكـــف ذيـــلا أثـــار العجـــا ... ج عـلى مغـرب الشـمس والمطلـع

تطـــالع بـــالموت فى يقظـــة وفى النـــوم بالشـــبح المفـــزع

وتفصـــد أعراقهـــا لا الحريـــ ـــر نطـــع ولا الكـــأس للمـــترع

وتطعـــن فى «جلـــق» بـــالفؤاد وتمنـــى بـــ «وهـــران» فى الأذرع

ففـــى الـــبر مـــوت بـــلا مهـــرب وفى البحـــر مرســـى بـــلا مقلـــع

«جزائـــر» يـــا جـــدث الغاصـــبين بوركـــت فى المـــوت مـــن مربـــع

ويـــا نبعـــة الصـــبر الصـــامدين لوتهـــا الريـــاح ولم تقطـــع

تعاصـــت فلـــم تعـــط مـــن نفســـها لنكبـــاء مجنونـــة زعـــزع

ثبـــى فمنـــاط رجـــاء الشـــعوب ومـــوت الطواغيـــث أن تفزعـــى

«جزائـــر» مـــا أنـــت مجذومـــة ولا أنـــت بـــالوتر لم يشـــفع

ولكـــن منـــى أمـــة ، والصـــميم وذوب حشاشـــتها أجمـــع

«جزائـــر» دارت بمســـتعمر رحـــى مـــن يضرس بهـــا يهلـــع

طحـــون تـــذرى هشـــيم العتـــاة عـــلى مصـــطل نـــارهم مـــدقع

وآذن فجـــر الشـــعوب الهتـــو ف ينشـــق عـــن يقظـــة الهجـــع

وكـــان النضـــال صـــدى يختفـــى ويخنـــق فى زحمـــة المـــدفع

فهـــا هـــو ذا دارة للنجـــوم تســـبح فى فلـــك أوســـع

وكـــان المناضـــل فى لجـــة العمايـــات ينـــداح كـــالقوقع

فهـــا هـــو فـــيما يهـــم الحيـــاة والنـــاس كـــالكف والإصـــبع

«جزائـــر» ســـامك خســـف الهـــوان شرع لمثلـــــــك لم يشرع

وســـفر بـــه المثـــل الصـــالحات ردت إلى الخلـــق الأوضـــع

أذيلـــت صـــحائفه النـــيرات وديســـت وليثـــث بمســـتنقع

مشت لك «باريس» أم الحقوق ... وحشا يدب على أربع

تمزق أظفاره أمة ... بحق الحياة لها تدعى

«فرنسا» .. وما أقبح المدعى ... كذابا ، وما أخبث المدعى

فداء لمقصلة الثائرين ... مجازر للشيب والرضع

لك الويل من رائم أطعمت ... دم الراضعين ولم تشبع

وحادية أنزلت ركبها ... خداعا على مذئب مسبع

فيا عجبا من دبى مهلك ... على الزرع والضرع مستودع

ولص يجوس خلال الديا ... ر في بزة الأفقه الأروع

ومستذئب يستميل الرعاة ... لتلجأ منه إلى مفزع

لك الويل فاجرة علقت ... «صليب المسيح» على المخدع

تهدم «بستيل» في موضع ... وتبني «بساتيل» في موضع

أمن «مشعل النور» ما تحرقين ... أباة على الضيم لم تربع

ومن يوم «تموز» ما ترسلين ... شواظا على هلع فزع

ومن «مطبخ» الثورة المدعاة ... ما رحت تطهين للجوع

فيا سوأة الدهر لا تطلعي ... ويا بؤرة الغدر لا تنبعي

ويا قرحة في صميم الشعوب ... قيئي صديدك واستبضعي

تواري فإن هوان الحياة ... والطهر والعدل أن تطلعي

وظلي بحيث يظل الغراب ... يحدج في جثث وقع

جزائر كيلي بصاعي حقود ... عم في ضراوته مقذع

عـلى موجـع الظلـم بـالأوجع ... ومستبشــع الحقــد بالأبشــع
خذى الـوحش من ظفره وانزعى ... ومـن نابـه حـردا واقلعـى
وشـقى مرارتـه وامضـغى ... وشـؤر قرارتـه فـاجرعى
دعيـه يـذق مـا أذاق الشـعوب ... مـن الهـول والفـزع الأفظـع
وجريـه فـوق رغـام أجـر ... عليـه مواكبهـا يركـع
وتـلى بخـد لـه أصـعر ... يمـرغ ، وجيـد لـه أتلـع
وديفـى الصـبوح لـه والغبـوق ... بجـام بصرف الأذى مـترع
وخليـه يرتـاد مـن أضـلع ... خـواء ويـورد مـن مـدمع
«جزائـر» دقـى بجـرس المنـون ... عـلى مسـمع مغلـق يسـمع
دعـى حسـك الحقـد والانتقـام ... يقضـان مـن نـاعم المضـجع
وخـلى الرقـاب الغـلاظ القبـاح ... تـرق عـلى تـرف المبضـع
وسـلى المخالـب مـن أذؤب ... تعـاوت عليـك ومـن أضـبع
تلـوك بلحمـك فى ماضـغ ... هريـت بحـر دم مشـبع
ودورى بكـأس الهـوان الفظيـ ... ـع عـلى مـترع مثلهـا يكـرع
صـمودا «جزائـر» لا ترهبـى ... شـذاة الصـمود ولا تفزعـى
يحـم أخـو الحـق مـن مـربح ... كـما حمـت الشـمس مـن مطلـع
وفجعـا وإن شـق فهـو الضـمين ... بأنـك مـا عشـت لـن تفجعـى
خـذى فى السـماء ولا تجنحـى ... ومـوتى هنـاك ولا تخضـعى
ومهـما ترضـيت دون الحيـاة ... حيـاة الكـريم فـلا تقنعـى
دعـى الخيـل فى جثـث ترتمـى ... وسرح القنـا مـن دم يرتعـى

أطيحى فديت .. بخير الرؤوس حصيد المدرع والمدفع
فلم أر وردا كضرع الحتوف مرته يد الأروع الأشجع
يظل المليحون طول الحياة يؤوبون منه إلى منبع
فصونى ثرى غدك المستجد بنضح دم فائر يمرع
وزيدى ضحاياك تزدد بها نجوم سماواتك اللمع
فلم تشتعل كدم الثائرين مصابيح فى حالك أسفع
وما هى إلا ضلوع تقر لهول يطوح بالأضلع
ورجل تثبت فى جاحم من الضر من يعله يضلع
وعين تحدد صميم البغى ومقتل رجس به مودع
وكف توتر من قوسها وأخرى تشد على المترع
وإغماضة ثم يهوى العتل هوى الجنادل من متلع

«جزائر» لو نهنه السادرون ولو آب غاو إلى مهيع
ولو أبصر العمى عمى القلوب ولو حسر الغى عن برقع
ولم أر كالحق من منبت يفىء الحياة ومن مزرع
تضاعف حباته نسلها متى يقتطع ناهض يرجع
ولا مثل راكبة وعيها إلى الحق من منجح مسرع
ولا كالمحاول خنق الشعوب بكفيه من أحمق لا يعى
ولكنه البغى ، سطو الجبان وعون اللئيم ، ودعوى الدعى

«جزائر» أسطورة حلوة بشمس يرد على يوشع

تنبى بإمكان ما يستحيل ... على خالق مؤمن مبدع
وعن بعد مستبقين السماء ... بأرحب من جوها أوسع
وخاوين من همة قنع ... بلا مطمح ، وبلا مطمع
فلمي صفوفك واستجمعي ... تردى الحياة وتسترعي

***

النبّاشون ..

أبصرت «حفارا» بمقبرة ... نكراء يوسع أهلها «نبشا»
قد كنت أعرف أن ساكنها ... ممن أشاع «الكيد» والبطشا
ومن الذين يرون موهبة ... للمرء أن يرشو وأن يرشى
قد كنت أعرف ههنا جدثا ... ضم الغباء وعانق الفحشا
وهناكم من كنت أعرفه ... يخشى «زرازيرا» ولا يخشى
قد كنت أعرف ههنا جيفا ... تؤذى الثرى وتدنس النعشا
فإذا «مداد» كالصديد قذى ... يكسو يراعا يشبه – الرفشا –
فيخط فوق وجوههم نقشا ... وإذا بها بنقيضها تنشى
وإذا الزنيم اللص يبعثهم ... مثل الملائك حفت «العرشا»
وإذا قحيف فارغ عفن ... بالعبقرية فذة يحشى
وإذا كعين «الصقر» .. مغمضة ... عن أن تحس خيالها تعشى
وإذا بـ «نابليون» يهزمه ... «هر» يصاول ضيغما نفشا
وإذا «روفائيل» يزاحمه ... من لا يميز لصورة نقشا

وإذا بطـــون الغيــــب تســـألني مـــا لســـت أملـــك رده دهشـــا
أفمــــوطن فيــــه يعاســــبة كـــأولاء كيــف بطاحــه تغشــى
وعرينــه كيــف اســتبيح وحمــى للـــــواغلات تلـــــذه فرشـــا
لم لم يـــذد عـــن حوضـــه حنفـــا لم لم يـــزع عـــن عرضـــه وحشـــا
ولم اســـتبد الفقـــر يقضـــمها ويخشــــها بنيوبـــــه حشـــا
ولم ابتنـــى جهـــل ومســـكنة مثـــل الغـــراب فويقهـــا عشـــا
لم لم يثبـــت أمـــة خفقـــت خلـــل الريـــاح كريشـــة رعشـــا

***

رجل..

وتســـاءلت عرســـى وفى دمهـــا قلـــق، وفى قســـماتها وجـــل
أمـــس اســـتمعتك تطـــرى رجـــلا مـــن زائريـــك بأنـــه رجـــل
أوضـــح ســـلمت فأنـــت مـــن غنيـــت المفـــردات لديـــه والجمـــل
رجـــل.. ومـــا إن كـــان بيـــنهم أنثـــى، ولا طـــير، ولا جمـــل
هـــل قالـــت «الأبقـــار» ذا بقـــر فينـــا، أم «الجمـــلان» ذا حمـــل
أم هـــل تـــنفج شـــامخا جبـــل يـــوم التفـــاخر أنـــه جبـــل
لا شـــك أن وريفـــة شـــجر ومنيفـــة بترابهـــا جبـــل

هـــل قـــد صـــمت.. أآنـــت محتقـــرى أن لســـت أعـــرف مـــا هـــو الجـــدل
أن لســـت بـــالكلمات أشـــتمل أن لســـت بالإبـــداع أنتعـــل
أن لســـت أعـــرف ســـر قافيـــة مـــا بـــين «إن» وأختهـــا تصـــل

يـا بنـت فطرتهـا وكـم غلبـت ... بـالفطرة الآراء تنتحـل
الحـق عنـدك آمـن أبـدا ... طلـق وعنـدى غـائم وجـل
والبربريـة شـل منطقهـا ... عقـلا ، يخـاف شـذاته الشـلل
لم تـدر بنـت الغـاب مـا زلـل ... وبنـو الـدهاء .. أخـوهم الزلـل
لا تخجلينـى إننـى بشر ... جـم العيـوب . وبعضـها الخجـل
قـل الرجـال .. فقيـل ذا رجـل ... أمـا «الوعـول» فلـم يقـل وعـل
وستسـألين وكيـف تعرفـه ... رجـلا ، ألسـت تـروح ترتجـل
يـا بنـت فطرتهـا سـنا ودجـى ... ورؤى تعـن وعـارض خضـل
سـأكون مثلـك سـاعة سـنحت ... يـا ليـت عمـرى عنـدها بـدل
أنـا فى محـيط عشـته ملـك ... لـو صـحت الأمثـال والمثـل
فتصـورى ملكـا يـراوده ... الكـذب ، والبهتـان ، والـدجل
وتصـورى مـا شـئت مجتمعـا ... أنـا فيـه يـوم تفـاخر بطـل

***

بورسعيد

يـا معـدن الخسـة مـن تقاتـل ... وفـوق مـن تسـاقط القنابـل
أأصـيدا يـذود عـن أوطانـه ... أم حـرة عـن عرضـها تناضـل
أم هـم عجـوز ترتمـى .. وصـبية ... ومقعـد . ومرضـع . وحامـل
وفـيم أنـت والغـراب صـاعد ... ومـم أنـت والوبـاء نـازل
يـا معـدن الخسـة .. ثـم معبـد ... فيـه إلـه تدعيـه ماثـل

ومعهـــد يمـــد في حضـــارة ... هنـا زهـت والكـون غـر خامـل
ومصـــنع تعيـــل في أكنافـــه ... أطفالهـــا عاملـــة وعامـــل
يـا معـدن الخسـة نكـس علـمـا ... تطهـــرت مـــن لمســـه الأنامـــل
رف عـلى الشـمس فغطـى نورهـا ... بخزيـــه .. وهـــو بخـــزي آفـــل
واطـو «شـعارا» أفـرخ الغـي بـه ... وامتهنـــت عاليـــه الأســـافل
يفـدى بـراثن «الهزبـر» مصـحرا ... الأســـد المزيـــف المخاتـــل

«كنانـة الله..» اسـلمي ، إن المنـي ... دونـك لغـــو.. والحيـــاة باطـــل
يـا دارة المجـد مشـت رواعـد ... للغـــدر فيهـــا وارتمـــت زلازل
لا تهنـــي..وإن أغـــد عاجـــل ... للخـــير..واســـتأني بخـــير آجـــل
وإن غـدت إذ يمطـر العهـر الـردى ... في وصـــفه تنـــاقش المحافـــل
تـذكي مـن الشـعب الرزايـا جذوة ... كالسـيف تجلـو حـده الصـياقل
«كنانـــة الله» ســـيجلو عاصـــف ... ويمحـــي ضر . ويثنـــي واغـــل
وتنـبرى مـلء الصـعيد والسـما ... تـــزدحم الأســـود والأجـــادل
خـوضي دمـا «أسـوان» منـه مـترع ... عـبر القـرون و«الصـعيد» حافـل
واســتكملي مرحلــة مــن العنــا ... مــرت عليــك مثلهــا مراجــل
واحـــتملي ثقـــلا تمرســـت بـــه ... شـــامخة مـــن صـــيدك الكواهـــل
كـم غـاص في رمالـك السـمر غـو ... غـاز..وكـم ديسـت بهـا جحافـل
وكـم مشـت مـن فـوقهم مزهـوة ... تحـــدو ركـــاب العـــزة القوافـــل
خـط «أبـو الهـول» لهـا مصـايرا ... تعرفـــه الأغـــوار والمجاهـــل
الصـامت الـواعي ..يـرى آجالهـا ... تـــدنو ..فيســـتهزي بـــها تحـــاول

ذابـوا وظـل النيـل يجـرى صـاخبا   وظــل منــداحا عليــه الســاحل

«كنانـــة الله» اســـلمى لأمـــة   أنــت لهـــا الغايــة والوســائل
أنــت لهـا رأد الضــحى وشمســه   مـن بعـد مـا رانـت بهـا الأصـائل
تســعون مليونـا عليـك فائـت   يعطفهـــا..وحـــاضر..وقابـــل
وأضـلع كـأن كـل خـافق   تحملـــه عـــلى هـــواك نـــازل
مـرت بهـا«ألـف»يلـوك لحمهـا   ذل ، ويـــبرى عظـــمها تواكـــل
مـا عقمـت يومـا ولكـن حـرة   تخطفـــت وليــــدها القوابـــل
وأسلسـت قيادهـا ، فزائـغ   عـن لا حـب الـدرب بهـا ..ومائـل
حتـى إذا تـنفس الصـبح لهـا   عـن أبلـج تزهـى بـه الشـمائل
عـن ألمعـى يهـب الجـن النهـى   بـــه غـــواة عبقـــر تباهـــل
حتـى إذا تمخضـت عـن مـارد   تعجـــز أن تنقصـــه الحبائـــل

عـن مصـلت أفـرغ فى جاجمـة   لم يلهـــه الغمـــد ولا الحمائـــل
عـن حنضـل غـص بـه مـر الشـجى   وجنـــدل رضـــت بـــه جنـــادل
حتـى إذا انشـق جمـال عـن ثـرى   يـــبس فرفـــت فوقـــه الخمائـــل
يلـم شـملا لعـب الـدهر بـه   ونـــال منـــه اليـــأس والتخـــاذل
حتـى إذ وعـت بعيـد غفلـة   فيـــنم ، وعـــيا ، ولمـــن تناضـــل
حتـى إذا «الصـقر» تمطـى مغضـبا   تخـــاف منـــه الغيلـــة الغوائـــل
حتـى إذا انصـب يشـد صـلبها   كـــابن اللبـــون ذب عنـــه بـــازل
تجمـع البغـى عـلى منقـاره   دم الشـــعوب ، لم يزحـــه غاســـل

واستنفر المفـوح مـن آثامـه — فصائلا تزجهـا فصائل

تجمع البغـي مغيظا تغتلي — فيه على الوعى اغتلى مراجل

واصطرع الباطل وهو فارس — مدجج..والحق وهو راجل

مات الضمير فانطفا..واتقدت — من حمم القواذف المشاعل

وابتدرت عوالم تساءل — ما الله والشعب الأبي فاعل

«كنانـة الله» والله يـد — تلوى يد الطاغوت إذ تصاول

صبرا لحين يدرك البغي الونى — صبرا ليوم تكشف المقاتل

صبرا على «حنظلة»مكربة — تخجل من مريرها الحناضل

***

وحي الموقد

إن عرسي وهي جامحة — فجة..لون من الأدب

جاءت «الكانون» توقده — وبه جزل من الخشب

فوق بعض بعضها ، طبقا — لائذات..صنع مرتعب

خفن فاستسلمن عن فزع — للمنايا..شر مرتقب

ومشى برد الرماد بها — كتمشي الموت في الركب

خلتها والعود يلمسها — تتقل «الكبريت» بالعتب

فتأبت ، ثمة اورتعدت — ثم أقعت ، ثم لم تثب

وانبرت من يأسها سكنى — هرة مفضوحة الغضب

قلت : أذكي – ويك – جذوتها — وأريحيها من التعب

أطعميهــا الزيــت يمــش بهــا مشــية الكفــران في الســغب
فاســـتعاذت وهـــى قائلـــة لـيس هـذا «الجد..!» مـن لعبى
إنهـــا أفعـــى..وقـــد علقـــت عضـــة منهـــا..عـــلى ذنبـــى
إى وأمـــى!..أحرقـــت كتـــدى فأطارتـــه .. وشـــيب أبـــى
قلـــت هاتيـــه..وثـــار لهـــا ضرم كـــالبرق في الســـحب

شـــب في مبـــيض ســـالفتى فكـــأنى بعـــد .. لم أشـــب
وأتـــى وجهـــى فلطخـــه كخلـــيط الـــبسر والرطـــب
ومشـــت عرســـى لتســـعفنى - وكـــما تهـــوى لتشـــمت بـــى
هتفـــت : بئســـت مغـــامرة يـــا بـــن خمســـين.. أأنـــت صبى
أو مـــا تنفـــك محتضـــنا لعبـــة .. مـــن هـــذه اللعـــب
قلـت: يـا هـذى لـو اخترمـت مفرقـــى شـــقين لم أتـــب
أنـــا ذا مـــن أربعـــين خلـــت أطعـــم النـــيران باللهـــب
فـــإذا خفـــت وضـــعت لهـــا خـــير لحمـــى موضـــع الحطـــب
راح في حـــــرف يزخرفـــــه وهـــو عـــن شيء ســـواه غبـــى
نحـــن في العقبـــى ســـواســـية نلتقـــى طوعـــا عـــلى ســـبب

أنـــت قـــد أوصـــتك شـــعلتها أن تـــوقى ســـوء منقلبـــى
وأنـــا يـــوحى إلى بهـــا أن تقحمنـــى .. ولا تهـــب
وكـــذا يـــدرى الجبـــان وغـــى فيســـمى الحـــرب بـــالحرب

وتـــرى نفـــس الشـــجاع بهـــا ... لـــذة .. كالحـــك فى الجـــرب

قـــد حبيـــت النـــار عـــن صـــعد ... وأثـــرت النـــار عـــن صـــبب

ورأيـــت «الوغـــد» يشـــعلها ... لا لشـــيطان .. ولا لنبـــى

يجـــتلى بـــالنور يســـكبه ... وهـــج الألقـــاب والرتـــب

ويـــرى فى بـــؤس فحمتهـــا ... بهرجـــات «المـــاس» .. والـــذهب

أنـــت خـــير مـــنهم ، ســـكنى ... تقتلـــين الخـــوف بـــالهرب

وأنـــا أزكـــاكم أربـــا ... أستشـــف «الخـــير» فى العطـــب

أشـــعل «النـــيران» لا رغبـــا ... وأصـــاليها بـــلا رهـــب

غـــير علـــم .. أنهـــا ســـبب ... لحيـــاة .. أيـــما ســـبب

***

ذكرى المالكي

ترنحـت مـن شـكاة بعـدك الـدار ... وهـب بالغضـب الخـلاق إعصـار

وأرعـد الـوطن الغـالى وقـد ثقلـت ... عليـه ممـا جنـى الجـانون أوزار

واستصرخت حلبات السبق فارسها ... وقـد هـوى ، وانتخى شـوط ومضمار

ومـر طيفـك بالفرسـان فانعقـدت ... عليـه كـالحلم المخمـور أبصـار

مشـى الهـداة عـلى أضـواء ضـحكته ... واسـتلهمت دمـه الفـوار ثـوار

قـال «المغـاوير» إعجابـاً بسـيدهم ... حسـب الكتائـب يـوم الـروع مغـوار

حسـب الـدجى قمـر يجلى العـماء بـه ... وفى السـماء مصـابيح وأقـمار

وكـان خلـف العـزاء المرتجى فلـك ... بغـير مـا أمـل الراجـون دوار

تبنـى الحيـاة وتختـار الرجـال ومـن ... ورائهـا المـوت يـدرى كيـف يختـار

جـل الشــهيد كــأن الله جســده ... نــورا تغــار بــه فى الجنــة النــار
فى هــذه الــدار إيثــار وتضــحية ... وفى ذرى الخلــد جنــات وأنهــار
هنـاك حيـث يحـوك الخلـد سندسـه ... أمـا الـذى حاكـت الـدنيا فـأطهار
يا من سقى دمه خير الزروع مشت ... تصــد بعــدك عنــه المــاء أشرار
ويـا أخـا الجـدث الثـاوى بمدرجـة ... تهفــو عليــه ريــاحين وأزهــار
منـذ اصـطفاك فـداء معجـلا قـدر ... تعــاورت وطنــا فــديت أقــدار

مـن كـل فـج تنـادت والتقـت زمـرا ... إن المقــادير أرحــام وأصــهار
مـنهن عـون نتـاج الشرق مزمنـة ... فينا ، ومنهن ، صنع الغـرب أبكـار
عــدنان لم تــزل الــدنيا يصرفهــا ... فى الخــير والشر أنفــار وأنفــار
ولـيس ينفـك باسـم الـبر محـترف ... غــاو يهــدم مــا تبنيــه أبــرار
ومــدعين مرونــات منافقــة ... هـم للشـكوك عـلى الإيمان أنصـار
شجب الطغـاة لـديهم سفر ملحمـة ... غلافــه ورق جــم ودينــار
ونجـدة الحـق شـوك أو تعرشـها ... مــن الزخــارف أعنــاب وأثــمار
مـا أهـون الحبـل محـرورا يـراح بـه ... أنــى يشــاء فــأيمان وأيســار
لم يبرح الغدر يلفى العون من خور ... ومـا يـزال ، حمـى الخـوان ، خـوار
قـد صرخ الأمـر لا لـبس ولا شـبه ... ولا وســيط ..فعبــدان وأحــرار
أيسـتوى حـافظ عهـدا ولافظـه ... ومؤمنــون بأوطــان وكفــار
وأنت يا جيش عـدنان أعـر خلـدى ... مشـبوب زنـدك تخلـد فيـك أشـعار
يـا دافـع الخطـر الملقـى بكلكلـه ... عــلى العروبــة لا مســتك أخطــار

ويـا صـفيين فى الجلى إذا احتربـت ... لأنـتم خـير مـن يصـفى ويختـار
لـولاكم لم يجـد رمـزا لـه علـم ... ولا تـذوق طعـم الـدار ديـار
سـور تعلـق حبـات القلـوب بـه ... فهـن وهـو سـياجات وأسـوار
وذادة كنسـور الجـو تجمعهـا ... مـن السـموات أعشـاش وأوكـار
محلقـين بصـمت والـردى لغـة ... قـوادم أفصـحت عنهـا ومنقـار
على الحدود بحيث الـورد ذو صرد ... صـدر تفجـر نبـع فيـه فـوار
وثـم فى الجبهـات السـود متربـة ... عليـا جبـاه تمنـى لثمهـا الغـار
صـبرا وإن ملـت الأسـياف أغمـدة ... إن الأمـين عـلى العقبـى لصـبار
صـبرا وإن هزنـا إذ هـز إخوتنـا ... جـرح تقـيح فى الأردن نغـار
لابـد أن يسـترد الفـتح «خالـده» ... وأن يطـل عـلى اليرمـوك «ضرار»
ويـوم ذى قـار مرجـوع دمـا سربـا ... مـا ظـل ينضـح فى يحمومـه القـار
تمـرغ الشـأر إذ هيضـت جوانحـه ... واليـوم يـنقض مثـل الأجـدل الثار

عـلى «الخليجـين» سـفاح سـندركه ... وفى «الجزائـر» رهـن الكـف جـزار
«وثالـث» هـو مـن خبـث ومـن ختـل ... شر الأثـافى لا قـدر ولا نـار
لـه رفيقـان رعيـان وأذئبـة ... ومسـتقران مغـدور وغـدار
وحـش يمـزق أهلـوه فتنجـدهم ... مـن الإعـارة أنيـاب وأظفـار
يـا للحفيظـة أجيـال يسـخرها ... بيـع ، ويغلقهـا فى الـذل إيجـار
وفى ذرى القـدس مسـخ شـاء خالقـه ... أن تحتمى بحمى «الأقـداس» أوضـار
لم تكفـه القبلـة الأولى يعيـث بهـا ... حتـى أتـى القبلـة العصـماء يمتـار

شـكت ميـاه طهـورات بحوزتهـا ... أن شـقها مـن يهـود الـرجس بحـار
يـأبى «سـعود» ويـأبى طـائف بمنـى ... والله . والبيت . والصديق . و«الغار»
يا جيش «عدنان» لا ضير وأن دلفت ... بالمزعجـات أراجيـف وأخبـار
هنـا بجلـق عمـلاق عـلى «بـردى» ... وثـم فى مصر يحمـى النيـل جبار
اسلم «جمال» لنـا نلسم فقد عرفـت ... بـك الكرامـة فى الشرقـين أمصـار
جزيـت عـن أمـة أنعشـت تربتهـا ... خيرا.. كما جزيت سمحاء مدرار
تمخضـت حقبـا أرحامهـا ، وأتـى ... عـلى المخاضـة إعنـات وإعصـار

وأطبقـت لم تلـح عـن صـارم ذكـر ... حرائـر مـن «قيـون» الله أطهـار
حتى إذا الغيـب أبدى حـر صفحته ... وحـان للأجـل المضروب مقـدار
تـنفس الصبح عـن «مصريـة» ولهـا ... فى المهـد شـبل قبيـل الـزأر زئـاب
وانصـاع يـبرى سـيوف الهنـد لاهبة ... مهنـد يعربـى الحـد بتـار
فـذ عجيـب لـه حـدان مؤتشـب ... حلـو ، وحـد كطعـم المـوت مـرار
تغشـى المشـاكل متنيـه فيحسـمها ... لاحيـث تطغـى ولكـن حيـث يختار
ويمكـر الثعلـب الغـاوى فيخدعـه ... عـن غيـه .. حـذق فى الرشـد مكـار
عـرق مـن الشـعب لم ينبض بخائنـة ... ولا التـوى منـه إعـلان وإسرار
لا يومـه تـرف بالقصـف منتـزف ... ولا لياليـه أقـداح وأسـمار
يـا أمـة يومهـا مـن أمسـها عبـق ... لله فى غـدك لموعـود أسرار
شـئنا الأذى أو أبينـا .. إنـه ثمـر ... فيـه لنـا ولمـن يبغيـه إمـرار
لم يعرف الدهر مثل العرب من صبر ... بهـم عـلى الضر إلحـاح وإصرار

ما خائفون ازديار الموت عن رفة ... كعاطشين هم للموت زوار
نحن الذين أعرنا الكون بهجته ... لكنما الدهر إقبال وإدبار
تنفست رئة الدنيا بنا ومشى ... فيها نسيم يهز الروح معطار

منا اكتست حقب ألوانها ، وبنا ... رفت على الصور الجرداء آطار
تذوبت فى بنات الضاد أنظمة ... وفلسفات ، وآراء .. وأفكار
إذ الثقافات أشتاتا نجمعها ... كالشهد يجمعه نحل ويشتار
وإذ جنى الفكر معسولا يذوبه ... طرس .. وينفحه عود وقيثار
وإذ حمى الدين مأهول تراوحه ... أئمة .. وبطاريق .. وأحبار
تصرمت نشوات ما تزال لها ... صبابة نغتذى منها وأسئار
شدنا الحياة ، وكوفئنا المهات كما ... شاد «الخورنق» كى يردى «سنمار»
كفرت بالسلم من بعد الجنوح له ... فقد وهت حجج منه وأعذار
وقد ربت فى ظلال منه مأثمة ... واستكلبت فيه أضباع وأنمار
شر من الحرب سلم خادع مذق ... فى الوعد عى ، وفى الإيعاد مهذار
مزعزع من أديم الأرض ليس له ... إلا على الدم إرساء وإقرار
يا فالق «الذر» خلاقا مشت عنتا ... توزع «الذر» للتدمير فجار

ويا مفيضا على الإنسان قدرته ... لقد أهان جلال القدرة العار
ليت الجناحين من لطف ومن دعة ... فى الطير .. شاءهما للخير طيار
وليت لم يخز حوت البحر بحار ... ولم يشر بالردى المجلوب تيار
ومنذرين طواغيتا وما علموا ... أن الشعوب ضمانات وإنذار

قوى من الحق كالصبح المبين هدى ... وجحفل كسواد الليل جرار
دال الزمان فليس الشرق مزرعة ... فيها غلال، وألبان، وأبقار
تمخض الكون وامتدت يد رفعت ... بها عن المارد الشرقى أستار
وراح يحفر قبر الغرب حفار ... ويستجد له التابوت نجار
والحق مطرقة يلوى القوى بها ... وكل شعب سليب الحق مسمار
يا يوم عدنان لا تبرح لنا حرما ... به يطوف حجاج وعمار
وموسما من «عكاظ» أن أغص به ... فحل، تفتق فحل فيه هدار
ويا ربى الشام لا جافتك ناضحة ... باللطف تندى عشيات وأبكار
ماذا يحدث، لو أنطقت صامته ... عن الحضارات، رمل فيك موار
فى الجاهلية أذواء، وفى غدها ... مهاجرون على «الوثقى» وأنصار

وما عسى عن «ضمير» أو ميامنه ... لدولة الشعر تروى فيك أسفار
إذ الذؤابة من «غسان» تنضحها ... يوم السباسب بالأطياب أطيار
وإذ «نبيغ» بنى ذبيان تحضنه ... من آل جفنة أنداء وأسمار
والعيش فى ليل «داريا» يرن به ... «للبحترى» بها غناه مزمار
وإذ «أبو الطيب» الشريد فى حلب ... نجم تضاء به الأفلاك سيار

مشت بمغناك أعراس الربيع ولم ... يحضن عروسا كأرض الشام آذار
أبدت بها وهبته الأرض زخرفها ... وازينت منه أنجاد وأغوار
وانشق حتى عمود الصخر وافترعت ... حتى الجلاميد بالأغصان أشجار

تباركت «غوطة» شدتك خضرتها ... كما يشد الضلوع العشر زنار
وقدست هامة من «قاسيون» بها ... تعلقت من عيون الزهر أنظار
مجلبب بشفيف الغيم تصبغه ... مما يلون حالات وأطوار
حتى إذا خالطته الشمس شق بها ... عنه القميص ، وحلت منه أزرار
سبحان ربك كيف الأمر منتقل ... وكيف تلعب بالأدوار أدوار
وكيف زان الثرى زهر الربى أنقا ... وأسرج الشجر المجرود نوار
وكيف لان الشتاء الفظ .. وانطبعت ... من النسيم على خديه آثار
صحت سماء وغامت ، وانجلى أفق ... واربد ، واختلفت شمس وأمطار
وأجلت الغيد عن سوق وأذرعه ... كلا الربيعين خداع وغرار
أفرغت حسنك في نفسي وفي خلدي ... وإنما الحسن إحساس وإبصار
ورحت عبر القرون الحالمات به ... تهزني منك بالأمجاد أحجار
كأنهن «دنان» الخلد عاطرة ... أتت عليهن أزمان وأعصار
تلك المعارج تصبيني بعتمتها ... كأنها من سنى التاريخ أنوار
جلالها عن «بني مروان» مالكة ... وصمتها عن «صلاح الدين» إخبار
وإنما الملك تعلى منه آثار ... كالعمر يعمره حلم وتذكار

«دمشق» : كلك ألطاف وتكرمة ... للنازليك وإيلاف وإيثار
دمشق : لي في رباك الخضر جمهرة ... هم لي الأهل ، والجيران ، والدار
أحببتهم وأحبوني كما امتزجت ... فيها تجاوب أنغام وأوتار
دمشق : نحن بناة الشعر آلهة ... لا تضطنيها حزازات وأوغار
وما لنا كسوانا في مجالدة ... وقول حق لبانات وأوطار

نقـيم للنـاس أسـواقا محسـدة ... ونحن من كل ما يستام أصفار
ويحطـم العمـر منـا صـوغ قافيـة ... فيهـا حيـاة لأجيـال وأعـمار
عن كل حرف دفعنا فدية فدحت ... لـو كـان للحـق ميـزان وأسـعار
نحـن الجبـابرة الأعلـون. يرهبنـا ... إذ يرهـق النـاس «فرعـون» وجبـار

ومـرجفين بـإغماض وغمغمـة ... هم من الناس فى الإعـراب إضمار
رمـوا عـلى ظـلالا مـن سرائـرهم ... كما ارتمـت فى النمير العذب أقدار
إن الكـذوب جبـان درعـه ختـل ... ودرع كـل شجاع القلـب إصحار
دمشق : لم يأت بى عيش أضيق به ... فضرع «دجلـة» لـو مسحت درار
وثـم ، لـولا ضمير عاصـم ، حفـر ... للمغريـات ، و«للبـترول» آبـار
لـو شـئت كافـأ مثقـالا أصرفـه ... شعرا مـن الذهب الإبريـز قنطـار
لـولا رسـالة حـق قـد يحيـق بهـا ... حتـى مـن المدعين الحـق إنكـار
تبجحـوا أنهـم حـرب لمـن ظلمـوا ... فى الرافـدين وأعـوان لمـن ثـاروا
عجبـت للقـوم في أمـري أهـمْ سـندٌ ... للظلـم؟.. أم هـم على الثوار ثُـوار
يـا سـادتي إن بعـضَ العَتـبِ منْبَهـةٌ ... لغـافلينَ ، وبعـض الشعـر إشـعار
أنـا «العـراق» لسـاني قلبـهُ.. ودمـي ... فراتُـه .. وكيـاني منـه أشـطار

***

وخط المشيب .

مشى وخط المشيب بمفرقيه وطار غراب سعد من يديه

وراحت من زهاها أمس حبا تقول اليوم: واأسفى عليه

تبدل غير رونقه ولاحت تضاريس السنين بأخدعيه

رمادا خلته لولا بقايا توقد جمرتين بمقلتيه

أهذا من به فتنت كعاب ومن سحر الندى بأصغريه

أهذا تائها من نقلته على الأحداق أحلى خطوتيه

ومن أصبى «فلانة» وهي خدر دم العشاق يصبغ جنبتيه

مشى وخط المشيب به كأن لم يرجل داهنا من لمتيه

ولم يتخط أهليها إليها ولم تتخط أهليه إليه

ولم يحسد لحظوته لديها ولم تحسد لحظوتها لديه

ولم تنضب مراشفها فتظما لفرط تذوب في مرشفيه

مشى وخط المشيب به فألوى بأيكته .. وعاث بوجنتيه

وئيد خطى كأن عذاب جيل تخيره .. فحط بمنكبيه

ومتروفا كأن يد الليالي بمبضعها تفصد أكحليه

وأخلى ملعب الصبوات منه وبدل مشرقيه بمغربيه

وقرب من منيته .. وخوف لقرب الموت شر منيتيه

سقيت الغيث يا زمن التصابي ويا حسنا بأقبح صورتيه

ويــا نهــرا يســيل دمــا وخمــرا   حســونا ذا وذا مــن ضــفتيه
ويــا ســيفا نجــر حمالتيــه   ونركــب حــين نجمــح شــفرتيه

مشــى وخــط المشــيب بــه فرنــت   مناحــه ثاكليــه بمســمعيه
وراح يصــيح عــن ألم ورعــب   إلى واه مرجعــة .. وويــه
فســوت لحــده كلتــا يديــه   مشــى وخــط المشــيب بمفرقيــه

***

الناقدون .

أخــا القلــم الراعــف الرافــد   ويــا لابســا بــزة الناقــد
ويــا فــارس الخطــوات الحســان   فى «آبــق..» الفكــر و«الآبــد»
ويــا مــن أقمــت عليــه الحــدود   فى «قــاصر» منــه ، أو راشــد
ويــا مــن تــدنيت كالمجتــدى   ويــا مــن ترفعــت .. كالزاهــد
إليــك النصــيحة مــن متعــب   بطــب النفــوس .. ومــن جاهــد
خبــير بــما أحكمــت عقــدها   عــلى المخبثــات يــد العاقــد
متــى كنــت ذا جــرأة أن تقــول   إنــك «ألفــان» للواحــد
وإنــك «ثلــج» لجمــر الغضــا   وجمــر لمنجمــد بــارد
«وللجــب» :يــا لــك مــن شــامخ   وللطــود : يــا لــك مــن هامــد

متــى رحــت تــترع عــن مبــدع   أكاليــل إبداعــه الخالــد
لتضــفر منهــا بكــف النفــاق   تاجــا عــلى فــارغ جامــد

وتخلـــع حقــدا عــلى العبقــرى أمجـــاد ســـاع عـــلى قاعـــد
متى رحــت تسـأل أيـن الأديـب؟ حنانـــا عـــلى .. الأدب الراكـــد
وإشـــفاقه منـــك كالوالـــد ورعيـــا «لفنـــك ..» كالرائـــد
ومـا أنــت فى العـير مـن حيـة ولا «الفلـس» .. فى كنـزه الحاشـد
ولســت ، إذا اغتيــل ، بـالمرتجى ولا أنــت ، إن ضـيم ، بالذائـد
ولكــن لتغمــر مــن «حامــد» وقــد شــع نـورا ، ومــن «خالــد»
تسـاءل :أيــن ؟ وســت الجهـات تشـــير إلى علـــم فـــارد

متـى اسـطعت وأد نـداء الضـمير بـــما لم تطقـــه يـــدا وائـــد
متـى رحــت تطلـع شـتى النجـوم فى دارة الشـــعر ..كالراصـــد
تجـــادل فى حجـــر نـــازل لـــتغمط مـــن كوكـــب صـاعد
تصـم — وأنــت تحـس الـدبيب— عـــن صـــاعق ، مــرزم ، راعـد
وتعمى — وأنـت تـرى الزاحفات— عـــن مشـــعل للســـنا واقـــد
متـى رحـت تمـدح «فـأر» القـريض تكيـــد لضرغامـــه المـــارد
متـى رحــت تـبرز حسـن البيـان فى زى داعـــــرة ناهـــــد
جمـــيلا بأســـلوبه المنتقـــى خبيـــث المقاصـــد.. كالقاصـــد!

متـى رحــت تصـدر عـن حـاقن مــن الــرأى فـظ ، وعــن حاقـد
متـــى رحـــت تنـزل بـالملهمين عـــلى حكـــم أنمـــوذج فاسـد
فطـــورا عـــلى منـــزع ســـارد وطـــورا عـــلى مـــذهب بائـد
وآونـــة لــــرضى ســـيد وأخــــرى لمجتمــــع ســـائد

متــى كنــت أجبن مــن صــافر والأم مــــن جمــــل شــــارد
يغيظــــك أن يعــــتلى نـــير بغـــيض الضـــياء عـــلى الحاســد
يـــزاحم حتـــى العمـــى نـــوره ويصـــمد فى القـــدر الصـــامد
وأن تنـــبرى فـــذة...مغـــرب مــن الــرأى عــزت عــلى الصــائد
متـى رحـت تهـرب مـن نخـوة الـــــكمى ..إلى خســـة الكائـــد
تثرثـــر فى الشـــعراء الضـــخام «كـــانوا..» عـــلى الـــزمن البائـــد
دلـــيلا عـــلى علمـــك المستفيـــــض فـيض الوبـاء .. بـك الوافـد
وتســكت عــن علــم شــاخص لعينيـــك يشـــمخ كالقائـــد
يشـــد قـــوى أمـــة رخـــوة ويوقـــد مـــن جمرهـــا الخامـــد
عظمــت حقــودا..ونعــم الغبــاء يعصـــف فى عـــالم حـــارد
متــى رحــت تنقــل نقــد البيــان إلى الطعـــن فى «الأم» و «الوالـــد»
إلى الشـك فى الـدين .. عـن ملحـد تحـــدر ..أم راكــــع .. ســــاجد
وهــل جــده كــان مــن مــأرب كجـــدك .! أم كـــان مـــن .. آمـــد
متـــى كنـــت إذ تخـــتلى والأديـــب تســـفر عـــن عـــاكف عابـــد
أخيـــذ بروعــــة شـــيخ القريـــض وجمـــرة تنـــوره الواقـــد
ومفخـــرة الجيـــل والمشرقيـــن والـــدهر ، والـــورد ، والـــوارد
وحـــين تســـيل الـــيراع الهزيـــل كإيمانـــك .. والقنفـــذ الكامـــد
بـــلا وارد عنـــه ، أو شـــارد ولا مثـــل منـــه ، أو شـــاهد
متـى رحـت تبحـث عـن نـاقص فـــإن لم تجـــده ..ففـــى زائـــد
لتقـــبر حســـن الجـــمال الســـوى وتلحـــده ..عشـــت مـــن لاحـــد

متى كنت لا ترعوى عن هوى   تعفن كالآسن الراكد
تعاود أدواءك المزمنات   في العهر ، كالمجرم العائد
فحياك ربك ، من زارع   خباث البذور .. ومن حاصد
ولا جف حقدك من حاقد   ولله درك من ناقد

***

غيداء ...

غيداء: عندك للصبا مهد   صدر تربع «دسته» نهد
غضر يدغدغ من براعمه   ويرج منه المعبد البرد
غيداء تعشق فيك جارحة   أخرى ، ويحسد معصما زند
جن الهوى بك ، والتوت عقد   واعتز فيك بضده الضد
غيداء فرط صبابة حشد   هي فوق ما يسطيعه فرد
غيداء : ما نفسي وإن وثقت   حجر يداس ، ولا صفا صلد
في كل مغرز إبرة شخصت   من جانبيك خطيئة عمد
هل كان غير نضيج مقتطف   حلو الجنى ، ويد وتمتد
ومددنها فوحق ما قطفت   ليرف فوق عظامها جلد

•

يا بنت خضراء الربى نفسا   وشقيقة الطير الذي يشدو
يا من غذيت النبع من «بردى»   فحلا به الإصدار والورد
يا بنت «جلق» والهوى صلة   تجد الجدير بها فتمتد
ليت الهوى يجد الهوى نسبا   والود ليت لصيقه الود

ليت النفوس تعاطفت شغفا — وانهار دون شغافها سد
ليت اللغى راحت تؤلفها — أم ، ويجمع شملها جد

غيداء : إذ يتأطر القد — وإذ الشموع يشبها خد
وإذ الشفاه يضمهن فم — حلو ، وإذ يتنفس الورد
وإذ الشباب بكل جارحة — يزهى بها وهبت ويعتد
وإذ النفوس يشب جاحمها — وقد ، ويطفى جمرها وقد
تتصاعد الأنفاس لاهثة — وتصيب مرماها فترتد
فهنالك الأرواح يرمضها — أن الحياة يحدها حد
وهنا يعلم هازئ بطرا — بالوجد ماذا يصنع الوجد

غيداء : بين جوانحى شعل — يجرى بها نفس فتشتد
مجنونة كالموج عارمة — كالموت لا يقوى بها شد
ألوى بها فإخالها جزرت — فإذا المخيلة عندها مد
غيداء : ما كالحب مصطليا — بمنى تمنى عيشة رغد
لحظات طيف ود صاحبها — لو أنها ، يقظان ، تمتد
كنعيم خلد عنده أمل — وبديل ما تهب الدنى وغد
غيداء : إن خرافة سرف — فى العاطفات ، وبدعة قصد
تعطى السموم لدفع شرتها — وكذا الجهيد قوامة الجهد

غيداء ما لم يبد حسده — للعين فى واديك ما يبدو
قلق يحاول أن يكتمه — فيطول فيه الأخذ والرد

وتجلـــــد متكلـــــف كـــــذب لا يرتضـــيه الواثـــق الجلـــد

غيـــداء : إن الحـــب نقمتـــه نعمـــى ، وفـــرط ضراعـــة مجـــد

يحلـــو بـــه التـــأريق والســـهد وتصـــح فيـــه الأعـــين الرمـــد

يبقـــى الهـــوى غفـــلا بـــلا ســـمة حتـــى ينـــيخ ببابـــه عبـــد

غيـــداء : ألفـــاظ مرادفـــة للعاشـــقين الغـــي والرشـــد

بـدرون – دون النـاس – وحـدهم مـــاذا يطيـــق اللحـــم والجلـــد

ويـــرون شرع الحـــب منتقصـــا حتـــى يقـــام علـــيهم الحـــد

كـــم صـــد إذلالا غطارفـــة صـــيد ، وكـــم عـــادوا وقـــد صـــدوا

غيـــداء : أهـــل الحـــب مجمـــرة منهـــا يضـــوع لعـــالم نـــد

فطـــروا عـــلى وثنيـــة فهـــم حـــدب عـــلى أصـــنامهم حشـــد

يرعونهـــا مـــا حـــف ذا لبـــد أشـــباله ، والقائـــد الجنـــد

عمـــى ســـوى عـــن شـــعلة وهجـــت فـــيهم ، ولـــو أن الضـــحى رأد

غيـــداء : والـــذكرى يعـــاش بهـــا ويصـــان بـــين أحبـــه عهـــد

في أمـــس كنـــت أذقتنـــي قـــبلا لم أصـــح مـــن نشـــواتها بعـــد

حـــم الـــوادع فـــنحن في يـــده كالطفـــل حـــين يهـــزه مهـــد

إن الأحبـــة ســـوف ينثـــرهم قـــدر ، كـــما يتنـــاثر العقـــد

***

إلى القوتلي

ســيدي : أنــت أيهــا الحــرم الآمــن يلجـــا لمثلـــه ويعـــاج

يا منى أمة ويا نورها الوهاج إن عز فى الدياجى سراج
يا حمولا أثقالها لم يزحزحه اختلاج عن عهده وارتجاج
عشت صلت الجبين سيفا تفرى بشباه من العدى أوداج

سيدى أنت والتفضل أحواج وفيض من الندى أحراج
بسمة منك ، سيدى ، لى سلطان و«صرف» مما توجه تاج
ذاك حسبى وكل بحر وقد نولى بحرك الفرات ، أجاج

سيدى لا يسؤك ضيقى بما أوليت ذرعا ولا يرمك انزعاج
أنا والله رائع فى ذرى لطفك ما بى إلى سواك احتياج
أنا والله ضيف ساحتك الغناء فيها سراى والإدلاج
غير أنى بالمال أضوى ، وان أسمن غيرى . إن النفوس مزاج

أيها الأبلج الأغر بضوء الصبح من بين غرتيك انبلاج
سيدى أنت سوف يلتمع النصر ويوفى نذر ويقضى حاج
ويخور المستعرون وينفك عن المرتجات سودا رتاج
وتدوى بك العروبة سمحاء لها بين نابضيك اختلاج
وليدم ظلك الوريف على العرب ويخلد ضياؤك الوهاج

***

قبيل الموت مات

أبنى إن أباكم كلف قبيل الموت مات

إن العيـــــون الفـــــاترات ســــلبنه زهـــو الحيـــاة
الله مـــن ســـهر الهمـــوم عـــلى الجفـــون المغفيـــات

***

جيش العراق..

سـدد خطـاى لكـى أقـول فأحسـنا فلقـد أتيـت بـها يجـل عـن الثنـا
ولقـد دمغـت بـها تظمـت قرائحـا ولقـد عقـدت بـها نثـرت الألسـنا
ولقد ضربت فلست أملك مضربا ولقـد طعنـت فلسـت أملـك مطعنـا
مـا كـان عنـدك كـان قـولا فاصـلا يسـبى العقـول فـأى قـول عنـدنا
هـــام الطغـــاة معلقـــات شرد عـى الفصـيح بهـا فأصـبح ألكنـا

جيش العـراق ولم أزل بـك مؤمنـا وبأنـك الأمـل المرجـى والمنـى
وبـأن حلمـك قـد يطـول بـه المدى لكـن عزمـك لـن يحيـق بـه الـونى
جـيش العـراق إليـك ألـف تحيـة تسـتاف كـالزهر النـدى وتجتنـى
حمـل الفـرات بهـا إليـك نخيلـة ومشـى بدجلـة جرفهـا والمنحنـى
فلقـد أعـدت إلـيها صـفويها مـن بعـدها غصـا بـأدران الخنـا

عبد الكريم وفى العراق خصاصة ليـد ، وقـد كنـت الكـريم المحسـنا
أسـديتها بيضـاء لا متنفجـا بالنعمـة الكـبرى ولا متمننـا
غـامرت بالـدم تبتغـى منـه دمـا شـأن المقـامر مربحـا أو مغبنـا
وعرفـت كيـف تمـد جسرا من عنـا لتطـل منـه عـلى مـروج مـن هنـا
وبصرت كيـف تغـل نقمـة أمـة مكبوتـة لتكـون فتحـا بينـا

حسدت طيف الحالمين وضغته ... من ذكريات الحالمين ملونا
وغدا الخيال بك الحقيقة نفسها ... تسعى ، وعاد المستحيل الممكنا
من بعد ما أرخى الجحود عنانة ... غيا ، وخامرت الشكوك المؤمنا
غمد الطغاة الغابرون فهدموا ... مجدا ، ترعرع فى دم فتمكنا
فجمعت من هنا وهنا لبنة ... فبنيته ، إن المكارم تبتنى
غضر الفتوة كالصبا خشن الشبا ... كشبا الحسام ، وكالموءة لينا
يا جامع الضدين ليلا وادعا ... مكرا ، وصبحا من جراح مثخنا
أطلعت فجرا بالرصانة مثقلا ... لولا نهاك لكان فجرا أرعنا
ليله زحفك والدجى يلج السما ... والنجم يمنعه العجاج عن السنا
والليل يخدع بالسكون منعما ... أشرا ، ويضمر غير ما قد أعلنا
ليل بذوب الخمر كان مغلفا ... وبحشرجات الموت كان مبطنا

شهد الظلامة والتذمر موهن ... منه ، ومزقت البشائر موهنا
يا ليلة «الإثنين» ما من ليلة ... جاءت بصبحك من فرادى أوثنى
حقرت من قمر السماء بحالك ... من بعده ، سأحب ليلا أدكنا
حتى إذا انفلق الصباح تفلقت ... هام تعاضل سمها فتعفنا
ومشى نطاسى يطبب أنفسا ... هوجا شكت وجع الغرور المزمنا
قلمت أظفار الدعى ورهطه ... متفائلا بمصيرهم متيمنا
وسددت مهربه فلم ير عندها ... خيرا من الموت المحتم مأمنا
ونفضتهم نفض اللديغ ثيابة ... وهززتهم هز الرياح الأغصنا
ودعكت جاءتهم وكانت صلفة ... كضميرهم وأخس منه وأخشنا

أقدمتهم سود الخطوب فكذبوا ... لولا مسامعهم تصيخ، الأعينا

وسحبتهم عبرا ووية عبرة ... زحفت لتنذر في غرور ممعنا
من كل معتصر دما ومسلط ... فوق الرقاب من المظالم محجنا
فاليوم يفحص كل وحش جلده ... خوفا، ليخفي نابه والبرثنا
قرنوا إلى عقبى يظل شنارها ... أبد الأبيد وساء ذلك مقرنا
وتبطن الديدان وغدا لم يبت ... إلا بناهد كاعب متبطنا
وأدلت من حكم حسبنا أنه ... سيظل يرهق وزره من بعدنا
عصرت به الروح الزكية فانضوت ... ونما به الزرع اللئيم فأبدنا
ومشى إلى الهرم النعيم فشبه ... والبؤس في عود الصبا فتغضنا
زحفت ملايين الجموع إليهم ... فتخيروا الأشر الأخس الأجبنا
وتنكروا للطيبين كأنهم ... دود القبور، يحب لحما منتنا
ثوب أبينا أن يرى تاريخنا ... متلوثا بوسيخه متدرنا
مدت إليه يد الشباب وجيشه ... فتعاورته من هناك ومن هنا

ومبايعين تحضنوا متصعلكا ... حتى إذا عقد اللواء تفرعنا
أبت الرعية أن تقلد أمرها ... متهتكا أو أحمقا أو مدمنا
أوراثة والسوط ينظم عقدها ... ليشد خيط العنكبوت وأوهنا
أم كل من نطقت بصلب خائر ... زحف البشير إلى الجموع فأذنا
حكم الشعوب فلم تفكر أمة ... هل تم رشد متوج؟ وبمن بنى
ومتى ختان دعى عهد غادر ... متخلع، ولمن أتى؟ وبمن زنى

ألقى على بغداد أوجع نظرة ... متشككا بمصيره متظننا

وأبت مطاوى فجرة أن تنطوى ... ومفاتن من لذة أن تفتنا

سيغيض من هذى القصور نعيمها ... ويموت رخو العيش من تلك البنى

ورغادة العهد الخليع ستنقضي ... أيامها النشوى ويدمغها الفنا

والموكب السامى سيعلن ربه ... من كان أمس إذا تبينه انحنى

وبدا له العرش الوثير مزخرفا ... بالداهنين وبالدعاة مزينا

حتى إذا قصف المدافع حوله ... دوى ، آدار برأسه وتيقنا

تبت يداك وأنت تملك أمة ... إذ كنت من فقع بقرقر أهونا

هلا خلعت على ضميرك رقة ... إذ كان جلدك من حرير ألينا

اليوم ينشر للحساب كتابكم ... فى موطن جمع الحساب فدونا

آواكم من بعد فرط مهانة ... وتعهد الغرثى العجاف فأسمنا

وحماكم لعقا كأضباب الفلا ... بل تحسدون الضب يألف مكمنا

لم يبق شيء لم نقلة تشكيا ... فيما مضى بالمصرحات وبالكنى

كنا نقول لهم حذار من لظى ... إما اعتلى ، ومن اللهيب إذا ادنى

ومن الصدور الحابسات زئيرها ... ومن النفوس الكاظمات تحينا

ومن السجون الداجيات فإنها ... كانت وما زالت لباغ مدفنا

ومن السياط فإن حر نشيدها ... بنهاية الجلاد كان ملحنا

ستحول سلسلة السجين وقيده ... من معدن بخس لأثمن معدنا

كنا نحذرهم ونضرب راعيا ... مثلا لهم ، وقطيعه مثلا لنا

ما أقبح الدنيا إذا ضل الصوى ... راع بثلته وما أدنى الدنا

ستحاسبون فإن عرتكم نكسة	فسينطق الرقم الخبيث بما جنى
وستسألون عن الجموع تسخرت	عن فحش فقرهم وعن فحش الغنى
كنا نشبههم وباء جارفا	في الفسق لم يترك عفيفا محصنا
وعصابة للرجس تنسف ما دحا	سلف الجدود من المفاخر وابتنى
كنا نبصرهم عواقب بغيهم	مما تأصل جذره فتمكنا
من جمرة المتظلمين وإن خبت	ومن السواد المستكين وإن ونى
كنا نقول لهم :أولاء نعالهم	من خدكم أعلى وأشرف موطنا
قلنا لهم خير الثنا وأمره	فتخادعوا عنه بمعسول الثنا
كنا نحذرهم فيزحف سادر	ليصب دستور العذاب مقننا
ليشرع البلوى كما شاء الهوى	ويصوغ ملحمه الشقاء تفننا
ليقر – إذ أخذ الضنين بتهمة –	أخذ البريء تخرصا وتكهنا
فاليوم يدمى بالعضاض بنانة	جبس ويلعق ، صاغرا مر الجنى
واليوم يكتالون ما كالوا لنا	عدلا ، ونسخر مثلما سخروا بنا
واليوم تثقل فوقهم أشلاؤهم	كالنخلة الجرداء يثقلها القنى
وأولاء هم صرعى ، تجرر أمة	أسلابهم جر الخيول الأرسنا
وأولاء هم لا الجاه يدفع عنهم	ضرا ، ولا الذهب السبيك المقتنى
وأولاء هم ولقد تحنط شيخهم	بالآسنات وبالخفاف تكفنا
سجدوا إلى الدرك الحضيض تدنيا	ولقد يعافون السجود تدينا
بالشاطئين مطوفون فأيسر	بالحصة الأوفى يباهى الأيمنا
متذبذين على العراء كعقرب الـ	ـساعات بالأجل المحتم مؤذنا
وهوا الخصى للأجنبي يشدها	واليوم تعصرها الجموع لتمرنا

هــذا العــراق وهــذه ضرباتــه ... كانـت لـه مـن قبـل ألـف ديـدنا
سـاء العروبـة والعـراق صـميمها ... أن يشتكي، وقد استبيح، من الضنى
جسـد تضعضـع ركنـة فمشـى دم ... حلــو إلى شريانــه فتحصــنا
كانــت كمــؤتمن يتــيم قــلادة ... مــذخورة ، فأضــاع عقــدا مثمنـا
وطــن تطهــر ، إذ تطهــر قلبــه ... وطــن ، وقــد عــادا معـا فتوطنـا
اليــوم عــاد القــاهرى لأهلــه ... وابــن الشــام لبيتــه فتبغــدنا
واليــوم يقســم لــن يـذوق غـرارة ... حتـى يطهـر مـن «حسـين» أردنـا
ذئـب مـن الأفعـى تململ فـالتقى ... والأجنبــى بموعــد فتحصــنا
وغــدا لنــا معــه بفجــر موعــد ... ينجــاب عــن صــبح أرن أرونــا
أولاء أهلــك فلتغــذ زيــارة ... لهــم ، فقــد شــد الركــاب لتظعنـا
زرهــم فــإن قبــورهم مفتوحــة ... ليــزاد جمــع الأدونــين بأدونــا

عبـد الكـريم ولـن تهـيمن قـوة ... الحـق كـان ومـا يـزال مهيمنـا
فــإذا همــا اجتمعنـا فأيـة غرسـة ... بالعــدل تســقى والمــروءة تجتنــى
مـا جئـت مـن حسـن فخل سبيله ... لنــاس ، واكتمــل الأتــم الأحسـنا
وإليــك يــا جــيش العــراق تحيـة ... مــن دمعــة الشــاكى أرق وأثمنـا
أنــا ذاك الفــرد المخلــد أمــة ... فيما اصطلى، وبها ارتعى ، وبها جنى
خــير الشــفاعة لى بــأنى كاشــف ... حــر الضــمير وقائــل : هــذا أنــا
ســتون عامــا لم أحــاول ســاعة ... أن أختفــى عمــن هنالــك أوهنـا
والعفــة الكــبرى بحــوزة ماجـد ... غمــروة بــالحور الحســان فأحصـنا

جيش العراق ولم أزل بك مؤمنا
وبأنك الأمل المرجى والمنى

***

باسم الشعب .

عصفت بأنفاس الطغاة رياح ... وتنفست بالفرحة الأرواح
واليوم تشرقت فى النفوس وضاحة ... ويشع فى حلكاتها مصباح
جدعت عرانينا غلاظا فتية ... من يعرب غر الجباه صباح
ومشت عليهام العبيد جحاجح ... شم الأنوف يقودها جحجاح
صلت الجبين كأن روعة نفسه ... عكست عليه ، محجل وضاح
يجتاح باسم الشعب وغدا باسمه ... راحت كرامة أمة تجتاح
الناعمون المترفون آجالهم ... وسط الحديد كما تجال قداح
والسادة الوقحون هذب طبعهم ... زرد يعض على اليدين وقاح
والشائحون عن الجموع تصعرا ... خرفون يلوى عنهم ويشاح
والأذوءب الاقحاح فى جبروتهم ... وسط السجون أرانب أقحاح
كانت قباحا فى الرؤوس وجوههم ... واليوم وهى على الصدور ملاح
زادت ملامحهم غباء ، وانجلى ... زيف الغموض بها فهن فصاح
هان الكريم عليهم فأريتهم ... كيف الكرامة تستبى وتباح
«بغداد» يا درب الغزاة ولحدهم ... ما إن لهم بعد الغدو رواح
يا رقية الحاوى ينيم بسحره ... أفعى تسبل نيوبها وتزاح
لا الموثق المسحور يلقى عنده ... روحا ولا هو ساحرا يرتاح

بغـداد يـا قلـب العـراق ووعيـة ... وضـميره لا زعزعتـك ريـاح
لا نـال دجلتـك الرخيـة عاصـف ... والجـرف سـمحا لا عـراه جمـاح
ورؤى لياليـك الحـوالم لا مشـى ... فيهـا بفجـر مـوحش إصـباح
بغـداد جمـرك فى الكفـاح وفى الهـوى ... وعـلى الشـفاه ظوامئـا لفـاح
والفتنـة الكـبرى يلفـك سـحرها ... سر عـلى وطـف الجفـون يبـاح
وجمالك الغـاوى يصيح عـلى المدى ... ولـه يصـاخ ، ومـن شـباه يصـاح
فإذا الندى طل الغصون فلا اشتكى ... ألم الفـراق البلبـل الصـداح
وإذا الصبا مـرت الجفـون فـلا رمـت ... حلـم العـذارى حرقـة ولـواح
وإذا الاصيل كسا ربـاك فـلا انطـوى ... ذاك البسـاط المتـع الفيـاح

بغـداد والرؤيـا تنقـل والهـوى ... يضـوى ويسـمن والمنـى تنـداح
والـنفس تعكـس مـا تحـس فترتمـى ... للعـين مـن خلجاتهـا أشـباح
ولقـد يريبـك الشيء شـيئا ضـده ... مـا تخلـع الافـراح والأتـراح
رانـت عـلى غشـاوة لفـت بهـا ... فى الرافـدين متـالع وبطـاح
ورمـت عـلى الصـور الحسـان مـلاءة ... سـوداء موحشـة فهـن قبـاح
حتـى كـأن النخـل غـول والربـى ... مـوتى وأعـراف النخيـل رمـاح
وكـأن دجلـة لا يهـز ضـفافها ... آذيهـا وضـجيجة الملحـاح
وتبلـد الحـس الرهيـف فلـم ينـر ... صـور الجـمال وميضـه اللـماح
من نبع فيضـك كنـت أصـفو إن صـفا ... وأمـج حـين يشـاب منـه قـراح
كنـت الأمـين عليهـواك يسـؤونى ... خرسـى غـداة يسهـؤوك الإفصـاح
قـد كنـت يـا «بغـداد» أصـحر لـلأذى ... عريـان أسـقى صـويه وأراح

قــد كــان عنــدي إذ يسر معــاشر ... بــوح ، وحــين يروبــون صراح
كنـت السـبوق إلى رضـاك مكاشـفا ... أيــام يعــوز غــيرى الألمــاح
غــامرت أمـتحن الـبلاء ، أخوضـه ... إذ يغــتلى وأشــد إذ ينــداح

حتـى إذا رمـت النفـوس غثاءهـا ... ومـثلن مـن دنـف فهـن صـحاح
ورمـى اللثـام الفجـر عـن قسماته ... وبـدت نواجـذه ، ورف صـباح
بـاكرت سـاعات السرور أقيتهـا ... ملحـى ، وأعلـم أنهـن شـحاح
كنت الهتوف بـك الصدوح مناغيا ... إذ أعـوز الجمـع المصـيخ صـداح
كنـت الكفـور بسـفر مجـد كـاذب ... إذ دفتـاه تجـارة وربـاح
ولقـد دعـانى أن أقـر بمـربضى ... أن الأجـم مصـاول نطـاح

يـا فتيـة العهـد الجديـد يضـمهم ... فى حومـة الجديـد كفـاح
يـا أيهـا الجنـد المجنـد عنـده ... بـالرأى ، وليـد ، واللسـان سـلاح
ناشـدتكم جثـث الضـحايا لم يـزل ... منهـا يـرف عـلى الـبلاد جنـاح
وبـتلكم الغـرر الصـوادع للـدجى ... فى الـترب يخنـق نورهـا الصـفاح
بالشـامخين الفـارعين تقصـفوا ... حينـا كـما تتقصـف الأدواح
بمعبـدين الـدرب ألقـوا فوقـه ... وهجـا يضيء مـن الـدماء وراحـوا
ناشـدتكم بـالواهبين نفوسـهم، ... نكـران ذات مـنهم وسـماح
لا تتركـوا الـوطن الحبيـب لفرقـة ... نهبـا يجـاء بسرحـه ويـراح
وتحضـنوه وإن تفـرى دونـه ... حضـن ، وإن يبسـت عليـه الـراح
لموا الصـفوف عليـه يتسـع المـدى ... بكـم ، وترحـب بالصـفوف السـاح

وتعــاطفوا ، إن الحيــاة وشــائج ... ومـن القلـوب إلى القلـوب لقـاح
مــا مثلــه وطــن تلــون أرضــه ... حســنا كــما تتلــون الأقــزاح
فيــه الجنــوب أبــاطح ودماثــة ... وبــه الشــمال أهاضــب وطــماح
ومغــارس الزيتــون بردهــا النــدى ... والنخـــل في ســـعفاته ممــراح
والرافـــدان يلاعبـــان ســـهوبه ... والزيـــت غـــداء بهـــا رواح
وعـلى الفـرات ودجلـة نبـع الهـوى ... ثــر ، ونبــع ســواهما ضحضــاح
والأغنيــات بهــا تــرقص خــدرها ... رود ، ويـــنعش حقلـــه فـــلاح
عبـد الكـريم ورب فـرد باســمه ... عــن كنــه نهضــة أمــة إيضــاح

يــا باعــث اليــوم الأغــر كأنــه ... بــين النظائرحليـــة ووشـــاح
يــا رب تمــوز وجاعــل جمــره ... بــردا ، بـــه يتـــبرد الملتـــاح
يــا لاويــا بالسـيف غلـف أخـادع ... لم يلوهـــا الوعـــاظ والنصـــاح
يــا ماســخا حلـم الفـراعن بكـرة ... شـمطاء ، وهـى لـدى العشـى رداح
الســامرى بــك اســتذل وعجلــه ... و- الأجنبــى- وكبشـــه النطـــاح
يــا مهــدى الشـعب المـبرح نعمـة ... نعـــم الحيـــاة بـــدونها أتـــراح
عهــدا كــما نتجــت حصــان حــرة ... ونتـــاج هاتيـــك العهـــود ســـفاح
والعــزة القعســاء عــذب نميرهــا ... بشـــبا الأســـنة مـــرة تمتـــاح
جنبتــه درن الشــكاة وقــد مشـى ... فيـــه مـــن الألم الـــذبيح كســـاح
وكفيتــه رنــق المذلـــة خصـــبها ... جـدب وفـيض سرابهـا ضحضـاح
وفككتـــه مـــن ربقـــة لم يرضـــها ... في جـــوره «الحجـــاج» و«الســـفاح»
عــاني بهــا الأســيان والآســى معــا ... وتملمــــل المجــــروح والجــــراح

أرأيـت كيـف الحـاكمون بـأمرهم ذابـوا وقـد وعـت الجمـوع وسـاحوا
إن أفسـحوا أجـلا فـإن وراءهـم شـعبا ، وأحـلام الشـعوب فسـاح

لله صـنعك إذ بكـل ثنيـة تئـد الصـلاح معـرة وطـلاح
وإذ النفـوس تطـيح مـن عليائهـا لتـذوب فى أطماعهـا الأطـماح
وإذ العـراق مصـفد ، وإذ الحمـى نهـب ، وإذ هـدر الحقـوق مبـاح
حتى جـلا صـدأ الضـمائر فانجلت للمشرقـين ضـميرك النضـاح
كنـت الأريـب العبقـرى ، سلاحه فى الخطـة الأحكـام والإنجـاح
ضـيقت حوزتهـا فصـدت طريـدها ولقـد يشـل القـانص الإفسـاح
لم ترتعـد فرقـا ، ولم تضـعف يـدا عـما يعـن وراءهـا ويتـاح
وانصـاع يزخـر بالفخـار وبـالنهى والمكرمـات جبينـك الوضـاح
ولقـد يـماز لـدى العجاجـة فـارس ويبـين عنـد اللجـة المـلاح
فـالآن إذ سـطع العـراق وإذ نفـى ليـل الشـكوك البـارق اللـماح
أتـم رسـالتك الكريمـة تكتمـل غـرر لهـا وتمـدها أوضـاح
قل وامش، لا يشغلك كيف تؤولت آى وكيـف تخـالف الشراح

عبـد الكـريم وفى المـراء جبانـة تـزرى وصـنو شـجاعة أصراح
كنـت العطـوف بـه يـراض جمـاح فكـن العنـوف بـه يهـاض جنـاح
لا تأخـذنك رحمـة فى موقـف جـد ، فجـد الـراحمين مـزاح
ولقـد تكـون مـن القسـاوة رحمـة ومـن النكـال مـبرة وصـلاح
ولطالمـا حصـد الندامـة مسـمح وأتـى بشر ثـماره الإسـماح

تخشى بغضبتها البحار وترتجى ... وتهاب بالصر العصوف رياح
وتوعد الرسل الهداة حماهم ... لا الآى منزلة ولا الألواح
أقدام : فإن على الجناة جناحها ... فيما جنوه وما عليك جناح
هل كان وزرك أنْ تطوح سكرة ... بالشاربين ، وتغدر الأقداح
أو أن يسقوا فضل ما سقوا به ... ودم الجموع مزاجهم والراح
هل غير أن الطائحين بأمة ... مغلوبة ، يهوى بهم ويطاح
عبد الكريم وللجموع شريعة ... الفرد يرخص عندها ويباح
وسلامة الأوطان علق مضنة ... لا بد تزهق دونه أرواح
ولرب جرم بالسماحة ينمحى ... ولرب جرم بالدماء يزاح
لا تسجحن حيث النكال ضرورة ... ولقد يكون نكاية إسجاح
وتذكرن ما أسلفوا ، وتجرموا ... فى الرافدين وأهرقوا ، وأباحوا
فى الجسر من عبق الدماء زكية ... رصد لجرم مبيحها فضاح
وبجانبى بغداد فى رأد الضحى ... عود المشانق أخضر فواح
من فوقها الصيد الأباة تركزت ... شوسا ، كما تتركز الأرماح
ناحت بيوت المستباح ذمارهم ... فليعل فى بيت المبيح نواح
ولتزك بالدم مجديات ضمائر ... موتى ويعشت أجرد صحصاح
حوشيت أن تلغى لديك جناية ... صفحا ويعفى للجناة سراح
أو أن يعود لمجهزين على الحمى ... مغدى بمدرجة الحمى ومراح
أو أن يخيب ، وفى يديك رؤوسهم ... شعب لخطف رؤوسهم طماح
أجهز على الإفساد تنجز عبرة ... للمفسدين ، ويكمل الإصلاح

وهب الجموع رؤوسهم تنفحهم ... ولأنت مناح الجدا نفاح
واقطف زروع الشر فى ريعانها ... فهم أتاحوا قطفها وألاحوا

***

تحية إلى رونترى

يا رسول الشر والدنس ... وغراب البين فى الغلس
يا نذير الشؤم يحمله ... بين جنبيه مع النفس
يا ابن قوم شيخهم «دلس» ... وهو مشتق من الدلس
كل يوم تحت ماضغه ... يتلوى لحم مفترس
يا ابن أحلاف قد ارتكست ... فى الدنايا شر مرتكس
يا ابن بنت اللؤم قد سرقت ... فى الليالى حيلة القبس
يا كذوبا لابسا أبدا ... وهو لص بدلة الحرس
يا ولوغا فى دم لزج ... يتحرى عن دم يبس
يا ضحوكا عن فم بشع ... ضم ناب الفاتك الشرس
يا لسانا كله ملق ... عشت طول الدهر فى خرس
يا حصانا خاسرا صفعت ... أخدعيه رفسه الفرس
كسحت رجلاك من أشر ... راكض فى الغى، منغمس
وعت الدنيا فمت كمدا ... واكتئب ما شئت وابتئس
وعلت راياتها شرفا ... يا لواء البغى، فانتكس
وطنى فى طهره عبق ... لا ندنسه ولا تدس
فإذا غامرت فاحتبس ... وإذا كابرت فاحترس

فقشـــور البـــيض جـــاهزة　　علهـــا تشـــفى مـــن الهـــوس
لا تلـــح فى جونـــا أبـــدا　　يـــا غـــراب البـــين فى الغلـــس

***

أزف الموعد

أزف لموعـــد والوعـــد يعـــن　　والغـــد الحلـــو لأهليـــه يحـــن
والغـــد الحلـــو بكـــم يشرق وجهه　　مـــن لدنـــه ، وبكـــم تضـحك سـن
والغـــد الحلـــو بنـــوه أنـــتم　　فـــإذا كـــان لكـــم صـــلب فـــنحن
فخرنـــا أنـــا كشـــفناه لكـــم　　واكتشـــاف الغـــد للأجيـــال فـــن
يـــا شـــباب الغـــد إنـــا فتيـــة　　مـــثلكم فرقنـــا فى العمـــر ســـن
لم يـــزل فى جانحينـــا خـــافق　　لصروف الـــدهر ثبـــت مطمـــئن
لا تلومونـــا لأنـــا لم نكـــن　　مـــثلكم فـــيها تجنـــون نجـــن
ولأنـــا حـــين يصـــفو محضـــكم　　محضـــنا يمـــزج حينـــا ويشـــن
ولأنـــــا إذ تـــــردون الأذى　　بـــالأذى نجـــزع منـــه ونـــئن
عبقـــر واد نزلنـــا سرحـــه　　شـــتوة فهـــم أصـــم لا يـــرن
ونـــزلتم فتلقـــاكم بـــه　　الربيـــع الغـــض والـــروض الأغـــن
لـــيس بـــدعا أن تجولـــوا مـــثلما　　جـــال فى مضـــماره مهـــر أرن
البـــديع البـــدع أن يلحقكـــم　　فى مضـــامير الصـــبا عـــود مسـن
يـــا شـــجيرات كـــونى لـــه　　إذ يجـــر الخطـــب وكنـــا يســـتكن
وإذا ريشـــت ســـهاما ثلـــة　　مـــن بنيـــه فلـــيكن مـــنكم مجـــن
يـــا شـــباب الغـــد : هـــذا وطـــن　　كلـــه فضـــل وألطـــاف ومـــن

ليس ندري من خفايا سحره ... غير أطياف وأحلام تظن
عجب هذا الثرى تألفه ... وإلى أتفه ما فيه تحن
كل ما عندك منه أنه ... كوكب يبزغ أو ليل يجن
مدرج في الحل تستذري به ... وضريح عندما ترحل عفن
تصطلي العمر جحيما عنده ... وهو فيها تعد الجنة عدن
وهو إذ تستوبئ الأرض شذا ... وهو إذ يقبح كل الكون حسن
وهو حتى إن تجافى عنك خدن ... وهو حتى إن تخلى عنك حصن
يفتدى إذ يرخص الفادي به ... وبه إذ توهب النفس يضن
فاستمنوه بما تعطونه ... من دم إن الحمى لا يستمن

يا شباب الغد أنتم فكرة ... يعذب اللفظ بها إما تعن
تشحذ الروح على مرآتها ... مثلما يشحذ مبراة مسن
كلكم يا فتية الحي يد ... واليد اليسرى إلى اليمنى تحن
كنياط القلب أنتم بعضها ... إذ يئن البعض يشكو ويئن
لا يفرقكم أكول لحمه ... شرها ما دام في الشحمة سمن
ومطايا أجنبي رزح ... مسها مما تسام الذل وهن
ودعاوات بلا طائلة ... كحروب عبر شطرنج تشن

كنتم الجذوة والجو دجي ... والسنا الوضاح والآفاق دجن
والضمير الحي في معترك ... كل حي بضمير منه رهن
شبعت منكم سياط ودم ... قبور وطوامير وسجن

وحملـــتم ثقلهـــا إذ غـــيركم — كـــل منـــه كاهـــل أو زل مـــتن
وصـــبرتم وصـــبرنا واغـــتلى — بـــدم قلـــب وبالدمعـــة جفـــن
أفـــألآن إذ انـــدك الخنـــا — وهـــوى ركـــن مـــن البغـــى وركـــن
وأقـــام الشـــعب جمهوريـــة — كسنا الشـمس متـى مـا تعـل تـدن
وزعـــيما يشـــمخ الجيـــل بـــه — وإليـــه فى الرزايـــا يطمـــأن
يصـفع الطـاغوت جبـارا فيهفـو — ويـدك الوغـد سـفاحا فيعنـو
ينعـق الشـاكون أن يخضر حقـل — بالشـباب الغـض أو يـورق غصـن
أفـلا كـان لهـم فى أمـس عـود — فى التوابيـت وفى الأكفـان ردن

يـا شـباب الغـد كونـوا شرعـة — للعـلا والبـأس واللطـف تسـن
سـالموا مـا اسـطعتم حتـى إذا — شـنها حربـا أخـو بغـى فشـنوا
وابـدأوا الخـير سـباقا بيـنكم — فـإذا بـودئتم الشر فثنـوا
وإذا مـد إلـيكم سـاعد — بـالأذى فاقتسـموا زنـد يطـن
تطلـب الرحمـة إذ يشـجب غـبن — ويحـب السـلم إذ يـبغض جـبن
ويعـاب الضـغن إلا ثـورة — هـى حقـد يحـرس الحـق وضـعن
زحـف النـور فـما يلحـق ظـن — بحفافيـه ولا يعلـق ذهـن
وكـأن الأرض شـقت وارتمـى — صـاعدا منهـا إلى الأفـلاك جـن
غـزت الشـمس شـميس مثلهـا — وانـبرى للقمـر الوضـاح خـدن
وإلى الآن وأوهـام تعـن — وخرافـات عـلى العلـم تمـن
ومعيبـون عـلى الشـمس سـنا — كـذباب الصـيف فى روض يطـن
تـدرك المنفـوخ كـبرا هبـة — فيـذرى فـإذا المنفـوش عهـن

اجمعــوا أمــركم فالــدهر جمــر ... ودم لا خمـــــرة تجـــــى ودن
يعمـــل الجيـــل لجيـــل بعـــده ... ولقـــرن بعـــده يتعـــب قـــرن
يبســـط العـــار إلى العـــانى يـــدا ... ويفـــك القـــن إذ يعتـــق قـــن
ويظـــل الليـــل يطّـــوى سره ... ريـــثما يعلـــن صـــبح مـــا يكـــن
ريبـــثما ينـــتظم الكـــون غـــد ... يطـــرد الفجـــر بـــه لـــيلا يعـــن
يطـــرد البـــؤس بـــه رفـــق وعـــدل ... والحـــزازات مصـــافاة وأمـــن

أزف الموعـــــد .. والوعـــــد يعـــــن
والغـــــد الحلـــــو لأهليـــــه يحـــــن

***

أنشودة السلام

جيش مـن السـلم معقـود بـه الظفـر ... وموكـــب كشـــعاع الفجـــر ينـــتشر
ونفحـة مـن سـماء الحـق ترسـلها ... غـــر الملائـــك يســـتهدى بهـــا البـــشر
مـن مبلـغ الشر أن الخـير يصرعـه ... والبغـــى أن قـــوى الأحـــرار تنـــتصر
وأن فـــيض الـــدم المهـــراق يلعقـــه ... لعـــق الكـــواسر أفـــاق ومحتكـــر
أضحى يمـد الثرى كـى يستظل بـه ... للسـلم غصـن مـن الزيتـون يزدهـر
وأن أطيـــــاف أرواح مرفرفــــــة ... أطارهـــا عـــن ذراهـــا أجـــدل أشر
عـادت حمامـات سـلم ترتمـى فرقـا ... منهـــا إذا لاحـــت العبقـــان والـــنسر

مـــن آدم ورؤى هابيـــل ترعبـــه ... تنزلـــت بالســـلام الآى والســـور

تبارك السلم شهما كله أنف — من عزة وحييا كله خفر
وبئست الحرب قزما عنده صلف — من التعالى ، وفى سيقانه قصر
عجبت للحرب بلهاء ، ومنطقها — إن أغمضت أو أبانت – منطق هذر
ترجو على نفسها البقيا ويفرحها — من لا يبقى على شيء ولا يذر
وما يزال لها ، شمطاء فاركة — خليل سوء إلى مهواة تنحدر
الشاربون دماء الناس ما بذلوا منها — على الشهوة الدنيا ، وما ادخروا
والنائمون على أنات ثاكلة — والهانئون إذا ما استحصد البشر

ناب من الوحش مسعورا أطيح به — وفى البراثن منه لم يزل ظفر
مقلم فى غد خزيان منفتح — مما تقيح من خبث به الوضر
وحش ينز سعارا وهو يحتضر — كالصل ينفث سما وهو يعتصر
آمنت بالسلم لا دين لمن كفروا — به ، ودين لأهليه وإن كفروا
فى المكتين ومثوى أحمد خجل — أسيان يتلو صلاة الحرب معتمر
وينعق «البوم» فى «روما» على يده — دم «المسيح» على الزيتون ينعصر
تأبى الحضارة أن يجتاحها أشر — وأن يذبح من أبنائها بطر
وأن تموت لتبقى طغمة ، زمر — وأن تباد ، ليهنا غاصب ، أسر
وأن تبضع فى أحبابها مهج — وأن يقطع من أنياطها وتر
أتخنق الضحكة النشوى لأن يدا — من الغراب على العصفور تأتمر
أم يهدم العش تلتم الفراخ به — لأن أفعى لها فى هدمه وطر
أم تنطوى نعم الدنيا بطائشة — من ذرة ،والسنا ، والنهر ، والزهر
تهوى الحياة ويخشى ما يكدرها — جبلة ، ويهاز النفع والضرر

في الكوخ طفل غرير حوله بقر ... وفي المقاصير طفل حوله سرر
وتزدهي في كلا الوكنين شامخة ... روح المفاداة إذ يستحكم الخطر

آمنت بالسلم إن الحرب قد نزفت ... دما ، وأوغل في أوصالها الخدر
أذلها الترف الغاوي ، وأفسدها ... لين الفراش ، وأفشى سرها البطر
السلم يبرأ من مستكلب حرد ... «عبد الحديد» لما يأتيه يأتمر
«عبد الزناد» إذا وافى فمنتصر ... وإن تجافى فمهزوم ومندحر
ويا وفود الدنى من كل مزدرع ... بالحب ، والخير ، والإيمان يزدهر
لنا لقاء بغيب منجز معكم ... وموعد في كتاب خطة القدر
يا من غذوتم جحيم الحرب جائعة ... شرهاء تأكل ما تعطى وتستعر
أعز ما عندكم إذ كم إذ كان عندكم ... أعز منه تراب من دم عطر
لم تطلبوا بمرير الموت معذرة ... إن اللئيم بطعم الموت يعتذر
قصوا علي نا فإنا معشر أذن ... وآلمونا فإنا معشر صبر
عن الحروب وما ألقت بساحكم ... من الرزايا ، وماذا كانت العبر

عندي ولم أخبر الدنيا ومحنتها ... نموذج عندكم أضعافه صور
مما تثير الفؤاد الحر خطرته ... في المشرقين ، وما يشقى به البصر
مررت أمس بـ«فرصوفي» وعندكم ... عن زهوها وحضارات بها خبر
عن المواهب ما أرست بها وبنت ... وعن بنيها ، وما جدوا ، وما عمروا
وعن ثمار ثقافات بها نضجت ... إذا الثقافة لم ينضج لها ثمر
فما عسى أن رأت عيني ، وإن قذى ... للآن فيها على الموقين ينحسر

رأيت قفرا يبابا لا أنيس به ... ولا حياة ،ولا ماء ، ولا شجر
ولا قبور ، ولا هام ، ولا جثث ... لكن يقال مجازا ههنا قبروا
وقيل لى ههنا أمس انطوت ، خبرا ... شم المعاهد لا يبدو لها أثر
وههنا ملعب كانت تنوره ... من الشباب به الأوضاح والغرر
من تحت كل جديل مرسل حجر ... وفوق كل جبين مصلت حجر
وجرمهم أنهم ذابوا وشعبهم ... وأنهم وتراثا عندهم صهروا
وأنهم أقسموا أن يدفعوا ضررا ... عن كل شبر لهم حتى وإن نحروا
وأن ذاك وهذا من مآثرهم ... ما كان يصفح عنه فاتح قذر

يا شارب الدم ليس السلم مضعفة ... ولا شكاة بها يلهى ويفتخر
وإنما هو إيمان ، ومقدرة ... وعزة ، وتجاريب، ومعتبر
يا شارب الدم مرت ليلة طرفا ... ولن تمر ليال بعدها أخر
لتسقين بتلك الكأس مترعة ... سما ، وتكرع ما فيها وتنفطر
لنأخذنك أخذ الليث حصته ... ونسحقنك إن الثأر ينتظر
لنلقين رؤوس الشر فارغة ... كما تدحرج عند الملعب الأكر

جيش من السلم يصطك العراق به ... ويستدير عليه البدو والحضر
يلفهم حوله ما أسلفت عبر ... من الحروب ، وما وافت به نذر
وتستجيب له الدنيا لأن لها ... فى الرافدين تراثا بيننا كسر
جيش من السلم مد الجانحين له ... صقر العراق الشجاع الواثق الحذر
الألمعى ، فسوح الفكر زاهية ... والعبقرى ، فوادى عبقر نضر

والحاشد الذهن لا تلهيه خاطرة عن غيرها ما به عي ولا ضجر

موزع النفس بين الأمر يعقده والأمر يحسمه كل له قدر

لا يزدهي أن هذا الكون يعرفه كما تعرف فيه الشمس والقمر

ولا يدل بما أسدى لأمته من الجميل ولا يختازه البطر

كأنما كان يعنيه «ابن باهله» ويصطفيه وإن طالت به العصر

«طاوى المصير على المعزاء، منجرد بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر»

«تكفيه حلزة فلذان ألم بها من الشواء، ويروى شربه الغمر»

***

الرصافى

لغز الحياة وحيرة الألباب أن يستحيل الفكر محض تراب

أن يصبح القلب الذكى مفازة جرداء حتى من خفوق سراب

فيم التحايل بالخلود، وملهم لحفيرة، ومفكر لتباب

حسبى بليت تعلة إذ ميتة حتم، إذ آجالنا بنصاب

ليت السماء الأرض، ليت مدارها للعبقرى به مكان شهاب

يوما له ويقال: ذاك شعاعه لا محض أخبار ومحض كتاب

يا معشر الأدباء، غر جهودكم فى المكرمات عريقة الأنساب

من كل محروم الثواب، معاقب فى هذه أو تلك شر عقاب

يا زمرة الشعراء شق نفوسهم فرطان: فرط جوى وفرط عذاب

ذابوا ليسقوا الناس من مهجاتهم خير الشراب مشعشع الأكواب

وتحرقت منهم لتعلى شعلة لبلادهم كتل من الأعصاب

ناشـدتكم بوشـائج مـن فكـرة ... وعقيـدة ورسـالة ومصـاب
مـن منكم رغـم الحيـاة وعبثها ... لم يحتسـب للمـوت ألـف حسـاب
أنـا أبغـض المـوت اللئيم وطيفـة ... بـغضي طيـوف مخاتـل نصـاب
يهـب الـردى شـيخوختى ويقيتهـا ... بكهـولتى ، ويقيتهـا بشـبابى
ذئـب ترصـدنى وفـوق نيوبـه ... دم إخـوتى وأقـاربى وصـحابى

***

عيد أول أيار

حييـت «أيـارا» بعطـر شـذاتى ... وخصصـته بـالحض مـن نفحـاتى
وسـقيته نبـع القصـيد مضرجـا ... كـدماء أحـرار بـه عطـرات
وشـددت أوتـارى وقلـت أظنهـا ... ستشـد أيـارا عـلى نغماتـى
حييـت شـهرا فكـره مـن فكرتـى ... فـيما يخـط ، وذاتـه مـن ذاتـى
حييتـه وكـأنى بهباتـه ... أزجـى التحايـا الغـر لا بهبـاتى
مـن ليـل «أيـار» نسـيم عـواطفى ... ومـن النهـار وقدحـه جمراتـى
وبـوحى كـدح الكـادحين رسـالتى ... وعـلى يديـه تنزلـت آيـاتى
مارسـت حلـو الحادثـات ومرهـا ... ونعمـت بـالآلام واللـذات
ودرجـت فى درب الحيـاة تجرنـى ... أنـى تشـاء ، طليقـة ، خطـواتى
فوحـق «أيـار» وعـمال بـه ... رايـاتهم فى عيـدهم رايـاتى
لوجـدت ذروة تلكـم اللـذات ... دفـع الجمـوع لأنبـل الغايـات
لوجدت طعم الخير خير مطاعمى ... لوجـدت كـره الشر خـير لـداتى
لوجـدتى والبائسـين كـما التقـت ... جنبـا إلى جنـب جـذور نبـات

لوجـــدتني إذ لا يـــدق بنبضـــهم ... قلبـــي أنـــوء بأفـــدح السـبات

يـا أيهـا العـمال سـمر زنـودهم ... صـفحات تـاريخ ، وسـفر حيـاة
يـا أيهـا الواعـون أرهـف حسـهم ... صـخب الحديـد ، وضـجة الآلات
نـوم غـرار مثـل تهـويم القطـا ... وتحفـز حـذر كصـل فـلاة
أنـتم رؤى الماضي : وأنـتم حاضر ... يجـلى ، وأنـتم رمـز جيـل آتـي
في كفكـم حـل الأمـور وعقـدها ... وبكـم تقـص أظـافر الأزمـات
وعـلى كـواهلكم مصـاير أمـة ... تغنـى بكـم عـن نـاهبين غـزاة
مـن جاعلين الشعب سعر بضاعة ... ومقايضـين السـوق بالحرمـات

يـا أيهـا العـمال بـث مزامـل- ... لكـم يكـافح دهـره بأنـاة
منكم .. رفـاقي في الكفـاح رفـاقكم ... وعـداتكم ، وسـط الكفـاح ، عـداتي
أنـا عامـل بـالفكر أعمـل معـولي ... في صـخرة فأحيلهـا لفتـات
في الكـف مطرقتـي أفـل بحـدها ... أصـلاب أوغـاد ، وهـام طغـاة
ستون عاما خضتها كمخاضكم ... لجـج الحيـاة عنيفـة الغمـرات
أجتـاز منهـا لجـة وتلفنـي ... أخـرى ، وتفسـد لفهـا عزمـاتي
بيدي أشد ، فإن هوت ، فبساعدي ... فـإذ التـوى ، فبماضـغي ولهـاتي

يـا أيهـا العـمال والـدنيا لهـا ... صـور شـبيه تلـون المـرآة
تلقـي الحيـاة عـلى النفـوس ظلالهـا ... في بكـرة ، وتـديلها بغـداة
كونـوا وإياهـا كلقطـة لاقـط ... لشخوصـها عريانـة القسـمات
ردوا لخـير شرهـا إن الفتـى ... بالسـيئات يـرد للحسـنات

وتعلمــوا درس الحيـــاة فإنـــه ... قـــاس قســـاوة عـــبرة وعظـــات
وتغنمـــوا منـــه وأجـــدى مغـــنما ... مـــن طهـــر أمـــلاك ذنـــوب خطـــاة
وأجـــل مـــن متنـــاهض وحديثـــه ... كـــاب يحـــدثكم عـــن العثـــرات
أنـــا ذاك بعـــض دروســـها ألقـــاكم ... منهـــا بوجـــه مشرق القســـمات

يـــا أيهـــا العـــمال بـــورك عيـــدكم ... ورفيـــف أرواح لـــه خضـــلات
وتبـــارك الزهـــر المضيء دروبكـــم ... مـــن يابســـات منـــه ، أو نضرات
خمســـون عامـــا حـــزتم عقباتهـــا ... وعـــلى عظـــام ذويكـــم النخـــرات
قامـــت عـــلى جسر مـــن الحسرات ... يرســـى عـــلى مـــوج مـــن العـــبرات
«تـــوريز» حـــدثنى بخـــير روايـــة ... عـــن خـــير بنـــاء الخـــير بنـــاة
عـــن شـــجو معتصرين كـــالحشرات ... وأنـــين منتحـــرين بالســـكرات
ولهـــات مصـــدورين ســـل رئـــاتهم ... ببخـــاره ذوب الرصـــاص العـــاتى
عـــن سبع مليـــون ســـقوا بـــدمائهم ... شـــجر الخـــلاص اليـــانع الثمـــرات
صرعـــى منـــاجم «ميركـــور» كـــأنهم ... ورق الخريـــف يطـــيح فى الحفـــرات
«تـــوريز» حـــدثنى فجئـــت مغاضـــبا ... أيـــار أوخـــز جنبـــة بشـــكاتى
لا هـــز هـــزاز الحيـــاة وصـــلبها ... وأثـــير صـــانع تلكـــم الثـــورات
يـــا عيـــد «أيـــار» وكـــم مـــن كربـــة ... مـــرت بأيـــار وكـــم مأســـاة
علـــم يـــرف عليـــك صـــاغت لونـــه ... حمـــر المجـــازر مـــن دم أشـــتات
مـــن فتيـــة كســـنا الفـــداء ، وصـــبية ... كـــدم الشـــهيد ، صـــوامت خفـــرات
فاشـــمخ برفرفـــه الخفـــوق فإنـــه ... لا بـــد خفـــاق لســـت جهـــات
كم خـــاض أهلك مـــن لظـــى مشبوبة ... يـــا عيـــد موعـــودين بالجنـــات

يا عيد من فى كفهم منح الدنى ... ويقطعون الليل بالحسرات
يا عيد من بنوا الحياة وزهوها ... وتسكعوا خربين فى الطرقات
يا أيها العمال دالت أعصر ... جعلت من الإنسان محض أداة
عصرت دماءكم أكف سقاة ... كأسا تعاطى بين هاك وهات
وعدت على الفكر المنير فدورت ... أفلاكه فى أنحس الدرارات
فإذا استعز فرهن كل بلية ... وإذا استذل فخادم الشهوات
منكم على الجثث استقامت دولة ... هى فى الصلاح نموذج الدولات
لم تدمغ الفرد الكريم بمنة ... منها ، ولم تصفعه بالصدقات
حبت الصعاليك الحياة وركزت ... أقدامهم فى قمة الدرجات
ونمت مواهبهم فذاب بلفحة ... منها صقيع تسلسل الطبقات

يا أيها العمال صفح تسامح ... عما تجيش ببثه خطراتى
أنا لا أثير ظنونكم ، لكن فتى ... حر يحب حرائر الصرخات
ما انفك تنين التحكم قائما ... وتقاسم الأرباح فى الشركات
ما زالت الشم النواطح تبتنى ... من تلكم السرقات والرشوات
لم يؤخذ المال المقطع منكم ... سحتا ولم تقطع أكف جناة
وتكدس الفقر الخبيث فطاله ... وطغى عليه تكدس الثروات
يا أيها العمال إن ذواتكم ... للشعب ، لا لمكرشين ذوات
أنتم جنود الكون ، طوع أكفكم ... خير الحصون وأمنع الثكنات
يا أيها العمال لموا شملكم ... وتوزعوا فرقا على الوحدات

مـدوا بــ «أيـار» وجمـر كفـاحكم ... «تمـوز» فهـو مسـعر الجمـرات
وتنظـروا بطـلا وسـيعا حلمـه ... يسـطيع محـو تظننـى وشـكاتى

***

سهام !..

أثناء انعقاد مؤتمر الأدباء العرب فى الكويت عام ١٩٥٩ ، التقى الشاعر بالدكتور يوسف مرزة رئيس قسم طب الأسنان فى المستشفى الأميرى هناك آنذاك ، وكانت تعمل فى القسم ممرضة حسناء تقدمت إلى الشاعر برجاء أن يكتب لها شيئا فى دفتر تواقيع تحتفظ به منديلا بتوقيعه :

قال لها : أتريدينه شعرا أم نثرا ؟

قالت : أريده شعرا .

سألها : أأنت متزوجة أم لا ؟

أجابت : متزوجة .

قال : ما اسمك ؟

قالت : سهام .

فقال :

أنـا لا أحـب سـهام لحظـك إنهـا ... بـدمى مخضـبة وإن لم تشـعرى
ولمـاك غسـلين لأنـى لم أذق ... منـه حـلاوة سلسـبيل الكـوثر
وعبـير نفحـك أزدريـه لأنـه ... لسـواى يعبـق منـه ريـح العنـبر

***

الشيخ والغابة!..

ورأى الشيخ ظلال الغابة الدكناء ..

أشباحا تلوح

بعضها يعصر بعضا ..

فتمنى لو يروح

ثم غامت صور ..

ردته كالهرة..

أسيان شجيا!

آه .. لو كان فتيا

أه لو ردت إليه ..

آه .. مما فات شيا

آه .. لو لم يعل فوديه ..

من الشيب مسوح

آه ..لو كان لذى قلب ..

مع الشيب طموح

آه .. لو يسطيع للأرقام دفعا

آه .. لو كان ..

لريعان الصبا يسطيع رجعا

آه .. لو كان ..

لقطعان الهوى فى الشعب مرعى

وتولت قدميه رجفة ..

ثم تلوى ..

ثم ألوى ..

ثم أقعى

فرأى آدم يلتف بحواء ..

وتلتف عليه ..

مثل أفعى

وانتفاضات شباب ..

كالرؤى ..

فى هدأة الليل تجيش

آه يا شيخ ..

وكم تحسب أن سوف تعيش

آه .. لو مدت من الغيب ..

يد خلف حجاب

حاذف النصف من الخمسين ..

من عمر كذوب ..

كالسراب

آه يا شيخ ..

ومن يدنيك من عهد الشباب

أغلقت من دونه سود الليالى ..

ألف باب

لا تحم ..

كاللص مذعورا ..

وكالوحش بلا ظفر وناب

أنت لا تسطيع أن ..

تقطف عنقودا تدلى بالعريش

ألف كف للشباب الحلو ..

أولى منك فى ..

هذا الشراب

آه يا شيخ ..

لو اسطعت ..

رجوعا للشباب

***

فى ذكرى غاندى

سيدى أنت أيها الحق والعزة ... والفجر والندى والعلاء

ذريت فى الهواء ملكا مشاعا ... يتساوى فيها الثرى والفضاء

كل ما نستطيعه لك حب ... وخشوع ووقفة وانحناء

واعتبار المحسنين وإذ يحـ ... ـسن صنع وإذ يساء جزاء

يا لصوقا بالأرض وهو وإيا ... ها انطراح ونعمة ونماء

يا وديعا لوى من الأسد المكـ ... ـلوب ذيلا فقر منه العواء

يا شعاعا من النبوة تستهـ ... ـدى به الأرض أرسلته السماء

يا سليل الفجرين بوذا وكونفشـ ـيوس منه سناهما يستضاء
يا رحيما لم القلوب على جمـ ـرة حب فذابت الشمحناء
والتقت أمة تفل سلاح الـ ـبغى وهو الوديعة العزلاء
يا زعيما آخى الصعاليك والتمـ ـت عليه تحوزه الفقراء
يا هتوفا بالبشر لم تخرس الضحـ ـكة منه بلية وعناء
أيها الكوكب الذى انحسرت عنـ ـه من البؤس هالة غبراء
والتوى السيف وانزوى العنف وانفكت رقاب ولم تطل دماء

قلت كونى شيئا مئات الملاييـ ـن فكانت ، وخير شيء يشاء
نبتت فى مجاهل البؤس والذ لة فى الشرق واحة غناء
وارتوت بالندى ندى الخير والرحـ ـمة والعز تربة جرداء
ثم نادت «دلهى» «بكين» فلبتـ ـها ورد النداء منها النداء
ثم دوت هنا ولما تصم السمع فى الشرق زاحفا أصداء
لست بالساحر العجيب كما قالوا ولكن إرادة ومضاء
وكفيل بالمعجزات ضمير ونقاء وجوهر وصفاء
لست بالساحر العجيب ولكن قدر حان وعده وقضاء
كنت فيه تلك الملاييـ ـن أفاقت وانزاح عنها الغشاء
وأمينا على رسالتها الكبـ ـرى وقد حان فرضها والأداء
يا مليحا صدرا يفاخر بالمكـ ـنون منه ضميره الوضاء
صان غاندى دم الجموع وصان الهند أن تستبيحها شعواء
وحمى الطير والسوام من الذبـ ـح وقامت شريعة سمحاء

أفمحرابــه تســيل عليــه ... بقــع مــن دمائــه حمــراء
أيهــا الشرق لم تــزل بــك أهــواء ... تعاصــت ولم تــزل أدواء
وســلام عــلى النبــي أمدتــ ... ــه بــروح مــن عنــدها الأنبيــاء

***

في عيد العمال

بكــم نبتــدى .. وإلــيكم نعــود ... ومــن ســيب أفضــالكم نســتزيد
ومــن فــيض أيــديكم مــا نقيــت ... ومــا نســتجد .. ومــا نســتعيد
بكــم تبتنــى شرفــات الحيــاة ... وينشــق للفجــر منهــا عمــود
ومما تكــدون تنمــو الــزروع ... وتغــذى الجمــوع .. وتكسى الجنــود
ولــولاكم لم يقــم معهــد ... ولا اخضر نبــت ولا رف عــود
ومــن جهــدكم دائبــا مضــنيا ... تــوفر للخــير منــا جهــود
وللشر .. حيــث الــدمار الفظيــع ... يبــاد بــه شــيخكم والوليــد
بأيــديكم إذ يشــد الرصــاص ... نمــوت . وحــين تصــب القيــود
فــنحن إذا شــئتم والفنــاء ... ونحــن إذا شــئتم والوجــود
إذن أنــتم الــدهر مــن حقكــم ... إذا حــان يــومكم أن تســودوا
لكــم وحــدكم ســيزف الثنــا ... وتزجــى المنــى .. وتــرف البنــود
فهــل ذاق طعــم الثنــاء الجهيــد ... ونامــت بحضــن الوفــاء الجهــود
أصــار حكــم أيهــا العــاملون ... وحمــل الصراحــة حمــل يــؤود
لأنكــد مــا عــاق ســير الشــعوب ... جهــود يعفــى عليهــا جحــود
ودهــر تغطــى بــه العاديــات ... ســنى العبقريــات دهــر بليــد

وحكـــم يقـــيم عـــلى العبقـــرى ... حـــدودا .. تقـــام عليـــه الحـــدود

صـحابى .. وأنـتم لـنعم الصـحاب ... إذا نكثـــت مـــن صـــحيب عهـــود

أرى الغيب كالشمس رأد الضحى ... وكالنـــار تعشـــو إليهـــا الوفـــود

أرى غـــدكم ، زاحفـــا ، فوقـــه ... تـــرف مـــروج .. وتزهـــى ورود

فميلـــوا لـــه .. إنـــه مـــنكم ... قريـــب .. ومـــا فجـــر ليـــل بعيـــد

مطـــارقكم هـــن جـــرس الزمـــان ... يـــدق .. فيســـمع حتـــى الحديـــد

ومـــن بيـــنكم ســـيمد الكفـــاح ... جيـــل عنيـــد ، شـــديد ، مريـــد

مضى أمـس حيـث يقـص الشـيوخ ... لأبنـــائهم كيـــف عـــاش العبيـــد

وكيـــف تعـــرت عـــلى الزمهريـــر ... زنـــود ، لتكســـى بخـــز زنـــود

وكيـــف اســـتوى حبـــة حبـــة ... مـــن العـــرق المـــر عقـــد فريـــد

وكيـــف وأطفـــالكم فى العـــراء ... صـــيغت لطفـــل السرى المهـــود

وكيـــف عـــلى كسرات الرغيـــف ... يعفـــر فى كـــل يـــوم شـــديد

مضى أمـس أسـود ..مـن خلفـه ... وجـوه مضـت تنطـف اللـؤم سـود

وفى «يـــوم تمـــوز» شـــقت ، لـــه ... وللعـــاكفين عليـــه ، لحـــود

وفى وهـــج «الثـــورة» المزدهـــاة ... تهـــرت مـــن المتخمـــين جلـــود

وأنـتم وإن حـم فـرض الوفـاء ... بـــأن حـــل عهـــد . وولـــت عهـــود

وأن قـــد تبنـــاكم أصـــيد ... زعـــيم بـــما يتبنـــى عميـــد

فـــإن وراءكـــم غايـــة ... ســـتطوى مفـــاوز منهـــا وبيـــد

كـــأن رؤوس الســـعالى بهـــا ... وهـــام الشـــياطين طلـــع نضـــيد

إذا ما ركضتم إلى خلب سراب. تبدى سراب جديد
فلا تستهينوا بدرب الكفاح فدون النهاية شوط بعيد
خذوا يومكم مغنما واحرصوا عليه، وزيدوه حرصا وذودوا
ونموا مكاسبكم لا يرح ثمين تأتى لكم أو زهيد
ولكن مزيدا من التضحيات ففيهن من كل خير مزيد
فما زال مستنفع الكادحين يغطيه للمستغلين دود
فما قبروا كلهم.. إنما يضيق بمن عاش هذا الصعيد
ولم ينتزف دمهم.. إنما تفرى وريد.. ليعفى وريد

مضى زمن كان فيه لكم يلطم خد ويستام جيد
وسوف يجيء زمان به تلطم للمصعرين الخدود
مشى الوعى فى أمم المشرقين ولمت، لكنس الوسيخ الحشود
وفزت على صرخات الجموع تنفض عنها الخمول الرقود
غدا إذ تجر الصفوف الصفوف وإذ يستثير الوقيد الوقيد
وإذ يستقيم من الكادحين المستغلين حكم وطيد
وإذ يستظل ظلال النعيم طريد لمحتكر، أو شريد
غدا سيذوبون هم والخنا ويخلد فى الناس مسعى جهيد
غدا سيبيدون، إن الشعوب وإن أبطأت زحفها لا تبيد
غدا سيذوبون ذوب الجليد وكيف يعيش وشمسا جليد
هناك سيذكر شيخا وليد ويبكى لما ذاق جد، حفيد
هنالك سوف يغنى لكم على وتر القلب هذا النشيد

هنالك سوف يقول الصغار لقد نور الدرب هذا النشيد
تنبأ صاحبه أن تسود وها نحن – رغم أنوف – نسود
وبورك عيد نضال سعيد سيتلوه من حسن عقباه عيد

***

رباعيات

(بغداد) فى الصباح..

صفق الديك وقد زعزعه الفجروألوى بالصياح
ومشى النور على الحقل وفوق الدرب يزهى والبطاح
آه ما أروع «بغداد» وأحلاها على ضوء الصباح
غسلت كف السناكل الجراحات بها حتى جراحى

قلت وقال ..

قلت للشيخ ارتضى العمة رزقا والقميصا
غطيا منه صغار الفكر والنخوة والرأى المحيصا
كيف عريت من الدين بما زورت .. روحا ونصوصا
قال : ما بالك أمسكت تلابيبى وأعفيت اللصوصا

قصد .. وقصد ..

نظرتنى وإذ رددت لها النظـ ـرة عجلى راحت تضرج خدا
وبدت كالذى تعمد شيئا لم يصبه فأخطأ القصد عمدا
أنا أدرى بقصدها خالت الشيـ ـب برأسى لها سلاما وبردا

ومراحـــا لمقلتيهـــا ولكـــن وجـدت مقلتـي أفصـح قصـدا

حرامى بغداد..

وحرامـي بغــداد كــان كبغــداد انطلاقـــا ورقـــة وازدهـــارا

كـان حلـوا سـمح العريكـة إذ يخـ ـطف مـالا .. وإذ يجـوس ديـارا

ليـت قومـا فى كـل يـوم يبيحـون ذمـــارا ويرفعـــون شـــعارا

كحرامـى بغـداد كـانوا يرقـون نفوســا إذ يربحــون تجــارا

لحنان..

خـــط «شـــتراوس» عـــلى كمـــ ـــيه لحنـــا أى لحـــن

بصـــــدى «دالوبـــــه الأزرق» أجيـــــال تغنـــــى

وعـــلى كمـــى لحـــن خـــط مـــن حـــبر ودهـــن

ســـــيغنيه المغتـــــون مـــــن بعـــــد دفنـــــى

الصيف والمروحة..

صـــيف كتنـــور يفـــور وشـــتاء عصر زمهريـــر

وجنـــاح مروحـــة حسيـــ ـــر قـــد تخطتـــه الـــدهور

علقـــت تضـــاريس السنيـــ ـــن بـــه ولم يـــبرح يطـــير

أف لعمـــــر لا يســـــا وى عمـــر مروحـــة تـــدور

زرع الضمائر..

قـالوا قـد انـتصر الطبيـ ـب عـلى المحـال مـن الأمـور

زرع الجماجم والقلوب   وشد أقفاص الصدور
فأجبتهم : ومتى ستر   فع راية النصر الأخير
زرع الضمائر فى النفوس   العاريات عن الضمير

رثاء ..

يا أيها القلب المضيء   لبعثه تعب الجدود
نهشتك بالحرمان «ديـ   ـدان» الحواجز ، والسدود
لم تبق شيئا منك يشـ   ـبع منه تحت الترب دود
أمن «اللحود» عليك حـ   ـيا يبتنين إلى «اللحود»

بكف طيار يطير ..

أرأيت وقاد الحروب   وكيف يذكون السعير
أرأيت عقبى الكائنات   بكف طيار يطير
طفلى ، وطفلك والفتاة   الورود والشيخ الكبير
والكون طرا رهن جا   سوس على بلد يغير

مؤتمر الأقطاب وذرت الجنب..

وتجمع «الأقطاب يا   كل بعضهم بالحقد بعضا
يتفحصون مشاكل الد   نيا سماوات وأرضا
أيعالج المرضى أطبـ   ـاء بذات الجنب مرضى
يشكو المحبة واحد   لثلاثة يشكون بغضا

عبر من الإنذار السوفيتى..

أبـــت «الكرامـــة» أن تهـــان ... وعنـــــدها عـــــزم مريـــــد
مـــا أعظـــم «المســؤول» عـــن ... شرف المـــــواطن إذ يـــــذود
إن الـــذى آخـــى «الضـــعاف» ... هـــو القـــوى ، هـــو الشـــديد
أمـــا الـــذين يحـــاربون ... «مســـالما» فهـــم العبيـــد

فراغ ثقيل..

يـــا فـــراغ الـــروح كـــم أنـــ ... ـــت عـــلى الـــروح ثقيـــل
هـــل إلى أن تمـــتلى بـــا ... لخـــير والحـــب ســـبيل
يـــا فـــراغ الـــروح مـــا شيء ... عـــن الـــروح بـــديل
أنـــت – مـــا عشـــت عـــلى مهـــ ... ـــلكة الجيـــل دليـــل

رب السجن أحب..

عنـــد مـــا أبصرت نـــيرا ... نـــا مـــن البغـــى تشـــب
وإلى «القمـــــة» مـــــن فى ... كفـــه «زيـــت» يصـــب
وإلى «الســـجن» الـــذى يـــد ... فـــع عنهـــا ويـــذب
قلـــت – والســـجن كريـــه ... «رب الســـجن أحـــب »

جوع .. وشموخ ..

قلـــت للمغـــرور : أن يجـــ ... ـــمع جـــوع وشـــموخ
قـــد أبـــى ذلـــك فـــيما ... فرقـــا قصر وكـــوخ
ونهـــود مـــن عضـــاض الـــ ... ـــبؤس فـــيهن شـــدوخ

ونهـــود مـــن شـــذاهن «أخ الـــدير ، يـــدوخ

قوة وضعف..

قلـــت لمـــا قيـــل لى : كـــم أنـــت فى الخطـــب صبور
وعـــلى أن تخنـــق المحـــنة بـــالحلم قـــدير
أنـــا فى ذاك هصـــور وعـــلى تلـــك جســـور
غـــير أنـــى فى يـــد الرقـــة واللطـــف أسـير

عجب

عجـــب أمـــرى : يثـــير الـــطير ، إذ يـــذبح ، نفســـى
وأصـــم السـمع عـــن أنـــة شـــاك قلـــع ضرسـى
وأرانـــى أضرب المـــوت ولم يـــدن ، برأســـى
أبـــدا ســـيان رمـــسى فى الملـــمات وعرسـى

حكم التاريخ

سيســـب الـــدهر والتـــاريـــخ مـــن أغـــرى بســـبى
لا الأولى ســـبوا فهـــم عبـــدان عبـــدان لـــرب
يـــا الخزى المشـــتلى كلـــبا لســـب المتنبـــى
عـــرض كـــافور تهـــرى ولـــه مليـــون كلـــب

***

المستنصرية

أعد مجد بغداد ومجدك أغلب ... وجدد لها عهدا وعهدك أطيب

وأطلع على المستنصرية كوكبا ... وأطلعته حقا . فإنك كوكب

كأن على بغداد مما أفضته ... من المجد أذيالا من التيه تسحب

محافلها ملقى ، وغر قبابها ... نشاوى، ومثوى سفحها متوثب

أقمت بها عزا عريقا مكعبا ... وكان بها ذل عريق مكعب

فمن مخبر المستنصرية أننا ... نعود إليها من جديد وندأب

حنانيك إن الدهر يطفو ويربو ... وإلمامة الدنيا تجيء وتذهب

وأن نثارات الحضارات منبع ... يفيض وفى الأرض السبيخة ينضب

وفى أمس كان الشرق للنور مطلعا ... فحوله عنه إلى الغرب مغرب

وها هى نحو الشرق تلوى رقابها ... شموس عن الغرب التعيس تنكب

أعد رونق المستنصرية إنه ... لرونق بغداد إطار مذهب

تقطعت الأسباب إلا وشيجة ... من الفن للذكرى بها نتسبب

ويا رب تموز نزلت بليله ... على السحر الريان نارا تلهب

بأسحار بغداد تغنى عوالم ... وذكرك من أسحار بغداد أعذب

واسود داج كالغراب كسوته ... غبار السرايا فهو كالنسر أشهب

وقفت به التاريخ تحصى ثوانيا ... بها رحت تملى والمقادير تكتب

عجيب مدى النصر الذى اجتزت ... وتوقيتك النصر المؤمل أعجب

وكان لك الجيشان جيش مدرب ... وآخر أقوى منه قلب مدرب

وما السيف إلا آلة خلفها يد ... وخلفهما عزم يهم ويضرب

أبا كل حر لا أبا الشعب وحده ... إذا احتضن الأحرار فى أمة أب
هنيئا لك العيد الذى أنت رمزه ... بذكرك يستعلى وباسمك يطرب
أعد مجد بغداد تعد مجد أمة ... به الكون يزهى والحضارات تعجب
وأرجع لها فى شمس تموز حقبة ... إذ الشمس عن أمصارها ليس تغرب
عمومتها فينا كليب وائل ... وأهوالها منا إياد وتغلب
ورائدها عبد الكريم بن قاسم ... يبارك يوميه الحسين ومصعب
كأنك أهداك المثنى وخالد ... حساميهما والأصغرى المهلب
لها بالفرات السمح حضن يلفها ... وعند الجبال الشم خضراء منكب
يمد الخليج الرافدين وبحره ... وبر الشام الكوفتين ويثرب

أعد مجد بغداد فبغداد روضة ... لدى موسم تذوى وآخر تعشب
يضربها جدب الرجال فتجدب ... وينعشها خصب النفوس فتخصب
وها هى من ألف تصر من تشتكى ... بأن لم يلح عبد الكريم وتعتب
كأن الربيع الطلق من هذه الربى ... يجر على الكون الرحيب ويسحب
هنا انسابت الدنيا وراحت عصارة ... من الفكر فى كأس من الضاد تشرب
وأضفى على شرق وغرب صباغه ... سنى شفق فى دجلة يتذوب
بباريس لون أريحى مهذب ... وفى الصين لون فلسفى مسبب
هنا استن إيمان وفاض تسامح ... وقرت حزازات وأودى تعصب
تعارض بالإسجاح رأى وآخر ... وخولف بالإيثار فكر ومذهب

ولم يحتجز رهنا لغاوين يعرب | أبو كل من حامى عن الضاد يعرب

لك الخير إن الشعر كالنبع سلسلا | إذا فاض منه جدول يتشعب

مشت بي ستون وماذا وراءها | سوى الموت يبغي أجنف الخطو أشيب

كأني فيهن ابن يوم فلم يكن | سوى يوم تموز من العمر يحسب

أقول لضليل يكن نهاره | غباء. وأما في العشي فيحطب

لك الويل لا يحلبك ضرعا مطاوعا | خؤون ولم يمددك جسرا مخرب

ولا يرتخص منك الضمير ولا يلغ | بنفسك ناب أجنبي ومخلب

لك الويل إني رائد جاء قومه | بصدق وغيري من يرود ويكذب

لك الويل ماذا كنت تحلم قبلها | بأكثر مما أنت فيه وتطلب

أيسعى عزيز أن يذل وأهله | وأن يتغشاهم بعيد مجنب

أهم رخي أن يصوح مرتع | ووارد رفه أن يرنق مشرب

أبا كل حر لي إليك شفاعة | فهل أنا ذياك الشفيع المقرب

أجل إن شهما للقلوب محببا | يناغيه شعر للقلوب محبب

وأنت الفتى لم تدر من شعث به | يلم وأنت الأريحي المهذب

هنا لك فيها بين مثوى وآخر | شباب عن الأفراح في العيد غيب

بنوك الذين استرخصوا مهجاتهم | وفدوك منهم بالنفوس وذوبوا

وخاطوا عليك الجفن خوفا من الأذى | إليك على أهدابها يتسرب

حنانيك لا تغضب عليهم بظنه | فللموت من سخط المحبين أطيب

حنانيك هب غطى على الحق غيهب | فهل فلق الإصباح يمحى ويشطب

أيلغي فريق في المباراة أول | ويحوى فريقا سيئ الحظ ملعب

أزل سخطه عنهم فأنت لهم أب ... وحسبك تأديبا ونعم المؤدب

وقالوا حجاب بين شعب وبينه ... فقلت فهل كون بستر يحجب
وربك أدرى بالذى ظن أحمق ... سنى الشعب يخفى أم سناك يغيب
أبا كل حر وابن كل كريمة ... تمخض عن حر كريم وتنجب
خذ الشعب درعا واتشحه مهندا ... فللشعب يا بن الشعب أدنى وأقرب
حنانيك إنا ساعد حين تضرب ... وغصبتك الحمراء أيان تغضب
ضلوعك من أضلاعنا ، كل شظية ... بها من شظايا أمة تتشعب
وأرواحنا سالت وروحك فالتقت ... كما انصب فى الأرض الكريمة صيب
نوقف أدنى الغايتين استجابة ... وتذهب أقصى ما تروم وتذهب
ونصبر حتى يترح اللؤم كائد ... ونحلم حتى يقرع الكذب أكذب
ويكفى بأن نطوى عليه تيقنا ... بأن خبايا طيه ستجرب
وعلما بأن لا بد يخبر أينا ... يجد وأيا فى الملهات يلعب

أبا الشعب لا أخفيك بثا يهزنى ... وما أنا للخل الصريح مروب
تسرب همس أن فقعا بقرقر ... يعيد شراكا للهزبر وينصب
وأن الذى خلف الحدود يمده ... كلص يجوس البيت ليلا ويهرب
أبا الشعب لا يتعب خؤون مغامر ... فخلفك شعب للخؤونين متعب
سل الشعب زحفا تدركيف زحوفه ... وبذلا تجد أرواحه كيف توهب
ستهوى رؤوس ما اشتكى منك إصبع ... وتلوى رقاب ما التوى منك منكب
ويلتات نهر من دماء خبيثة ... على قطرة فى ذمة الله تسكب

فقـل لهـم يـأووا ضـبابا لأجحـر　　وربـات خـدر فالخبـاء مطنـب
وعمرت عمر الشعب يهديك ما حوى　　من العمر لو تحصى السنون وتحسب

***

اهدري يا دماء

اهـدري يـا دمـاء ..أنـت النشـيد　　أنـت في سـمع أمـة تغريـد
أنـت نـار موقـودة .. لـك منـا　　وبنينـا .. ومـن بنـيهم وقـود
جنـة الخلـد أنـت..لا مغريـات　　ونعـيم . لـذاك عـيش بليـد

***

بي كه س

أخـي «بـي كـه س» والمنايـا رصـد　　وهـا نحـن عاريـة تسـترد
أخـي «بـي كـه س» يـا سراجـا خبـا　　ويـا كوكبـا في دجـى يفتقـد
ويـا صـيد «مجتمـع..» دونـه　　فـريس تلـوى بشـدقى أسـد
ويـا حاصـدا مـن كـريم الـزروع　　غـلال الأسـى ، والأذى ، والحسـد
ويـا نهـزة الحقـد..حقـد الـذئاب　　عـلى حمـل سـارح لم يصـد
«بـلا أحـد» ..سـنة العبقـرى　　يعـى النـاس ..إذ لا يعيـه أحـد
«بـلا أحـد» ..غـير خضر الجبـال　　ووحـى الخيـال ..وصـمت الأبـد

«بـلا أحـد» ..يـا سـنا أمـة　　تنـادت إلى جمـع شـمل بـدد
تصـول بسـيف كثـير الحـدود　　إذا كـل حـد لـه ..جـد حـد

وكــان شــبا ذهنــك العبقــرى ... خــير العديــد ، وخــير العــدد
تــثلم فى معــمان النضـــال ... ولـمـــت لــــه كسر تفتقــــد
ســتخلد غــارا عــلى ثــائر ... وعــارا عــلى مســتكين قعــد
وخزيــا لمتجـــر بالخشـــار ... وفى يـــده أى علـــق كســد
وأعمــى ضــمير يعــد الأديــ ... ــب صـفرا .. إذ الصـفر منـه عـدد
«بــلا أحــد» ..أيهــا العبقــرى ... وأنــت الجميــع .. وأنــت الأحــد

***

لبنان يا خمرى وطيبى

«لبنــان» يــا خمــرى وطيبـى ... هــلا لمـت حطــام كــوبى
هـــلا رددت لســـهدها ... عينـــى ، وقلبـــى للوجيـــب
هـــلا عطفـــت لى الصـــبا ... نشـــوان يرفـــل بالـــذنوب
نـــزق الشـــباب عبدتـــه ... وبرئـــت مـــن حلـــم المشـــيب

لبنـــان كـــما ذنبـــى إذا ... رقعـــت شـــيبى بالنســـيب
الأخضر الريــــان بيـــــ ... ـــن جــوانحى عــرم الشــبوب
يــا مــن يقايضــنى صــدى الــ ... ـــهمسات والســـمر المريـــب
وترصـــد الأقـــمار كابـــ ... ـــن أبـــى ربيعـــة فى المغيـــب
والكاعـــب الحســـناء تســـ ... ـــترنى بمفضـــلها القشـــيب
وتنـــابز القـــبلات فى ... نجـــوى كمســـترق الـــدبيب
ويـــدا تخـــبط فى الهـــوى ... ويـــدا تعابـــث فى الجيـــوب

يـــا مـــن يقايضـــنى ربيـــ ـــع العمـــر ذا المـــرج العشـــيب
بالعبقريـــــــة كلهـــــــا بخرافـــة الـــذهن الخصـــيب
بعصـــارة الســـتين تـــرزح بالأديـــــب وبالأريـــــب
شـــيطان «غوتـــة» يـــا ربيـــ ـــب الغدروالـــدم والحـــروب
ومقـــايض الســـبعين بالـــ ـــعشرين عـــن ثمـــن رهيـــب
لـــو جئتنـــى لوجـــدتنى محـــض الســـميع المســـتجيب

أيـــة بشـــاوة والليـــا لى مـــثقلات بالعجيـــب
متـــدافعات بالفجـــاءة لاينـــين مـــن اللغـــوب
ى والـــدهر فصـــعد و مـــا عـــز الطـــلاب عـــلى طلـــوب
«والزهـــرة» الشـــقراء طـــوع يـــدى «ككـــارين» الرهيـــب
«الأخطـــل» الجبـــار جـــاء «الكـــوفتين» عـــلى نجيـــب
وأبـــو العـــلاء عـــلى بنـــات المـــاء تحـــدى بـــالجنوب
وذعـــرت صـــحراء العـــراق بموكـــب النـــار المهيـــب
بالآلـــة الخرســـاء تســـ ـــتورى عـــلى وهـــج اللهيـــب
وأتيـــت «لبنانـــا» بجـــا نحتـــين مـــن ريـــح غضـــوب
مثـــل المســـيح إلى الســـماء وقـــد حملـــت عـــلى صـــليب
كأســـى تصـــفق بـــالغمام بكـــف غيـــداء لعـــوب
ويـــدى عـــلى جـــرس تشـــد ومقلتـــى لفـــم المجيـــب
وتحفـــز النهـــدان فى أفـــق مـــن الصـــدر الرحيـــب
ســـخرت عصـــافير الســـماء بخـــائفين مـــن الوثـــوب

بمزعـــزعين توجسـا ... ومحـــزمين عـلى الجيـوب
واستصـغرت زمـر الجنـادب ... فى فويهـات الثقـوب

صـناجة الكلـم الرقيـ ... ـق ومزهـر الـنغم الرتيـب
جئـت العـراق فعـاش فيـ ... ـك عهـود «أحمـد» و «الحبيـب»
وسـحرت أم السـحر«بابـل» ... بالعجيـب وبالغريـب
أبشـارة «أنـذا» لديـ ... ـك محمـلا بـرد القلـوب
تهـدى إلى نعـم المثـ ... ـاب عـلى يـدى نعـم المثيـب
مـن سـوح دجلـة والفـرات ... منابـت المجـد السـليب
أم الشـموس ومسرح الـ ... ـدنيا دمنـتطح الشـعوب
مـن نخلـة وزيوتـه ... ومـن الشـمال إلى الجنـوب
مـن مكمـن القنـاص فيـ ... ـه لقـانص الرشـأ الربيـب
مـن دار «هـارون» الرشيـ ... ـد لـدارة الأدب الحسـيب

سـقط النـدى مـن شـهرزاد ... لغصـن «أنـدلس» الرطيـب
مـن «ألـف ليلتهـا» الميـ ... ـلتك الغريقـة بـالطيوب
مـن لحـن «زريـاب» و «إسـحق» ... عـلى شـفتى «عريـب»
لمرقـرق الـنغمات فى ... أكـواب منطقـه الخلـوب
مـن عطـر خمـر «أبـى نـواس» ... بـين أربـاض الكثيـب
المسـتدر الكـأس مـن ... خلـق النـدامى والشروب
والعابـث الهـازى بـها ... درت نيـاق مـن حليـب

لمعتـــق زهـــر الربـــى　　عـــن ديمـــة ســـمح ســـكوب
كـــالبحترى يقـــرب إلا　　بعـــاد بـــاللفظ القريـــب

يـــا مبضـــع الألم الحبيـــ　　ـــس وبلســـم الجـــرح الرغيـــب
لا شـــلت الكـــف التـــى　　مســـحت عـــلى روح الكئيـــب
ومـــذوب الأنغـــام لا　　خانتـــك بوتقـــة المـــذيب
لغـــة الجـــهال نخلتهـــا　　مـــن كـــل حوشـــى مشـــوب
ووهبتهـــا الأجيـــال تـــر　　عـــى منـــة الســـمح الوهـــوب

لبنـــان يـــا خمـــرى وطيبـــى　　لا لامســـتك يـــد الخطـــوب
لبنـــان يـــا عـــرف الجنـــان　　الناضـــحات بكـــل طيـــب
متنـــاثرات فى المشـــارف　　والأبـــاطح والـــدروب
الفاتنـــات بـــها اقتبســـ　　ـــن مـــن الشزوق أو الغـــروب
ألـــق التوقـــد بكـــرة　　وأصـــائلا ألـــق الشـــحوب
يـــا بنـــت ســـاحرة أرادت　　منـــك معجـــزة الحقـــوب
نفثـــت أفـــانين الـــرؤى　　مـــا بـــين صـــلبك والتريـــب
بالشـــمس حالمـــة الســـنا　　والـــريح ناعمـــة الهبـــوب
سرحـــت طـــرفى فى نسيـــ　　ـــج الله والصـــنع العجيـــب
فى ســـحر أنملـــة جلـــت　　موشـــى مطرفـــك القشـــيب
فى الســـفح ، فى قمـــم الثـــرى　　فى البحـــر ، فى خضر الســـهوب
فجهلـــت أيـــا انتقـــى　　مـــن حســـن أشـــتات ضروب

لطف السوار بك الخضيب ... أم لطف معصمك الذهيب

لبنان يا وطني إذا ... حلئت عن وطني الحبيب
نسر يحوم على رباك ... فلا تخافيه كذيب
أبشارة وبأيما ... شكوى أهزك يا حبيبي
شكوى القريب إلى القريب ... أم الغريب إلى الغريب
هل صك سمعك أنني ... من رافدي بلا نصيب
في كربة وأنا الفتى الـ ... ـممراح فراج الكروب
أنا «عروة الوردي» رمـ ... ـز مروءة العرب العريب
وزعت جسمي في الجسوم ... ومهجتي بين القلوب

أبشارة يا ناخل الأيام ... بالفكر الأريب
يا من نزلت بسوحها ... من يانع خضل ومونى
يا من أذبت ضريبها ... في علقم الألم الوصيب
يا من غذيت من الأذى ... وشبعت من إفك وحوب
أعرفت أوجع من مثاب ... بالعقوب ومن مثيب
أبشارة إني لأرمز ... عن هموم تغتلي بي
كذب التبجح غير ما ... ينبيكه حال الأديب
أبشارة يا أصغر الأخوين ... سنا يا ربيبي
أنعش بكويك سؤر كوبي ... وأذب نصيبك في نصيبي
لك فضلة في العمر من ... أعمار شبان وشيب

من دفتر الغربة

أية شباب الرافدين

ضموا صفوفكم ولموا ... مجدا إلى مجد يضم
وتكاتفوا ينهض بكم ... جبل يلاذ به أشم
يا غاديا لسفوح دجـ ... ـلة حيث طينتها تشم
حيث الضفاف بكوثر ... عطر قراح تستحم
وإذ الأصائل فيه والـ ... أسحار أطياف تلم
وإذ النسيم يشفه ... من ناعم اللمسات سقم
وإذ الظلال من الغصون ... كعاشق حذر يهم
فيؤم يلثم خدها ... فيصده موج يؤم
مني إليك رسالة ... عن لاعج ضرم تنم
قف بين «دجلة» و «الفرات» ... وصح ليسمعك الأصم

إيه شباب الرافديـ ... ـن وأنتم الشرف الأتم
يا موقدي سرج الدماء ... إذا دجا ليل أغم
أنتم كرامتها ومنـ ... ـكم ما ازدهى وافتر نجم
فلق الصباح بجوه ... ألق، وبدر دجاه تم
فيكم تنار دروبه ... وبكم خطاه تستتم
ومفجري نهر العروق ... زكا لها أرج وطعم
خمسون في سوح الجهاد ... وسوحها غنم وغرم

كنـــتم نوابضـــها تشـــب بنـــاركم وبكـــم تحـــم
ومـــؤملين ضـــياعهم ثكـــل عـــلى وطـــن ويـــتم
صرعـــى لمقتطـــف الـــثمار غـــداة ناضـــجها يلـــم

يـــا فتيـــة الـــوطن الفتـــى أنـــوفهم كعـــلاء شـــم
يـــا مـــن إذا جـــد الـــبلاء يخصـــهم شر يعـــم
البـــادئون أوارهـــا منهم ، ومـــنهم مـــن يـــتم
والهـــارعون إلى الصريـــخ وحـــولهم صـــم وبكـــم
«يتفرجـــون» وأهلهـــم غرقـــى يجـــيش بهـــم خضـــم
فـــيم التفـــرق ، مخـــول في الثـــأر يرصـــده معمـــم
وتصـــعد النعـــرات يخـــلف زيـــدها المنحـــوس بـــم
أعـــلى «المناســـب» والعـــراق أب لكـــم زاك وأم
يســـتل ضـــوء نجومـــه طفـــل ، ومكتهـــل ، وهـــم
وتشـــدهم عقبـــى مصيـــر مثـــل حـــد الســـيف حـــتم

أم للمبـــادئ وهـــى مائـــدة بهـــا عســـل وســـم
جهـــد المقـــل صـــحافها والطـــاعمون بهـــن جـــم
يلهـــو بهـــا المتزعمـــون وينـــبرى للـــزعم زعـــم
يتقاســـمون ســـهامها كيـــف يصرفهـــا وكـــم
متســـابقين لـــرهطهم ســـت وللجمهـــور ســـهم
وموسوســـين فعنـــدهم وهـــم ، وخـــوف الـــوهم وهـــم

يتنفجـــــون كـــــأنهم ظفـــر بمعركـــة وحســم
حتـــى إذا حمـــى الوطيــــس عمـــوا بســاحته وصـموا
وتنـــاذروا فمضـــارب تطـــوى ، وأحقبـــة تــزم
وارتـــــد فى أعنـــاقكم عـــبء مـــن التبعـــات ضـخم

ومشـــى الصريـــخ يهـــزكم يـــا فتيـــة الــوادى هلمــوا
غامـــت ســـماء الرافديـــن فكـــل مسرجـــة تغـم
فى كـــل بيـــت فرقـــة وبكـــل صـــف منـــه ثلـم
وتفصـــمت لحـــم الجـــزور وعـــق منهـــا الجـــذم جـذم
واسترخصـــت فيـــه الــدماء وأغليـــت نعـــم وبهـــم
فكـــر يشـــل ، وذمـــة يلـــوى بهـــا ، وفـــم يكــم
وثـــواب حـــرف ناضـــج بضـــميره ، قـــذف ، وشـــتم
فلكـــل حـــر الوجـــه جهـــم ولكـــل عـــف الـــنفس فـدم
فمعاصـــم الأحـــرار مـــن عـــض الحديـــد بهـــن وشـم

يـــا أيهـــا الصـــنم الحقـــود أأنـــت للتـــاريخ خصـم
لم يبـــق مـــن جـــبروت «فرعـــون» ولا «نـــيرون» رســم
حرفـــان للتـــاريخ يعــــتورانه «بـــئس» ونعـــم
وبـــا تصرف مـــنهما فى النـــاس تمـــدح ، أو تـــذم

***

براها

حسناء رجلك فى الركاب ويداك تعبث بالكتاب
وأنا الظمىء إلى شرا بك كان من ريقى شرابى
حسناء زاد من اضطرابى بغى التنقص فى اضطرابى
حسناء ساعتك التى دورت كانت من طلابى
حاولت أجعلها الذريـ ـعة لاحتكاكى واقترابى
عبثا فقد أدركت ما تبغى القشور من اللباب
كنت العليمة بابن آوى إذ تحلق للغراب
ذل السؤال جرعته فبخلت حتى بالجواب
ما كنت أعرف قبل هذا اللطف ما لطف التغابى

حسناء لم يعسر طلابى إن كان ما بك مثل ما بى
لكن بك المرح اللعوب وسحره ودم الشباب
وبى الذى لا شيء يعـ ـدل قبحه إلا التصابى
وخط المشيب كأنه كلأ تهيأ لاحتطاب

حسناء والدنيا وأنـ ـت ومن عليها لانقلاب
ما كان مدعاة اقتراب عاد مدعاة اجتناب
إن يمش فى فودى مبيضين ، عود من ثقاب
فلقد أروح ولمتى كهلال عيد فى ارتقاب

حسناء إن الحب والصبوات ... من شأني ودابي
أنا نحلة لمت من الزهر ... المجاج من اللعاب
ورمت به شهدا يلطف ... من مرارة كل صاب
حسناء لو كان الهوى ... والحب يؤخذ باغتصاب
قد كان ما بيني وبيـ ... ـنك قرب مطرقة وباب
بل كان بعد المشرقيـ ... ـن وقد رجعت إلى صوابي
كنا كأبعد ما يرى ... متعذران على انجذاب

«براها» سلام كلما ... خفق الصباح على الهضاب
ما هز فجر بالندى ... خضر الأباطح والروابي
ما نفضت ريح الصبا ... قارورة العطر المذاب
ما طارح الروض الحمام ... لدى الشجيرات الرطاب
ما طارحته حمامة ... بهديلها، شجو التصابي
«براها» سلام ما اكتسى ... ألق السنا مزق الضباب
«براها» سلام ما ارتمت ... كسرا أغاريد الشباب
ما فاض كوب بالشراب ... وخلا على شفتي كعاب

أطبقت أجفاني أسد على ... طيوفك كل باب
وأصب عطرك فى دمي ... وإهاب حسنك فى إهابي
ورؤى تخالف فى الجمال ... تخالف الصور العذاب
تتلون الأجواء فيك ... تلون الشفق المذاب

وكـــأن أطيافـــا تـــراوح ... فيـــك بـــين هـــل وهـــاب
متـــأطرات فى اصـــعاد ... ســـاريات فى انصـــباب
وكأنهـــا فـــيما تصرف مـــن ... خطاهـــا ، فى ارتيـــاب
وكـــأن ســـاحرة أحالـــت ... فى بطاحـــك والشـــعاب
أردانهـــا متفتقـــا ... ت عـــن طيـــوف فى العيـــاب
بينـــا ســـماؤك مثـــل غـــا ... بـــك أو كجـــانحتى غـــراب
دكنـــاء تســـبح فى غيـــا ... بـــات وتمخـــر فى عبـــاب
تلقـــى عليـــك طلالهـــا ... حتـــى كأنـــك فى يبـــاب
وكـــأنها قمـــم الجبـــال ... تنـــوء مـــن ثقـــل السـحاب
فـــإذا بهـــا عريانـــة الـــ ... ـــلبات ، ملقـــاة الثيـــاب
كمغـــارز الأبـــر ارتمـــى ... فيهـــا الشـــهاب عـــلى الشـــهاب

الشـــمس تـــؤذن بالغيـــاب ... والغيـــث يـــؤذن بانســـكاب
والـــثلج بيـــنهما يســـاقط ... بالنـــديف مـــن الرضـــاب
وســـنى الأصـــيل الشـــاحب الـــ ... ـــمضفور بـــادى الاضـــطراب
عـــدت الغيـــوم عـــلى ربـــاك ... الخضر مثقلـــة الوطـــاب
وبـــدت قبابـــك مـــن شغيـــ ... ـــف الغـــيم فى أبهـــى نقـــاب
ومســـاقط الأضـــواء مـــن ... أمـــم تنـــاثر كالحبـــاب

«براهـا» وأنـت حصـيلة الأجيـال ... مـــن ألـــق وخـــابى
لم تبرحـــى تـــأتين فى الـــ ... ـــحالين بالعجـــب العجـــاب

بـــــدم يعتـــــق فى الثـــــرى ودم يعتـــــق فى الخـــــوابى
بنـــت الجـــدود وخلفـــت أغـــلى تـــراث مـــن تـــراب
آفاقـــه مهـــوى القلـــوب وســـوحه مهـــوى الرقـــاب

سرحـــت طـــرفى فى الشـــارع آلـــك الخمـــس الغضـــاب
وعرفـــت مـــن نعـــم السـطور الشـــئ مـــن نعـــم الكتـــاب
ووقفـــت حيـــث المجـــد يصـــ ـــعد فى شـــموخ كالعقـــاب
حيـــث الثـــرى نشـــوان مـــن عبـــق الـــدماء المســـتطاب
وســـمعت فى ناديـــك وقـــ ـــع حـــوافر الجـــرد الصـــلاب
ســـقت المئـــات مـــن الألـــوف ملابـــة بـــدم مـــلاب

«براهـــا» وأنـــت مـــن الضـــحايا الغـــر ، وافـــرة النصـــاب
«براهـــا» ســـلام نعـــم عقبـــى المجـــد ، فى عقبـــى المـــآب
أكنيســـة بجماجـــم الأبطـــال عـــــامرة القبـــــاب
فيهـــا تجـــول الـــذكريات الغـــر كالخيـــل العـــراب
غنيـــت بهـــا الصـــلوات عـــن تلـــك المحاريـــب الرحـــاب
ســـور البطـــولات انـــبرت فتعطلـــت ســـور الكتـــاب

أنطقـــت أوتـــار الحيـــاة بـــأى أنغـــام رتـــاب
مـــن كـــل منتحـــر عـــلى ظفـــر لمفـــترس ونـــاب
لبناتـــك المتلونـــات تلـــون الأصـــل العـــذاب
الحالمـــات مشـــى برقتـــ ـــهن شـــجو الاكتئـــاب

لم تكس من حقب بغير ... ظفر دم الضحايا من خضاب
كانت وسائد منطوين ... على جراحهم الرغاب

«براها» وما يجنى الحضارة ... مثل أحجار الصعاب
جيل على جيل يقطر ... شهدة من أى صاب
سوح النعيم على المدى ... كل على سوح العذاب
رقصات مشبوح على ... نغم الكمنجة والرباب
هى من صدى رقصات مذبوح ... على نغم الحراب
قالت لى الأرواح سلـ ... ـن مع الجداول فى انسياب

والتضحيات الصامتات ... وعندها فصل الخطاب
ما ليس يؤخذ باطباع ... ليس يؤخذ باكتساب
وحضارة مجذومة ... أرحامها فإلى تباب
وغد بلا أمس وإن ... غر العيون فكالسراب
سبحانك الوطن المفدى ... ما أعزك من جناب
تنعى على ك السيئات ... ويزدهى بالانتساب
ويهد حتى بالجنان ... بنيك ذل الاغتراب
ما أتفه الدنيا إذا ... غلب الخنوع على الرقاب
وإذا الكرامة جنة ... بيعت بمقفرة خراب
يا سبة الأجيال من ... متهربين من الضراب
متحايلين على النضال ... الصدق بالدعوى الكذاب

يبنـــون مـــا بنـــت العـــوالم — باضـــــطراد ، باقتضـــــاب
البـــاخلين بقطـــرة الـــدم — أو تســـــجل فى كتـــــاب
ومقايضـــــين بهـــا الحيـــاة — وزهوهـــا صـــنع المرابـــى
الضـــالعين مـــع القـــوى — المجهـــزين عـــلى المصـــاب
الخالصــــــين إذا ارتمــــــى — شرر الـــوغى خـــوف العقـــاب
والســـارقين مـــن الصـــلى — بنارهـــا ثمـــر الثـــواب

«براهـــا» ســـلام كلـــما — خفـــق الصـــباح عـــلى الهضـــاب

***

أنتم فكرتى

أنـــتم فكرتـــى ، ومـــنكم نشـــيدى — وبكـــم يســـتقيم لحنـــى وعـــودى
أنـــا طـــير الصـــباح يزعجنـــى الليــ — ــــل ويحلـــو بســـحرة تغريـــدى
رب ليـــل ســـهرته أرقـــب النجــ — ـــم بعـــين المدلـــة المعمـــود
كلـــما مـــرت الهمـــوم عـــلى أعــ — ـقاب أخـــرى ، أعـــدتها مـــن جديـــد
أتحـــرى بـــؤس الملايـــين ضـــيمت — بـــواقى جناحـــه الممـــدود
كنـــتم فجـــرة المرجـــى وكانـــت — مـــن تباشـــيركم عيـــون قصـــيدى

يـــا شـــباب الـــدنا ، ويـــا روعـــة الدهــ — ـــر ويـــا رونـــق النظـــام الجديـــد
يـــا لئـــالى الغـــواص مـــن كـــل فـــج — جمعـــت فى نظـــام عقـــد فريـــد
يـــا عتـــاد الشـــعوب إذ يتبـــاهى — كـــل شـــعب بعـــدة وعديـــد
يـــا مجـــيلى خيـــل البطـــولات تزهـــى — كـــل يـــوم بفـــارس صـــنديد

أنـا مـنكم وإن تـثلم خـدى بغضـون تـثلم الأخـدود
من شـواظ دمى مدى الدهر يغلى إذ لـداتى دمـاؤهم مـن جليد
أنـا «كالهدهـد» استدل عـلى الماء ومنـى الظـامئ بعـذب الـورود
ذاك أنـى حلمـت قبـل عهـود وبـوحى مـن الخيـال الشرود
بالسـنا دافقـا مـن الشرق يمحـو ظلمـة الليـل عـن شـعوب رقـود

خالـد يـومكم ، وكـم قـد دفعتم ثمنـا غاليـا لهـذا الخلـود
أى يـوم لأى جيـل ، إلى أى المسـاعى يسـعى ، بـأى صـعيد
عزمـة مـن جهـنم ، وانعطـاف مـن نسـيم ، وقبضـة مـن حديـد
لكـم التضـحيات بـين طريـف بـدم نـاقع ، وبـين تليـد
وعـلى هـذه الكواهـل يلقـى عـبء مسـتقل رضى سـعيد
غـير أن الجهـود يكملـن حسـنا بادكـار لسـالفات العهـود
قبـل خمسـين أيـن كنـا وأيـن الآن أنـتم ، ياللمقـاس البعيـد
اذكـروا كـم يـد لمـا تنعمـون الـ ـيوم كانـت لآلكـم والجـدود
كـم مضـوا يرقبـون نجـما وفجـرا فى ليـالى الشرق الطـوال السـود
كـم تلـووا مـن أجلكـم فى قيـود ولـووا فى سـبيلكم مـن قيـود
كـم قلـوب تحرقـت وجلـود وقلـوب تململـت فى جلـود
كـم تلـول مـن الرقـاب ضـخام وركـام مـن العظـام نضـيد
اذكـروا تلكـم المواكـب ذابـت مـن حـوالى جمـر الكفـاح العنيـد
كلظـى كلـما حمـت بوقـود اسـتطارت تقـول : هـل مـن مزيـد
كـم تعـرت عـلى ريـاح خريـف للرزايـا أوراق دوح خضـيد

عنـد صبح الأحـرار ديـن لـزام ... طـوق أعنـاقهم لليـل العبيـد

كـم طريـق معبـد بـدماء ... لشـهيد عـلى عظـام شـهيد
كم رؤوس هـوت لـرأس شموخ ... ونفـوس شـقت لأجـل سـعيد
كـم كـؤوس مـن الـدموع أذيلت ... نخبـا ملفـا لغـزة عيـد
رب مليـون جثـة فى نعـوش ... مـن بطـون الوحـوش عـبر البيـد
كـن مهـرا حـرا ، كـريما ، عزيـزا ... لنعـوش تكللـت بـالورود

يـا شـباب الـدنى ورب شـجون ... شرد هـن عـبرة لمفيـد
لا تملـوا وإن أطلـت حـديثا ... أنـا منـه ، أسـيان ، بيـت القصـيد
تشخص التضحيات لحما وروحا ... حـين تـروى لغيـب عـن شـهود
ولكـم قـص مـن حيـاة جـدود ... قصـص كـان ثـروة لحفيـد
أنـا مـن تلكـم الضـحايا رمـت بى ... فكـرة حـرة وراء الحـدود
لم أطـق كتمهـا وأعلـم كـل الـ ... ـعلم أنـى بهـا أحـرز وريـدى
كنـت فيهـا ألقـى بجلـدى للنمـ ... ـر وحـولى ممزقـات الجلـود
أسـتلذ الصراع يبقـى خدوشـا ... فى عتـى ومعجـب ومريـد
ولأنقـى مـن نجمـة فى ظـلام ... لطمـة فى مصـعرات الخـدود

وللقيـا الحتـوف وجهـا لوجـه ... لـذة تبتغـى بجهـد جهيـد
يـا لجـبن الـدعى يركـب مـتن الـ ... ـهول علـما بأنـه غـير مـودى
يـا شـباب الـدنا وأنـتم قضـاتى ... فى شـكاة تطغـى ، وأنـتم شـهودى
أنـا فى عـزة هنـا غـير أنـى ... فى فـؤادى ينـز جـرح الشريـد

لى عتـاب عـلى بـلادى شـديد ... وعـلى الأقـربين جـد شـديد
أفصـقر طريـدة لغـراب ... ونبيـغ ضـحية لبليـد
يـا لبغـداد حـين ينتصـف التـاريخ ... مـن كـل نـاكر وجحـود
حـين يـروى حـديثها وحـديثى ... وتـوازى نحوسـها بسـعود
يـا لهـا إذ يقـال كـان عـلى العقـ ... ـم لـديها مـا لم يكـن لولـود
وهبتـه محسـودة ، وذوو الحرمـان ... أدرى بنعمـة المحسـود
جحدتـه فعـاش أى ضـنيك ... ورمتـه فعـاش أى طريـد
يسـتقى مـن دم الفـؤاد جريحـا ... ويغـذى جراحـه بالصـديد
بخلـت أن تفـيء الظـل منـه ... وحنـت فـوق كـل وغـد وغيـد
يا لرهط الآداب فيها إذا ما انجاب ... عـنهم حسـاب يـوم عتيـد
أخلـدوا سـنة الـذليل إلى العيـ ... ـش ونـاموا عـلى وسـاد الوعيـد
واكتفـوا عـن «رسـالة» بـوخيز ... أخـرس فى ضـميرهم مـوؤود
واسـتطابوا صـمت القبـور وهـان ... الثكـل فـيهم بالصـادح الغريـد
وكـأن لم يرفـع منـار القصـيد ... وكـأن لم يكـن محـج الوفـود
مـلأوا الأرض حـين عـادى ذوى ... الحكم وذابوا من حوله حين عودى
بـالإطراق مسـتجم «النواسـى» ... عـلى ذل شـارع للرشـيد
وتخلـوا عنـه فهـاهم حصـيد ... للرزايـا تـترى وأى حصـيد
أجـل الطـرف فـيهم تعـترفهم ... ملعـب الـريح فى شـتيت بديـد
نشـرة أصـبحوا وكـانوا كحبـات ... الثريـا تلـم فى عنقـود
وحصـيدا مشـى بهـم منجـل الـدهر ... جـزاء عـن شـملى المحصـود

وخضيدا طاحت مورقة الأعواد ... منهم بعودي المخضود
بالسلطان سادة الكلم الجبار ... مستبدلا بخوف المسود
ولخير من ميتات حروف ... ما يحت الحفار من جلمود
ولأغلى من صامتين على الظلم ... وهم قوة، سعاة بريد
والجهول الشجاع في زحمة الأحداث ... أعلى من عارف رعديد

يا ليالي الخطوب سوداء عودي ... لترى أي كوكب مفقود
لترى كيف قيل صدقا وحقا ... رب ساع مشى بألف قعيد
لترى أي واحد في عديد ... وعديدا وليس بالمعدود
لترى أي مسعر لحروب ... ضيعوه يوم اصطكاك الحشود
لترى أي غرة قد تخلت ... عن جبين، وتلعة عن جيد
لترى كيف ذوبت في جليد ... جذوة من شواظ قلب وقيد

يا ليالي الخطوب عودي ويا ويح ... صريخ لكربة مستعيد
يا ليالي الخطوب عودي وكم خضخض ... جيلا مهد الليالي السود
يا ليالي الخطوب عودي وقد شا ... ءت رؤوس تساقطت أن تعودي
عصر الذل أي عاص شموخ ... ولو السوط أي صلد عنيد
ومشت نعمة بشوكاء تدمى ... فاستطابت نعومة الأملود
يا ليالي الخطوب سوداء عودي ... وأجرى ما شئت خطبا وزيدي
جنبي الخائرين غار الصمود ... وضعيه على جباه الصيد
وأطيحي بكل ما لا يطيق المكث ... في زحمة البلاء الشديد

وأزيحــى عــن أنفــس عفنــات ... بالــدعاوى مضــمخات الــبرود
يــا شــباب الــدنا : وهــذا فــؤاد ... فى قصــيد ، وآهــة فى نشــيد
أنــا زرع البلــوى وهــذا حصــيدى ... ونتــاج الأســى وهــذا وليــدى
يــا شــباب الــدنا وهــا أنــا مــا فى ... أيكتــى ، مغمــز ولا جــف عــودى
غــير أنــى ولم أكــن ببلــد ... خفــت قــول البليــد فى تفنيــدى
خفــت مــن شــامت حقــود لئــيم ... وكــما تعلمــون : لــؤم الحقــود
يــا شــباب الــدنا ورب معــاد ... كــان بغيــا المعيــد والمســتعيد
ســأغنى لكــم عــلى وتــر القلــ ... ــب وألقــى لكــم بحبــل الوريــد
سأســاقيكم كــؤوس القــوافى ... مــن شروب منــادم عربيــد
وســتأتوننى بعــزم جديــد ... وســآتيكم بلحــن جديــد

أنــتم فكرتــى ومــنكم نشــيدى
وبكــم يســتقيم لحنــى وعــودى

***

يا دجلة الخير

- نظمت شتاء عام ١٩٦٢ ، وكان الشاعر يمر بأزمة نفسية حادة ، أثر اضطراره إلى مغادرة العراق هو وعائلته ، والإقامة فى مغتربه فى جيكوسلوفاكيا ، وكان ذلك صيف عام ١٩٦١ .
- نشر قسم منها لأول مرة فى جريدة «المستقبل» يوم السبت الثانى من شباط ١٩٦٣ بعنوان :

رائعة جديدة للجواهرى

يا دجلة الخير

على يد اتحاد الأدباء

إلى كل أديب فى العراق

وقالت الجريدة :

«رائعة الجواهرى الجديدة جاءت كمعظم روائعه الشعرية فريدة ممتازة شامخة شموخ الذرى ، تلمس فيها الطبيعة الإنسانية فى ثورتها وهدوئها ، فى آلامها وأفراحها ، فى تحرقها وحنينها إلى ما تصبو وإلى ما حرمت منه بسبب من الأسباب» .

«أنك تلمس فى هذه الابيات المتلاحمة شوق الجواهرى إلى وطنه ، إلى دجلته ، وإلى ضفافها واصطفاف أمواجها ، وتحس خلال استعراضك للقصيدة كيف يتصل الجواهرى بألف سبب وسبب بها فى هذا الشعب العظيم وبحاضره ومستقبله».

- نشرت فى «بريد الغربة» ، وط٦٧ج١و٢ ، وط٦٨ج١ ،و «بريد العودة».

حييت سفحك عن بعد فحيينى ... يا دجلة الخير ، يا أم البستاتين

حييت سفحك ظمآنا ألوذ به ... لوذ الحمائم بين الماء والطين

يا دجلة الخير يا نبعا أفارقه ... على الكراهة بين الحين والحين

إنى وردت عيون الماء صافية ... نبعا فنبعا فما كانت لترويني

وأنت يا قاربا تلوى الرياح به ... لى النسائم أطراف الأفانين

وددت ذاك الشراع الرخص لو كفنى ... يحاك منه غداة البين يطويني

يا دجلة الخير: قد هانت مطامحنا ... حتى لأدنى طماح غير مضمون

أتظمنين مقيلا لى سواسية ... بين الحشائش أو بين الرياحين
خلوا من الهم إلا هم خافقة ... بين الجوانح أعنيها وتعنيني
تهزني فأجاريها فتدفعني ... كالريح تعجل فى دفع الطواحين
يا دجلة الخير: يا أطياف ساحرة ... يا خمر خابية فى ظل عرجون
يا سكتة الموت ، يا إعصار زوبعة ... يا خنجر الغدر ، يا أغصان زيتون
يا أم بغداد ، من ظرف ، ومن غنج ... مشى التبغدد حتى فى الدهاقين
يا أم تلك التى من «ألف ليلتها» ... للآن يعبق عطر فى التلاحين
يا مستجم «النواسى» الذى لبست ... به الحضارة ثوبا وشى «هارون»
الغاسل الهم فى ثغر ، وفى حبب ... والملبس العقل أزياء المجانين
والساحب يأباه الزق ويكرهه ... والمنفق اليوم يفدى بالثلاثين
والراهن السابرى الخزفى قدح ... والملهم الفن من لهو أفانين
والمسمع الدهر ، والدنيا ، وساكنها ... قرع النواقيس فى عيد الشعانين
يا دجلة الخير : ما يغليك من حنق ... يغلى فؤادى ، وما يشجيك يشجينى
ما إن تزال سياط البغى ناقعة ... فى مائك الطهر بين الحين والحين
ووالغات خيول البغى مصبحة ... على القرى آمنات والدهاقين
يا دجلة الخير : أدرى بالذى طفحت ... به مجاريك من فوق إلى دون
أدرى على أى قيثار قد انفجرت ... أنغامك السمر عن أنات محزون
أدرى بأنك من ألف مضت هدرا ... للآن تهزين من حكم السلاطين
تهزين إن لم تزل فى الشرق شاردة ... من النواويس أرواح الفراعين
تهزين من خصب جنات منشرة ... على ضفاف ، ومن بؤس الملايين

تهزين من عتقاء يوم ملحمة أضفوا دروع مطاعيم مطاعين
الضارعين لأقدار تحل بهم كما تلوى ببطن الحوت ذو النون
يرون سود الرزايا فى حقيقتها ويفزعون إلى حدس وتخمين
والخائفين اجتداع الفقر ما لهم والمفضلين عليه جدع عرنين
واللائذين بدعوى الصبر مجبنة مستعصمين بحبل منه موهون
والصبر ما انفك مرادة لمحترب ومستميت ، ومنجاة لمسكين

يا دجلة الخير: والدنيا مفارقة وأى شر بخير غير مقرون
وأى خبر بلا شر يلقحه طهر الملائك من رجس الشياطين
يا دجلة الخير: كم من كنز موهبة لديك فى «القمقم» المسحور مخزون
لعل تلك العفاريت التى احتجزت محملات على أكتاف «دلفين»
لعل يوما عصوفا جارفا عرما آت فترضيك عقباه وترضينى
يادجلة الخير : إن الشعر هدهدة للسمع ما بين ترخيم وتنوين
عفوا يردد فى رفه وفى علل لحن الحياة رخيا غير ملحون

يا دجلة الخير: كان الشعر مذ رسمت كف الطبيعة لوحا ، «سفرتكوين»
«مزمار داود» أقوى من نبوته فحوى ، وأبلغ منها فى التضامين
يا دجلة الخير: لم نصحب لمسكنة لكن لنلمس أوجاع المساكين
هذى الخلائق أسفار مجسدة الملهمون عليها كالعناوين
إذا دجا الخطب شعت فى ضمائرهم أضواء حرف بليل البؤس مرهون
دين لزام ، ومحسود بنعمته من راح منهم خليصا غير مديون

يا دجلة الخير : ما أبقيت جازية — لم أقض عندى منها دين مديون
ما كنت فى مشهد يعنيك متهما — خبا ، وما كنت فى غيب بظنين
وكان جرحك إلهامى مشاركة — وكان يأخذ من جرحى ويعطينى
وكان ساحك من ساحى إذا نزلت — به الشدائد ، أقربه ويقرينى
حتى الضفادع فى سفحيك سارية — عاطيتها فاتنات حب مفتون
غازلتهن خليعات وإن لبست — من الطحالب مزهو الفساتين
يا دجلة الخير : هلا بعض عارفة — تسدى إلى على بعد فتجزينى
يا دجلة الخير: منينى بعاطفة — وألهمينى سلوانا يسلينى
يا دجلة الخير : من كل الالى خبروا — بلواى لم ألف حتى من يواسينى
يا دجلة الخير :خلي الموج مرتفقا — طيفا يمر وإن بعض الاحايين
وحمليه بحيث الثلج يغمرنى — دفء الكوانين ، أو عطر «التشارين»

يا دجلة الخير : يا من ظل طائفها — عن كل ما جلت الأحلام يلهينى
لو تعلمين بأطيافى ووحشتها — وددت مثلى لو أن النوم يجفونى
أجس يقظان أطرافى أعالجها — مما تحرقت فى نومى بأتون
وأستريح إلى كوب يطمئننى — أن ليس ما فيه من ماء بغسلين
وألمس الجدر الدكناء تخبرنى — أن لست فى مهمة بالغيل مسكون
يا دجلة الخير : خلينى وما قسمت — لى المقادير من لدغ الثعابين
الطالحات فما يبعثن صالحة — ولا يبعثرن إلا كل مأفون
والراهنات بجسمى ينتبشن به — نبش الهوام ضريحا كل مدفون

واها لنفسي من جمع النقيض بها ... نقيضه جمع تحريك وتسكين

جنبا إلى جنب آلام أقطفها ... قطف الجياع جنى اللذات يزهوني

وأركب الهول في ريعان مأمنة ... حب الحياة بحب الموت يغريني

ما إن أبالي أصابا در أم عسلا ... مرى أراه على العلات يرضيني

غولا تسنمت لم أسأل أكارعه ... إلى الهوى ، أم على الواحات ترميني

وما البطولات إعجاز وإن قنعت ... نفس الجبان عن العلياء بالهون

وإنما هي صفو من ممارسة ... للطارئات ، وإمعان ، وتمرين

لا يولد المرء لاهرا ولا سبعا ... لكن عصارة تجريب وتلقين

يا دجلة الخير: كم معنى مزجت له ... دمي بلحمي في أحلى المواعين

ألفيته فرط ما ألوى اللواة به ... يشكو الأمرين من عسف ومن هون

أجره الشوك ألفاظ مرصفة ... أجرها الشوك سجع شبه موزون

سهرت ليل «أخي ذبيان» أحضنه ... حضن الرواضع بين العت واللين

أعيد من خلقه نحتا وخضخضة ... والنجم يعجب من تلك التمارين

حتى إذا آض ريان الصبا غضرا ... مهوى قلوب الحسان الخرد العين

أتاح لي سم حيات مرقطة ... تدب في حمأ بالحقد مسنون

فهل بحسب الليالي من صدى ألمي ... أني مضيغة أنياب السراحين

الآكلين بلحمي سم أغربة ... وغصة في حلاقين الشواهين

والساترين بشتمي عرى سوأتهم ... كخصف حواء دوح التوت والتين

والعائشين على الأهواء منزلة ... على بيان بلا هدى وتبيين

والميتين وقد هيضت ضمائرهم ... بواخز معهم في القبر مدفون

صناجة الأدب الغالى ، وكم حقب   بها المواهب سيمت سوم مغبون
ومنزل السور البتراء لاعنة   من لم يكن قبلها يوما بملعون
جوزيت عنها بما أنت الصلى به   هذا لعمرى عطاء غير ممنون
ماذا سوى مثل ما لاقيت تأمله   شم العرانين من جدع العرانين
حامى الظعائن لا حمد ولا مقة   وقد يكون عزاء حمد مظعون
لمن؟ وفيم ؟ وعمن أنت محتمل   ثقل الديات من الأبكار والعون

ويا زعيما بأن لم يأته خبر   عما ينشر من تلك الدواوين
لك العمى ومتى احتجت بأن قعدت   عن الموازين أرباب الموازين
بل قد مشت لك كالأصباح عابقة   وأنت تحذرها حذر الطواعين
كفرت بالعلم صفر القلب تحمله   للبيع فى السوق أشباه البراذين
كانت عباقرة الدنيا وقادتها   تأتى المورق فى أقصى الدكاكين
تلم ما قد عسى أن فات شاردة   عنها ، ولو كان فى غيابة الصين
لهفى على أمة غاض الضمير بها   من مدعى العلم ، والآداب والدين
موتى الضمائر تعطى الميت دمعتها   وتستعين على حى بسكين
لا بد معجلة كف الخراب به   بيت يقوم على هذى الأساطين

جب أربع النقد ، واسأل عن ملاحمها   فهل ترى من نبيغ غير مطعون
وقف بحيث ذوو النزع الأخير بها   وزر قبور الضحايا والقرابين
تر الفطاحل فى قتل على عمد   هم الفطاحل فى صوغ التآبين
من ناكر علما تهدى الغواة به   حتى كأن لم يكن فى الكاف والنون

أو قــارن باســمه خبثــا وملأمــة مـن لـيس يومـا بضـبعيه بمقـرون
تشـفيا : إن لمـح الفكــر منطلقــا قـذى بعـين دعـى الفكـر مـأفون
عــادى المعــاجم وغــد يســتهين بهــا يحصى بهـا «أبجـديات» ويعـدونى
شـلت يـداك وخاسـت ريشـة غفلـت عــن البلابـل فى رسـم السـعادين

يـا دجلـة الخـير: ردتنـى صـنيعتها خـوالج هـن مـن صـنعى وتكـوينى
إن المصــائب طوعــا أو كراهيــة أعـدن نحتـى ، كـما أبـدعن تلـوينى
أرينـنـى أن عنـدى مـن شـوافعها إذا تبــاهى زكــى مــا يزكينــى
وجـب شـتى مقـاييس أخـذت بهـا مقيـاس صـبر عـلى صر وتـوطين
وراح فضـل الـذى يبغـى مباهلتى نعمـى تعنيـه ، مـن بؤسـى تعنينـى

يا دجلة الخير: شكوى أمرها عجب إن الذى جئت أشكو منه يشكونى
ماذا صنعت بنفسى قـد أحقت بهـا ما لم يحقه بـ«رومـا» عسف «نيرون»
ألزمتهـا الجـد حيـث النـاس هـازل والهـزل فى موقـف بالجـد مقـرون
وسمتها الخسف أعدى ما يكـون لـه وأمنـع الخسـف حتـى مـن يعـادينى
ورحـت أظمـى وأسقى دمـى زمـرا راحـت تسـقى أخـا لـؤم وتظمينـى
وقلـت بالزهـد أدرى أنـه عنـت لا الزهد دأبى ولا الإمساك من دينى
خـرط القتـاد أمنيهـا وقـد خلقـت كــيما تنــام عــلى ورد ونسريــن
حراجـة لـو يـرى حمـد يرافقهـا هانـت وقـد يـدرى خطـب بتهـوين
لكـن رأيـت سـمات الخـير ضـائعة فى الشر كـاللثغ بـين السـين والشـين
مـا أضيع المـاس مصنوعا ومنطبعـا حتـى لـدى أهـل تمييـز وتثمـين

يا دجلة الخير: هل أبصرت بارقة ... ألقت بلمح على شطيك مظنون
تلكم هى العمر ومض من سنى عدم ... ينصب فى عدم فى الغيب مكنون
يا دجلة الخير: هل فى الشك منجليا ... حقيقة دون تلميح وتخمين؟
أم خولطت فيه أوهام وأخيلة ... كما تخالطت الألوان فى الجون
أكاد أخرج من جلدى إذا اضطربت ... هواجس بين إيقان وتظنين
أقول لو كنز قارون وقد علمت ... كفاى أن ليس يجدى كنز قارون
أقول : ما كنز قارون ، فيدمغنى ... أن الخصاصة من بعض السراطين
أقول: ليت كفافا والكفاف به ... رحب الحياة ، وأقوات المساجين
أقولهن وعندى علم ذى ثقة ... أن ليس يؤخذ علم بالأظانين
وإنما هى نفس هم صاحبها ... أن لا تصدق مدحوض البراهين
لم يوهب الفكر قانونا يحصنه ... من الظنون ، ومن سخف القوانين

يا نازح الدار ناغ العود ثانية ... وجس أوتاره بالرفق واللين
لعل نجوى تداوى حر أفئدة ... فيها الحزازات تغلى كالبراكين
وعل عقبى مناغاة مخففة ... حمى عناتر «صفين» و «حطين»
ويا صدى ذكريات يستثرن دمى ... بهزة جمة الألوان تعرونى
أشكو المرارة من إعنات جامحة ... منها إلى سمحة بر فتشكينى
مثل الضرائر هذى لا تطاوعنى ... فأستريح إلى هذى فتؤوينى

ويا مقيلا على غريبها أبدا ... ذكراه تعطف من عودى وتلوينى
عش الأهازيج من سجعى يرددها ... سجع الحمام وترجيع الطواحين

وسدرة نبعها خضد، وساقية — وباسق النخل معقوف العراجين
ومستدق صخور من مآبرها — رؤى تظل على الحالين تشجيني
من أنمل الغيد في حسن تتممه — فإن تعرت فمن أنياب تنين

يا مجمع الشمل من صحب فجعت به — وآخر رحت أبلوه ويبلوني
ويا نسائم إصباح تصفق لي — ندى الغصون بليلات وتسقيني
ويا رؤى أصل نشوى تراوحني — ويا سنا شفق حلو يغاديني
ويا مداحة رمل في مخاضتها — راحت أصيبية تلهو فتلهيني
وضجة من عصافير بها فزع — على أكنتها يين الأفانين
ومنطق ليس بالفصحى فتفهمه — يوما وما هو من حس بملحون
وأنت يا دجلة الخيرات سعلية — قرعاء نافجة الحضنين تعلوني
لا ضير كل أخي عش مفارقة — وأي عش من البازي بمأمون

ويا ضجيعي كرى أعمى يلفهما — لف الحبيبين في مطمورة دون
حسبي وحسبكما من فرقة وجوى — بلاعج ضرم كالجمر يكويني
لم أعد أبواب ستين، وأحسبني — هما وقفت على أبواب تسعين
يا صاحبي إذا أبصرت طيفكما — يمشي إلي على مهل يحييني
أطبقت جفنا على جفن لأبصره — حتى كأن بريق الموت يعشيني
إني شممت ثرى عفنا يضمكما — وفي لهاثي منه عطر «دارين»
بنوة وإخاء حلق ذي ولع — بتربة في الغد الداني تغطيني
لقد وددت وأسراب المنى خدع — لو تسلمان وأن الموت يطويني

قـدمت سـبعين موتـا بعـد يـومكما — يـا ذل مـن يشـترى مواتـا بسـبعين
لم أقـو صـبراً عـلى شـجو يرمضـنى — حـران فى قفـص الأضـلاع مسـجون
تصـعدت آه مـن تلقـاء فطرتهـا — وأردفـت آهـة أخـرى بـآمين
ودب فى القلـب مـن تـاموره ضرم — ما انفك يثلج صدرى حين يصلينى

***

أيها الأرق

• «أيها الأرق» .. نداء حى ، واستدعاء صارخ ، مشوبان بترحيب تلمس فى كل حرف منه حرارة الصدق ، وقوة الإيمان ، بمثل ما تنطوى عليه من حرارة الألم ، وبمستوى قوة البواعث التى ابتعثته ، حتى لكأنى – وأنا أخط هذه الكلمات – أنتقل معها من جديد ، وعلى رؤية الواقع الشاخص ، وليس بجناح الذكريات إلى تلك «الغريفة» المطلة على بساط أخضر ، طرزته الأزاهير اليانعة ، من فندق «أنترناشنال» الشهير فى براغ ، حيث يشغل من معى من عائلتى ، الغرفة الثانية ، من الشقة المخصصة لنا ، وحيث كانت أشباح الغربة تحوم علينا ، عارية مكشوفة ، بكل بشاعاتها ... وبكل رهبتها ... وبكل الأحاسيس ، والانفعالات المسحوبة عليها ومعها .. وحيث كان هذا «الأرق» يبدو معها ، لشدة انسجامه ، وروعة تكامله ، وكأنه الإطار الذى لا يوجد بديل عنه ، للصورة أبدا ، وكأنه اللمسة التى لا تتم إلا بها .. حتى ليبدو أمرا تافها .. وشيئا نابيا أن يحل النوم محله ، أو أن يزحزحه الرقاد عن موضعه.

وبعد : فلا بد أن تكون هذه الصورة نفسها ، التى استلزمت هذا الإطار – هذا الأرق – هى التى فرضت عليّ هذا التعبير الناضح صدقا ، وحبا ، وترحيبا .. ومن

وجهة ثانية لابد أنها هى نفسها التى فرضت على أن أقف بهذا التعبير ، من حيث أراد هو ، نفسه أن يقف بى .. وأن انتهى منه – على قصره – لمحض أن المضى فيه أكثر فأكثر كان فضولا فى القول ، وإقحاما فى الأداء.

وإذا أردت الأمانة الكاملة .. والدقة المفترضة ، فى استكمال الأسباب المحتملة لهذا الحيز الضيق والمساحة المحدودة اللتين قسمتا لهذا الطارق الحبيب – الأرق – فلابد لى أن أعود لأتذكر أن لـ «يا دجلة الخير» يدا قوية ، وأثرا بالغا فى ذلك .. فلقد تشابكت – وهذه القطع المعدودة – فى آن واحد فشبكتها ، واقتحمت ميدانها فزحزحتها عنه ، وجاءت (يا دجلة الخير) لتقول شيئا جديدا ليس الأرق وحده ، ولكن جوهر الغربة نفسها ، فيها من موحيات .. وبواعث .. وأحاسيس .. وكوابيس ، أيضا .

وهدأت العاصفة الكاسحة .. وقرت الأحاسيس الموحشة فى أعماق الضمير ، وأصبحت «الغربة» ، وكأنها هى القياس ، وعدمها هو الاستثناء ، ولم يعد .

- ليلى يفر من يد الظلم .
- ولا يتخطانى ولم أنم .
- وعادت «السرج» تخفق على بألطف مما كانت ، بظلال أرق ، وبموحيات أكثر طلاقة وانبعاثا .. ولم ينتقص من لطفها ، ولا من قوة موحياتها «جبل من الأسى» ..كان وما زال وسيظل «يتمشى معى وينتقل» ..والعكس هو الصحيح ، فلعل كل طائف من تلك الطيوف ، كان يستريح بظل من هذا الجبل ، وكان يحتمى به وكان يجد نفسه الضائعة فى شخصه الشاخص .

وسارت الأيام والليالى بعقد من السنين ، على أكثر من وتيرة واحدة .. ودارت قواعدها على أكثر من محور واحد .. ولقحت بأكثر من عبرة .. وأكثر من تجربة . وأكثر من فكرة .. وألفيت لى «نديما» جديدا غير «الأرق» . اصطلحت معه واصطلح معى طيلة هذه الفسحة من الزمن ، بخير ما يكون عليه الزمان من حال وبأشد ما يكون مراعاة لقواعد الألفة ..

ولأعراف الصحبة .. كنت لا أثقل عليه فى المناجاة .. ولا فى المساقات .. ولا فى مطارحة الهموم .. ولا فى بث لواعج النفس .. ولا في تقاسم الأفراح والأتراح .. ولا فى ابتعاث الذكريات .. ولا فى تبادل الصور .. ولا التسابق فى التقاطها .. لقد كنت أطرق عليه الباب الفينة بعد الفينة قد تطول إلى حد العتاب ، وقد تقصر إلى حد الإلحاح ، لأهمس فى أذنه فكرة عنت .. أو هما طرق .. أو ذكرى سنحت .. أو بارقة أمل لاحت .. أو سويعة أنس وارتياح وانبساط حانت ..

ومن كل هذا وذاك ، تكونت هذه الإضمامة الصغيرة المتعددة الألوان والظلال ، أضعها بين يدى القارئ ملتمسا منه أن يمسها برفق .. وأم يتملاها بتجرد .. وأن يتعاطف معها ، فإن فيها – كما أعتقد – من المشاركة فى خلجات نفسه ، وفى مضطرب أحاسيسه ، وفى مسارب ذكرياته خير شفيع لها .. وخير مبرر لوجودها .

والسلام

فر ليلى من يد الظلم	وتخطانى ولم أنم
كلما أوغلت فى حلمى	خلتنى أهوى على صنم

يستمد الوحي من ألمي ويبث الروح في قلمي

آه يا أحبولة الفكر
كم هفا طير ولم يطر

خفقت من حولي السرج في الربى والسوح تختلج
ومشى في الظلمة السبلج وقطار راح يعتلج
بضرام صدره الحرج فهو في القضبان ينزلج

وكأنغام على وتر
سعلات ذبن في السحر

مرحبا : يا أيها الأرق فرشت أنسا الحدق
لك من عيني منطلق إذ عيون الناس تنطبق
لك زاد عندي القلق واليراع النضو والورق

ورؤى في حانة القدر
عتقت خمرا لمعتصر

مرحبا : يا أيها الأرق فحمة الديجور تحترق
والنجوم الزهر تفترق فيجر السابح الغرق
شف ثوب للدجى خلق وخلا من لؤلؤ طبق

وتمشـــى صـــبح عـــلى خـــدر
كغريـــب آب مـــن ســـفر

أنـا عنـدى مـن الأسـى جبـل — يتمشـى معـى وينتقـل
أنـا عنـدى وإن خبـا أمـل — جـذوة فى الفـؤاد تشـتعل
إنـما الفكـر ، عارمـا ، بطـل — أبـد الآبـدين يقتتـل

قائـد ملهـم بـلا نفـر
حسرت عنـه رايـة الظفـر

مرحبـا : يـا أيهـا الأرق — كـم يـد أسـديت لى كرمـا
أنـت فى عينـى مـنى ألـق — أجتليـه بمسـمعى نغـما
مرحبـا : يـا أيـا القلـق — وجـد الضـليل فانسـجما

مرحبـا يـا صـفوة الزمـر
يـا مطـلا فسـحة العمـر

مرحبـا : يـا أيهـا الأرق — عـاطنى مـن خمـرة السـهر
إن هـذا العمـر يخـترق — كـاختراق الثـوب بـالإبر
وهـو بالأوهـام يسـترق — كاسـتراق الغـيم للمطـر

فأزرنيهـا ولا تـذر
كـم غـد ألـوى فلـم يـزر

مرحبـــا: يـــا أيهـــا الســـــهد كـــم وكـــم أنجـــزت مـــا تعـــد
خـــل حراســـا لمـــن رقـــدوا فلنفســـى مـــن نفســـها رصـــد
مرحبـــا : يـــا جمـــرة تقـــد بـــين مـــوتى ، كلهـــم جمـــد

مرحبـــا يـــا منقـــذ الفكـــر
مـــن نيـــوب الخمـــول والخـــدر

مرحبـــا : يـــا أيهـــا الأرق أنـــا بالطارئـــات أنـــتعش
لى فـــؤاد بـــالأمن يحـــترق وجفـــون بـــالنوم تنخـــدش
أحســـب الـــنفس هزهـــا القلـــق كنفـــيس الكنـــوز تنتـــبش

أكـــره البـــدر دهـــره نســـق
وأحـــب النجـــوم تـــرتعش

***

يا نديمى

يا نديمى : نفسى جذاذات طرس عريـت فوقهـا بطهـر ورجـس
مـن مراقـى نعمـى وهـوات بـؤس مـن أشـم ومـن أخـس أخـس
كـذب البحـترى إذ قـال أمـس «صنت نفسى عما يدنس نفسى»
دنـس الـنفس حلـة مـن دمقـس لـن تغطـى – ولـو بمليـون عـرس

ســـألتنى : وقلبهـــا يجـــب أمـــدى الـــدهر أنـــت مغـــترب

أملـــول أم أنـــت مجتنـــب — أم هـــو الـــدهر أمـــره عجـــب
قلـــت : مـــالى بـــذى وذا نســـب — أنـــا لى مـــن جبلتـــى عصـــب

قـــد صـــوانه مـــن الحجـــر
فهـــو لا يســـتلذ بـــالسرر

يـــا نـــديمى : إن الـــدجى وضـــحا — والهـــزار الغـــافى هنـــاك ..صـــحا
يـــا نـــديمى : وصـــب لى قـــدحا — ألمـــس الحـــزن فيـــه والفرحـــا
وأرى : مـــن خلالـــه شـــبحا — مـــن نثـــار الهـــم الـــذى طفحـــا

فى شـــباب مضـــيع هـــدر
مثـــل عـــود خـــاو بـــلا وتـــر

يـــا نـــديمى : شـــاطرنى القـــدحا — ثـــم هـــب لى صـــبابة القـــدح
إن فـــيها تعـــاف منتـــدحا — مـــن غبـــوق بـــه ومصـــطبح
رب صـــدر برشـــفة نضـــحا — وعصى ألـــوى فلـــم يـــبح

فـــأرح قلـــب ملهـــم مـــرح
مـــن غثـــاء عليـــه مطـــرح

يـــا نـــديمى : وصـــب لى قـــدحا — وأعرنـــى حـــديثك المرحـــا
يـــا نـــديمى : وأمـــس رأد ضـــحى — قلـــت لى قـــول مشـــفق نصـــحا
مـــا علينـــا أبـــارح ســـنحا — أم ســـنيح بقفـــرة برحـــا

أفـــنحن الحـــداة للـــبشر
أم رعـــاة الأغنـــام والبقـــر

يـــا نـــديمي : ورقـــة السـحر وتهـــاوي النجـــوم في الأثـــر
وخفـــوت الأضـــواء كالخـــدر دب في جســـم مـــارد أشر
لوحـــة فـــوق طاقـــة الـــبشر لتـــداعي الأفكـــار والصـــور

يـــا نـــديمي : وعـــد مـــن خـــبري
في ســـمو منهـــا ومنحـــدر

يـــا نـــديمي : وكـــم يـــد ويـــد للنـــدامي مـــدت فلـــم تعـــد
غفلـــت عـــن خبيئـــة رصـــد واســـتنامت رخيـــة لغـــد
يـــا نـــديمي : فســـقني وزد فيـــدي مـــا تـــزال في عضـــدي

وغـــدي إن يغـــب وإن يـــزر
واجـــد في صـــبر منتظـــر

يـــا نـــديمي : ونـــور السـحر فـــالربى والســـفوح تنـــتشر
والنجـــوم الخرســـاء تنحـــدر وكـــأن الصـــباح ينفطـــر
غـــادة بالحيـــاء تـــأتزر فهـــي تبـــدو طـــورا وتســـتتر

ثـــم تمشـــي خجـــلى عـــلى حـــذر

مشـــــى عـــــذراء دونـــــها أزر

يـا نـديمي : وكـم مضى سـحر وكـم اسـتن نهجـه وتـر
وطـر جـد إذ مضى وطـر وكـأن لم يكـن لـه خـبر
يـا نـديمي : أحجيـة بشر يبعـث الميـت حـين يفتكـر

ثـم يلقـى بـه إلى الحفـر
لنضـيد الـتراب والحجـر

يـا نـديمي : وأمـس كنـت أرود ملعبـا أسرجتـه «غيـد» و «رود»
شـال فيـه نهـد .. وأتلـع جيـد وتـدلت عـلى النهـود عقـود
ثـم هبـت للـرقص فيـه قـدود كـل أملـودة لهـا أملـود

يـا نـديمي : وهمـت بالشـجر
وسـواي اسـتبد بـالثمر

يـا نـديمي : وجـس عـود فرنـا وطـروب أصـغى لـه فتغنـى
ونـديم أدار كأسـا وثنـى وشروب لـو شـاء أفـرغ دنـا
يـا نـديمي : ومنيتـي أن أعنـى - لـو تسـنى لمشـته مـا تمنـى -

بسـعير الـدلال والخفـر
وخريـر الأنغـام والـوتر

يـا نـديمي : ورقـق الـنغم بـرنين الأقـداح ينسـجم
هـب مـن كـل «قبلـة» نسـم وبحلـو الشـفاه غـاص فـم
والحميـا كأنهـا ضرم في مصـب العـروق تحتـدم

تنتشـي مـن دبيبهـا العطـر
فهـي بـين الوثـوب والخـدر

يـا نـديمي : سـبحان بـار براهـا عرضـت مـرة فكـذبت عينـي
وتحاملـت جاهـدا أن أراهـا فمشـت بينهـا السـنون وبينـي
غـير أن الـذي عـراني عراهـا وكـأني بـه تحينـت حينـي

يـا نـديمي : وخائـب كـ«حنـين»
مستضـل يبغـي نسـيئا بعـين

كقراضـات عسـجد في لجـين ذبـن في خـدها بـماء الشـباب
و«أنيـف» مفـض إلى شـفتين رحمـة صـيغتا وسـوطي عـذاب
و«نهيـدان» رفرفـا بـين بـين في سـفوح منسـابة وهضـاب

يـا نـديمي : وحفنـة مـن تـراب
كللـت رأس مـزمن متصـابي

يـا نـديمي : ومـا تـزال نجـوم لاقطـات أنفاسـهن احتضـارا
طافيـات يعيـا بهـن السـديم يترقـبن بـالطلوع النهـارا

قلقـــــات كــــأنهن همــــوم　　　فى فـــؤاد جـــم الهمــوم ، حيــارى

أيـــواكبن مـــا ألفـــن اضـــطرارا
أم يـــولين مـــا اســـتطعن فـــرارا

وعصـــافير يـــدرجن الهوينـــا　　　فى هبـــوط أعقابهـــا وصـــعود
مـن رنيـق النعـاس يمسحن جفنـا　　　ويعـــاودن خطـــوة مـــن جديـــد
وتعـــاطين زقزقـــات دوينـــا　　　تســـبق الهمهـــمات بالتغريـــد

وتعالــــت هلاهـــل مـــن بعيـــد
وتوالـــت أسراب طـــير ســـعيد

وبعيـــدا : لحـــن غريـــد　　　هـــب مـــن نشـــوان عربيـــد
وأغـــانى خـــرد غيـــد　　　خلتهـــا مـــن حســـن ترديـــد
خشخشـــات العقـــود فى الجيـــد　　　وهفـــا مـــن بعـــد تصـــعيد

رمـــق بـــاق مـــن العمـــر
فى شـــعاع منـــه محـــتضر

وتـــدلت عـــلى المـــروج خيـــوط　　　مـن نسـيج الصـباح لونـا فلونـا
وتغشـــى الســـماء حســـن خلـــيط　　　مـــثلما شـــابت الملاحـــة حزنـــا
شـــغل الـــنفس عـــن ســـواه محـــيط　　　كـــاد عجبـــا بنفســـه أن يجنـــا

وهناكم في المرج «ناي» تغني
كفؤاد بالحزن فاض فأنا

يا نديمي : وهب حقل وحقل نافضا عنه من خمول دثارا
وتنحى عنه من الليل ظل فهو يشتد روعة واخضرارا
كل غصن به تعلق طل دب فيه دفء الحياة فغارا

إن كونا في حسنه لا يبارى
سل من ربقة الظلام إسارا

يا نديمي : كم سجعة لمغني ذكرتني الصبا وسجع الديوك
وانثنت بي منها لقضبان سجن ثم منها إلى مصير ملوك
ورمتني بمثل رمشة جفن لمهاوي وساوس وشكوك

في نظام مهلهل وحبيك
وصفيق من ستره وهتيك

يا نديمي : إن الشباب تولى ملقيا خلفه على النفس ظلا
يمنع العمر بعده أن يملا يا نديمي : وعفت إلا الأقلا
ذكريات مثل السراب تعلى موهما فرط غلة أن تبلا

يا نديمي : وسرت بالأثر
وتخفى السراب عن بصري

يــا نــديمى : هــلى الحيــاة خيــال ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أم نســـيج يعـــده منـــوال
يــا نــديمى: ســتون ، مــرت ، ثقــال ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ رازحـــات . كـــأنهن جمـــال
مـــثقلات .. أو مـــثلها تنهـــال ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ صـــوارا فى روايـــة ، أبطـــال

يـــا نـــديمى وتـــنهض الأطـــلال
مـــن جديـــد .. إذ نحـــن غيـــب زوال

يــا نــديمى : ومــا هــى القــيم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ غــير مــا زخرفــت بــه نظــم
شـــاءهن الخصـــيم والحكـــم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وحمـــاهن صـــارم خـــذم
مـــن رعـــاهن فهـــو محتشـــم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أو جفـــاهن فهـــو مـــتهم

يـــا نـــديمى : ومـــن لظـــى ســـقر
صـــيغ هـــذا اللجـــام للـــبشر

يــا نــديمى : وقــد تحــير ظــن ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فى اشـــتراع الشـــارات فى الأديـــان
فســيبقى مــا قــارع الســن ســن ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بشر أدرد بـــــــلا أســـــــنان
وزنـــــود بمـــــثلهن تطـــــن ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ أن تبـــاع الزنـــود بالأطنـــان

يـــا نـــديمى : ألـــيس ثمـــة ثـــانى
لاخـــتلاف الإنســـان والإنســـان

لا يهــين النجــوم غــزو الفضــاء ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ نحـــن نـــدرى بأنهـــا أجـــرام

سـوف يبقـين قـدوة الشـعراء ريـث يحلـو لهـم بـأرض مقـام
سـد أبصـارنا بهـير الضـياء أنـه كـان فى النفـوس الظـلام

سـوف تعلـو بـالملهم الأحـلام
مـا تـردت شريعـة ونظـام

يا حفيظا على الكرى أن يطوفا بقبـاح كـالوحش مزدريـات
كـن بمكبوتـة تخفـى لطيفـا وترفـق بميـت الـذكريات
لا تزرنـى أشـباحها والطيوفـا مـن شـخوص صـدق ومفتريـات

جئتنـى مـن عـوالم أخريـات
- كـالزوانى- فواحشـا مغريـات

يـا نـديمى : ورانـت العقـد واشـتكى ثقـل روحـه الجسـد
شـاب صـفو المطـامح الحسـد وهـوى بالتجلـد الجلـد
وانطـوت أنفـس بـما تجـد فعليهـا مـن نفسـها رصـد

وتـدنت علاقـة البـشر
خضـيض الشـكوك والحـذر

وبكـى الزهـر أن يـرى تيجانـا لـرؤوس محشـوة بفسـاد
وشـكا الشـعر ذلـة والهوانـا لـ«حبيـب» و «أحمـد» و «زيـاد»
وشـجا الحـرف أن هوجـا هجانـا تهتـك السـتر عـن بنـات الضـاد

كــــم دعــــى دعـــى فلـــم يجــر
مثـــل بغـــل عـــاص فلـــم يــدر

رب ليــــــل قطعتــــــه إربــــا أرقــب الــنجم كيــف يــرتكس
وغــدير الصــبح الــذى اقتربــا مــن خـــلال الغيــوم ينــبجس
وغيومـــا بنـــت لهـــا طنبـــا بمهــــب النســــيم ينـــتكس

صــــور كــــالخيوط تلتــــبس
الــــدجى.. والصـــباح.. والغلـــس

قيـل لى: مـات أمـس.. عفـواً فـلان قلــت : كبــا عــلى يــد وفــم
كـــان قفـــرا زمانـــه والمكـــان فازدهتـــه توافـــه الــــنعم
فاتـــه مـــن شـــبابها العنفـــوان فتكفـــــى بفضـــله الهـــرم

قــــل لمســـتنكف مــــن العـــدم
مهــــد عيســــى حظـــيرة الغــــنم

يــا نــديمى : ولــو خلقــت نبيــا لتطبعـــــت مـــــنهم بهنــــاة
هبنـــى الزهـــر عـــاش غضـــا جنيـــا ثـــم عاشـــت بـــه أكــف الجنـــاة
مـــا ترانـــى وقـــد بلغـــت العتيـــا فاســـتنامت عـــلى الجنـــو قنـــاتى

أتمـــلى فى النــــور شــــيا فشــــيا

عــبرا كــن أمــس ظــلا وفيــا

يـــا نــديمي : إن الحيــاة منــى فــإذا زلــن فهــى كالعــدم

ومنــى كــن يقتــدحن ســنى فى دروب تعــج بـــالظلم

عفــت ممــا حملنــى ثمنــا هــو أغــلى مــن عيشــة السأم

إن عيشــى.. أمســى.. عــلى حــذر

صــنو يــومى يعــاش فى خــدر

يـــا نــديمي : ووقتــى بلــدا عقــم الخــير فيــه أن يلــدا

هــو جوعــان.. مــتخم حــردا وهــو عريــان.. مكــتس عقــدا

وهــو إذا صــيغ أهلــه بــددا يكــره الخلــق أيــنما وجــدا

يـــا نــديمي:وأقــص عــن بصرى

بشرا حاقــدا عــلى البــشر

يـــا نــديمي : ولم أجــد نصــفا أعــوز النــاس كلهــم نصــف

مــن جســا مــتهم ومــن لطفــا ومــن التــاث باســمه الشرف

وقــوانين شرعــت هــدفا مــا بهــا رميــة لمــن هــدفوا

يـــا نــديمي : ورغــم مــا وصــفوا

ظــل شــح بجنبــه سرف

يـــا نــديمي : ومســنى صــمم وتبنــى النصــيح مــتهم

يــا نــديمى : ولــو زكــا نــدم   لاســـترد الشــبيبة الهـــرم
لـو وعـى الوجـد مـا جنـى العـدم   لتمشـــت بمقعـــد قـــدم

غـــير أن الخفـــيض لم يطـــر
ورداء الشـــباب لم يعـــر

قـــد ســئمت الحيــاة لا جزعــا   مـــا تســنى منهـــا فلـــن أدعـــا
بـــل لأنـــى لم أنهـــز المتعـــا   قـــاب قوســـين نـــبعهما شرعـــا
ولأن الهيابـــة اللكعـــا   نـــال منهـــا مـــا اســطاع وافترعـــا

ولأن ابـــن منبـــت قـــذر
لم يـــدع فى الحيـــاة مـــن وطـــر

يـــا نـــديمى: ومـــا هـــى المثـــل   إذ يســـاط الإيـــمان والـــدجل
والرســـالات أيـــن والرســـل   حـــين يلـــوى بهـــن منتحـــل
يـــا نـــديمى أصـــح مـــا نقلـــوا   أم هـــو الـــنجح كـــان والفشـــل

فلـــذياك باقـــة الزهـــر
ولهـــذا الشـــواظ مـــن ســـقر

يـــا نـــديمى وشـــفنى حـــزن   أن تســـاوى القبـــيح والحســـن
والغبـــى الســـفيه والفطـــن   وطهـــور وجيفـــة عفـــن
يـــا نـــديمى وضـــاع مـــؤتمن   فى خـــؤون وأفـــوه لســـن

في حصـــور.. ومحكـــم الســـور
في خضـــم مـــن تافـــه الهـــذر

يـــا نـــديمي كـــم أكـــره الملقـــا والكـــذوب المنـــافق الخرقـــا
يـــا نـــديمي وعـــز مـــن صـــدقا إن بـــي مـــن كلـــيهما فرقـــا
غـــير أنـــي ألفـــت مـــا اتفقـــا حـــين لم ألـــف غـــيره طرقـــا

يـــا نـــديمي : وصـــنع منتحـــر
أن تـــرى رهـــن مجمـــع أشر

يـــا نـــديمي والـــنفس كنـــز نفـــيس والكنـــوز المبعثـــرات كثـــار
ومـــدى الـــدهر تشـــقى نفـــوس داجيـــات بـــألف نجـــم تنـــار
ونفـــوس طابـــت فهـــن شـــموس مشرقـــات لم تـــدر كيـــف النهـــار

يـــا نـــديمي وأيـــن أيـــن الفـــرار ؟
ألنـــا غـــير هـــذه الـــدار دار

يـــا نـــديمي لم يبـــق لي مـــا أرجـــي غـــير ليـــت.. وليـــت زرع بصـــخر
ليـــت أنـــي لبربـــر أو لـــزنج أتغنـــى شـــجونهم طـــول عمـــري
نصـــف قـــرن مـــا بـــين دف وصـــنج أتراني كنـــت انتبـــذت بقفـــر

وتجوهلـــت مثـــل واو لعمـــرو
لســـت أدري ولا المـــنجم يـــدري

يـــا نــــديمى وأنــــت لى وطـــر　　وأنــــا فى الحيـــــاة لى أوطــــــار
ضـــل مـــن ظـــن أنـنــى حجــر　　يبتنـــى منـــه للجمـــوع جـــدار
وبـــــأنى دم لهـــــم هـــــدر　　مــن ثــرى سـال فيـه تشـوى جـرار

أنــــا لى مـــــن طبيعــــى قيثـــــار
بالــــذى شـــئت تنطـــق الأوتـــــار

يـا نـديمى وقـد رجعـت لرشـدى　　فوجــدت الرشــد المبــين ضــلالا
وسرابــا مــا خلــت أعــذب ورد　　وجنوبــا مــا قــد حسـبت شــمالا
مــا ترانــى وقــد تبينــت لحـدى　　أتمنــــى عــــلى الزمـــــان المحــــالا

أن تـــرى الـــنفس مـــن جديـــد مجــالا
يوســـــع الفكــــر والحيـــــاة انتقـــالا

يا نـديمى : شـاهت نفـوس ضـعاف　　تتقـــاوى كـــذبا فتـــزداد ضـــعفا
تسـتدر العطـف الشـياه العجـاف　　فــإذا تهـــن زدن عجفـــا وســـخفا
ومـــدى العـــذر أنهــن خـــراف　　كـــن لحــما وكـــن صــوفا وظلفـــا

كـــم مقـــل بـــما يكــــاثر أصـــفى
ومســـــف عــــالى فكــــان الأســـفا

يــــا نـــــديمى ورهبــــة العـــــدم　　شــأن حـــب الحيـــاة مـــلء دمـــى

وشـــــباب حصـــــيلة الألم ظـــل ذكـــرى تشـــاب بالنـــدم
غـــير أنـــى وجـــدت فى الهـــرم طعمـــه الحلـــو عالقـــا بفمـــى

يـــا نـــديمى وأرذل العمـــر
مـــا يعيـــد التلـــوين فى الصـــغر

يـــا نـــديمي وأمـــس كـــان أجـــير وأجـــير مـــنهم تعـــرت صـــدور
حلقـــات بهـــا اســـتبد الجبـــور حـــول كأســـى كؤوســـهم تستدير
يـــا نـــديمى وفـــار فى شـــعور أن نبـــع الحيـــاة مـــنهم يفـــور

إن عجبـــــى لهـــــذه الزمـــــر
هـــو عجـــب الحجـــول بـــالغرر

يـــا نـــديمى وكـــان ليـــل فجـــالا فـــارس يبهـــر العيـــون اختيـــالا
شـــمت فيهـــا ممـــن عرفـــت خيـــالا هـــو أبهـــى شـــكلاً وأرفـــه حـــالا
كـــان يزهـــى فتـــوة وجمـــالا كـــان شـــبهها للكـــادحين مثـــالا

كـــان رمـــزا لســـادة أخـــر
غـــير أولاء ســـادة البطـــر

يـــا نـــديمى وهـــذه الزمـــر هـــى أغلـــى مـــا خلـــف البشر
هـــــى أمـــــارة وتـــــأتمر وهـــى كـــل الغنـــى وتفتقـــر
وهـــى إن عـــاث فاتـــك أشر قـــوة للشـــعوب تـــدخر

يـــا نـــديمي و خـــير مـــدخر
بشر عـــاطف عـــلى الـــبشر

أنـــا بـــين الطغـــاة والطغـــم   شامخ فـــوق قمـــة الهـــرم
فـــإذا حـــان موعـــد الأزم   وارتطـــام الجمـــوع بـــالنظم
خلتنـــي عنـــد سـيلها العـــرم   قطـــرة لامســـت شـــفاه ظمـــى

يخضـــد المـــد شـــوكة الجـــزر
إذ تصـــب البحـــار فى الغـــدر

يـــا نـــديمي ولى حشـــى يخـــز   لجمـــوع عـــن واحـــد عجـــزوا
هـــم كـــماة الـــوغى إذا ارتجـــزوا   ويطيحـــون إن هـــم لكـــزوا
فهـــم مـــن تنـــاقض لغـــز   وهـــم فى يمينـــه خـــرز

يتلهـــى بهـــا عـــن الضـــجر
ويـــدك الأوضـــاح بـــالغرر

يـا نـديمي أمـس اقتنصـت طريـداً   شـــاعرا كـــان يستضـــيف البيـــدا
كـــان همـــاً صـــلباً حديـــداً   يمـــلأ القفـــر.. موحشـــا.. تغريـــدا
قلت من ؟ قال : شرط أن لا تزيـدا   أنـــا أدعـــى: مســـافرا ويزيـــدا

مـــن بـــلاد أعـــدت عـــلى القـــرودا
ونفتنـــي وكنـــت فيهـــا نشـــيدا

وتولى عني .. فظلت مليا في قرود مفكرا ونشيد
وعلى أنه أجاد الرويا لم أجد في رويه من جديد
كان قلبا غضا وفكرا طريا شاءه الحظ في مزاحف دود

كل طير مسافر بن يزيد
حين يغدو فريسة لقرود

يا نديمي وكان أمس يكني لفلان عن محنة لفلان
وهو ممن بفضله يتغنى بين فرضي صلاته والأذان
فإذا بـ « المجن » يضحي مسنا ومقصا لأكل لحم فلان

عائدا من خرافة المتفاني
بحديث عما جنته اليدان

وجنته اليدان سقط متاع عن سفاح وفاسق النظم
وهو سم مروق في العراق من فم يبصقونه لفم
وهو حلو المساغ عذب المذاق لصعاليك في حمى النعم

يستحلونه مع الحرم
لازدراء الوفاء في الأزم

يا نديمي إن النضال مرير بدؤه الفقر .. والردى منتهاه

ونضـــالٌ، ونعمـــة، وقصـــور ـــــ لـــيس يـــدري معنـــاه حتَّـــى الله
يـا نـديمي، كـم ادعـى مُسـتجيرُ ـــــ بجُمـــــوع: إنَّ الجمـــــوعَ شـــياه

غـــير أنَّ التـــاريخَ حـــين طـــواهُ
لم يجـــد فيـــه عِـــبرةً مـــنْ ســـواهُ

يـــا نـــديمي وفي خضـــمٍّ نضـــالِ ـــــ ينـــزوي تـــارةً وطـــورًا يـــوالي
وجـــدَ العائشـــون في الأدغـــالِ ـــــ فُرصـــةً لانتهـــاب كَـــرم الـــدَّوالي
يـــا نـــديمي، وبـــين قيـــل وقـــال ـــــ كسرَ اللـــصُّ مُصـــمت الأقفـــال

غـــير ســـاه في وهجـــة الـــدرر
عـــن نصـــيب الحـــراس والخفـــر

يـــا نـــديمى وثـــم ألـــف زعـــيم ـــــ لحفـــــاه مضـــــللين عـــــراة
ألـــف نجـــم كـــاب بليـــل بهـــيم ـــــ لم يـــر الصـــبح مـــن جبـــاه السراة
ألـــف وجـــه مرقـــرق بنعـــيم ـــــ صـــاعر بـــين أوجـــه مـــزدراة

يتعـــاطى بـــأحرفٍ مفـــتراة
مزدهـــــاة.. مبيعـــــة.. مشـــــتراة

والشراة المبغـــــدون كثـــــار ـــــ ألـــف دار لهـــم هنـــاك ودار
كـــم كـــؤوس بـــما تشـــهوا تـــدار ـــــ ونعـــوتٍ ليســـت لهـــم تســـتعار
كـــل بـــين للمترفـــين مـــزار ـــــ بـــدم الخلـــق لا بزيـــت ينـــار

كـم - بـها يبتـدعن مـن صـور
في حـروف الهجـاء مـن عـبر

يـا نـديمي وإن أولاء عـار	وإن اشـتط مـزعم وفخـار
أمـس خـلى نجـارهم دينـار	كـالعروس اسـتخفها زنـار
وهـم اليـوم سـادة أبـرار	يعـزف المجـد حـولهم قيثـار

يصـفون العـوراء بـالحور
ويناغونهـا عـلى السرر

يـا نـديمي وسـال ألـف شـهيد	وشـهيد دمـا بعـود السراة
مـا تـرى في مـوردات الخـدود	بقعـا مـن دم الحفـاة العـراة
وقـديما مـن ألـف ألـف وريـد	سـلن مـا بـين دجلـة والفـرات

أنهـر كـن في يـد التـتر
خـير إرث مـن زاهـر الـعصر

أفتـدري مـا قـال قـوم سراة	لجماهـير أصـبحت أجـراءً
لقـى الضـيم باعـة وشراة	عطـل الشـعب بـيعهم والشراء
إي وعينيـك قـال ذاك عـراة	حسـبوا الكـذب والريـاء كسـاءً

إي وعينيـك أودعـوه نـداء

وأذاعـــوه بكـــرة وعشـــاءً

يـا نـديمى ومـر يـوم وشـهر　　وإذا القـــوم زينـــة البرلمـــان

وإذا فى مـــلاءة العهـــر طهـــر　　وإذا المحصـــنات هـــن الزوانـــى

وإذا تلكـــم النيابـــات أجـــر　　عـــن مبيـــع الشـــهيد فى دكـــان

يـــا نـــديمى ومـــر عـــام وثـــانى

ثـــم جفـــت خواضـــب الأكفـــان

يـا نـديمى وسـوف يبقـى عثـارا　　فى مصـير الجمـوع هـذا الركـام

ريـثما تـبصر الطريـق حيـارى　　لأتعـــى أيـــن توضـــع الأقـــدام

وكـلما تـدرى شخوصـا صـغارا　　فى ظـلام الـدجى فهـن ضـخام

هـــم عماليـــق مـــا تـــدلى نظـــام

فـــإذا مـــا ازدهـــى فهـــم أقـــزام

يـا نـديمى أمـس اسـتبدت طغـاة　　ســـلطت أربعـــين عامـــا وعامـــا

لويـــت بـــالجموع مـــنهم قنـــاة　　بعـــدها عنـــت الحيـــاة لمامـــا

حلـــما ثـــم بددتـــه عتـــاة　　ســـنت البغـــى مـــن جديـــد نظامـــا

فتمنـــــت خلائـــــق أن تســـــاما

بغـــى ماضـــين هـــم أخـــف انتقامـــا

يا نديمي لك النصيحة مني ... ليس لي في نصيحتي ما أغل

خذ بعرس القرود دفا وغني ... وقل الأهل أنتم والمحل

صيد إنس أنتم وأقيال جن ... جنة الخلد دون قرد تمل

لا نبالي من يجتوي أو يبل

ما تمشى منكم على الأرض ظل

يا نديمي أشد وأنت الأريب ... بالذي قاله الغداة الرئيس

قال: إني لكل شاك طبيب ... ولمن يبتغي عروسا عروس

يا نديمي وقل عدتك الخطوب ... هكذا هكذا تكون الرؤوس

لا كمن ساس أمس شعبا تبوس

لم يغادر ركز لهم أو حسيس

يا نديمي وقل لطاغ عتي ... اقض ما شئت لا تشل يداكا

وزع الموت بين هي وبي ... جعل الله من عداك فداكا

يا نديمي وسر بهذا الروي ... ترق في سلم المنى أفلاكا

تجد الناس كلهم ما عداكا

لا يساوون من نعال شراكا

يا نديمي ولا يعقك الحياء ... فابتذال يشيع ينفي الحياء

وإذا الحكمة امتطاها الهراء ... ساق.. فيمن يسوقه.. الحكماء

يـــا نـــديمى إن الـــذكاء غنـــاء   فى محـــيط يـــدلل الأغبيـــاء

وإذا شـــئت فاســـأل الأنبيـــاء
تجـــدنهم أضـــاحيا أبريـــاء

يـــا نـــديمى ورب نجـــوى سرار   لى كانـــت مـــع النجـــوم الســـوارى
لا لشـــىء إلا لفـــرط حـــذار   مـــن نفـــوس ديفـــت بحـــب مـــوارى
لا لليـــل داج ولا لنهـــار   بـــث شـــكواك صـــاحبى لجـــدار

فهـــو أولى مـــن خـــدع نكـــر
لـــيس فـــيهم بـــراءة الجـــدر

يـــا نـــديمى وكـــان يـــوم مطـــير   ونـــديم وعـــازف ومغنـــى
وكـــؤوس كـــادت شـــعاعا تطـــير   فى أكـــف الســـقاة مـــن فـــرط حســـن
وكـــأن الرعـــود بـــم وزيـــر   وكـــأن الـــرذاذ إيقـــاع لحـــن

وإذا نحـــن نحتمـــى بمجـــن
مـــن صروف الزمـــان فى يـــوم دجـــن

وتـــقضى لهـــو وغاضـــت مـــدام   وتجاســـى عـــود ومـــات النـــديم
فـــإذا بـــالرذاذ وهـــو ســـهام   وإذا بـــالغيوم مـــوتى تحـــوم
وإذا هـــذه الحيـــاة انســـجام   أشـــقاء أتاحهـــا أم نعـــيم

وإذا نحـــن إذ تـــرق نســـيم
هـــب منهـــا وحـــين تقســو ســموم

يـا نـديمى والعلـم أضـحى حسـابا زاد جـــذرا أو راح يـــنقص كعبـــا
والخفــى المجهــول شــق الحجابــا لم يـــداهن عبـــداً.. ولا خـــاف ربـــا
غـــير أن النفـــوس ظلـــت كتابـــاً مغلفـاً.. مـوحش الصـحائف صـعبا

قـــل لمـــن شـــارف النجـــوم وأربـــى
هـــل تلمســـت فى مطاويـــك دربـــا

يـــا نـــديمى وقـــد بشـــمت احتقـــارا لضـــجيج الهتـــاف والتصـــفيق
عشـــت أشـــقى لـــيلا بـــه ونهـــارا عـــاش فـــيهن مـــن دمـــى وعروقـــى
ثـــم لم ألـــف إذ لقيـــت العثـــارا فى الملايـــين مـــن صـــديق صـــدوق

غـــير دعـــوى كفـــارغ الهـــذر
كصـــفير الريـــاح فى الشـــجر

يـا نـديمى كـم مـن شـعار كـذوب مـــن مضـــامينه تهـــزأ الحـــروف
كـــل مـــا فيـــه مـــن هنـــاء وطيـــب عـــن معـــان أضـــدادها تحريـــف
كـــان فـــيهن شـــبه مرعـــى جـــديب أخطـــأت قصـــدها إليـــه ضـــيوف

يانـــديمى كـــل الحـــروف تخيـــف
فى دســـاتير شرعتهـــا الســـيوف

يانـــــديمى وأمــــة تثـــب ثـــم تغفـــو لقصـــة عجـــب
عجبـــا كيــف ينخـــر السـغب فى عظـــام كأنهـــا قصـــب
نهـــزة للريـــاح تنتحـــب فـــإذا هـــز عودهـــا غضـــب

آذنـــت للعيـــون بـــالشرر
ثـــم تغفـــو فلـــيس مـــن خـــبر

يـــا نـــديمى ونعـــم مـــا صـــنعا حـــين ألفـــى مرعـــى بـــه فرعـــى
أطلـــس منـــه حـــالف الســبعا رث حبـــل القطعـــان فانقطعـــا
فهـــما يأكلانـــه قطعـــا وهـــو يخشـــى كلـــيهما فزعـــا

يـــا نـــديمى وحـــب مـــن وطـــر
مـــا يحـــث الجـــزار فى الجـــزر

يـــا نـــديمى وبـــين أخـــذ ورد ضـــاع حـــد مـــا بـــين ضـــد وضـــد
كـــم منيـــف هـــوى ركيســا لوهـــد وركـــيس ســـما لقمـــة مجـــد
يـــا نـــديمى ورب عبـــد لعبـــد تـــاه فى بـــرد ســـيد مـــن معـــد

كـــان مـــن صـــنع أمـــة شـــذر
لا لبـــــدو كانـــــت ولا حضر

يـــا نـــديمى لم يـــبرح الفلـــك كيـــف شـــاء الغبـــاء والخـــرق

مــن غنــوا تحتــه ومــن فلكــوا　　　عنــدهم مــن خصاصــة فــرق
كـــل شـــيء لـــدرهم شرك　　　كثــرت نحــو مكــة الطــرق

قبــل صــب الســبيك والــورق
وأتـــى النبـــل بعـــد والخلـــق

يا نـديمي أمس استمتعت جـدالا　　　بـــين عقلـــين منـــتج وعقـــيم
قـال هـذا : سـاءت رؤى ومثـالا　　　كتـــل مـــن مشـــاكل وهمـــوم
ومشـــى ذاك يضرب الأمثـــالا　　　بكـــديح ومســـتغل زنـــيم

واجـــدا في النظـــام والتنظـــيم
هـــوة بـــين رافهـــين وهـــيم

يــا نــديمي وكــم خفــي شــعور　　　هاجــه في خفــق رعــد وبــرق
وارتجـاف الأضـواء فـوق النمـير　　　لمصـــابيح كـــالزمرد زرق
كـم تـرى بين مصمتات الضـمير　　　مـن تـلاق.. وبـين خفـق وخفـق

يــا نــديمي : وبــين فــرق وفــرق
لحــم لســـن بـــين شـــق وشـــق

يـا نـديمي أمـس اسـتمعت هتافـا　　　مـن بعيـد .. مـن غـابرات القـرون
أن كـــن المـــرء لا يهـــاب مطافـــا　　　لنجـــاء مشـــى بـــه أو كمـــين
إن ســـقراط ذاق ســـما زعافـــا　　　لـيرى الفكـر فـوق ريـب الظنـون

يـا نـديمى ورغـم كـر السـنين
ظـل سـقراط فـوق ريـب المنـون

يـا نـديمى والفقـر عـار مهـين — والنـواميس عارهـا الفقـراء
درجـت أعصر ومـرت قـرون — وأنـاس لغـيرهم أجـراء
وأنـاس كـما تريـد تكـون — وأنـاس كـما يريـد الشـقاء

يـا نـديمى وكـل دعـوى هـراء
مـا تبقـى محسـن ومسـاء

يـا نـديمى : وعشـت بـين غـلاة — أفرغـوا فـوق خنجـر بـرد عيسـى
لا لحضر كـانوا ولا لبـداة — إن عنـد البـداة نعمـى وبوسـى
هـم مـن الشرق شر مـا فى الفـلاة — ومـن الغـرب مـا استجد لبوسـا

عـاف بـوذا تجارهـا المأيوسـا
وأبـى «أحمـد » و«عيسـى» و«موسـى»

يـا نـديمى أمـس احتملـت كتابـا — وكـأنى احتملـت فكـرا بـنعش
إن رأسـا أوحـاه أمسـى ترابـا — وهـو مـا انفـك فيـه يـوحى وينشـى
يـا نـديمى وقـد لقيـت عجابـاً — مـن عقـول شـتى عـلى الأرض تمشـى

أبـت المـوت بـين أنيـاب وحـش

فــاغرات مـــا بـــين لحـــد ورفـــش

يـــا نــــديمي وللنجــوم انحـــدار وصـــعد .. وللشـــعوب ارتكـــاس

ووثـوب .. حـال بحـال مني تغـار غـــير أن الشـــعوب حـين تســاس

بالعصــا طــول عمرهــا تنهــار ويـــروح الشـــذوذ وهـــو قيـــاس

كـــم شـــعوب لهـــا النعـــاس مـــراس

وشـــعوب لم تـــدر كيـــف النعـــاس

يـــا نــــديمي ورب ديـــوان شـــعر سلت فيـه دمـاً.. وفكـراً .. وروحـا

وتمازجـــت مثـــل كـــأس وخمـــر أتبنـــــى جمالـــــه والقبيحـــــا

كنــت منـه وكــان منــى كشــطر لصـق شـطر فـيها يناجى ويـوحى

أتمـــــــلاه خـــــــاسرا وربيحـــــــا

وأعـــــانى جروحـــــه والقروحـــــا

يـــا نــــديمي إن الحيـــاة طيـــوف يتحـــدى اللطيـــف فيهـــا العنيـــف

وهـــى إن تقـــس أو تـــرق ظـــروف تـــبهج الـــنفس تـــارة وتخيـــف

ليـت شـعرى والمـرء طيـف سـخيف رصـــدته غـــير المطـــاف الحتـــوف

مـــــن تـــــراه يجـــــيء بـــــالخبر

كيـــف تبـــدو الـــدنيا لمحـــتضر

يا نديمى زفت لعرس غراب | أمس مليون باقة من زهور
ورثوه فعاد محض النعاب | نغما يسترق سمع العصور
وتغنوا بكل عار وعاب | فأحالوهما المجد وخير

وأقاموا لفحمة فى حفير
مأتما لم يقم لبدر البدور

يا نديمى وألف صنج ودف | ضعن ما بين «أطلس»و«الخليج»
وقواف على شفاه المقفى | عشن ثم اندثرن بالتهريج
يا نديمى لا تعل فوق المسف | وتلاءم خيطا لكل نسيج

وتحجج ما دمت بين الحجيج
أو فمت موت ضفدع فى خليج

يا نديمى كم جائعين طعاما | أطعموهم قنابرا.. وحريقا
خيروا بين إن يشبوا ضراما | لعتاة.. أوإن يساقوا رقيقا
يا نديمى وكان ذاك نظاما | حاز عونا.. وناصرا.. ورفيقا

يا نديمى ولن تحس العقوقا
لحقوق الشعوب حتى تذوقا

يا نديمى وشاه مجتمع | نخرت فى عظامه البدع
منذ ألف وأهله شيع | من غزاهم فهم له تبع

يتهــــزأ بالجـــائع الشـــبع ويســـب العفيـــف والـــورع

فهـــو عبـــد لكـــل محتقــر
وخـــؤون.. ومـــدع.. وثـــرى

يـــا نـــديمى ووواخـــز النــدم هــو أنـدى جرحـاً وأقـوى لجاجـا
تلـــج الـــنفس منـــه بـــالألم أى بــاب للحــزن يــأبى رتاجــا
أبـــدا فى متاهـــة الظلـــم تطفـــئ الـــذكريات منهــا سراجــا

أبـــدا فى صـــميمها النخـــر
يرتمـــى ســـم حيـــة ذكـــر

يــا نـديمى وجبـت شـتى بقـاع فــإذا الخلــق كلــه عبــد وضــع
وإذا كـــل نأمـــة فى الطبـــاع هـــى ملـــزوزة بمخلـــوق صـــنع
وإذا كـــل عبقـــرى صـــناع هـــو فى المبـــدعين أفضـــع بـــدع

يــا نــديمى هــوت كمنخورجــذع
حكــم عــن دعــائم.. لحــن.. ســبع

يــا نــديمى والحــب محـض نفـاق مــا تخــلى عــن حرمــة وذمــام
كــم ظنـــين حتـــى يرقيـــه راق راح يعطيـــك روحـــه فى الكـــلام
لـــك منـــه الأشـــواق يـــوم التلاقـــى وعنـــاق مـــا بـــين عـــام وعـــام

ثـــم يعلـــو بـــبرج بـــدر تمـــام
ويخليـــــك تائهـــــا في ظـــــلام

يـا نـديمى ونغـص العـيش علـم   أنـــه رهـــن رقبـــة الرقبـــاء
ألـــف مغروســـة بلـــؤم تلـــم   رمشـــة الجفـــن أوخيـــوط القبـــاء
ليـت عينـا تعمـى وأذنـا تصـم   عـــن ظهـــار..وعـــن سرار ســـواء

إن عيشـــا نهبـــى ســـميع ورائـــى
كجــــــواء مهــــــدد بوبـــــاء

يــا نــديمى لا يخــدعنك ســكون   في نفــوس يغــلى بهــن اضــطراب
أى بـــؤس بـــه تـــنم العيـــون   وهمـــوم بهـــن يعيـــا الإهـــاب
رب صـــبر عـــلى بـــلاء يكـــون   فيـــه مـــن نفســـه عليـــه ثـــواب

يـــا نـــديمى وإذ يثـــاب المثـــاب
تتســـــاوى جريمـــــة وعقـــــاب

يـا نـديمى زاد النفـوس اضـطرابا   كونهـــا بـــين شـــدة ورخـــاء
يستسـيغ العـاق السـموم شرابـا   ومعـــاف خلـــو يغـــص بـــماء
ويـرى المـوت راكبـون صـعابا   خـــير مـــا اختـــير مـــن دواء لـــداء

فـــإذا مـــا ابتلـــو بـــداء الرخـــاء
فهـــم عنـــه أجـــبن الجبنـــاء

يـــا نـــديمي ومجمـــع خـــرق　　نحـــن وهـــن في نفســـه علـــق
نحـــن شـــئنا أو لم نشـــأ فـــرق　　مـــزق طـــوع أمـــره خـــرق
نحـــن وهـــو الريـــاح والـــورق　　ونجيـــع الـــدماء والعلـــق

نحـــن صلصـــالة مـــن الحفـــر
آســـنات عريقـــة الجـــذر

يـــا نـــديمي إن الوجـــود طبيعـــة　　حســـنا كـــان أم هنـــاة شـــنيعة
إن كونـــا للعاطفـــات صـــنيعه　　واجـــد فيـــه كـــل إثـــم شـــفيعه
يســـبق الطبـــع حكمـــة وشريعـــة　　مـــثلما يســـبق المجـــلى تبيعـــه

ثـــم تـــأتي روادع الزجـــر
كلجـــام يقـــى مـــن الخطـــر

غـــير أن اللجـــام كـــان اصـــطناعا　　وعصـــوف الريـــاح عفـــوا طباعـــا
فـــإذا صـــادفت خيـــول يفاعـــا　　أو تدهـــدت إلى الحضـــيض سراعـــا
كسرت شـــوكة اللجـــام انـــدفاعا　　وكـــذاك الطبـــاع تـــأبى انصـــياعا

حـــين تهـــوى لمزلـــق خطـــر
لنـــواهي نهـــى ومزدجـــر

يـــا نـــديمي إن الجـــمال متـــاع　　وحيـــاة بـــلا متـــاع جحـــيم

ليت هـذا النصف اللطيف اقتراع لا كظـــيظ منــــه ولا محــــروم
ظلــم الشرق عنــد شرق جيــاع كضــباع وعنــد غــرب حــريم

يـــا نـــديمى وهكـــذا ســـيدوم
فى صراع مـــع الشـــقاء النعـــيم

يـا نـديمى وأمـس خمـس كعـاب كاشـــفات الصــدور واللبـــات
حـــول فـــرد جمعـــن كالأنصـــاب لصـــق خمـــس كـــالهيم فى الفلـــوات
كعطــــاش إلى عتيـــق شراب ألزمـــوا بالصـــيام والصـــلوات

فهـــم يلعقـــون فى الخلـــوات
مـــا لـــدى غـــيرهم مـــن الصـــبوات

يـــا نـــديمى وأمـــس غـــب كـــرى عـــانق النفـــع خصـــمه الضررا
والتقـــى نـــاحر ومـــن نحـــرا فأجـــــدا مآســـــيا أخـــــرا
رب دمـــع مـــن مقلتـــين جـــرى كـــان فيـــه الـــربيح مـــن خسرا

والـــــربيح الجـــــزار فى خسر
ديـــة الـــنصر دمـــع منـــتصر

يـــا نـــديمى وأمـــس فى الحلـــم لاح لى طيـــف غـــامس بـــدم
عاريـــا غـــير حلـــة النـــدم وقمـــــيص الســـــقام والألم
قذفتــــه إلى مــــن أمــــم غابـــة مكتظـــة الأجـــم

يتحـــدى بالنـــاب والظفـــر
شرعـــة الثـــاوين فى الحفـــر

كـان مسـخا.. مما اصطلى وجنى وبـما سـام غـيره الحزنـا
كـان بؤسـا ومأتمـا قرنـا فهمنـا يبغيانـه ثمنـا
كـان يلقـى ضـميره العفنـا يأكـل الـروح منـه والبـدنا

يـا نـديمى وهـان ذو خطـر
وتسـاوى والـدود فى الحفـر

يـا نـديمى عـوت ذئـاب الكـلام حـين شـمت قتـارة مـن ثريـد
حللـت مـا عـلى خـوان اللئـام شرط أن يشـتوى بفـرن جديـد
طلبـت مـن طهـاة أشـقى نظـام أن يعـدوا خـوان عهـد سـعيد

طمعـا باقتطـاع لحـم الزنـود
أسـوة مـنهم بكـل العهـود

***

أبا زيدون

أبـا زيـدون مـا أحـلى معانيـك ومـا أطـرى
لقـد أوحشـنا بعـدك لـولا نعمـة الـذكرى
أبـا زيـدون والـدنيا يـمازج حلوهـا المـرا

سـنبقى طـول أعـوام ... جفـاف نسـتقى شـهرا
ألا يـا ليـت أفـراس الصـبا ... المشـبوب لا تعـرى
عمرنـا بعـدك الكـأس ... وكانـت آيـة كـبرى
ونصـبنا لهـا الويسـكى ... والفسـتق والـقشرا
ومحشـو دجـاج حـف ... بالدلـة كـالطغرا
أفـانين.. أفـانين ... بهـا نسـتعجل السـكرا
وكانـت كأسـك الأولى ... وكـأس لقائنـا الأخـرى
ودارت بعـدها الكـؤوس ... مـن كـبرى ومـن صـغرى
ومالـت عنـدها صـغرا ... رؤوس تـأنف الصـغرا
وأسرينـا ومـا نـدري ... فسـبحان الـذي أسرى
بـإخوان إذا الـدُنيا ... دَجَـتْ كـانوا لهـا الفجـرا
صـفوا كـالنبع إعلانـا ... وطـابُوا كالنـدى سرا

ألا أبلـغ «أبـا القاسـم» ... أنّـا نـعصرُ الخمـرا
وأنـا نقـرأ الغيـب ... وأنـا ننفُـثُ السـحرا
وأنـا نمسـخُ الإيـمان ... حتـى يغتـدى كُفـرا
وأن العـرقَ المخْـضَ ... إذا شـئنا اغتـدى تمـرا
وأنـا نحـنُ لا الـدنيا ... نسـنُّ الخـير والشرا
وأن الأحمـق المغـرورِ ... مـن راح بنـا يُغـرى
فشـكرًا يُعقـبُ السُـكرا ... وسـكرًا يُعقِـبُ الشُـكرا
وشـوقًا يلـذعُ الأضلُـ ... ـعَ حتّـى خِلْتُـهُ جَمْـرا

وميثاقًـــــا بــــأن نبقــــى «كـــإخوان الصــفا» دَهْـــر،

***

حبيتهن بعيدهن

حبيـــــتهن بعيــــد هنـــــه مـــن بيضـــهن وســـودهنه
وحــــدت شــــعرى إن يـــروح قلائـــــدا لعقودهنـــــه
نغــــم القصـــــيد قبســـــته مـــن نغمــة لوليـــد هنـــه
كـــم بســــمة لى لم تكـــن لـــولا افـــترار نضـــيدهنه
ويتيمــــــــة لى صـــــــغتها مـــن دمعـــة بخدودهنـــه
إنـــــا وكــــل جهودنــــا للخـــير رهـــن جهودهنـــه
وحـــدود طاقـــات الرجـــال لصـــيقة بحـــدود هنـــه
وصــــمودُنا في النائبـــاتَ مـــرَدُّه لصــمود هنّـــه
بنُحوسِـــهنَّ نحوسُـــنا وسَـــعودُنا بســـعودهنّه
التضـــحياتُ الغـــرُّ صنــــعُ شُــموخهن وجُهودهنّــه

قـــالوا« الشـــهيدُ » فقلـــت : ويــحَ ثواكـــلٍ بوحيدهنّـــه
حُملّنـــه تِســـعًا وخِطـــنَ عليـــهِ سُـــمرَ جلودهنّـــه
حتـــى إذا مـــا ردّت الـــآمـــالُ بعـــضَ شُرودهنّـــه
أوجذْنَـــــه وفدَينَـــــه خـــوفَ الـــردى بوُجودهنّـــه
واليـــومَ جِـــيرةُ لَحــدِه يحِفِـــرنَ سُـــودَ لحُودِهنّـــه

قـــالوا : أمَـــا شيءٌ لديــكَ لـــرَودهنّ وخَودِهنَـــه

فـــــأجبتُهم إني أخـــــافُ ... عـــلىَّ بعـــضَ شُـــهودَهنّه

لله أيَّـــــــةُ رِقـــــــةٍ ... وقســـاوةٍ في عُـودهنّــــه

عمَّرننـــــا بجَهودهنــــــه ... وهـــــدمننَا بصُـــــدودهنّه

خـــوفَ التنـــاقض لا أُلِّـــحُ ... عـــن سَراب وعُودهنّــــه

أنـــا أخـــتشي مـــنهُنّ ... فالســلطانُ عبـــدُ عبيدهنّــه

زِنَّ الحيــــاةَ بوعـــدهنّ ... وشِــــنَّها بوعيدهنّـــــه

إني وإن ســــــامرتهنّه ... وغَمَـــزتُ مـــن أُملودهنّــه

فلـــرُبَّما ليـــلٍ ســـهرتُ ... مؤرَّقـــا لبريدهنّـــــه

كـــم فتنـــةٍ لقـــديمهنّ ... ورثنهـــا بجديدهنّـــــه

المـــوت لِصـــقُ جُلودهنــــه ... والنـــارُ تحـــت جَليدهنّــه

ومصـــارعُ الأبطـــال في التـــا ... ريـــخِ خـــدُن مهودهنّــه

حســـبي بنـــابليونَ إن ... أخشـــى مصـــير جُنودهنّــه

عِظـــةٌ مـــن الفـــولاذ كيـــ ... ـــفَ أذبْنَـــه بحديدهنّـــه

حبيــــتُهن بعيـــدهن ... ولمـــتُ شـــملَ عديدهنّـــه

وحشـــدتُ أحســـنَ مـــا استطعـــ ... ـــتُ أزُفُّـــهُ لحُشـــودهنّه

وفجـــرتُ أشربُ مـــن دمـــي ... ظمـــأ عُـــروقَ وَريدهنّــه

مـــنهنَّ محْـــضُ العاطفـــات ... فهـــنَّ محْـــضُ قصـــيدهنّه

وقبســـت مـــن ســـجعِ الحـــامِ ... الرجـــعَ مـــن تغريدهنّــه

الســـيداتُ الآنســـاتُ ... فقـــلْ بحـــالِ مســـودهنّه

حييـــــــــــتهنَّ بعيدهنّـــــــــــه

مـــــــن بيضـــــــهنَّ وسُـــــــودهنّه

***

أطفالي وأطفال العالم

لي طفلتـــــان أقـــــنصُ الخيــــالا

عَـــــبْرَيهما وَالعِطـــــرَ والظِـــــلالا

أســـوءُ حـــالا كـــي يُسرَّا حـــالا

وكـــــي يُراحـــــا اســـــتلِذُّ التَعَبـــــا

لي ناشـــــئان يُرقصـــــان الَمَلعبـــــا

قـــد أوشـــكا مـــن رقـــةٍ أن يُشرَبـــا

لم يَعرِفـــا غـــيرَ الصـــفاء مَـــذهبا

وغـــيرَ حُـــبِّ النـــاسِ أُمّـــا وأَبـــا

إني وبـــالفطرةِ أهـــوَى النـــنَغَما

إن حـــدَّثا ســـمعتُ ظبيّـــا بغـــمَّا

ويبســـمُ المـــرجَ إذا مـــا ابتســـما

طفـــلان .. ســـلني تعـــرف الأطفـــالا

أحمِـــلُ مـــنِ أجلهـــمَا أثقـــالا

لم تســـــتطِعْ قـــــبلَهما احـــــتمالا

تَعَـــودًّا أن يَسرَحـــا ويمرَحـــا

وأن يصُـــبا في النفـــوس الفَرَحـــا

لم يبْرحــــا لا يعرفــــانِ البَرَحـــا

وعنـــدنا ، نحـــن الكبـــارَ ، الـــبَرَحُ
تُســـمِّمُ العَـــدَوى بـــه وتُجـــرَح

نحـــن الكبـــارَ ليتنـــا أطفـــالا
ولم نُزِلـــزل بعضَـــنَا زِلـــزالا
ومنـــذُ دهـــرٍ وهُمـــا قـــد حـــالا
وبُـــدِّلا عـــن حالـــةٍ أحـــوالا
قـــد هـــاجَ في نفســـيهَما البلبـــالا
صـــحيفةٌ قـــد حملَّـــت أَثقـــالا

مـــن وزر بـــاغٍ دكَّ « هيروشـــيما »
بالـــذرِّ حتـــى ردهـــا هشـــيما

بـــين الســـطورِ طَالَعـــا تمثـــالا
لطفلـــة مـــثلِها جمـــالا
قـــد مزِّقـــتْ أوصـــالُها أوصـــالا

مِـــن حَولهـــا ينـــتشِرُ الغَـــمامُ
قـــد خُـــولِط الَمـــوتُ بـــه الـــزُوءم
وهـــي كـــما شـــاء لهـــا الطَغـــام
نائمـــةٌ وفوقهـــا الحَـــمامُ
يـــرِفُّ في رفيفـــه السَّـــلام

وإِن تَهـــاوى جســـمهُ هـــزالا

والقادمـــانِ ارتميـــا إنســـالا وارتَعـــدا فقلـــتُ لا تُراعـــا

إن الغـــمام يـــنجلي سُـــواعا

وَالخـــيرُ ريـــحٌ تكـــنُسُ الأطماعـــا

حـــطَّ الطغـــاةُ عنـــه الآمـــال وكـــمْ وكـــمْ قـــد مزَّقـــت شراعـــا

ثـــم التَّـــوَى بثقلـــهِ ومـــالا

وانـــتعَشَ القلبـــانِ ثـــم قـــالا

هـــبْ مـــثلَما قلـــتَ الغـــمامُ يـــذهبُ

لِمَ الحـــمامُ ســـاكنٌ لا يلعـــب

لابـــدَّ أنَ قـــد ليـــث منـــه مَشرب

فهـــو - وهـــذي أختُنـــا - استحالا

رمـــزًا لـــموتٍ يمـــنح الجـــمالا

وانتَهضـــا يســـتطلِعان الأُفُقـــا

ويرمُقـــان مغربـــا وَمشرقـــا

ويلعنَـــان مـــن غـــمامٍ مِزَقـــا

تلعَـــقُ مـــن دمٍ يعطّـــي الشـــفَقَا

وانتفضـــا كـــالطيرِ يـــترو فرَقـــا

وفي العيـــون حلـــوةً تَـــلالا

ومـــيضُ بَـــرقٍ خلتُـــه سُـــؤالا

لـــو أفســـحَ الـــذُّعرُ لـــه مجـــالا

واســـتبقَتْ عيناهمـــا الأبعـــادا

ثَمَّـــة جـــالا جولـــةً وعـــادا

والهـمُّ قـد أضـناهما أو كـادا
إن فـداءَ البغـي في « نيفـادا »
تلـك التـي قـد وُسِّـدتْ وسـادا
عاثَـتْ يـدُ المـوتِ بـه فَسـادا
أيُصـبحان مثلَهـا رمـادا
أيرقُبـانِ مثلَهـا مِيعـادا

عـلى جنـاحِ غيمـةٍ تعـالى
غُـولا تُزجِّـي مثلَهـا أغـوالا
ثـم تـدنى تسـحب الأذيـالا
وتشُرُ الـدُخان والـزَوالا

مـن قَبـل أن تُرعِـدَ أو أن تُبرِقـا
في كـلِّ مـا أينـع أو مـا أوْرَقـا
وكـلِّ نـورٍ عبقـري أشرقـا

وكـلَّ مـا قـد أتعـب الأجيـالا
حتـى احتـذوا أمثالـه مثـالا

واحتضـن الطفلـين صـمتٌ غَيْهَـبُ
هُنَيْهـةً .. ثـم تمشَّي كوكـب
وكوكـبٌ .. وموكـبٌ وموكـب
وسِربُ أطيـاف عـذابٍ تغـربُ
عَـبر عُيـونٍ أربـع وتسـكُب

في كـلِّ مـوق سِـحرَها الحـلالا

وفـــتِّح الشـــفَاه دهـــرٌ قُلَّـــبُ

يـــا طاَلَمـــا قـــد فَـــتَّح الأقفـــالا
وفي الصَــــحَارَى زَرَعَ الآمـــــالا

إنهـــما والغـــيمُ رمـــزٌ مُكـــرِبُ
وَبنـــتُ « هيروشـــيم » طيـــفٌ مرعَـــب

يُتـــــاه في بيـــــدائها ضــــلالا وفي الســـكون حالـــةٌ لا تعجـــب
وتســــترق الفكـــــرَ والخيـــالا

إنهـــما والجـــوُّ قفـــرٌ مجـــدب

لم ييأســـا وبعثـــرا الرمـــالا
واكتشـــفا اليَنْبُـــوع والسَلســـالا

إنهـــما وقـــد أُزِيـــحَ الغيهـــبُ
قـــد أبصرا أنَّ الحَـــمامَ يلعـــب
جناحُـــه عنـــد الأصـــيل مُـــذهب
يجـــيء مـــن غمامـــةٍ ويـــذهب
أهـــلٌ لأطيـــافِ المنـــى ومرحـــب

***

الذكرى الباقية

« أطالـــبُ » إنتـــا أسرَى حيـــاةٍ تَخُـــطُّ لهـــا المصـــيرَ الزمـــان
تقرِّبُنـــا ، وتُبعِـــدُنا ليـــوم بـــه تُـــذرى هبـــاء كالـــدُّخانَ
ولـن يبقَـى سِـوى الـذكرى بـديلٌ وهـــل يُغنـــي السَـــماعُ عـــن العِيـــان
أطالـــبُ : إنْ تُفرِّقْنـــا الليـــالي كـــما انفـــرطَ الجُـــمان عـــن الجُـــمان

« فكـــلُّ أخٍ مفارقُـــه أخـــوه ... لعَمــــرُ أبيـــك إلاّ الفرقَـــدان
وتَرجيعــــا لأحَــــلى ذكريـــاتٍ ... كأصـــــداءِ المثالِــــثِ والمثـــاني

***

أحرام ؟!

أحـــرامٌ عـــليّ « مـــونخ » أن أشـــ ... ـــربَ كأسًـــا وأن أُغنِّـــي حياتـــا
دون أن أُبـــتَلَى بوغـــدٍ ، وأن أخـــ ... ـــشَى رقيبًـــا ، وأن أخـــافَ وُشـــاتا

***

من دفتر الغربة

مـــن بعيـــد لكُـــم يحِـــنَّ حنينـــي ... وبـــذكراكمُ تُثـــار شـــجوني
وإذا مـــا خَطَـــرتُمْ خَطَـــر اليـــأسُ ... وســـاوي تيَقُّـــي بظُنـــوني
يـــا أحبـــاي .. والليـــالي عجيبـــاتٌ ... عِجَـــافٌ يـــأكُلْنَ كـــلَّ سَـــمين
وبنـــو الـــدهر يمخـــرون عـــلى أثـــ ... ـــباجِ غَيـــبٍ مُحمَّـــل بالسَـــفين
أعـــلى العَهـــد أنـــتمُ أم تَنـــائي الـــدار ... يُـــنسي الخـــدينَ ذكـــرَ الخـــدين
أكـــرَهُ الحـــزنَ غـــير أنَّ فـــؤادي ... بادِّكـــار الأحبـــاب جـــدُّ حَـــزين
أنـــا عبـــدُ الوفـــاء والحـــبُّ دُنيـــاي ... همـــا دون مـــن عَبَـــدتُ وديـــني
والرجـــولاتُ دونَ ذَيـــنِ هبـــاءٌ ... وإن استعصَـــمتْ بـــرُكنٍ رَكـــين
يـــا مطـــافَ الأحـــلام في الســـتين ... جِـــدِّدي الـــذكريات مـــن عشريـــن
ألهمـــتِ الســـامرينَ نَشْنَشَـــةُ الكَـــأسِ ... وعصـــفُ الهـــوى .. وســـحرُ العُيـــون
والأمـــاسيَ راقصـــات .. وأســـارٌ ... لـــذاذ وغُـــنجُ حُـــورٍ وعـــين

والنشاوي يخطِرن بين سَموحِ ... سَلْسَةِ المُشتَهى وبينَ حرونِ
كلما خِيلَ أفلتتْ من كمينٍ ... لغواةٍ .. تعرضت لكمين
ومجرُّ الذيولِ ذاتَ شمالٍ ... ساحب عطسرَهُ .. وذاتَ يمين
يَعبقُ الليلُ من لُهاثِ العذارى ... وندى الفجرِ من شذا الياسمين
وتفردتُ ساهمًا أنا .. والكأس ... وحزني .. وسارحاتُ الظنون
رُحتُ من فرطِ ما انقَّلُ عيني ... من حوَاليَّ نُهزةً للعيون
وتخيلتُني وقد شَفَّني الوجـ ... ـد طريدًا من عالمٍ محزون
ويدًا برّةَ المجَّس عطوفًا ... تمسحُ الحزنَ ناضحًا عن جبيني

يا رَبايا شعبٍ .. وحراسَ أجيالٍ ... ويا أصفياءَ حقٍ مُبين
أيها المكثرونَ من نعمِ الدهـ ... ـرِ جزيل العطاء غيرَ ضنين
جمراتٍ تُشَّبُّ في عذبات ... تحتها للطغاة ألفُ طعين
هنَّ .. هُنَّ الدنيا وهنَّ حياةٌ ... لُمهانٍ .. وهنَّ حتفُ مَهين
ما تَهاوَى العروش إلاّ وكانت ... خلفَها قضتا أديب مكين
يَسْبق الموتَ عاصفٌ ثم تعوي ... من ثنايا السطور ريحُ المنون
خُلِقَ الكونُ من حروف عليهنّ ... الحضاراتُ شُيِّدتْ من قرون
حضنتهُنَّ مثلما تَتبنّى ... روعةَ الشعرِ روعةُ التلحين
غَنَّتِ الخَلْقَ سادرًا عبقريّاتٌ ... تنزّلْنَ عن كتابٍ مبين

حلْيةٌ نحن من طرازٍ فريدٍ ... وبقايا عطرٍ خفيٍّ ثمين
وَرحِمَتْ ألفُ أنفِ حُبلى وحُبلى ... تتشهاهُ من بطون السنين
نحنُ من نطفةٍ سوى نُطفِ الناس ... وطين من غيرِ ذاكَ الطين

نحـــن مـــن غُـــرةِ الليـــالي رُواءٌ ... مـن شباب والنـاسُ مثلُ الغضـون
تُتْعِـــبُ الشـــارحينَ منـــا حيـــاةٌ ... نحـن في سِـفْرِها نصـوصُ مُتـون
نحـن ممـن لا يسـترُقُهُمُ العمــ ... ــرُ بِحُلـو المُنـى ومُـرِ المنـون
نحـن لا نزدهـي ببارقـةِ العيـ ... ــشِ ولا نعمـةٍ مـن المنجنـون
بحفـوقٍ مـن نجمـةِ مستـردٍ ... وعطـاء مـن شمسـهِ ممنـون
نحـن صرعـى الهمـومِ في كـلِّ وادٍ ... وضحايا الجـلاّدِ في كـل حـين
نحن من في سبيلِهم أُبـرِمَ السـوطُ ... وشـيدت لهـم جِبَـابُ السجون
نحـن نحـن الـذي نستبِقُ الغيـ ... ــبَ بعقبـى غـدٍ مخيضٍ جنـين
يتعـادي البـاغون إلاّ علينـا ... من « أمين » منهم .. ومن « مأمون »
صلـةُ الأمـر عنـدهمْ أنَّ ذهنًـا ... يستشـفُ الغيـوبَ غـيرُ أمـين
كَـمْ اطحنـاهُمُ بضَربِ الـوَتينِ ... وفُـدِينا منهم بعجـلٍ سـمين
نحـن مـن لَقَّطـوا لهـم من حثالات ... الـدُّنى كـلَ فـاجِرٍ مـأفون
واسـتعانوا للجـمِ كـلِ أصـيلٍ ... يتحَاشَـوْنَه بـألفِ هجـين

يـا أحبـايَ والمصـيبةُ أنّـا ... إذْ رَكِبْنـا مستـوعراتِ الحـزُون
لَم نَجِـدْ مـن يُـنفَضُ الرمـلَ والوعـ ... ــثاء عنّـا مـن صـاحبٍ وخـدين
كَـمْ دموعٍ جَفَّـتْ عـلى بسـماتٍ ... وخُطـوب هانَـتْ علـيَّ تهـوين
وبمـيلاد كـلِ جيـلٍ يـوفي ... حـقَ جيـلٍ مـن دئـن ومـدين
خِلقـةٌ شِبْهُ خلقَـةٍ .. غيرَ جيلٍ ... طالمـا امتـدّ مُـثّقلاً بالـديون
حـاش لله .. والمـروءات إنّـا ... شركـةُ النـاسِ في عـذاب وهـون
لم نكـنْ وَحَـدنا .. فقـدْ وَحـدَّتنا ... بـالملايين حشَرجـاتُ المِئـين

يا غريب الدار

مــــن لِهَـــمٍ لا يُجَــــاري ولآهـــــاتٍ حَيــــــارى
ولمطـــــوي عـــــلى الجمــــــــر سِرارًا وجهــــــارا
طالبًــــا ثــــأرًا لـــدى الدهـــــــرِ الـــذي يطلُـــبُ ثـــارا
مَـــنْ لنـــاء عـــاف أهـــلاً وصِــــــحابًا ، وديــــــارا
تَخِـــــذَ الغربـــــة دارا إذ رأى الـــــذُّلَّ إســــارا
إذ رأى العـــيشَ مـــداراةَ زنـــيمٍ لا يُـــداري
مــن لِســتينَ انْطــوتْ مثــــــلَ دم العبـــد جُبـــارا
سُـــوقِطت رجمًـــا كـــما يــــرمـــي المُلَبّـــون الجِـــمارا

يــا غريــبَ الــدار لم يُخْـــــلِ مـــن البهجـــةِ دارا
لم يـــدعْ طيفًـــا يـــواسي مقلـــــــــةً إلاّ أزارا
يمـــنح الشـــجوَ الثكـــالي وشـــذا الحـــب العـــذارى
يـــا نـــديما يـــعصر الخمــــــرةَ لـــيلاً ونهـــارا
ويُســـاقي مـــن دمِ القلــــــبِ أخـــا الهـــمِ عُقـــارا
تأخـــذ النشـــوةَ منـــه ثـــم تنســـاهُ السُـــكارى

يـــا أخـــا الفطـــرةِ مجـــبـــولا عـــلى الخـــيرِ انفطـــارا
وأخـــا البســـمة ضـــاهتْ بســـمةَ الفجـــر افـــترارا
مســـحت عـــن أوجـــه عـــاثَ بهـــا البـــؤس اغـــبرار
تحتهـــا مـــن غُصـــصٍ مـــا يوســـعُ القلـــبَ انفجـــارا

يـــا جـــوادًا شـــابَ كهـــلاً ... فَـــرْطَ مـــا خـــاضَ المغـــارا
يـــا سَـــبوحًا عـــانق المـــو ... جـــةَ مـــدًّا وانحســـارا
لم يُغـــازلْ ســـاحلاً مـــ ... ـــنها ولا خـــافَ القـــرارا
يـــا دجـــةَّ العـــيش إن يَخْـــ ... ـــبُ دجـــى النـــاسِ أنـــارا
يـــا وديعًـــا يـــنفض المـــوت ... بنعليـــــه غبـــــارا
يـــا بـــنّ « ســـتّينَ » يعـــدُّ الـــ ... ـــعمر للـــروح إطـــارا
غمـــرةُ خُضْـــها كـــما خُضـــتَ ... ابـــن « عشريـــنَ » غِـــمارا
يـــا غريـــبَ الـــدارِ نـــاغِ الشـــ ... ـــعرَ يَمحَضْـــكَ الحِـــوارا
النـــــديمُ السَـــــمحُ إنْ ... راوغَ نـــــدَمانٌ وجـــــارا
أحـــرفٌ عِشـــتَ وإيـــا ... هـــن عُسْرًا ويَســـارا

أنـــــت والهـــــمُ اعتســـــا ... فـــا وطِماحًـــا تتبـــارى
أبـــــدًا تقـــــدَحُها قـــــد ... حَـــــكَ في الزَنـــــدِ الشرارا
يـــا غريـــبَ الـــدارِ كـــم نبـــع ... تطـــــامى ثُـــــمَّ غـــــارا
غـــــيرَ نبـــــعِ كلَّـــــما ... فجّرتـــــه دارَ فـــــداري
يـــا غريـــب الـــدّار لا تـــأْس ... وإن ضِـــــقْتَ اصـــــطبارا
خُلِقـــتْ عينـــاك كـــي تعـــ ... ـــترفا النـــوم غِـــرارا
وضـــميرٌ راح مـــن جســـ ... مـــك يمـــتصُ اعتصـــارا
كنـــت منـــه مـــثلما المِعـــ ... ـــصمُ إذْ يشـــكو الســـوارا
كـــان مـــن خلقـــك خلقـــا ، ... فهـــو لا يقـــوى فـــرارا
كـــان كـــالمِحوَرِ مـــا ... طابقـــتِ الـــدروة دارا

يـــا غريـــبَ الـــدار والأيـــامُ كالنـــــاسِ تُـــــدارى
وبنـــاتُ الـــدهر يغلبـــــن بنـــي الـــدهرِ ابتكـــارا
خـــيرُ مـــا عنـــدَك مـــا تحسَـــبُ شرّاً مســـتطارا
أنْ تـــذوَّبتَ انســـجاماً في الرزايـــا وانصـــهارا
ثمنـــا تـــدفعُ عـــن معـــركةٍ خُضـــتَ انتصـــارا
ديـــةُ الثـــائرِ أن يحتمـــلَ النقْـــعَ المُثـــارا

يـــا غريـــبَ الـــدارِ مـــا فخـــرُ المنيبـــينَ اضـــطرارا
مـــا افتخـــارُ العُـــود أنْ تَلـــوي بـــه الـــريح انكســـارا
والهَشـــيمِ اليَـــبْسِ أنْ شـــبَّتْ بـــه النـــارُ أُوارا
الرجـــولات اعتـــزازٌ يتحـــدَّى الاغـــترارا
والمغـــاويرُ يجِّـــدونَ مـــدى الـــدهرِ مَغـــارا

يـــا غريـــبَ الـــدارِ وجهـــا ولســـانًا ، واقتـــدارا
ومُزيـــرَ النـــاسِ أطيـــافـــا وإنْ شَـــطَّ مـــزارا
قَـــرَّ في ضحضـــاحةٍ كالســـيلِ ينصـــبُّ انحـــدارا
لا تُشِـــعُ في الـــنفس خُـــذلانا وحَوِّلـــهُ انتصـــارا
لـــو تشـــاءُ الحـــقَ لأســـتو في بـــك الـــريحُ الخَســـارا
أحْـــصِ مـــا ســـاقَطتَ مـــن مُثمـــرةٍ تَـــرض الـــثُمارا
أنـــتَ شِـــئتَ البـــؤس نُعـــمىً ورُبـــى الجنَّـــاتِ نـــارا
كنـــتَ حربـــا والليـــالي واللـــذاذات الكِثـــارا

شــــئت أن تحــــرم مـــــن ... دنيــــا ترضـــتك مــــرارا
شــئتَ أنْ تهــوىَ الــذي غَيْــ ... ــرُك سَــــمّاهُ انتحـــارا

شــئت كــيما تمــنحَ الثــورةَ ... روحـــــا أن تُثـــــارا
اختيــارًا شــئت مــا النــاسُ ... يشـــاؤون اضـــطرارا
كنــتَ ، لــولا ذمــةٌ ، تمــ ... ــلِك في الأمــرِ الخِيــارا
عبَّـــدوا دربَـــك نَهْجًـــا ... فتعمَّــــدْتَ العِثـــارا
وتصـــورَّت الرجـــولاتِ ... عـــلى الضُرِّ اقتصـــارا
لم تكـــن فـــذَاً ولا كـــانَ ... لـــك البــؤسُ احتكـــارا
أنـــت مـــن بـــؤسِ الملاييـــ ... ــنِ تُخِـــيِّرتَ اختيـــارا
منـــت للمقـــرورِ نـــارًا ... ولِضـــلِّيلٍ صُـــوارا
كنـــت عـــن جيـــلٍ تبنتْـــ ... ــكَ رزايـــاه شِـــعارا
لـــو خـــلا مِـــن صـــورةٍ أنـــ ... ــتَ عليهـــا لاســـتعارا
يـــا غريـــبَ الـــدار مَنـــ ... ــسيًا وقـــد شـــعَّ ادَّكـــارا

عـــاش والنـــاس كـــما عـــاشَ ... غـــــــريانِ ضِرارا
ذنبُـــه أنْ كـــان لا يُلـــ ... ــقي عـــلى الـــنفس سِـــتارا
إنَّـــه عـــاش ابتكـــارا ... ويعيشـــون اجـــترارا
زمنًـــا حتـــى إذا المـــوتُ ... طـــواه فتـــوارى
واســـتبدَّتْ ظُلمـــةُ القـــبرِ ... بـــه .. عـــاد منَـــارا
أسرجـــوا « الأكليـــلَ » غـــارا ... يســـتجدُّون فَخـــارا
ويُضـــيفونَ إلى عـــارٍ ... مـــن الخِسَّـــةِ عـــارا

يـــا غريـــبَ الـــدارِ لم تكْـــــفَلْ لـــه الأوطـــانُ دارا

يـــا « لبغـــدادَ » مـــن التـــا ريـــخِ هُـــزءًا واحتقـــارا

عنـــدما يرفـــع عـــن ضيـــم أنالتـــهُ الســـتارا

حلأَتْـــهُ ومَـــرَت للـــوغدِ أخلافـــا غِـــزارا

واصـــطفت بُوتّـــا وأجْلَـــتْ عـــن ضِـــفافِيها كنـــارا

وأقامـــتْ مـــن دمٍ كلّلـــهُ الحقـــدُ ، جـــدارا

وأجالـــت أعينًـــا حُـــولًا مـــن الغـــيظِ ازورارا

وأرتـــهُ الضـــحكةَ الصفـــراءَ عـــن خُبـــثٍ تـــوارى

فهـــي كالشـــهواء ألقـــتْ تســـتر القـــبحَ ، الخِـــمارا

واستجاشـــت زمـــر البغـــي نُفايـــاتٍ خُشـــارا

شَرَهُ الأحقـــادِ كـــالجو عـــانِ يشـــتمُّ القُتـــارا

كـــلٌّ مهتـــوكٍ يـــرى في هتكِـــهِ ســـترًا دثـــارا

يـــا لأجنـــادِ الســـفالاتِ انحطاطًـــا وانحـــدارا

وجـــدت فرصـــتَها في ضَـــيْعَةِ القَـــوم الغَيـــارى

يـــا غريـــبَ الـــدارِ يـــا مـــن ضَربَ البيـــدَ قِـــمارا

لـــيس عـــارًا أنْ تَـــوَلّي مـــن مســـفّينَ فِـــرارا

دَعْ مَبـــاءاتٍ وأجلافـــا وبيئـــينَ تِجـــارا

جـــافِهِمْ كـــالنسرِ إذ يـــأنَفُ ديـــدانًا صِـــغارا

خلقـــةٌ صـــبَّتْ عـــلى الفَجـــرةِ دعهـــا والفِجـــارا

ونفـــوس جُبلـــت طينتُهـــا خِزيًـــا وعـــارا

خَلِّهـــا يســـتلُّ منهـــا الـــحقدُ صُـــلْبًا وفَقـــارا

خَـلِّ مسعورًا ومـا استكـ ـلب .. لا تَشْفِ السُعارا
وذبيح الإِحَن السوداء دعه والشفارا
أنت لا تقدر أن تزرعَ رعَ في العُور احوارا
وقَتادُ الشَّوك لا يحـ ـصده الجاني عَمارا
وجَنَى حَنظَلِهِ لا يمنعُ الشُّهْدَ اشتيارا

يا صليب العود يأبى حين يُلوى الانكسارا
تُطمع العاصف فيه رقَّة النبع اخضرارا
يا غريب الدار ما سِيّانِ دعوَى وافتخارا
كاشف نفسًا كما يلـ ـتمعَ النجمُ ازدهارا
ومداجون، يَضِبون وجارًا فوجارا
بعد الدربانَ غاياً وطموحًا، واختبارا
ولقد أحسنتَ إذ شئـ ـت الأَشقَ الاختيارا

يا غريبَ الدارِ في قافلةٍ سارت وسارا
لمصيرٍ واحدٍ ثم تناست أين صارا
سامح القومَ انتصافًا واختلِق منك اعتذارا
علّهم مِثلَك في مُفـ ـترَقِ الدربِ حَيارى
سِرْ وإياهم على درب المشقاتِ سِفارا
فإذا ما عاصفُ الدهر بكَم ألوَى وجارا
فكن الأوثقَ عهدًا وكُن الأوفى ذِمارا
قل لهم إنّك قد طِحْـ ـتَ وإياهم نثارا

مــــثلَما الزهـــــرُ إطارتـــــــــهُ عصـــوفٌ فَاســـــتطارا

أو فـــــلا لــــومٌ ، ولا عـــــذرٌ ولا قــــــــولٌ يُـــــمارى

سِرْ عــــلى نهجِــــكَ كالخرَبـــتِ بــــــالنجمِ اســــــتنارا

***

سلامًا عيد النضال

ســــلامًا : وفي يقظتــــي والمنَـــامِ وفي كــــلِّ ســـاعِ وفي كــــلِّ عـــامِ

تهـــادَى طيـــوفُ الهُـــداة الضِـــخام

تَطـــايَحُ هامًـــا عـــلى إثَـــر هـــام

ســـلامًا ومـــا انفـــكَّ وقَـــدُ الضِرام

ـــن الـــدم يشـــخَصُ حيًّـــاً أمـــامي

ســـلامًا وفي كـــلِّ مـــا أســـتعيد مـــن الـــذكريات ومـــا أســـتفيدُ

مـــن العِـــبرِ المُوحيـــات الـــدَّوامي

أُحــــسُّ دبيبًـــا لهـــا في عظـــامي

ســـلامًا ومنـــذ العُصـــور الخـــوالي مُـــذِ اخضرَّ حقـــلٌ بسُـــمر الغِـــلالِ

ومُـــذ حُكَّمـــتْ ســـادةٌ في المـــوالي

تنسَّـــمَتِ الأرضُ ريـــحَ النضـــال

زَهَـــتْ بالشريـــد رؤوس الجبـــال

وتـــاهَ الثَـــرَى بالـــدماء الغَـــوالي

ودقَّـــتْ مســـاميرُ خجْـــلى عَطاشَـــى بكـــفِّ المســـيحِ فطـــارتْ رَشاشـــا

بقايـــــا دمٍ للعُصـــــور التـــــوالي
تُخضِّـــب بالمجـــد هـــامَ الرجـــال

ســـلامًا وراحـــت رُكامًـــا رُكامـــا تُمِـــدُّ البطـــولاتِ هامًـــا فهامـــا

وتُلقـــي عـــلى كـــل دَربٍ إمامـــا
تُحـــاذر منهـــا الطُغـــاةُ انتقامـــا
وتَرْهَـــب مـــن طيفـــه مـــا أقامـــا
نظامًـــا يبـــدِّلُ منهـــا النظامـــا

ســـلامًا وراحـــت تثـــور العظـــامُ ويعصِـــفُ بالعصـــفات الرُكـــامُ

ويشـــمَخُ في كـــلَّ جيـــل إمـــام
يُمِـــدُّ البطـــولات هامًـــا فهامـــا
ويـــنفَخُ في كـــل رُوح ضِرامـــا

ســـلامًا وراحـــت شُـــعوبٌ تَثـــوبُ ويزحَـــفُ غضـــبان حـــقٌ ســـليبُ

ســـلامًا وبالـــدَّم ضَـــوَّتْ دُروبُ
بهـــا راحَ يتلـــو صـــليبًا صـــليب

سلامًا وما انفكَّ نوءٌ يَصوُب
من الدّم يُخصِبُ منه الجَديب

سلامًا ولم تألُ تنمو زُروعُ علَيهَّن يتلو الصريعَ الصريعٌ

سلامًا ونعمَ الحَصادُ الوُثوبُ
ونعم المُثاب ، ونعم المُثيب

سلامًا ودَوَّى صِراعٌ عنيدٌ به السادةُ استبْسَلتْ والعبيدُ

سلامًا : وراحَتْ تُصَبُّ القيودُ
ويحمرُّ فرطَ الحياءِ الحديدُ
وتُفْرَى لتَغدو سِياطًا جَلود
ويُطرِقُ في الغاب خزيانَ عود

تحُثُّ المشانقَ منها اعتِسافًا تَدَلَّى عليهنَّ هِيفًا لِطافًا

من الصيد في كل صبح قُدود
بهنَّ من الفجرِ يَخْزَى عَمود

سلامًا وألقى النضالُ الرِحالا بأرضٍ بها الدَّمُ يسقي الرمالا

بَحيث تجِدُّ الرياح انتقالا
تُهزُّ الجَنوبَ وتُزكي الشَمالا

وحيــــث تُجِــــبُّ الحيــــاةُ الجــــدالا
يصـــــارِعُ فيهـــــا الحقيـــــقُ الخيـــــالا

ســـــلامًا وفي دجلـــــةٍ والفـــــراتِ مَخـــاضُ الصـــعاليكِ ، مَهْـــوَى الشُراةِ

أنـــــاخَ النضـــــالُ يُجـــــرُّ النضـــــالا
ويُبـــــدِلُ مـــــا اســـــطاع بالحـــــال حـــــالا

ســـــلامًا ومـــــن دجلـــــةٍ والفـــــراتِ ومـــــن حُفَـــــرٍ لِصْـــــق دُور الشرَاةِ

ومـــــن رَجـــــم الأزَمِ المُـــــعسرّات
ومـــــن جُبـــــكَ العُقَـــــد المـــــوغِرات
تَحَـــــدَّرُ في حِقَـــــبٍ خـــــيِّرات
مغـــــاويرُ في مشـــــيةٍ مُـــــزدارة

كُـــــماةٌ يُخيفيـــــون مَوتَـــــا يُخيـــــف وراحَـــتْ علـــيهم تَلاقِـــي الصُـــفوف

وعـــــادت تَنَصَّـــــبُ كـــــالنيِّرات
شُـــــموخًا جِبـــــاهُ الحُفـــــاةِ العُـــــراة

ســـــلامًا مصـــــابيحَ تلـــــك الغـــــلاةِ وجمـــــرةَ رملتهـــــا المُصـــــطلاة

ســـــلامًا عـــــلى الفكـــــرة المُجـــــتلاة

عـــلى صَـــفوةِ الزُمـــرِ المُبـــتَلاة
وُلاةِ النضـــال ، حتـــوف الـــوُلاة
ســـلامًا عـــلى المـــؤمنين الغُـــلاة

ســـلامًا عـــلى صـــامدٍ ولا يُطـــالُ تعلَّـــمَ كيـــف تمـــوتُ الرجـــال

ســـلامًا عـــلى الميتـــة المُفـــتلاة
عـــلى صـــهوة الخطـــر المُعـــتلاة

ســـلامًا ومـــا ظـــلَّ نجـــمٌ يلـــوحُ ومـــا ســـاقَطَتْ وَرَقَ الـــدُّوحِ ريـــحُ

ســـتبقَى رُؤوسٌ ضِـــخامٌ تَطـــيح
ويبقـــى يَجُـــرُّ الجَـــريحَ الجَـــريحُ
وســـوف يَظَـــلُّ يُـــدوي طُمـــوح
لفجـــرٍ يلـــوحُ وديـــكٍ يَصـــيح

ســـلامًا ومـــا ضـــج قَصْـــفُ الرُعـــودِ فســـوف تَظَـــلُّ دمـــاءُ الشـــهيدِ

تضِـــجُّ ، وســـوف يُـــرَجُّ الضريـــحُ
ليـــومٍ يُبـــاحُ بـــه المســـتبيحُ

حُمـــاةَ النضـــال وجيـــلٌ يفـــورُ عـــلى مِحـــوَرٍ مـــن شُـــموسٍ يَـــدور

يســـيرُ ويعـــرفُ أيـــنَ المَصـــير

لــــه ألـــفُ نجـــمٍ بـــنجمٍ يَغـــور
ســـــيُملي إرادتـــــه إذْ يثـــور
وتُجتَـــــثُّ يـــوم يثُـــورُ الجُـــذور

ســـيُحرث أرضًـــا أباديـــدَ بُـــورا ويُطِلـــعُ رَوضًـــا عليهـــا نضـــيرا

عـــلى مثلهـــا لـــن تعـــيشَ الشُرور
ولكـــن يعـــيشُ القمـــينُ الجـــديرُ

ســـلامًا وفي كـــل جيـــلٍ وجيـــلِ ســـتُلقي قِـــداحُ بَكـــفَّ المُجيـــل

ســـلامًا وفـــيما تُـــذيع العُصـــورُ
ســـتُنعِشُ منهـــا الشِـــفاهَ العطـــور

***

فرصوفيا

«فرصـــوفيا» : يـــا نجمـــةً تـــلالا
تُغـــازلُ السُـــهوبَ والـــتلالا
وتســـكُبُ الرقَّـــةَ والـــدلالا

فـوقَ الشـفاه الضـامئات الحاميـات الحانيـة
وبـينَ أهـدابَ الجُفـونِ الغافيـاتِ ألوانيـه

« فرصوفيا» الحَلوة يا ذات القُطوفِ الدانية

مـن ذا يـوفّي سـحرَك الحـلالا

وحُسـنَكِ المـدمِّرَ القتّـالا

يُجشِّـمُ اللـذّةَ والأهـوالا

حـالان ، الأحـلى أمـرُّ حـالا

إذاأجلـتُ فكـري الجـوَالا

في كيـفَ صـيغَ حسـنُكِ ارتجـالا

أتعسَـتِ الأسـطورةُ الخيـالا

«فرصوفيا» : إنَّ الصبا فيكِ ارتغى فعْربدا

قفي به عند الخَفافَين - فقد جاز المدى

كالأُفْعوانِ انسابَ في الرَملة كيما يَبرُدا

تطلّبتْ عيونُ حسناواتِك الخضْرُ الفِدى

وكالأقاحي إذ تَعُبُّ سَحرةً قطْرَ الندى

تـذوّبتْ خمـرُكِ في الخـدِّ الـذي تـوردًا

وانفـرَجَ الـبُرعُم في النَهـد الـذي تَنهـدًا

«فرصوفيا» : يا روعةَ اليَومِ الذي يُنسِي غدا

غـدٌ سرابٌ لا أُحِـبُّ الآلا

مـا دمـتُ أرعـى روضـةً مِحـلالا

بهـا الظـلالُ تَـزحَمُ الظِـلالا

مُخلِفـةً بكوزُهـا الآصـالا

«فرصوفيا» : واليوم طَوعُ اليد أنتِ الراهنة

والروضـةُ المحـلالُ أنـت المُزدهـاةُ الفاتنـة
أنـت الـرؤومُ بالغريـب المستظِلِّ الحاضـنه

إذا اشـتكى مـن رهـقٍ كـلالا
أوردتـه يَنْبُوعَـكِ السَلسـالا
فهـوَ وقـد أوسـعتِه أفضـالا
يسـحَبُ مـن عُجْـبٍ بـك الأذيـالا

«فرصـوفيا» : والحسرةُ الحرّى تـريح الكَبِـدا
واحسرتـا أنّي وُلـدتُ تحـتَ أطـلال الـردى
جئتـكِ في «السـتّينَ» مـا أشـقى وأدنـى عـددا
إذ مَيْعتـي تهـرّت اللُحمـةُ منهـا والسَـدى
«فرصـوفيا» : آهٍ عـلى شَرْخِ صِـبًا تبـدّدا
آه عـلى صـادحِ أيـك لم يجـد عنـدي صـدى
غـرَّدت إذ نـاحَ وأمسـى نُحـتُ لمـا غـرَّدا
لم أغـترف غيـدَك إذ كنـت الفتـيَّ الأغَيـدا
كنـت الجهـول المُشـتهى والأمـرَد المبلَّـدا
«فرصـوفيا» : وشَرٌّ مـا يُحزنني قـولٌ سُـدى
قلـت لـه لا تَبْعُـدَنْ عنـيٍّ لمـا بَعُـدا

«فرصوفيا» : والدم يَستبقى مدى الدهر دَما
والمـوت بـالعزة يبـي لحيـاة سُـلَّما
«فرصـوفيا» أمـس رأيـتُ الحَجَـر المكوّمـا

كـان جنينًـا ، وفـؤادا ، ويـدًا ، ومعِصَـما
جيـل تـأبّى أن يُطـاطي فرَمـوه فرَمـى
لـولا الرجـولاتُ أراح نفسَـه واستسـلامًا

«فرصـوفيا» مـا أبـدَع الأمثـالا
يسـتنهضُ الجيـلُ بهـا أجيـالا

حتـى إذا غـدٌ تمطّـى فجـره وابتَسـما
وأبـدل الإيـمان بالنهـار لـيلاً مظلـما
حتـى إذا البلطيـق هـدّى موجَـهٍ المحتـدما
عـاد الـدمُ المطـولُ خـدّا نـاعمًا ومَبْسـمًا
وصـيغتِ الدمعـةُ عِقـدَ لُؤلـؤ فـانتظما
وعـادت الضِـحكةُ في سـمعِ حـزين نَغـما
ألـفُ فـمٍ حلـو قضي لتُـنعش الكـأس فـما

***

لا تذعه

لا تُذْعِـه عـلى أعـزِّ صـديق
وعـلى الطِـرس لا تخـطَّ الحروفـا
وبرمـل الغـاب النـدى الرقيـق
إذ سـنا الشـمس يسـتطير رفيفًـا
ويـنـاغي أدواحَـه والحفيفـا
لا تخطَّطْـه ثُـمَّ عَـبْرَ الطريـق

لا تُذِعَــــه حتــــى لـــبُرعمِ وَرْدِ
بثَنِّيــــات شَـــعرها يَتخفَّـــى
يـــتمَلَّى منـــه أريجـــا ولطفـــا
لا تِذُعْـــه حتـــى إذا الجفـــنُ رَفَّـــا
بِنُعـــاسٍ عـــلى السُـــبات العميـــقِ
وإذا مُـــتَّ في فـــراش الفـــراقِ
بانتظـــارٍ مُـــرٍّ ليـــوم التلاقـــي
فاحترمـــه والـــروح عنـــد التراقـــي
لا تُذِعـــه حتـــى لقَـــبْرٍ عميـــق
إنّ عهـــدَ الصـــديق غـــيرُ وثيـــقِ
وســـطوراً تُخَـــطُّ عـــبرَ الرُقـــوق
هـــنّ نَهـــبٌ لأعـــينِ الرُقبَـــاءِ
وتـــرى الغـــاب في مَـــدِبِّ الشـــتاء
والتقـــاء السُـــيول بالأنـــداء
عرضـــةً لأَمحـــاء مـــا خُـــطَّ فيـــهِ
وشـــذا الـــورد بـــين غُـــنْجٍ وتيـــه
في ثَنايـــا جَـــداثل لفَّـــاء
قـــد يغنَّـــى بســـحرها للهـــواء
ومتـــاهُ القـــبر العميـــق الســـحيقِ
حيثُ يَلقَى الغُروبُ عُبء الشِروق

طالمـــــا بَــــثَّ سرّه للعَـــــزاءِ
لا تــــذع سرَّ كــــل بُـــرءٍ وداء
رمـــزَ معنـــى هَنــاءة وشَـــقاء
لا تُذِعــه حتـى لَصــبٍّ مشـوقِ

***

يا خيالي

يـا « خيـالي» لـك الشفاء السريع ... والغـــد المشرق الأنـــيس البـــديع
أن في البيـــت وحشـــة لمحيـــاك ... وشـــوقاً تطـــوي عليـــه الضلوع
لك مني.. عند النجوم.. ابتهالات ... ومـــن أمـــك الحنـــون دمـــوع

يـــا «خيـــالي » إن الصـــبا ينبـــوع ... وغضـــير الشـــباب زهـــر يضـــوع
لـك مـن ذا وذاك ألطـف مـا أضفت ... ســـماء ومـــا أفـــاض ربيـــع
يـــا« خيـــالي» وأن حبـــاً عصـــوفاً ... بتهاليـــــل والـــــدين شـــفيع
يـــا« خيـــالي» لا زعـــزع الزهـــر ... والغـــض ولا روع الحـــمام الوديـــع

***

يا أبا ناظم

يــا أبــا نــاظم وســجنك سـجني ... وأنـــا منـــك مـــثلما أنـــت منـــي
وأنـــا منــــك في المـــــودة ... جيـث المـرء سـيان علمـه والتظنـي
أنـا عـرق في جسـمك النـابض الحـي ... ولمـــح مـــن علقـــك المستضـــن

يا بن صيد الرجال كل مضح ... بشباب كالروض لف أغن

سننوا شرعة التذوب في الناس ... وماتوا على محك المسن

يا بن صيد الرجال دربك درب ... الصيد مستوحش الثنيات مضني

من بقايا دم الضحايا عليه ... ألق النجم في ظلام دجن

كمصب التيار يدفع فيه ... الموج موجاً ويسحق المتأني

سرته لا تخاف إذ كل شبر ... فيه من وحشة نحيف ويثني

يا ربيب السجون لا المتبني ... عق من ربه.. ولا المتبني

يا لطيفاً إذ يسقي وكريماً ... إذ يساقي ومبدعاً إذ يغني

يا سخياً بالعمر يعرف أن ... المجد كالدهر لا يحد بسن

يا مذيب الستين أي الليالي ... عدت تبقي.. وأيها رحت تفني

أي كنزٍ غالٍ.. وأي عطاء ... كسنا الشمس لم يكدر بمن

يا بن جلد ضاو.. وعظم خوي ... كشبا السيف في رثاثات جفن

يفخر الفخر إن مضغة لحم ... غلفت قلب واثق مطمئن

يا قريع البلوى تطابق ... والغمرة منها انطباق سن وسن

يزرع الخير في النفوس فيجني ... ويجازى بالشر عنه فيجني

يا أبا ناظم وشوط الرجولات ... سباق فبادئ ومثني

ورثتك الآباء ما ورثته ... عن جدود إرث الفروع لغصن

خوض بؤسي شنت لنصرة حق ... وارتقاباً لمبئس لم يشن

واصطباراً على جحيم الرزايا ... والتذاذاً منها بجنة عدن

وحياة دون الكفاف غناء ... النفس فيها رغيبة المتمني

هـو ذا المجـد خالـداً لا الـدعاوي ... بنـت يـوم عجـلان يفنـي ويفنـي

يـابن واعـين إذ وعـاة قليـل ... فصـحاء يـوم التخـارس لسـن

طلعـوا في دجنـة نـور فجـر ... وهمـوا في جديبـة صـوب مـزن

يا بـن صـيد الرجـال دربـك لا درب ... الخـؤورين مـن كـلال ووهـن

يحملـون الأثقـال كرهـاً تلـوي ... أعـرج في دجـي يسـير بحـزن

يـابن صـد الرجـال بوركـت مـن ... عـود أبي عـلى المغـامز خشـن

تغـرم العاصـفات بالشـجر الصلـب ... وتـغضي عـلى أماليـد لـدن

ديـة الـوادعين جبنـاً وذُلاً ... مـا تقاسـيه مـن عـذاب وسـجن

يولـد الضر حيـث يولـد حـر ... وعـلي أنـوك مظلـو أمـن

لـن يضـيع الحسـاب مـا بيـن قبـح ... وجمـال وبـين حمـد ولعـن

ترصـد الشـهب والرجـوم ويحصي ... نسـب الخيـل مـن جيـاد وهجـن

يـا أنـا نـاظم سـلاماً عـلى البعـد ... وصرف الخطـوب يـقصي ويـدني

وسـلاما عـلى رفاقـك في الشـوط ... المجـلي مـن كـل نـد وقـرن

يـا أبـا نـاظم ونحـن حـداة الجيـل ... نهديـه دربـه ونغنـي

شركـاء في غايـة نبتـدي الرحلـة ... نـدري أهوالهـا ونثنـي

يـا أبـا نـاظم ونحـن مجـن ... يـوم يبغـي درع وأي مجـن

فوقـه مـن ثقـوب رمـح ورمـح ... بـالغ الجـرح مـن ضراب وطعـن

نحـن إذ تشـتري اللـذاذات سـوماً ... بـدم القلـب نشـتري مـا يعنـي

نهـدم الهـر مـا ابتنـاه طغـاة ... ونعـاني مـا يهـدمون فنبنـي

نحـن إن غمـت الخطـوب أشـعنا ... في دجـي مـؤيس شـموع التمنـي

يا أبا ناظم ونحن أرق الناس ... طبعاً ونحن عُبَّادُ فن
نحن مما نسيل في كل نفس ... كمدب النعاس من كل جفن
عجب أن نسام خسفاً.. ... وأن نجفي.. وأن نباع بغبن
عجب أن نطيق حكم التجني ... ونعاني تحكم المتجني

يا أبا ناظم وربة رهن ... فيه لو يفتدي فكاك لرهن
حرمتنا الحياة جذوة وعي ... وتلظي قلب.. وإيماض ذهن
هن هن الحياة لولا نظام ... لسوي الغاب موحشا لم يسن
غاية الجهد أن يكلف حر ... بعبودية تسن لقن
يا أبا ناظم وكم فكرة ... عنت فجاءت بفكرة لم تعن
أنا ذا من عهدت حر صريح ... القول.. ألقي بها لدي وأعني
لا مداج.. ولا مسر بحسو ... في ارتغاء ولا أحب التكني
لا أبالي ما حاك نول عليه ... أو بما طرزت.. شروح لمتن
يا أبا ناظم وشفع تدني ... كل عال برفعة المتدني
نضب الصبر يابن بحر علوم ... صخب الموج بالفخار مرن
أشداة مشردون بلا وكن ... وخرس الطيور تأوي لوكن
أفنحن المزعزعون عن التربة ... تسقي دماؤنا كل قرن
بضحايا تطيح في كل درب ... وقبور تصيح في كل ركن
أفنحن المظعنون عن الربع ... ونحن الحماة فيه لظعن
أفنحن الذين يرتفع السوط ... عليهم بظنة المتظني
سوط من ؟ سوط كل علج عليف ... دنس الأصل والمنابت عفن

أبنـو أمسـك 'لقـري يطيحـون بصـبابة الفخـار المسـن
لم تلدهم خير البطون.. ولا مثلك شـبوا بخـير حجـر وحضـن

يا أخا الشعب في الرخاء وفي الشدة منـه.. وفي سرور وحـزن
طيلة العمر ما انفككت على فقرك تعطيـه مـا يـرب ويغنـي
كـرم الشـعب غـير فـرط لصـوق بالرزيـا لصـوق خمـر بـدن
كلـما أن خـدروه وقـد يثقـل داء المـريض مـا لم يـئن
أفمنـه المجنـدون.. ومـنهم كـل درء يـوم الحفـاظ وحصـن
ومـدي الـدهر وهـو نهـزة تـاج لعقيـد غـاو.. ونجمـة ركـن

يـا أبـا نـاظم وسـجنك سـجني وضـني بي للوعـة بـك تضـني
يخـز الـنفس أنـني غـير كـفء لأرد الخطـوب عنـك وعنـي
يا بن ودي وما بعيد رهين السجن عـن رهـن غربـة مسـتمن
غـير أن الظـروف يبـدين فرقـا رب قـبح يعـود مـرآة حسـن
يـا أبـا نـاظم وإن تنـب عنـي فبنعمـي خصـمي.. وغمـة خـدني
ضـحكة مـرة تـكشر سـني ومسـيح مـن دمعـة فـوق ردني
يـعصر القلـب تحت ضغط هموم ضـاريات عقـف المخالـب حجـن
يـا أبـا نـاظم:ورب شـجاع أوردتـه الحتـوف وصـمة جـبن
أنـا ذا أطلـب الحـمام بـنفس لم أختنهـا.. وعزمـة لم تخنـي
لا لشيء إلا لأن المنايـا في مصـك الرجـال أعرضـن عنـي
حطمـت آهـة عـلى حـد أخـري وعـلى حـدها تحطـم لحنـي

فـــإذا مـــا اســـتعدته فـــلأني　　　واجـــد فيـــك باعثـــا للتغنـــي

يـــا أبـــا نـــاظم وســـجنك ســـجني
وأنـــا منـــك مـــثلما أنـــت منـــي

***

بريد الغربة

لقـــد أسري بـــى الأجـــل　　　وطـــول مســـيرة ملـــل
وطـــول مسـيرة مـــن دون　　　غـــاي مطمـــع خجـــل
عـــلي أني لأن ينهـــي　　　غـــد طـــول السري وجـــل
تماهـــل خشـــية وونى　　　وعقبـــي مهلـــه عجـــل
وقطـــع خطـــوه جنفـــاً　　　كـــما يتقـــاصر الحجـــل
أشـــاع اليـــأس بي عمـــر　　　وكنـــت وكلـــه أمـــل
وعمـــر المـــرء فضـــل مني　　　بهـــا مـــا شـــق يحتمـــل
فـــإن ولـــت فـــلا ثقـــة　　　ولا حـــول ولا قبـــل

أقـــول وربـــما قـــول　　　يـــدل بـــه ويبتهـــل
ألا هـــل ترجـــع الأحـــلام　　　مـــا كحلـــت بـــه المقـــل
وهـــل ينجـــاب عـــن عينـــي　　　ليـــل مطبـــق أزل
كـــأن نجومـــه الأحجـــار　　　في الشـــطرنج تنتقـــل
يلاحـــق بعضـــها بعضـــاً　　　فـــما تنفـــك تقتتـــل

ألا هــل قــاطع يصــل   لمــا عيــت بــه الرســل
ويــا أحبــابي الأغلــين   مــن قطعــوا ومــن وصــلوا
ومــن هــم نخبــة اللــذات   عنــدي حــين تنتخــل
هــم إذ كــل مــن صــافيت   مــدخول ومنتحــل
ســلاماً كلــه قبــل   كــأن صــميمها شــعل
وشــوقاً مــن غريــب الــدار   أعيــت دونــه الســبل
مقــيم حيــث يضطــرب المنــي   والســعي والفشــل
وحيــث يعــارك البلــوي   فتلويــه ويعتــدل
وحيــث أديمــه يــبس   وحيــث جنانــه خضــل
وإذ نضــبت أفــاويق الصــبا   فهباتهــا وشــل

ســلاماً مــن أخــي دنــف   تناهــت عنــده العلــل
وحيــد غــير مــا شــجن   بلــوح الصــدر يعتمــل
وذكــرى مــرة حليــت   بهــا أيامــه الأول
تعــاوده كفــيء الظــل   رؤياهــا وتنتقــل
وحيــد بالــذي غنــي   وســاقي يضرب المثــل
وفــيها قــال مــن حســن   وســيئ يكثــر الجــدل

ســلاماً أيهــا الثــاوون   إني مزمــع عجــل
ســلاماً أيهــا الخــالون   إن هــواكم شــغل
ســلاماً أيهــا النــدمان   إني شــارب ثمــل

سـلاماً أيهـا الأحبـاب إن محبـة أمـل

سـلاماً كلـه قبـل كـأن صـميمها شـغل

***

حببت الناس

حبيـتُ النـاسَ والأجنـاس

والـدنيا التـي يسمو عـلى لـذاتها

الحب للناس

حبيـتُ النـاسَ والأجنـاس

في الطفـل الـذي لا ينسـب النـاس

لأعراق وأجناس

حبيـتُ النـاسَ والأجنـاس

في المـرآة كـالأنموذج الحلـو

لحب الناس للناس

حبيـتُ النـاسَ والأجنـاس

في الخمـرة تختـال عـلى أنخـابهم

إذ تقرع الكاس

حبيـتُ النـاسَ والأجنـاس

في« الزنجيـة» الحلـوة مـن لفـت

وأهلوها بأكياس

حبيـتُ النـاسَ والأجنـاس

منذ شاركنا الأحباش، والبربر، الزنج
بأحزان.. وأعراس

حبيــــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

مــــذ علمـــت أن النـــاس أشـــباه
وأن النيل مقياس

حبيــــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

مَـــن شـــبَّ ، ومـــن شـــاب
ومن أظلم كالفحم
ومن أشرق كالماس

حبيــــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

حـــــب الأرض للفـــــاس
أو القفرة للآس
أو الليل لنبراس

حبيــــتُ النـــاسَ والأجنـــاس

حبيـــــــت النـــــــاس
كل الناس
حبيت الناس

براغ ١٢/ ١١/ ١٩٦٥

***

بائعة السمك في براغ

وذات غـــداة وقـــد أوجفـــت ... بنـــا شـــهوة الجـــائع الحـــائر
دلفنـــا لــــ « حـــانوت» ســـماكة ... نـــزود بالســـمك « الكـــابري»
فلاحـــت لنـــا حلـــوة المجـــتلى ... تلفـــت كالرشـــا النـــافر
تشـــد الحـــزام عـــلى بانـــة ... وتفـــتر عـــن قمـــر زاهـــر
مـن « الجيك » حسبك مـن فتنة ... تضـــيق بهـــا رقيـــة الســـاحر
فقلنـــا:علينـــا جعلنـــا فـــداك ... بـــما اخـــترت مـــن صـــيدك النـــادر
فجـــاءت بممكـــورة بضـــة ... لعـــوب كـــذي خـــبرة مـــاكر
تـــنفض بالـــذيل عطـــر الصـــبا ... وترمـــق بـــالنظر الخـــازر
تكـــاد تقـــول:أمـــثلي تمـــوت...؟ ... لعنـــت ابـــن آدم مـــن جـــائر
أمـــا في الصـــبا لي مـــن شـــافع ..؟ ... أمـــا لابنـــة « الجيـــك» مـــن زاجـــر ؟
أمـــالي مـــن عـــودة ترتجـــي ... لمســـبح أتـــرابي الزاخـــر ؟
ألا رجعـــة لحبيـــب جـــو ... حـــزين عـــلى غيبتـــي ســـاهر ؟
ودب القنـــوط عـــلى وجههـــا ... وســـال عـــلى فمهـــا الفـــاغر

وأهـــوت عليهـــا بســـاطورها ... فيـــا لـــك مـــن جـــؤذر حـــازر
وثـــنت.. فشـــبت عـــروس البحـــار ... وقـــرت عـــلى الجانـــب الآخـــر
فقلنـــا لهـــا: يـــا ابنـــة الأجملـــين ... مـــن كـــل بـــاد ومـــن حـــاضر
ويـــا خـــير مـــن لفـــن الملحـــدين ... دلـــيلا عـــلى قـــدرة القـــادر
جمالـــك.. والرقـــة المزدهـــاة ... خصـــمان للـــذابح النـــاحر

وكفك صيغت للثم الشفاه وليست لهذا الدم الخائر
فقالت: أجل أنا ما تنظران وإن شق ذاك على الناظر
تعلمت من جفوة الهاجر ومن قسوة الرجل الغادر

***

يا أم سعد

يا أم سعد والليالي قلب عجيبة وما تخبي أعجب
تجمعنا كما تلاقي سارباً إلى الغدير ربرب وربرب
فهي تذرينا كأنا لم يكن لنا مراح عندها وملعب

يا أم سعد والليالي فلك لكل ما يشرق فيه مغرب
في أمس كاليوم حوانا منزل منك لنا أهل به ومرحب
راق به منك الصفاء والندي والسمر الحلو الشهي الطيب
فهل ترينه غداً يجمعنا أم نحن من دون تلاق نذهب
يا أم سعد إن تناءت دارنا فالذكريات بيننا تقرب

***

الخطوب الخلافة

دع الطوارق كالأتون تحتدم وخلها كجبينك النسج تلتحم
وخذ مكانك منها غير مكترث دهدي بك الموج أو علت بك القمم
كفاك والخطب فخراً أن تصارعه إن المصارع أني صبار محترم

ومثل بلواك في غمي تدافعها تكون عقباك إذ تستكشف الغمم
تعسر الصبح واستعصت ولادته حتي تشابكت الأنوار والظلم
تبارك الخطب تبلوه وتحصده إن الخطوب إذا ما استثمرت نعم
عود الرجال بكف الخطب يعجمه كالمندل الرطب يذكو حين يضطرم
خض الكوارث لا نكساً ولا جزعاً واترك إلى الغيب ما يجريه القلم
لو كان يضمن نصر قبل موعده لكان أرخص ما في الأنفس الهمم
إني وجدت الليالي في تصرفها تأوي إلى حكم عدل.. وتحتكم
تدس في الشر خيراً يستضاء به وترتع الخير من شر ويلتئم
إن الشدائد تستصفي النفوس بها مثل الحظوظ على أصحابها قسم
يلقين ظلا على وجه فيلتطم ويزدحمن على وجه ويبتسم
يا جمرة الخطب ساقينا على ظمأ للمصليات فأنت البارد الشبم
قالوا أتت أزمة جلي فقلت لهم أهلا وسهلا فنعم الطارق الأزم
ياجارتا من يضق ذرعا بمنزلة فليس منا وإن متت به رحم
سلي بنا الأزمات السود كم غنيت إذ كان عند سوانا الفقر والعدم
ما شئت فامتحني نزدد ندى وقرى هل كان إلا ليوم المحنة الكرم
ياجارتا : أنت سر في ضمائرنا وأنت بين العروق الثائرات دم
عشنا وإياك أحقاباً مناوبة ننسل منك على رفق وننسجم
حلي بنا تجدي من أزمة قدماً عفى على رسمها أزمة قدم

ويا «أبا خالد» إن يلتهب بفمي قول.. فإني لكل الثائرين فم
يا ناصر الأمة الكبري وحاضنها لا العجب يملأ برديه.. ولا البرم

ويـا شريكـاً بـما يزهـي الشريـك بـه ... يلـم نعمـي عـلى بـؤسي ويقتسـم

ويـا فتاهـا.. ويـا حـامي فتوتهـا ... لا نـال منـك ولا مـن مجـدها الهـرم

ناشدتك العـروة الـوثقي بـها انتفضـت ... به الشعوب.. وما رضيت به الأمـم

أنقـذ فلسـطين مـردوداً بهـا حـرم ... عـلى ذويـه.. ومركـوزاً بهـا علـم

ولـب في جنبـات القـدس صـارخة ... مـن قبـل أدركهـا في الـروم معتصـم

وطهـر البيـت مـن رجـس يلوثـه ... ولـن يطهـره إلا دم .. ودم

ولـن يطهـره إلا مخـايرة ... أن يعبـد الله .. أو أن يعبـد الصـنم

رب «لصهيون» عجل صيغ من ذهـب ... ورب «مـوسي» كـألواح لـه رمـم

يـا منـتج الضربـات البكـر ينزلهـا ... عـلى دهاقنـة عـن مثلهـا عقمـوا

أكـل يـوم جديـد أنـت مبدعـه ... حتـى كـأن لـيس في قاموسـك القدم

جمعـت تسـعين مليونـاً كـما جمعـت ... لبـد الليـوث عـلى أشـبالها أجـم

وصـغت مـن أنهـر شـتى وأخلجـة ... بحـراً بمصـطخب الأمـواج يلـتطم

وصـنت بـالقوة الحـق الـذي دلفـت ... تسـعون عامـاً عليـه وهـو يهتضـم

وذاك أن الحديـد الضـخم قارعـة ... في مسـمع الـدهر عـما غيرهـا صـمم

أدر حبالـة رأي أنـت فاتلهـا ... عـلى الحظـيرة تجمـع أمرهـا غـنم

وذوب الشـحم مـن كـبش الفـداء لهـا ... ومـدعي الـنطح عنهـا يظهـر الـورم

يريـد صـد الحتـوف الحائقـات بهـم ... وإن يكـن ثـم مـن حتـف لـه فهـم

وحـش تنمـر إذ طالـت أظـافره ... واليوم يشـخص مشـحوذاً لهـا الجلـم

محمـق.. وبـأوج الفطنـة الأمـم ... وشـائخ.. وشـباب حولـه نظـم

أجهـز عليـه يعنـك الشرق ينـتقم ... والغـرب يـرزح.. والأهـواء تـرتطم

واستنفر اللعنات العاصفات به ... فإنهن جيوش ليس تنهزم
هناك في المشرق الأقصي له عنق ... تكاد بالقبضات الصفر تخترم
وفي يد المشرق الأدنى له ذنب ... يلوي وفي غده المحتوم يصطلم
وبين هذين أوساط مرجفة ... كما ترجف خوف الغارة اللجم
ذئب الحضارة ماذا أنت محتقب ... في يوم تمتحص الأوزار والتهم
أكل عار يعاف الكلب جيفته ... تلفى به ما يلذ الجائع النهم
أقوى من الموت في «صاروخك» الرجم ... للصارخين ومن أسطولك الحمم
« تيمور » قبلك في « بغداد » كان له ... من الجماجم في أسوارها هرم
هبك التبيع له فيما اصطلي وجنى ... فهل سوى أن يواري رجسك العدم

حلفاً « جمال » بقول رحت فاعله ... وقد يبر بفعل المقسم القسم
لو شئت صغت شواظ النار قافية ... تأتي على كل ما تلقي وتلتهم
لكن وجدتك كالفولاذ ضرمه ... طبع.. فلا يتمشى فوقه ضرم
فسرت نهجك تطغي عندي الكلم ... فأدريها فيثني سيلها العرم
نهنهتها عن دم تسقاه فالتطمت ... كالطفل عن صدر أم حين يفتطم

ويا « دمشق » سلام كلما سجعت ... في « الغوطتين » هتوف شفها نغم
منى على الربوات الخضر باكرها ... سقط الندي فحواشي نبتها عمم
على السفوح على الوديان ناعسة ... مشي بها من طيوف جمة حلم
على المصابيح من «غسان» أخلصها ... إلى العروبة ما نقت لها الشيم
أوفى النفوس مروءات فإن جرحوا ... ففي الأنوف على ذي غرة شمم

يا جبهة المجد.. يا قلبا.. ويا رئة في صدر كل عريب ما به سقم
لا تبرحن خيول الله زاحفة على عدوك تغشاه وينهزم
ولا تزل أريحيات منشرة يهب منها بيوم عابس نسم
ولا عدتك اليدان الثرتان ندي ومنعة.. نهجك الوضاح والديم
لا بد يومك آت يوم تردفه في عالم غير هذا العالم القيم
في يوم ما ثم موتور فينتقم في يوم تندثر الأحقاد والنقم
في يوم توزن أقدار لقيمتها لا الصلب يلغي ولا السفساف يغتنم
لابد يومك آت عن غد خضل وإن موعد يوم من وغد أمم

وأنت يا بن « زعين » أيها العلم يا من تحضنك « النيلان » والهرم
إني لأطريك عن علم.. وعن ثقة ولست ممن تماري عنده الكلم
سر في نضالك لا زلت بك القدم ولن تزل وبالإيمان تعتصم
صن «الثغور» فما انفكت أسنتها من قبل ألف بقلب « الشام » تلتدم
وذد عن الحق إن الحق منطقه حمي يفيء إليه العرب والعجم
بئس الدم المر حكما غير أن دماً يسعي إليك هو المحكوم والحكم
مشوا بباطلهم يبغون مصرعهم فإن سلمت على حق فلا سلموا
لك « النسور » فأطلقها غير شرف وخل تنحدر العقبان والرخم
وقل مقالة صدق غير مصطنع وطالما صانع الجهال من علموا
في « يثرب » حرم لله كعبته وفي « دمشق » لشرق زاحف حرم

***

أبا الفرسان

أبـا الفرسـان إنـك في ضـميرى | وذاك أعـز دار للحبيـب
وبي شـوق إليـك يهـز قلبـي | ويـعصره فيخفـق بالوجيـب
وذكـرك في فمـي نغـم مصـفي | يرتـل في الشروق وفي الغـروب
سـلام الله يعبـق بـالطيوب | عـلي ربـع تحـل بـه خصـيب
ثـري بالمفـاخر والمزايـا | تورثهـا نجيـب عـن نجيـب

أبـا الفرسـان إن عقـت ديـار | عقـدت بهـا شـبابي بالمشـيب
وذوبـت الضـلوع عـلى ثراهـا | ولم أطلـب بهـا أجـر المـذيب
فـلا عجـب فقلبـي ضـقن ذرعـاً | بخـير النـاس أحمـد والحبيـب
فـذياك اسـتبيح دمـا وعرضـا | وذاك قضي بهـا نحـب الغريـب
وسـيم البحـتري الهـون فيهـا | وغـص بـحسرة الـترب الحريـب
عـلى حـين اسـتباح الغـر فيهـا | بقايـا السـيف والسـلب الجليـب
أبـا الفرسـان لاعجـب فإنـا | نـؤدي فديـة البلـد العجيـب

***

إيه بيروت

من جديد شممت عطرك ينـدى | وتحينـت مـن لقائـك وعـدا
وترامـيت فـوق صـدرك ظمآنـاً | لـورد منيتـه ظـل يصـدي
مـا تسـني.. فـرد عنـه حسـيراً | وتسـني نبـع سـواه فـردا
مـن جديـد وكـل حـب دفـين | ينكـئ القـرح منـه أن يسـتجدا

مـن جديـد يقـر مني خفـوق ... يتنــزى بـين الأضـالع وجــدا

عـاثر الجـد لا تبلغـه النـزوة ... أطماحـه ولا حـه ولا هـو يهـدا

ظـل عشرين حجة عاري الروح ... بـمـا تخلعينــه.. يـتردى

الليالي تنسي.. ومـا انفك يقظان ... الليـالي مـن ذكريـات تـؤدي

سـمة الواجـد المدلـه حبـاً ... يقـرب الشـوق منـه مـا ازداد بعـدا

عقلـه للجنـون نـد.. تعـالى الحـب ... شـأنا عـن أن يـرى العقـل نـدا

يـا ابنـة الـدهر لم يعبهـا شـبابا ... إن مشـت بالعصـور جـداً فجـدا

مرحبـا بـالطيوف تزجـي ... وبالأشباح تـتري وبـاللواعج تهـدا

إي ومـوج مـن سـاحليك مثـير ... كاشـف لبـة وصـدراً ونهـدا

قلبلة الشمس فوقه تنطف الدفء ... ولمـح النجـوم يرجـف بـردا

وشراع حنـا عليـه مسـيح ... يمسـح اليم ريث يهـدي ويهـدي

صـدقيني إني أفجـر وحيـا ... حجـرا مـن جبالـك الخضر صـلدا

وأهـز الألـواح ألقـط همسـاً ... مـن شـفاه النـدى وأحضـن قـدا

إيـه بـيروت والقصـيد عـروق ... يتفجـرن بالأحاسـيس فصـدا

تسحق الدمع بسمة.. ويهز الجرح ... جـرح ويسـمح الحـزن خـدا

يتساقي بالضوء عطر..وينداح على ... الغيمـة ظـل ويفسـح العمـق بعـدا

ثـم ينسـبن لا يـبن مـن الرقـة ... حتـي لشـبه الضـد ضـدا

كـرم الحـرف آهـة تتلظـي ... فـوق طـرس ودمعـة تتبـدى

كـم تصـدي لنازفـات جـراح ... فتبنـي لهـا الضـماد فشـدا

يا ابنة الدهر نحن مهما اصطنعنا وشم حرية فنحن العبدى

نحن ألعوبة بكف الليالي وكرات برجل طفل تدهدي
إيه بيروت ما الشكاة بعيب إذ تكون الشكاة عتبا وودا
أنا قيثارة تغنيك لا تطلب أن ترهفني السمع حمدا
وإليك الخيار أن يتناسي وتر لم يشد أو أن يشدا
أنا بيروت قطعة من أديم عربي دماً ولحماً وجلدا

أولد الضاد ضيغماً.. ودعي ابن تسعين يمسخ القاف قردا
لي ما بين دجلة وفرات ألف بيت ملحم ومسدي
ألف قبر كما انتظمت بحوراً أو نسجت الموشي بردا فبردا
منذ خمسين والقوافي تشق الدرب وعرا.. تهدي المضلين نجدا
كل قطر في العرس منه وفى المأتم شعر به بناح ويشدي
صامد.. والمنيف يهو وذو الإيمان يرتد.. والمقاييس تردى
والموازين شلن ما هو أجدى وترجحن بالذي هو أكدى
تزرع الخير راحتاي وأجني الشوك والوخز والحزازات حصدا
وشرورا نثرت عفوا هباء وجنى الزهر ناثر الشوك قصدا
أنا مذ سد ذو القرابة في وجهي بابا لم آلف عنه مسدا
رحت ضيفا لأمة لم تلدني كنت فيها الأعز أهلا وولدا

علمتني أن المروءات والنخوة والمكرمات تعدى وتعدى
تتمي الكريم خالاً وجداً وتعد اللئيم خصماً ألدا

وتـرى المـرء مـا يكـون نبـيلاً بربًـرا كـان نجـره أو معـدا
علمتنـي ألا أرى أمـس غـنماً أو أعـد اللحـد الـتراث المفـدي
وهـدتني أن أصـطفي بعـد قـبلاً ونهتنـي أن أرتضي قبـل بعـدا
قلـت للآثـم المعقـد عرقـاً يتحـرى العـروق شـتما ونقـدا
أرج الخلـق عطـره وشـذاه أيهـا المسـخ لا تشـوهه عمـدا
كم تسوم الأصلاب جمعا وطرحاً وتضـم الأجنـاس عكسـاً وطـردا
كـبُرَ الكـونُ أنْ يُجـارى ولكـن صـغر الكـون وحـدة أن يحـدا
مـا أقـل المسـاف أن تنـزع الرقـة عنفـا.. ويـزرع الحقـد ودا

أيهـا الصـادح المضـارح في الروضـة عشـا.. لـه مـراح ومغـدى
لـك مني بـث المبـارح وكـرا يسـأ مـن ظلالـه أن تمـدا
لـيس يـدري أليلـه يـتعشي لحمـه أم غـدٌ بـه يتغـذى
صوحت أيكتي.. وهبت أعاصير عليهـا.. تلـوي أفـانين ملـدا
وتعـرت أغصـانها غـير بقيـا ورق عـد بالأصـابع عـدا

إيـه بـيروت والمشـاعر نسـج تقتضـيني الخـيط الأرق الأشـدا
لسـت بالصـائغ الـذي يتنقـي مـا يـوازي رواء جيـدك عقـدا
وكفـى الشـعر مفخـراً حـين يعيـا بالأسـاليب.. أن يحـاز المـؤدى
أنـا بـيروت إن طلبـت محطـاً عنـد أهـلي ،فلسـت أطلـب رفـدا
غـيرك الشـالمون منـي فرنـدا فلتكـوني غمـدا يضـم الفرنـدا
طاف بي أمس من رؤي الغيب طيف يتصـدي .. كشـامت يتحـدى

قال لي والصدي يوشوش في سمعي كصوت النعي لم يلق ردا
لم تخير مهدا فهل أنت حر يا ابن سبعين أن تخير لحدا
يا رعي الله أربعاً جلت فيها أنبش الذكريات عهدا فعهدا
نكرتني والشيب يثلج رأسي برها هن جمرة العيش مردا
ونفوساً من نطفة المزن أصفي ووجوهاً من دمعة الفجر أندى
الميامين يمحضونك ودا لا مشوبا نزراً.. ولا مستردا
ليت ما ظل من سني يوفي حمد ما لا أطيق شكراً وحمدا

***

من بريد الغربة

أطياف وأشباح

سهرت وطال شوقي للعراق وهل يدنو بعيد باشتياق
وهل يدنيك أنك غير سال هواك وأن جفنك غير راقي
وما ليلي هنا أرق لديغ ولا ليلي هناك بسحر راقي
ولكن تربة تجفو وتحلو كما حلت المعاطن للنياق
بكيت على الشباب وقد تولى كمن يبكي على قدح مراق
وعاتبت الصبا فمشت طيوف أعارتني إليه على وفاق

وليل موحش الجنبات داج شتيم الوجه مسود الرواق
أشد إلى النجوم به كأني وإياهن نرسف في وثاق
كأن بروجها حبك دلاص مزردة تعز على اختراق

كـأن مخـارق الأجـواء فيـه ... حفيـف البـوم يـؤذن بالزعـاق
كـأن مطارقـا خفقـات دوح ... ولحـن جنـائز رجـع السـواقي
تمنطـق بـالنجوم وراح يهـوي ... بحضـن الفجـر محلـول النطـاق
وغطـت جنبتـه فضـاق ذرعـاً ... خـروق يمتـنعن عـلى رتـاق
ألقـط منـه أصـداء كـأني ... ألـص السـمع فيهـا باسـتراق
أفلـق صـخرة فتضـعن أخـرى ... مصـلدة تشـق عـلى انفـلاق
وتغشـو الـذكريات كـما تغشـت ... ضـبابات الـرؤى نـزع السـياق

تطـاردني وألحقهـا دراكـا ... وتسـبقني فـأطمع باللحـاق
ورحـت أعـبهن فـلا أبـالي ... أعـن شـبم أصـادي أم ذعـاق
أحبتـي الـذين بـما أمنـي ... بلقيـاهم أهـون مـا ألاقـي
أري الـدنيا بهـم فـإذا تخلـوا ... فهـم دنيـاي تـؤذن بـافتراق
سـلاما كالمدامـة في اصـطفاق ... ودغدغـة النسـيم عـلى ارتفـاق
وشـوقاً يسـتطار إلى ازديـار ... وعـذار يسـتماح عـن اعتيـاق
وإني والشـجاعة في طبـع ... جبـان في منازلـة الفـراق
ولي نفسـان طـائرة شـعاعا ... وأخـري تسـتهين بـما تلاقـي
أقـول لهـا خـدرت ولانـت ... تحـدي مـن يريـدك أن تُعـاقي
وشـدي مـن حنانـك للرزايـا ... وسـوقيه لهـن.. ولاتسـاقي
فـلا مـن خاضـها كرهـا بنـاج ... ولامـن خافهـا جبنـاً بيـاقى

بنـي الربـع المضيء وعـلي الـدياجي ... ومحتضـن الشـدائد بالعنـاق

أبشكم شكاة أتقيها ... فتصرعني وتمسك من خناقي
أغمزا في قناتي من عداة ... تناهشني وصمتاً من رفاقي
ولهواً في التندر من جراحي ... تلهي الطفل بالكسر الدقاق
وما قدر اليراع إذا تمادي ... يحاشي في المآزق.. أو يتاقي
وكنت الخل لا أستام خلا ... ولا لي في التقايض من خلاق
أصون لواعجي عمن أساقي ... وأكرع من لواعج من يساقي

حلفت بمن أسال الشعر نبعاً ... لرقته.. ولحناً في السواقي
ومن سواه زغردة هتوفا ... على شفة.. ودمعاً في المآقي
لاصطبحن من عسل وخمر ... هما فضح المنافق والنفاق
واغتبقن من ثقة بنفسي ... ومن طهر اصطباحي واغتباقي
صببت على العتاة شواظ نار ... تعود بها الصفاة إلى احتراق
ونفضت السواد على وجوه ... مصبغة اللحى بدم مراق
مشهرة بأسلاف مواض ... ومخزية لأخلاف بواقي
وكان الموت في أجل متاح ... وكن الموت في أجل معاق

ومنغول من « التاتار » وغد ... تراضع والوغادة من فواق
إلى « يمن » إلى « حلب » تسمى ... إلى « مصر » إلى درب الزقاق
وكل ضاق بالملصوق ذرعاً ... وأي فيه مدعاة التصاق؟
أوجه القرد.. أم خلق البغايا ... أم النعرات . أم نذر الشقاق ؟
أم النسب المؤثل بالمخازي ... أم الحسب المسلسل فى رباق

ولمـا حمت الأقـدار ألقت ... بـه جيـف البطـون إلى العـراق
يطلـق مـن مذاهبـه.. ويعفـي ... مواهبـه.. ويعبـث بالصـداق
ويجمـع حولـه سـفلا تلاقـي ... كـما التقت الخفـاف عـلى الطـراق
غـزاة مـن بنـي «عـثمان» ألقت ... لهـا أرحـام ود واعـتلاق
عبـدي لا يريـدون انعتاقـا ... وأطـماح العبيـد إلى انعتـاق
فهـم يتمازجـون وكـل سـبى ... لقـاح مـن سـباياهم لقـا ق
وهـم يتـذوقون بـما طهـوه ... فضـالة فجـرة عفـن المـذاق
زنـامى يعطفـون عـلى زنـيم ... كـما عطـف الجنـاس عـلى الطبـاق
كـلاب الصـيد يطلقهـا دني ... عـلى الأشراف تـنهش مـن تلاقـي
لعنت « شيوخ لندن » من غـواة ... صـناع في محايلـة حـذاق

يسـوقون الرذيلـة في دروب ... معـماة عـلى جنـف المسـاق
ومـا بـرح العـراق محـك صـبر ... يطـاف بأرضـه غـير المطـاق
كـأن غرائـب الـدنيا تنـادت ... عـلي وعـد لديـه بـالتلاقي
تحضـن شـطه سـم الأفـاعي ... عـلى مـا فيـه مـن عـذب عـذاق
ولم يعـدم صـفيق فيـه ظـلا ... يفـيء مـن الوجـوه بـه الصـفاق
ولا سـوق « البضـائع » مـن شراة ... ولا سـوء الرفاقـة مـن رفـاق
وكـم لمـت ببغـداد ضروب ... شـتائت لم تجمـع في نطـاق
وكـم حنيـت عـلى لفـق عجـاب ... غـلاظ عـبر أنسـجة رقـاق
تنـافر في طبـائعهن خلقـاً ... وهـن المـرغمات عـلى اتفـاق
فمـن متفـرجين عـلى الضـحايا ... كـأنهم هـواة في سـباق

يهـون عـلى مسـامعهم لهـاث — لمحتربـين في نـزع السـياق
ومنتفخـين أوداجـاً غـروراً — يكـاد بهـم يـؤول إلى اختنـاق
يسـومون الجمـوع كـما تعـاطى — صـيارفة بمتجـر الـوراق
وبيـنهم يشـق الـدرب جيـلٌ — كضـوء الفجـر يـؤذن بانبثـاق
كفـوراً بالرواسـب والنفايـا — حفـي بانبعـاث وانطـلاق

تشـكي الضـاد لكنـة أعجمـي — كـما الـتكن الغـراب بغـاق غـاق
يخـور إذا تـراطن مثـل ثـور — غلاصـمة تشـد عـلى التراقـي
إلى الفصـحى يـدب بترجمـان — ويحكـم في مشـاكلها الـدقاق
وضـج المنكـرون عـداد بغـل — نفـي العـرق في الخيـل العتـاق

بجـيش الأجنبـي سـبي أبـوه — بـ« صـنعاء » الأرامـل في وثـاق
ولم يفلـت عـلى « الفيجـاء » حيـا — أخـوه ولا وقـاه المـوت واقـي
أفـالآن العروبـة في يديـه — زجـاج سـلافة وكـؤوس سـاقي
فـلا شـلت يـد جـذت عروقـاً — مجذمـة الأوازم والعـراق
يـد العـربي حقـا لا هِجانـاً — مخيسـة وتعـرض في حقـاق
ولا جلـت المغاسـل منـه وجهـاً — ولا حـوت المقـابر عظـم سـاق

وتمثـال لمـرذول خسـيس — بـه وجـه الفضـيلة في محـاق
أتكـريم لمنغلـة ورجـس — وتفرقـة.. وكـذب.. واختـلاق؟
أم اهتضـمت مقـاييس فسـفت — أم انـزوت المصـاعد والمراقـي ؟
أتطـرد المحاسـن والمسـاوي — سواسـية.. وتـدرج في سـياق؟

***

إليك أخي جعفر

دبت عليك زواحف الأعوام وبرئت من جرح.. وجرحي دامي
وبرئت من هزء الحياة ببعضها وتضاحك الأيام بالأيام
عشرون !! طالت حيث مرت قبلها خمسون وهي قصيرة الأرقام
شوهاء غصت بالفظائع كأسها وأمرهن فظاعة الأوهام
وتناثرت كسراً على أعتابها ما صاغت الأحلام من أصنام
من ذا يصدق إن يومي عندها شهر وشهري قيدهن بعام

أمدمراً عيشي.. وواهب عزتي لأذلة.. وكرامتي للئام
ومحيل أطيافي ذئاباً ترتعي لحمي وتشبع من صميم عظامي
ومديل أطماح النسور مهاويا وشموخهن لعفرة ورغام
أدعو عليك دعاء معذر نفسه بسواه فيما استتن من آثام
أدعو عليك بأن تعود فتستقي من طعم كأسي ما يعاف الظامى

لاهم هبني ما يروي قصتي للطفل يرضع أو بعيد فطام

***

براغ أو حواء

أطلت الشوط من عمري أطال الله من عمرك
ولا بلغت بالشر ولا بالسوء من خبرك
حسوت الخمر من نهرك وذقت الحلو من ثمرك

وغنتني صوادحك النشاوي ... من ندي سحرك
ولم يبرح على الظل ... بعد الظل من شجرك
كلا حاليك عشتهما ... قرير العين في سررك
ففي الإمساء من خفرك ... وفي الإصباح من خدرك
كأن تنابز القبلات ... خفق من صدي سمرك
وأحلاماً مهومة ... غلالات لمؤتزرك
وأعين أنجم حيرى ... بها عوز إلى حورك

ألا يا مزهر الخلد ... تغني الدهر في وترك
ويا أمثولة اللطف ... مشت دنيا على أثرك
ذكا في تربك العطر ... ودب السحر في حجرك
فلو صيغت دنا أخرى ... لما كانت سوى كسرك
ولو إن المني خمر ... لكانت سؤر معتصرك
ولو صورت كان الخلق ... والإبداع من أطرك

وقائلة: لقد غالت ... دعاة السوء في ضجرك
وأنك تنشد الدنيا ... منزلة على فكرك
وأطباع الوري حللا ... موشاة على قدرك
ملول النفس.. في سمعك ... رجات .. وفي بصرك
وأنك في التطامن تنقض ... المأثور عن خطرك
تخاف «النار» من شررك ... وتنبو العين عن خورك

وتعيي الفكر مرقاتك   إن قيست بمنحدرك

جري مثل بمصطبرك   وآخر سار في بطرك

وهذا أنت منسجم   مع الألوان في صورك

رضي البال في حلك   حلو السجع في سفرك

تغني الخلد مرتفقاً   وأنت تخال في سقرك

وتهدي «الخز» من وبرك   وتسقي الشهد من إبرك

أحر من الصبا وهجا   ثليج الشيب في شعرك

وألطف من سنا صفو   شفيف الغيم من كدرك

فسبحان الذي سوى   حجولك ملتقي غررك

أقول لها : وهل وطري   فديت ينال من وطرك

أوردك كان عن صدري   أوردي كان عن صدرك

أنفعك كان من ضرري   أنفعي كان من ضررك

أإما كنت من نظري   أإما كنت من نظرك

ألم تك صورة أخري   مواسطة بمقتدرك

هبيك البحر .. تيارك   مشدود بمنحسرك

أليس له « كواسجه »   أليس به سوي دررك

فديتك إنني فيها   أبدل غير منتظرك

مشيت على خطي عبري   فظلي أنت في عبرك

أذنبي أن مختبري   هداني غير مختبرك

وأني عشت مجتمعاً   آمنت به.. على حذرك

لقد نقلت من نظري ... فجاء بغير ما نظرك
هلمي خالطي بشري ... تفري أنت من بشرك

***

الفداء والدم

جل الفداء وجل الخلد صاحبه ... ضاق الفضاء وما ضاقت مذاهبه
لون من الخلق والإبداع يحسنه ... خلق تصاغ جديدات رغائبه
وذروة من سماح لأكفاء لها ... إلا مطامح من عزت مطالبه
في الفدى من جبروت الليل رهبته ... وعنده من ضحاياه كواكبه
يتلوه رأد الضحي شفعاً وتقدمه ... من روعة الفجر زحافاً مواكبه
جل الفداء وإن ضجت مآتمه ... على الشهيد وإن رنت نوادبه
إن الزمازم في الدنيا لمصرعه ... صدي الزمازم صبتها كتائبه
جل الفداء فما ينفك مأربة ... لكل مستبسل أعيت مآربه
وبورك الدرب مسحوراً بتيهٍ به ... نكس، ويحتضن الصنديد لاحبة
درب الخلود بليلات لوافحه ... على الفداة وجنات سباسبه

حوي النضال فسيحاً ما به غلق ... ولا بهائعة رخواً رحائبه
على حفافيه من شعب مصايره ... وبين جنبيه من أمر عواقبه
من عهد آدم والدنيا تلوذ به ... تعلى مرافهها الجلي متاعبه
يمشي الكمي على إثر الكمي به ... للخلد سيان ناجيه وعاطبه
ويستجد البناة الصيد تلهمهم ... غرائب الفكر.. خلاقا.. غرائبه

مــدي الأبيــد وأبــدان تنادمــه ... نضــح الــدماء.. وأذهــان تســاكبه
ينــيره بشــعاع الفكــر مسرجــه ... ويهتــدي بسراج منــه خاضــبه
ومــا يــزال الغــد المنشــود في يــده ... يقــاس بالحــاضر المشــهود غائبــه

غادي ثــراك ابن «ياسين» وراوحه ... مــن الغــهام ملــث القطــر صــائبه
صنع السهاء وعند الأرض صنعتها ... دم الشــباب ملثــات ســحائبه
يســقي ضريحــك لا ينفــك دائبــه ... عــن الضــجيج.. ولا يصطلك ذائبه
سبحان مــن بــدل الــدنيا وســاكنها ... لقــد مشــت خببــا فينــا عجائبــه
كــان الكــريم يــوفي النــذر منتحيــا ... قــبر الكــريم عقــيرات نجائبــه
تصــاعدت همــم للفــدي واستبقت ... مراتــب النفــر الفــادي مراتبــه
وفي لأمتــه نــذرا.. مفجــرة ... نحــوره.. وخضــيبات ترائبــه
ويا صحابة «صبحي» جهزوا زمراً ... مــنكم إلى المــلأ الأعــلى تصــاحبه
غن الفراديس ملقي كل ذي شرف ... طهــر الملائــك أرحــام تناســبه
غــر الجبــاه عــلى الغــبراء تسرجهــا ... مــرج المــروءات ضــوته حباحبــه
تسربلــوا رملــة الــوادي يحــنطهم ... نســيمه وتــواريهم مســاحبه
وأســلموا حشرجــات جــد هائنــة ... إن الــذي وهبــوه الجــرح عاصــبه
ذابــوا عــلى شــفة منــه مصــارعهم ... فيــه بحيــث أظلــتهم ملاعبــه
ومســهم حلــم غــاف وعــانقهم ... طيــف بآرامــه تحكــي كواعبــه
ونفض الرعــب عــن أجفــان محتضر ... ظــل لواحــة زيتــون يداعبــه
ولمــح «بيــارة» لم يــدن رائعــه ... حتــى انثنــي كرفيــف المــوت شــاحبه
يا روعــة البحــر قــد جاشــت غواربــه ... مــن بعــد مــا لان وانــداحت جوانبــه

تفجـرت جنبـات الليـل عـن نغـم ... حلـو كرجـع صـدى الأحـلام ثائبـه
نـاغي «بفـتح» و«تحريـر» وعاصـفة ... كـما تنـاغي أخـا وجـد حبائبـه
وخلتنـي مرهفـا سـمعا لأنجيـة ... في المشرقـين.. مرنـات.. تجاوبـه
مرحـى شـباب فلسـطين بـه مـرح ... مـع الـردى فهـو سـاقيه وشـاربه
مرحـي لمسـتبقين الـدهر أزعجهـم ... مطالـه وأملـتهم ركائبـه
يلـوي ظنـونهم شـهر وقابلـه ... ويمـتري صـبرهم عـام وعاقبـه
مسـمرين عـلى وعـد بـلا كنـف ... مـن ضـامنيه.. ولا حـول يصـاقبه
مالت بهم صهوات اليأس عن أمل ... جـب السـنام بـه واجتـث غاربـه
كانـت حلـول وهـا أنـتم فرائسـها ... وكـان « حلـم » وهـا أنـتم ضرائبـه

ويـا شـباباً كطهـر الفجـر سـيرته ... وكالسـحاب نقيـات نقائبـه
ممـن تبنـاه « غسـان » وسـامره ... وذو النعيمـين «نعـمان» وحاجبـه
لا تخذلوا «فتح» عن ضيق وعن سعة ... فـيها يراضـيه أو فـيها يغاضـبه
ولا يعـل بكـم وهـم فـثم غـد ... يحصي الحسـاب وتـاريخ يحاسـبه
ولا يزحـزحكم خلـف ولا جنـف ... عـن موقـف أعـين الـدنيا تراقبـه
فلـيس بـين طـواعين وأوبئـة ... مثـل الشـقاق إذا دبـت عقاربـه
ويـا فتـي الحـي مـازج تربـه بـدم ... كـما يـمازج صرف الـراح قاطبـه
ولا تثـق بوعـود مـا استجيش بها ... جـيش لقـوم ولا نصر يواكبـه
ولا بسرب دعـاوات يخـال بهـا ... سرب اللقـالق مزجـاة صـواخبه
ملـت مـن الـنغم الـواهي مثالثـه ... وعافـت الـوتر الجـافي مضـاربه
وهان خطب لو اختصت صـوادحه ... بـما تغنـي.. ولم تنعـب نواعبـه

فمـدعي شـاءه جهـلا صـوادقه ... غـير الـذي شـاءه علـما كواذبـه

أبـالحوار يـرد الغـم غانمـه ... أو يرجـع البلـد المغصـوب غاصبـه

أم أنـت تطمـع أن يكفيـك مذأبـة ... غشـيانك الـذئب بالحسـني تعاتبـه

أو أن يزحـزح وحـش عـن فريسته ... بـأن تمسـح بـالزلفي مخالبـه

أم يسـتوي منجـز وعـداً وزاعمـه ... وغاسـل بـدم عـارا وشـاجبه

قـد آن للحـق أن تشـتد غضـبته ... حتـى يخـر عـلى الأعتـاب سـالبه

وحـان للـوطن اجتيحـت سـلامته ... أن يصـفع السـلم رعديـداً محاربـه

دع مشرق الشـمس للـدنيا يغازلهـا ... فقـد دجـت عربيـات مغاربـه

سـني الصـباح جبـين أنـت عـافره ... ومطلـع الشـمس درب أنـت راكبـه

لم يبـق إلا الـدم الوهـاج تنضـحه ... عـلى ظلامـك كـي تجـلي غياهبـه

أقـول للقعـدد المهـزول أضـمره ... هوانـه وهـوى للـذل جانبـه

ذق من «خوان» الردي تسمنك عزتـه ... وأقحمـه تعصـمك مـن ذل أطايبـه

ولا تـروع بسـيماه فـإن بـه ... غيظـا عـلى ناشـد حقـا يجانبـه

يغـري الشـجاع بإصـحار تيقنـه ... أن الجبـان خبيئـات معاطبـه

يحيا مع الموت عند الموت مرتغب ... فيـه.. ويحيـاه طـول الـدهر راهبـه

أقسـمت بالـدم عملاقـاً فـلا زيـغ ... في مشـيتيه ولا عـوج مناكبـه

تحمـل الـوزر ألـوي عنـه وازره ... وعافـه خذنـه.. وانسـل صـاحبه

لخـير يوميـك يـوم تسـترد بـه ... مـن كـف أمسـك مجداً فـات ذاهبـه

يوم دحضـت بـه عـاراً.. وصـنت به ... غـدا، وأدركـت ثـأراً عـز طالبـه

سل الطواغيت هـل مـن غالـب أشر ... إلا وهـذا الـدم المغلـوب غالبـه

يزعـــزع الثقـــة العميـــاء ســـاربه … كـــما يزعـــزع جـــذر الـــدوح ضـــاربه
ومـــا المفـــاداة سر إنهـــا خطـــر … هانـــت عـــلى يـــد مقـــدام مصـــاعبه
إن المشـــيع مدتـــه عزائمـــه … مثـــل المحنـــك أغنتـــه تجاربـــه
يا صادق الفجر زعزع أعيناً غفيت … فقـــد تقـــرحن ممـــا طـــال كاذبـــه
وأنت يا جمرة الحرف التي نضجت … أم الكتـــاب بـــما تـــوحي وكاتبـــه
كـــوني لي العـــون في خطـــب أكابـــده … ونجـــدة الغـــوث في خلـــق أخاطبـــه
فقـــد تكتمـــت حتـــى لـــج منفجـــراً … بي الضـــمير وحتـــى ضـــج صـــاخبه
خمســـون عاشـــت فلســـطيناً ومحنتهـــا … كـــما يعـــيش قتـــاد الشـــوك حاطبـــه
نضـــوى عـــلى قـــدر مـــا نغشـــى مآدبهـــا … إن اللئيمـــة تضـــوي مـــن تـــؤاد بـــه
مـــن وعـــد بلفـــور « زقومـــا » نطاعمـــه … حتـــى حزيـــران « غســـلينا » نشـــاربه

وتـــائهين تهـــين الشـــمس عـــريتهم … ويحســـد الليـــل إذ ترخـــي ذوائبـــه
صرعـــى الخيـــام ملايـــين ممزقـــة … كنســـجنهن الـــذي راحـــت تجاذبـــه
تجبـــي لهـــا الصـــدقات المـــر مطعمهـــا … مـــرأى ومســـمع مـــن راقـــت مشـــاربه
وحـــولهن ملايـــين مكدســـة … كـــالإثم ضـــوعف لايحصـــيه حاســـبه
ما أوقح الورق الدينار كم شمخت … عـــلى مناصـــب حاويـــه مناصـــبه
هـــذا الأديـــم ســـيخزي منـــه وادعـــه … حتـــى يصـــب عليـــه اللعـــن غاضـــبه
يـــا ويـــح مـــا ســـوف تلقـــاه مخنثـــة … مـــن القصـــور إذا ثـــارت زرائبـــه
لســـوف يحقـــب مـــن عـــار ومـــن ضـــعة … مـــن راح أمـــس مليئـــات حقائبـــه
يـــا قائـــد « الفـــتح » يســـتذري بنبعتـــه … نبـــع الفـــداء وترعـــاه مواهبـــه
نـــد مـــع المـــوت غضـــبانا ينـــاجزه … وجهـــاً لوجهـــة كجـــلاد يناصـــبه

يلقي الحديد بأضلاع يفجرها ... حقد يذيب شبا الفولاذ لاهبه
يهتز الجرح تلو الجرح يحمله ... كالسيف يعتز إن فلت مضاربه

يا واهب المجد أعراقاً يفصدها ... أغلي من المجد كنز أنت واهبه
وجالب النصر عن صبر وعن ثقة ... والنصر من هو إلا النصر جالبه
أثني عليك بما يثني على بطل ... نبع البطولات أشباه مساربه
وماعسى يبلغ المنطيق من رجل ... اسمي وأبلغ من نطق مناقبه
بل لو نثرت النجوم الزهر أعوزني ... نجم يوفيك حق القول ثاقبه

يا قائد « الفتح » إن النفس مرسلة ... كالطير تترى مراسيلاً عصائبه
وأصدق الشعر ما هبت نسائمه ... من الضمير وما شبت لواهبه
وخير من قيض للنجوي أخو ألم ... ندب أراح عليه الهم عازبه
أفرغت روحي في الأرواح أمحضها ... بثاً صراحاً.. وشر البث رائبه
أشكو إليك تضاعيفاً بمجتمع ... على محاسنه أربت معايبه
ما إن تزال به الأعباء جاثمة ... على القليل إذا نابت نوائبه
شط المساف أقاد نفسه كرماً ... ومفتداة بأهليه مكاسبه
وصاهر في جحيم الناس مهجته ... طاوي المصير على الضراء ساغبه
وإمعات فلا زرع وزارعه ... هم لديهم ولا ضرع وحالبه
تباعد الموت إشفاقاً ويدمغها ... شر من الموت إذلال تقاربه
وناسجون من الأحلام أردية ... كل تجلبب منها ما يناسبه
ومنطوون:علاليهم صوامعهم ... ليت البديل بهم دير وراهبه

نعم الرهان اصطلي بالعار خاسره ... وانصاع معتمراً بالغار كاسبه
يا قائد « الفتح » لم أهدف إلى شعب ... وأنت عندك من هم شواعبه
لكنها نفثات يستراح بها ... وقد تعينك في هم جوالبه

يا قائد « الفتح » ما فتح بلا تعب ... مهر الطماح إلى العليا متاعبه
مالذة الدرب معموراً تسايره ... وقيمة الأمر مسوراً تطالبه
يا قائد « الفتح » والدنيا إلى صعد ... والفكر يستبق الغايات دائبه
وربما ازدهرت غناء وارفة ... غدا من القمر النائي خرائبه
تمايز الكون عن كون طبائعه ... وتفرق الجيل من جيل ضرائبه
سيدرك ابن غد عزما ومقدرة ... ما نحن عن خور فينا نجانبه
فطالما جب عهد وزر سابقه ... كما نفي الغلط المفضوح شاطبه
وقد تؤنب أسلافاً خلائفها ... كما تؤنب طفلاً أو تعاقبه
سيسفر الغد خلته شوائبه ... مثل الجمام انتفت عنه شوائبه
سيحفز الجيل أجيال تسابقه ... كما تطاعن قرناً أو تضاربه
لسوف تحدوه للمغني نواشطه ... وإن ترامت طليحات لواغبه
وسوف ينجاب كالإصباح مقتبل ... هذي الضحايا عزيزات جوائبه
ما أبعد اليوم عن غر يجانبه ... وأقرب الغد من واع يواثبه

***

أرح ركابك

أرح ركابك من أين ومن عثر ... كفاك جيلان محمولاً على خطر
كفاك موحش درب رحت تقطعه ... كأن مغبره ليل بلا سحر

ويـا أخـا الطـير في ورد وفي صـدر   في كـل يـوم لـه عـش عـلى شـجر
عريـان يحمـل منقـاراً وأجنحـة   أخـف مـا لم مـن زاد أخـو سـفر
بحسب نفسك ما تعيا النفوس به   مـن فـرط منطلـق أو فـرط منحـدر
أناشـد أنـت حتفـاً صـنع منتحـر   أم شـابك.. أنـت مغـتراً يـد القـدر
أم راكـب مـتن نكبـاء مطوحـة   تـري بـديلا بهـا عـن نـاعم السرر
خفـض جناحيـك لا تهـزأ بعاصـفة   طـوى لهـا النسر كشـحيه فلـم يطر
ألفـي لـه عـبرة في جؤجـؤ خضـب   مـن غـيره.. وجنـاح منـه منكسر

يا صـورة الـوطن المهـديك معرضـه   أشـجى وأبهـج مـا فيـه مـن الصـور
غيومـه وانـبلاج الشـمس والقمـر   وقيظـه وانـثلاج الليـل والسـحر
ومـا يثـير الـدم الغـافي بتربتـه   من صحوة الحقد أو من غفوة الحذر
والعبقريـات لم تـنهض ولم تثـر   والتضـحيات تـوالي عـن دم هـدر
والنـاذرين نفوسـا كلهـا ثمـر   والنـاهزين لمـا يجنـي مـن الثمـر
والزنـدقات وإيـمان التُقـاة ومـا   أجلـت مذاهبـه عـن زحمـة الفكـر
يـا صـورة الـوطن انصبت معالمهـا   عـلى معـالم مـا أبقـت يـد العصر
تلاحـم الضـوء في عطـر وفي نغـم   منهـا أصـيل.. فلـم تنسـخ ولم تعـر
أعطيـت أنفـس كنـز مـن نقائضـها   فكـن رقيبـاً عليهـا غايـة العمـر
طِر ماستطعت مطاراً عن نقائصـها   وعـن مرافعهـا الجـلي فـزد وطـر
وكـن فخـوراً بـما أعطيـت مـن دمـه   على الحجول وفي الأوضاح والغرر
فـإن تحـداك مـن عليائـه ملـك   يزهـو عليـك.. فقـل إني مـن البشر

يـا سـامر الحـي بي شـوق يرمضـني   إلى اللـدات إلى النجـوى.. إلى السـمر

يا سامر الحي بي داء من الضجر ... عاصاه حتى رنين الكأس والوتر

لا أدعي سهر العشاق يشبعهم ... يا سامر الحي بي جوع إلى السهر

يا سامر الحي حتى الهم من دأب ... عليه آب إلى ضرب من الخدر

خلاف ماابتدعت للخمر من صور ... وجدتها وزاد عجلان ومنتظر

كأن في الحبب المرتج مفترقا ... من الطريق على ساه ومدكر

يا سامر الحي إن الدهر ذو عجب ... أعيت مذاهبه الجلي على الفكر

كأن نعماءه حبلي بأبؤسه ... من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر

تندس في النشوات الخمس عائذة ... هذي فتدركها الأخرى على الأثر

ينغص العيش أن الموت يدركه ... فنحن نم ذين بين الناب والظفر

والعمر كالليل نحييه مغالطة ... يشكى من الطول أو يشكى من القصر

ويا صحابي وللفصحي حلاوتها ... لا تنكروا ناقلاً تمراً إلى هجر

أني ثوي ذو طماح فهو مغترب ... في دارة الشمس.. أو في هالة القمر

سبع توهمتها سبعين لا كدراً ... لكن لحاجتها القصوى إلى الكدر

ناشدتكم بعيون الشعر لا رمداً ... شكت.. ولم تكتحل يوماً سوى الحور

هل عندكم خبر عن قرب ملتحم ... أو وشك معترك أو قرب مشتجر

فذاك والله عندي أصدق الخبر ... إني أقايض فيه النفع بالضرر

كم أرصد الموت أدرى أنه رصد ... إن كان في الموت من فخر لمفتخر

سبحان ربك رب المرء يخلقه ... صلصالة وهو من نار ومن شرر

أذنبه أنه لو قيد محتفظا ... إلى النعيم تخطاه إلى سقر

ويا ملاعب أترابي بمنعطف ... من الفرات.. إلى كوفان فالجزر

فالجسر عن جانبيه خفق أشرعة رفافة في أعالي الجو كالطرر
إلى «الخورنق» باق في مساحبه من ابن ماء السما ما جر من أزر
تلكم «شقائقه» لم تأل ناشرة نوافج المسك فضتها يد المطر
بيضاء.. حمراً أسرابا يموج بها ريش الطواويس.. موشية الحبر
للآن يطرب سمعي في شواطئه صدح الحمام.. وثغي الشاء والبقر
والرملة الدمث في ضوء من القمر والمدرج السمح بين السوح والحجر
ومستدق الحصي منها وما جمعت مناخة النوق من بدو ومن حضر
تعالت الذكوات البيض عن نجف عال كما ازدهت الألواح بالأطر
واشتفت الوابل الوسمي وانحدرت إلي الطفوف بسيل منه منحدر
مستشرفات صبا نجد يبل بها غليل رمل يوقد الشمس مستعر
يا أهنا الساع في دنياي أجمعها إذا عددت الهنيء الحلو من عمري
تصوبي من عل حتى إذا انحدرت بي الحتوف لذاك الرمل فانحدري
تمحي الغضارات في الدنيا سوى شفق من الطفولة عذب مثلها غضر
وتستطار طيوف الذكريات سوي شفق طيف من المهد حتى اللحد مدكر
في «جنة الخلد» طافت بي على الكبر رؤيا شباب وأحلام من الصغر
بجنحات أحاسيس وأخيلة مثل الفراشات في حقل الصبا النضر
اصطادهن بزعمي وهي لي شرك يصطادني بالسنا واللطف والخفر
أقتادهن إلى حرب على الضجر فيصطلحن على حربي مع الضجر
وأنت يا ماردا يلقي بهامته هوج الرياح.. ورجلاه لظى سقر
يا ساحر النفس كالشيطان يا وطناً يهوي ويصفي على الويلات والغير
ويا حفيظا على الزلات يرصدها وبالذي يتجنى جد مغتفر

ما إن تزال على ما ذقت من غصص لديك من صلب حاجاتي ومن وطري
حملت همك في جنبي أصهره في لاعج بوقيد الشوق منصهر
وكنت نوري في ليلي وغربته حتى كأن النجوم الزرق لم تنر
عود إليك على بدء وقد قربت مسافة البدء من عود إلى الحفر
عود إليك بأقدام موطأة على دروب.. جراحي فوقها أثرى
تنبت الدم من روحي ومن بدني واستلت الضوء من ليلى ومن قمري

يا دجلة الخير ما هانت مطامحنا كما وهمنا.. ولم نصدقك في الخبر
ها قد أقلنا على سفحيك يؤنسنا لوذ الحمائم بين الطين والنهر
وعانقتنا حسان النخل واصطفقت جدائل السعف المزهاة لا الشعر
وأثلج النفس من ولهان مستعرَ وجداً سقيط الندي من ريقك الخصر
يا دجلة الخير والأيام تسحقنا بين البشائر نرجوهن والنذر
نخادع النفس بينا نحن في يدها وبين أرجلها مدحوة الأكر
تمازج الخير في شر مموهة ما كان منتظراً في غير منتظر
كان الذي لم نخله كائناً أبدا حتى كأن مصيراً حم لم يصر
حتى كأنا مع الأطيار لم نطر إلي رُباك.. وطيفاً منك لم يسر
ولا حلمنا بنار منك تحرقنا في شاهق بنديف الثلج معتمر
ولا ابتعثت لنا الأطياف عاوية مثل الذئاب.. ولم نفزع إلى جدر
يا «دجلة الخير» إن الغمة اندثرت جنباً إلى جنب عهد فات.. مندثر
يا «دجلة الخير» إنا بعض من عصرت كف لوي معصميها أي معتصر

قذف الحصاة رمتنا عنك جائحة ... نقيض جريك في مد وفي جزر

تلوي وتحسر إذ تطغين مدتها ... وتستقيم بموج منك منحسر

عفنا لها ناطحات الجو فارعة ... ونازعتنا على ضحيان مؤتجر

أغرت بي السبعة الأعوام تحسبها ... هوج العواصف تستعدى على الشجر

لم تدرِ أن جذوري غير خائسة ... كالجذر منها ولاعودي بذي خور

وشردتني كأن لم يجر منقلب ... بالناس والفلك الدوار لم يدر

ليست بكفو أفراحي مصائبهم ... يأبى الشماتة كفواً موكب الظفر

يا جازعين بأن غامت سماؤهم ... وما يزالون في فينان مزدهر

رأيتم كيف هان الصبر عندكم ... وكيف كان على اللأواء مصطبري

وكيف زرت على الإيمان مدرعتي ... وكيف تاه على ديباجكم وبري

يا « دجلة الخير » نحن الممتلين غني ... بنا انعطاف على ملآن مفتقر

والله لو أوهب الدنيا بأجمعها ... مابعت عزى بذل المترف البطر

قالوا يظنون بي شيئاً من الصغر ... فقلت فيهم وبي شيء من الضعر

رثيت للعقرب اللدغي جبلتها ... لفرط ما حملت سما على الإبر

لولا مغبة ما تجني ذنابتها ... لقلت رفقاً بهذا الزاحف القذر

ويا سُقاة الندي من كل منسجم ... والأريحيات.. ومعسول النثا عطر

يا صفوة البلد الزاهي بصفوته ... ويا أسارير وعي فيه منتشر

ضممتم المجد من أطرافه زمراً ... تضفي على سناها صفوة الزمر

من كل لون كريم مشرق خضل ... كما تلون حسنا باقة الزهر

معتقين سلاف الحرف ناضجة ... نضج ابنة الكرم فيه ابنة الغرر

عذراً لأكؤسكم كأسي بها وشل | خجلان من مترع الحافات مزدخر
ما كنت بالعي لجلاجاً بمجتمع | ولا بهيابة في منطق حصر
ولم يدع لي كر الدهر من وطر | ولا المحاذير قد مارست من حذر
لكن وجدت جميل الصنع مبتكراً | ما إن يوفي بقول غير مبتكر
وقد يضيق بشكر المفضلين فم | حتى يغطي عليه عذر معتذر

ويا قوى الخير كوني خير صارية | يوقي الغريق بها دوامة الخطر
نجوى خليص هوى ما انفك بينكم | خمسين عاماً ملاء السمع والبصر
لم يمش يوماً إلى تجر بمعترك | ولا تدرب في حانوت متجر
لكن بصدر لنزف الجرح محتمل | وصلب مئتن لحمل الغرم مدخر
عقد من التضحيات الغر منتظم | جرم المفرط فيه غير مغتفر
لمي صفوفك يشمخ في تلاحمها | مجد يضاف إلى أمجادك الأخر
واستأصلي البؤر السوداء واقتلعي | منها الجذور.. ولا تبقي ولا تذري
أخزى وأقذر من مستعمر عصب | راحت غطاء على مستعمر قذر
تكاد تعطيه من أضلاعها نفساً | به تمدد من أنفاس محتضر
وشبه منتهز أيتام نعمته | ومثل مؤتمر أفراح مؤتمر
ويا براعم مجد في كمائمها | مدي جباهك نحو النور وازدهري
تعاطفي كخيوط الفجر وانبلجي | في جنح ليل بعيد الغور معتكر
إن الدياجير لا تجلي غياهبها | إلا إذا التم شمل الأنجم الزهر
ويا جموعاً يهاب الموت زحفتها | سُدى الطريق على الردات واختصري
أنتم ركائز حق بعدما ذهبت | درج الرياح أطانيب من الشعر

ونخبة لقوم يستهدي بأوجهها شعب تخبط في عمرو وفي عمر

تشاجري والبلايا السود تنتصري فقد تعاطيت منها كل مشتجر

وقد تمرست حتى كل نازلة لها وإياك ميعاد على قدر

كفر بسفر نضال أن يميل به عن روعة المحتوى خلف على الصور

بالضحايا تلوب الحشرجات بها أن يغتدي دمها خمراً لمعتصر

***

رسالة مملحة

وفي لها نذراً فوافق وسعى بها سبعا وطافا

ورمي لها الجمرات من قلب تعلقها شغافا

عاد الحجيج وفد سعي وسعي ويأبى الانصرافا

يستلمس الحجرات يعرفهن قربي وازدلافا

ويري بكل ثنية بعثاً لذكرى واكتشافا

ألوى بها والثلج يحتضن المشارف والحفافا

السمحة المعطاء حملت الخصاصة والشظافا

سيمت عن المرح الخواء وعن رغادتها الكفافا

عريت فراحت بالنديف البض تدثر التحافا

حتى المسارج في الكوى الخفرات يخفقن ارتجافا

وشتا بها وكأنه لم يشت قبل.. ولا أصافا

متنظراً عرس الربيع لعله يرعي الزفافا

آه علـى « ابـن العبـد» إذ … يتـبرض اللهـو اشـتفافا
يهـوى « الطـراف » و« بكهنـا » … بضـاً.. وأن يحمـي المضـافا
لـو عـاد لاختـصر المسـافات … لـدنا وحيـا.. واستضـافا
لـرأي لـه وسـط الجبـال … الخضر مـن ثلـج طرافـا
لاعتـاض عـن حلـب العصـير … مشي بـه علـج ودافـا
حلبـا تقطـر مـن شـفاه … الغيـد يعـتصر انتزافـا
وعـن « البهـاكن » كـل رود … تسرج الليـل الغـدافا

« أأبـا هـدي » شـوق يلـح … ولاعـج يـذكي الشـعافا
شـوق المبـارح لم يغـيره … البعـاد.. ولا تجـافى
وهـوي يضـج كعاصـف … يتوعـد الشـجر انتصـافا
يصـفيك محـض وداده … حـر يصـافي إذ يصـافي
يهـب الحشاشـة لا ذمـاً … منهـا يعـاف.. ولا سـجافا
حلـو السريـرة.. ينطـف العسـل … المصـفى والسـلافا
فـإذا اسـتثير فقـل بصـل … ينفـث السـم الزعافـا
يـا منـتج الـدرر الحسـان … معانيـاً غُـراً ظرافـا
يقطـرن إبـداعاً.. وإيثـاراً … وحبّـا.. وانتصـافا
نبئـت أنـك توسـع الأزيـاء … عتـاً.. واعتسـافا
تقفـو خطـى المتأنقـات … كسـالك الأثـر اقتيافـا
وتقـيس بالأفتـار أرديـة … بحجـة أن تنـافى
مـاذا تنـافى؟ بـل ومـاذا … ثـم مـن خلـق ينـافى؟

حوشـيت.. أنـت أرق حاشـية　　ولطفـاً.. وانعطافـا
وأشـد لصـقا بـالحجى　　وألـد بالعـدل اتصـافا
أتـرى العفـاف مقـاس أقمشـة ؟　　ظلمـت إذن عفافـا
هـو في الضمـائر لا تخـاطَ　　ولا تقـص.. ولا تكـافي
مـن لم يخـف عقبـى الضـمير　　فمـن سـواه لـن يخافـا

يـا قائـد الجـيش اقتحامـا　　والتحامًـا، والتفافـا
طـوق جهـالات الحمـى　　والعنعـات بـه الجزافـا
وتقـص كـل جـذورهن　　فـلا القـوي، ولا الضعـافا
أشـع الحيـاة ولطفهـا　　في مـوطن يشـكو الجفافـا
أقـوى فـلا المـرح استجد　　ولا الصُـداح، ولا الهتافـا
وخـلا كـما تخلـو الفيـافي　　غـير أتربـة تسـافي
وسـوى العـروق الناشـفات　　كأنهـا تشـكو الرعافـا
أن لم تسـل نهـر الحيـاة　　فخلـه يـرد الضفـافا
فلقـد أشـاع الخـوفَ فيـ　　ـه، وذل شـعب أن يخافـا
وحـش مـن الحرمـان لا يعفـى　　السـمان ولا العجافـا
عصر الـدماء مـن الوجـوه　　وردهـا صـفرًا، نحافـا
وأشـاع فيهـا وحشـة　　كالليـل تـأبى الانكشـافا
هـوت المحـاجرُ بـالعيون　　كـأن فـيهن انخسـافا
وتضرت الرغبـات منـ　　ـع العـاطش العـذب النطافـا
قسـمًا بـودك وهـو حلـ　　ـفة مـؤمن يـأبى انحرافـا

إن لم تـــدن بــــالانطلاق ولم نُصـــف الارتســـافا

فلألـــف عـــام ســـوف نبـــقى مثـــل مردفـــة خلافـــا

متقهقـــــرين إذ العـــــوا لم تســـبق الـــزمن اســـتلافا

ســـتدور في القمـــر المـــلا حـــم توســـع الفلـــك انجرافـــا

كســـــبًا لأي الغازيـــــــن يحـــل دارتـــه ادلافـــا

ونظـــل نحـــن نطيـــل ، فيـــها لا خـــلاف بـــه، خلافـــا

زحفًـــا كبيـــت في قصيـــد عـــامر يشـــكو الزحافـــا

يـــا مـــن رأى فلـــكَ النجـــوم مشـــــى بـــــأكواب وطافـــا

هـــذي الصـــحاف مـــن الزبـــرجـــد رحـــن يحملـــن الصـــحافا

ســـاعًا عـــلى ســـاعٍ وقـــوفًـــا وانتشـــارًا ، واصـــطفافا

يـــنعمن بالكـــدح الشريـــف يـــوفر العـــيش الكفافـــا

الســـاحرات فمـــن يـــردك أن يطـــرن بـــك اختطافـــا

والناعســـات فـــما تحـــس الطـــرف أغفـــى ، أم تغـــافى

والناهـــدات يكـــاد مـــا في الصـــدر يختطـــف اقتطافـــا

والخـــيرات النـــاذرات الـــنفس للطيـــب اعتكافـــا

هـــدى المســـيح إلى الســـلام عـــلى العيـــون طفـــا وطافـــا

ودم الصـــليب عـــلى الخـــدود يكـــاد يرتشـــف ارتشـــافا

علقـــن في أوســـاطهن مـــآزرًا بيضًـــا ، خفافـــا

قـــدر المســـاف مظنـــة أو لا فمـــن يـــدري المســـافا

وردهـــن إلى الظهـــور فكـــن أردفـــة ردافـــا

سـاءلت نـفسي لا أريـ — ـد لها عن «النحو» انصرافا
أتـرى «المضاف إليه» أحـ — ـلى أم علاقته المضافا
أحكمن جارحة فجا — رحة رسوخًا وانعطافا
ما يعل يعلُ الكائنات — وما يحط فقد أنافا
«أأبا هدى» إن كنت — متهمًا، فخذ مني اعترافا
إني ورب صاغهن — كما اشتهي، هيفًا لطافا
وأدقهن وماوني — وأجلهن، وما أحافا
لأرى الجنان إذا خلت — منهن أولى أن تعافا
لو قيل ما سفر الحياة — لقلت: ما كن الغلافا
لو قيل: كيف الحب قلـ — ـت بأن تداء فما تشافى

وفى لها نذرًا فوافى — وتجرموا فيه اقترافا
ظنوا الظنون به وقا — لوا عقَّ موطنه وعافا
كذبوا، وإن كانوا أصا — بوا من حروف «الصدق» قافا
ما عاف.. لكن خاف من — خلق الفوارك أن يعافا
ما انفك يؤثر حرة — من طين دجلة أن تسافا
لكنه عاف ابتعادًا — في المنازع واختلافا
هو بحسب الدنيا مطا — فًا كان حتمًا أن يطافا
أو عاره وسهوله — يتمازجان به ائتلافا
قفرٌ تقاذفنا كما — تتساقط الرجم انقذافا
لك موعد والموت من — عطش يوافي، أو يوافى

وبـــه مـــن «الواحـــات» مـــا يـــدني لمقتطـــف قطافـــا
ووراءه لحـــــــــــدٌ ودودٌ ينهيـــان بـــه المطافـــا
فـــإذا بـــدا نبـــع لعيـــ ـــنك فيـــه فـــاغترف اغترافـــا
وهـــم يغـــذون المطـــاف ويفســـدون بـــه الطوافـــا
يجدونـــه جـــدلاً ، ومتجـــرًا ونبتـــا ، واعتلافـــا
ويـــرى الحيـــاة إذا خلـــت مـــن بهجـــة موتًـــا ذعافـــا
ويرونهـــا في الهـــزل إســـ ـــفافا وفي الجـــد احترافـــا
وتصـــنعا للجـــاه يســـ ـــتهوي بـــه الكـــبشُ الخرافـــا

***

مهلاً

وفىَّ لـــه نـــذرا فـــوافى بخريـــدة كرمـــت قطافـــا
مهـــلا أبـــا المهـــدى مهـــلا إن فى الحـــق انتصـــافا

وها هي ذى القصيدة التى أجاب فيها السيد عماش عن الرسالة الملحة.. نسبنا إيرادها هنا كاملةً لما في ذلك من إتمام صورة واضحة للحوار وهي :

لاح ســـقانيها ســـلافا ورمـــى بهـــا غيـــداً لطافـــا
طابـــت مملحـــة بهـــا الأبيـــات تقتطـــف اقتطافـــا
نبئـــت أنـــى أوســـع الأزيـــاء عتـــا واعتســـافا
أقفـــو خطـــى المتأنقـــات كســـالك الأثـــر اقتيافـــا
وأقـــيس بالإقتـــار أرديـــة بحجـــة أن تنـــافى
ودعـــوتى للمكرمـــات لعـــون شـــعب أن يخافـــا

ورويـت عـن فلـك النجـوم مشـى بـأكواب وطافـا
السـاحرات فمـن يـردك أن يطـرن بـك اختطافـا
ونسـيت أنـى لا أخـاف المـوت بلـه غـراب نازلـة غـدافا
أدمـى إلـه الحـرب طعنـا واقتحامـاً والتفافـا
مـن يـدم خـاصرة الليـوث إذا انثنـت فينـا زرافـا
لا يخـش خـاصرة الغـوانى والمـآزر والردافـا
والناهـدات يكـاد مـاقى الصـدر يختطـف اقتطافـا
مـن يخطـف الثمـرات فى صـدر تجـلى أو تعـافى
ألا عـلى بابـا بـزوراء العـراق مشـى وطافـا
ودم الصـليب عـلى الخـدود يكـاد يرتشـف ارتشـافا
علقهـن فى أوسـاطهن مـآزراً بيضـاً خفافـا
ورددنهـن إلى الظهـور فكـن أردفـةً ردافـا
إن تثقـل الأزر الظهـور فتلـك مسـألة تـلافى
سـاءلت نفسـك لا تريـد لهـا عـن النحـو انصرافـا
أتـرى المضـاف إليـه أحـلى أم علاقتـه المضـافا
إنـى أرى أن المضـاف بـه السـعادة أن يضـافا
بـئس المُنبـئ لم يـرم فى الكـذب للحـق انتصـافا
عـوذاً بكـم أهـل الحجـى أن تقبلـوا الخطـأ الجزافـا
مـا كـان عـماش يغـيظ الغيـد بـل خطـأ تـلافى
أوسـعته للاجئـات ففـى غـد تلقـى مطافـا
مـن يـدر قـد نلجـأ غـدا ونلـف نرتجـف ارتجافـا

لـــــــو طفـــــــت في الأردن   أكـــبرت العروبـــة والطوافـــا
ورأيـــت ملتاعـــا يمـــزق   جرحـــه منـــك الشـــغافا
فعـــلام نمـــرح والســـويس   تـــدك بالنـــار انقـــذافا
للاجئـــات المقـــيلات الطـــول   أولى أن يضـــــــــــافا
راشـــيل تضربنـــا رصاصـــاً   دمـــدماً غـــدراً بيافـــا
والموشـــى يعـــترف الـــدماء   القانيـــات بهـــا اعترافـــا
وشـــــبابنا يتخنثـــــون   خنافســـاً هوجـــاً عجافـــا
إنـــا نريـــــد مـــآثراً   لا قصر أرديـــة كفافـــا
نبغـــى مـــن النســـوان تربيـــة   الـــــبراعم والعفافـــا
ســـلها أيعجبهـــا المخـــنفس   أن يـــزف لهـــا زفافـــا
أم تعشـــق الأســـد الهصـــور   الكـــفء.. والبطـــل المعـــافى
سلوفينسكى مرتـاد السـلافين   أولى أن يعافـــــــــــا
وطباعنـــا في بعـــض مـــا   يجـــدون مـــن طبـــع تنـــافى
أخشـــى عـــلى فتياننـــا منـــه   انســـــياقا وانجرافـــا
أخشـــى عـــلى الجيـــل انهيـــارا   وابـــتلالا وانعطافـــا
وذكـــرت عـــن صـــنع الإلـــه   كـــما اشـــتهى هيفـــاً لطافـــا
وتـــرى الجنـــان إذا خلـــت   مـــنهن أولى أن تعافـــا
إنـــى أبيـــت اللعـــن   أطلقهـــا اعترافـــا واعترافـــا
أهـــوى خيـــال الفاتنـــات   وإن حـــوى ســـما زعافـــا
أرنـــو لهـــن بلهفـــة   وأكـــاد أتـــرك مـــا تجـــافى
أفـــدى المضـــاف إليـــه إن   تـــرك العلاقـــة والمضـــافا

لكن ما يرضى الفضيلة ... ذاك أحرى أن يضافا
وأحب حسن الغانيات ... يزين بالطهر العفافا

مهلاً فإن مفاخر النظراء ... أنصبة تكافى
خمسون حين الكهل طفل ... كان يقطعها ارتسافا
وإذ العروبة لفظة ... جوفاء مرسلة جزافا
فجرت في جنباتها ... جسدا وروحها وانعطافا
أذكت قوافي الجريحة ... من فلسطين الشغافا
ولقبل جيل حين كان ... الحرف أتربة تساقى
طوقت بالأردن والجرحى ... وأحسنت الطوافا
ولقطت منها الحشرجات ... وصغتها دمعا ذرافا

شعراً كأن عليه نيراناً ... وصافية سلافا
كان الصداح أهز أجيالا ... به كان الهتافا
ومشى إلى دم الشهيد ... يكاد يرتشف ارتشافا
ناغيت بالدم والهوى ... وبتلكم النفثات يافا
أنسيت إذ حط الركابا ... فيها وإذ لثم الضفافا
إذ راوحت غرف الجنان ... له على اللُّدِّ السجافا
وإذا الجراح على قوافيه ... تقطرت انتزافا
أُنسيت أُغنية الفداء ... ومن تناساها أحافا
إذ كل حرف عندها ... يشكو من الألم الرعافا
مهلا أخي عماش قد ... أوجفت في الدرب اعتسافا

لا يصـــنع الجـــيش اللهـــام ... وإن أنـــــاف وإن أخافـــــا
فى الحـــزب مـــا أنـــا صـــانع ... إذ أوســـع الـــرجم انقـــذافا
أنـــا رب حطـــين ويافـــا ... أنـــا صـــاحب القلـــب المعـــافى
مهـــــلاً أخـــــى عـــماش ... وقيـــت التنـــازع والخلافـــا
أنـــا لســـت أبـــرح أحســـب ... الـــدنيا انطلاقـــا وانكشـــافا
وأرى النضـــال وملعـــب ... الخفـــرات أقرانـــا ردافـــا
مـــن خـــاف مـــن حـــب الحيـــاة ... تخـــوف المـــوت الـــذعافا

***

يا ابن الفراتين

يا ابن الفراتين قد أصغى لـك البلـد ... زعـماً بأنـك فيـه الصـادح الغـرد
زعم بحبك منه الفخر إن صدقوا ... أو لا فواجـد هـم بـث مـا يجـد
ولـن يهـون بـث مـا تجـيش بـه ... وقـد تهـون عـلى النفاثـة العقـد
مـا بـين جنبيـك نبـع لا قـرار لـه ... مـن المطـامح يستسـقى ويرتفـد
إذا تخلصـت مـن هـم أطحـت بـه ... شـبت همـوم عـلى أنقاضـه جُـدُد
كـأن نفسـك بقيـا أنفـس شـقيت ... وكـل ذنـب ذويهـا أنهـم وجـدوا
وأنهـم حلبـوا الأيـام أضرعهـا ... حتـى إذا محضـتهم درهـا زهـدوا
فاضت على الكرة الجوفاء وانطلقت ... تـوفى عـلى عـالم أوفى وتقتعـد
مشعشـعات وليـل حولهـا طبـق ... وطـاهرات ورجـس دونهـا نضـد
يرتـاد فى سـوحها كـون بأجمعـه ... ومالهـا سـبد فيـه ولا لبـد
ويسـتقى دمهـا جيـل وينكرهـا ... ويغتـدى روحهـا خلـق وتعتفـد

وأنهـم خرجـوا منهـا بأفئـدة ... مـن الأذى والأسـى والحب تفتـأد
وأنهـم وقـد التاثـت عقائـدهم ... زيفـا ومحضـا أدانـوا كـل مـا اعتقـدوا

يـا ابـن الفـراتين لا تحـزن لنازلـة ... أغلى مـن النـازلات الحـزن والكمـد
دوح الرجولـة لا تلـوى الريـاح بـه ... لكـن تـنفض أوراقـا وتختضـد
ولا تلـذ بـتعلات مسـوفة ... ولا يكتفـك صـبر حبلـه مسـد
فـما التأسـى إذا لم ينـف عنـك أسـى ... ومـا التجلـد إن لم ينفـع الجلـد
لم يبـق أمسـك مـن عقبـى يلـذ بهـا ... يومـاك إن شـقيق الطـارف التلـد
وخـل نفسـك تجـرر مـن أعنتهـا ... رسـلا تـراوح أو تشـتد أو تخـد
فـإن أفظـع مـا فى الكـون مضـطهدا ... خـوالج فى حنايـا الصـدر تضـطهد
ومـا ضـمانة قـول لا شـفيع لـه ... مـن الضـمير ولا مـن ذمـة سـند
ولا تحـاور بـها استصـفيت معتقـدا ... ولا بكيـف ومـاذا رحـت تعتقـد
ولا تغـالط فقـد أغنـاك زخرفـة ... مـن قبـل ألفـين فـيما صـاغه لبـد
لا تقـترح جـنس مولـود وصـورته ... وخلهـا حـرة تـأتى بـما تلـد
وقـل مقالـة صـدق أنـت صـاحبها ... لا تسـتمن ولا تخشـى ولا تعـد
ومـا تخـاف ومـا ترجـو وقـد دلفـت ... سـبعون مثـل خيـول السـبق تطـرد
لا ترهـق الـدهر عتبـا أو مخاصـمة ... ففـى دمائـك خصـم كلـه لـدد
ركبـت أثبـاج بحـر جُـنّ عاصـفه ... لـيلاً فنوتيـه بـالنجم يعتضـد
فى ذروة المـوج لا يصـبيك منحـدر ... ولا يروقـك منـه سـاحل نجـد

أمس استضافت عيونى فى الكرى شبحا ... بـه تلاحـم أمـس مشرق وغـد

ناشدته وعلى أثوابه علق ... من الدماء ومن حباتها زرد
ووجهه كشعاع الفجر منطلق ... وعينه كوميض الجمر تتقد
وفيه تأليفة من هيكل عجب ... فيه الحمامة جنب النسر تتحد
أنا ابن كوفتك الحمراء لى طنب ... بها وإن طاح من أركانه عمد
جوار كوخك لا ماء ولا شجر ... ولصق روحك لا مال ولا صفد
ولا شكاة أيشكو السيف منجردا؟ ... لا يخلق السيف إلا وهو منجرد
خبت بنا فارعات الجو نوسعها ... ذرعا وخبت بك الزيافة الأجد

فكن أبا الطيب الجبار لى مدداً ... ولى بما صغت من جبارة مدد
يا شاغل الدهر أجيالاً وأحقبة ... ومتعب الناس من ذموا ومن حمدوا
ويا معرى أطباع وما خبأت ... ويا محطم أصنام ومن عبدوا
على الوجوه مشت أكذوبة عرض ... وقر تحت الجلود الجوهر النكد
الغائصون إلى الأذقان فى وحل ... ويزعمون رياء أنهم سعدوا
أقسمت أنك عملاق به غلق ... لا الأرض عن سره تنبى ولا اللحد
بد لفاتك كانت آلة رفعت ... وراءها خبئت من آخرين يد
تبطنتها لتخفى من ذكاوتها ... أسطورة لم ترق حتى لمن بلدوا
أبا محسد دنيا رحت تمخضها ... فما تلقف إلا ما نفى الزبد
أشرف عليها تجدها مثلما تركت ... كأنها من رسوخ مثقل أحد
أحكمة أم وقارا أم مكابرة ... لم يدر ذلك إلا الواحد الصمد
تبنى وتهدم ما تبنى كما انتقضت ... خرقاء يعكس ما حاكت ويطرد
مشت بها جاهليات وعنجهة ... ولاث منها النفوس الثأر والقود

ألف مضت وابن عباد بها أحد ... واليوم ألف ابن عباد ولا أحد

وكان إن لم تهبه مدحة حردا ... واليوم من تغتلي في مدحه حرد

وكان كافور فردا تستقيم له ... واليوم شتى كوافير وننفرد

على الهوامش أصفار مجمدة ... كما تراكم حول الحافة الجمد

فذو العقيدة مشتوم ومتهم ... وذو المواهب محروم ومضطهد

إن يسكتوا تخطف الخفاش نورهم ... ويسمعون بذاءات إذا انتقدوا

نحن الغريران في دنيا بها صبب ... في المعطيات بنا عن مثله صعد

رغادة وادقاع قسمة ضنك ... ضيزى لمن زرعوا فيها ومن حصدوا

حتى انبريتا فجئناها بثالثة ... إن الشقاء إذ استعلى هو الرغد

وقائل لو أرحت الشعر قافية ... بها عروقك راحت وهي تفتصد

غطت جبينك أعراق مغضنة ... وطاف في وجنتيك الجهد والسهد

ولو تخلصت من دال وإخواتها ... وراءها راحت الدالات تحتشد

أريته أن بي من أمرها عجبا ... فلا صدود ولا بعد ولا صدد

غرائب ورحاب الأرض مطرح ... وشرد وقلوب الخلق متسد

تدنو وتبعد من تلقاء فطرتها ... خلاف ما عودته الأنس الخرد

توقد النفس إذ تشتف طلعتها ... وتستحيل رماداً حين تفتقد

ويرقص القلب في أضلاعه طرباً ... بها وتمشي على مهل وتتئد

حرفا تراها مشى في طيه نغم ... وفكرة بخيال ملهم تقد

بينا أراها محاريباً مقدسة ... بها تجسد إيمان ومعتقد

عمر النجوم مسافات وأقيسة ... وعمرها وهي في ريعانها أبد

لم يجز غر القوافي من لها نذروا ... نفوسهم وإن اشتطوا.. وإن جهدوا

فكـل مـا وهبوهـا أنهـا عمـرت ... وبعـض مـا وهبتهم أنهـم خلـدوا
خـبرت للنشـر فى بغـداد مـؤتمر ... يزهـى وأن نـدى الشـعر محتشـد
وأن مـن مشرق الفصـحى ومغربهـا ... زهـر النجـوم عـلى الشـطين تنتضـد
فقلـت ليـت نـدى الحـب يجمعنـا ... سـيان مقـترب منـه ومبتعـد
وليـت يلـتم شـمل كلـه كسر ... وليـت يـنظم قصـد كلـه قصـد
يـا قـادة الفكـر.. لـو لمو صفوفهم ... وذادة الشـعر لـو لم يكثـر العـدد
وصـاغة الحـرف لـو لم يغـش رونقه ... زيـف ولم تمـش فى مخضره عقـد
تضـاءلوا فى مـلاءات تخـاط لهـم ... ولـو يشـاؤون فى سـم لهـا نفـدوا
وعقـدتهم حـزازات ولـو خلصـوا ... أملـوا عـلى الـدهرماحلوا ومـا عقـدوا
أكـل عـامين يمسـى شـملنا بـددا ... ويخـتمان بأسـبوع وينعقـد
ونسـتدير إلى عـامين بعـدهما ... والشـمل منـا.. وممـا نرتـأى بـدد
مـا إن نبـالى بـأن نـرضى بـه أحـداً ... ولا يبـالى بـأن نـرضى بـه أحـد

ويـا جـديرين بالحسـنى مطارحـة ... فى كـل مـا انتقـدوا منهـا ومـا انتقـدوا
لا تغضـبوا إن فى عتـب محـاورة ... وإن فى القـول إصـدارا لمـن يـرد
سـبع رمتنـا ولم نجـرم بقارعـة ... كأننـا مـن رعيـل مجـرم طـرد
وخلفنـا مـن أحاسـيس وأفئـدة ... عطشـى ملايـين لا تسـقى ولا تـرد
تـدعوكم أن تـذبوا عـنهم جنفـا ... يـا مسرفـين وإن بـالحرف يقتصـد
فـما اسـتدار فـم مـنكم ولا قلـم ... ولا تقطـر مـن بحـر النـدى ثمـد
سبع عجاف..وقد كن السمان لكـم ... فيها اللهـا واللهـى..والجاه..والرغـد
عـلى الموائـد أكوابـا وأطعمـة ... مـن شـاء يجتـر أو مـن شـاء يبتـرد

وصـاحب لي لم أبخسـة موهبـة ... وإن مشـت بعتـاب بيننـا بـرد
نفـى عـن الشـعر أشـياخا وأكهلـة ... يزجـي بـذاك يراعـا حـبره الحـرد
كـأنما هـو في تصـنيفهم حكـم ... وقولـه الفصـل ميثـاق ومسـتند
ومـا أراد سـوى شـيخ بمفـرده ... لكنـه خـاف منـه حـين ينفـرد
مهـلا رويـدك لا تبعـدك موجـدة ... عـن السـبيل سـواه نهجهـا جـدد
بينـي وبينـك أجيـال محكمـة ... عـلى ضـمائرها في الحكـم يعتمـد

قـالوا أتتـك حريفـات بملأمـة ... فقلـت : ألـف كـريم قبلهـا يفـد
أسـلمتها لعيـون النـاس تخزرهـا ... خـزر الصـقور فتسـتثني وترتعـد
تطاول القاع حتى استقعرت قمم ... واستأسد الغي حتى استنوق الرشد
واسـتنفر البـائعون الـروح شـاريها ... فهـم لكـل يـد مجذومـة عضـد
في الشعر من فرط ما احتكوا به دبر ... كـما تأكـل عظـم الناقـة القتـد
تشـكت الضـاد ممـا ينزلـون بهـا ... كـما اشتكى الجسم مما تفرز الغدد
في لفظـه طربـاء مـن تقيحـه ... وفي معانيـه مـن أنفاسـهم قـرد
نجـوا بـزعيمهم مـن أسر قافيـة ... والشـعر لـولا إسـار نثـرة قـدد
إن الجـمال إسـار عـز مطلبـا ... هـل يحزن الغيـد أن قد أسرف الغيد
أم يفـرح الظبـى أن لا يزدهـى حـور ... في مقلتيـه ولا في جيـده جيـد
وحاشـدين خشـار القـول بعتهم ... بخساً وأبخس منهم كان ما حشدوا
الخـاملون إذا استنهضـتهم غضـبوا ... والضـالعون إذا قـومتهم حقـدوا
والمسـتطيرون غربانـا مفزعـة ... حتـى إذا عـن صـداح فهـم حشـد
والمطعمـون سـعير الحقـد لحمهـم ... لا بـارح العظـم ذاك الحقـد والحسـد

والمجهزون عى الجرحى كأنهم ... ربد الذئاب اشتفت إن جرح الأسد
يغيظهم أن في يافوخه شمما ... وأن تناثر عن أكتافه اللبد
وأنه وهموم الغياب تثقله ... لا كاهل خان متنيه ولا كتد

ياشاتمي وفي كفي غلاصمهم ... كموسع الليث شتما وهو يزدرد
وعاضضي وفي أفواههم شلل ... أرخى الشفاه وفي أسنانهم درد
أتلطمون جبين الشمس إن قذيت ... عيونكم فبها من ضوئها رمدُ
أم تفرغون مياه البحر إن نضبت ... حياضكم فهي نزر.. موحل.. صرد
يا بن الركائك والأيام هازئة ... بميتين على ماااستفرغوا جمدوا
ما ضر من آمنت دنيا بفكرته ... أن ضيف صفر إلى أصفار من جحدوا

ويا فتى المغرب الأقصى به نذر ... للشرق لا زيغ فيها ولا أود
سمعت صرختك الغضبى فخلت بها ... ما يبعث الغاب إذ يستزأر الأسد
تنعى علينا بأنا في عواطفنا ... على الأظانين والتشكيك نعتمد
وأن أحكامنا فيما نشط بها ... بتراء لا تنصف فيها.. ولا سدد
هون عليك ففيما بيننا أبدا ... نحن المشارق نستضرى ونجتلد
يا ابن المغارب في أعماقنا بشر ... أسيان..غرثان..خب.. ناهز.. حرد
عن كل مؤودة لون.. كأن بنا ... مستنقعاً عفناً من فرط ما نئد
يا ابن المغارب مثل النجم متقداً ... يرى مشعون أنى استوطنوا اتقدوا
لا يبعد النأي عن حب أجبته ... ضوء العيون لصيق وهو يبتعد
دعوا إلى الوحدة الكبرى فقلت لهم ... نذر لذلك مني الروح والجسد
خمسين ظلت أناغيها كما نغمت ... أم الوليد يناغي عندها الولد

ولا مباهاة.. أهلي كلهم رضعوا منها اللبان.. وفي أحشائها لحدوا
فإن سألت فعن شوق لموعدها كعاطش يبتغي وردا فلا يجد
هاتوا بها عَلَّ أن يستصلح الجسد فقد تقطع عن أنياطه الكبد
ففي فلسطين خيل الرجس محكمة رباطها.. وببيت المقدس الوتد
وقد أطالت سياط البغي جلدتها يشوى بها جلد أحرار وتعتبد
وفي الخليج أساطيل مداخنها طلع الشياطين على ريث يحتصد
تقيء حقداً وعلى واعين تحذرهم يحدون صرخة أيقاظ بمن رقدوا
ما أتعس الجار لا يعطى بضائقة حسن الكفاف إذا لم يحسن الرفد

هاتوا بها عل دوحا جف يرتعد وعل شوكة ذل فيه تختضد
وعل عار حزيران ووحشته ترفض عنها الليالي الحلك الربد
في كل دار بما يستام ساكنها على الجباه غبار الموت منعقد
يستوحشون من الأرض التي نزلوا ويخجلون من الماء الذي وردوا
تلمس الأصعد الشماخ عن أنف عرنينه ونبا بالأصيد الصيد
فليس للعربي اليوم من وطن ما ظل فادون عن أوطانهم طردوا
هاتوا بها عل في فدى مشاركة لا يفتدي غيب عنه بمن شهدوا
وعل فيض الدم الخلاق مكتسحا يلف من رغبوا فيه بمن زهدوا
ذم المسترف إلا في دم سرب يحمي الحمى.. مستذم فيه مقتصد

هاتوا بها علها تحدى بأنظمة على المسودين.. لا السادات تعتمد
فما يزال على الأحرار في بلد وآخر.. وعلى أنفاسهم رصد
على الحدود أضابير لمن صلحوا من ثائرين على ظلم.. ومن فسدوا

نـذاد عـن وطـن عشـنا مصـايره كـما تـذاد عـن المزروعـة النقـد
أقـول للقـوم غـالوا فى رغـائبهم حتـى تخـالط جـد مـنهم ودد
نصح لكم محضة حلو - وخالصة لى المـرارة - منـه العـذل والفنـد
لا تقبسـوا جمـرة العجـلان واتئـدوا فطالمـا سـبق العجـلان متئـد
ولا تملـوا فـما اليـوم العتيـد لكـم بوعـد صـدق إذا لم يصـدق العتـد
بالأمس إذ أجهضـت سقطا ولادته والأمـس كالغـد مرهـون بـها يلـد
جربتموها فـأجلى الشـوك عـن زهـر نتاجهـا وأجـر الحنظـل الشـهد
وذاك إن لم يكـن فـيما يـراد بهـا عـلى الجماهـير مـن أمـر فـم ويـد
بل وازدرى المؤمنون الوعـد منتجزاً صـدوقه فـرط مـا غـروا بـها وعـدوا
جيـل تمـدد مهزومـا وقـد وعـدت بـالنصر خمسـا عشرينـا بـه المـدد
جيـل يمطـط بـالبلوى فأصـبية بـه شـباب وكهـلان بـه قعـد
قبـل التوحـد قـد يلـوى بـه الأمـد دعـوا الجيـوش بخيـل الله تتحـد
من كل بيت خذوا مستبسلا بطلا وجنـدوه يتـه زهـواً بـه العـد
وأركبـوهم طريـق الـنصر خافقـة أعلامـه وفسـيحات بهـا النجـد

***

زوربا

وارتمت من شفق دام
على الأرض جراح ..
وجراح
وتهاوت فوقه..

من مزق الغيم

صبيات ملاح

والكراكى عصب دكن

تشابكن جناجاً..

وجناح

وبعيداً:

فى ذرى الشرق

نجيبات.. مراض

وصحاح

ثم راحت تتترى

من جديد

نجمة..

فى إثر نجمة

يتضرين.. ويهزأن من

الكون..

ويستصغرن حجمه

لم تفه حرفا..

وطرنا بجناح الصمت خوفا

كل آنٍ كان هذا الشرق

يزداد اشتعالا

وحريق فيه يمتد

ويشتط انتقالا

فتضوى «أجمة» كانت..

ظلاما..

إثر أجمة

سكن البحر..

وفوق الأرض قد أغفت

على ضوء النجوم

ساد صمت..

أى صمتٍ

خطر فيه وسحر

وأحاسيس..وشعر

كان صمتاً أبدياً

يتحدى كل صمت

صنعته من هوى أعماقنا

شتى ألوف الصرخات

لم تمزق سحره..

رنة طير

لا ولا نبحة كلب

غير ما خفق جناحين..

مروعين..

يرفان بقلبي

كنت مخمورا بكأس الليل

لكنى أحس

بهدير الدم فى..

أعراق صدغى

كاد من عنف يجس

قلت فى نفسى..

وهزت رعدة صماء

صدرى:

أهى «ترنيمة نمر»؟

ثم فى «الهند»

إذا أرخى دجى الليل

سدوله

يتغنون بلحنٍ:

يرجف الرعب..

هديله

-٢-

أغنية وحشية

كتثاؤب «النمر» الجريح

تنداح عن بعد..

وفى بطء.. وإيقاع

على الأمد الفسيح

ويعود يملؤ قلب سامعها

وجيف الانتظار

وتصلبت أذناى..

وامتلأ الفراغ

فى صدرى الخاوى..

وعاد الصمت يستعوى

صراخاً

ويذيع سر الانشطار

-٣-

وطفقت أبرد فى مياه البحر..

صدغى

حران..

من ألم..

ولدغ

لكن صدرى ..

ظل مثل الغاب

يزأر فيه «نمر»

وزعازع سود..

تمر

فى هيكلى «نمر»

وفى شجرى تفجر..

ألف نسغ

متوحش كالبحر.. يرغى

وكخفقة «الوحي» الوحي

سمعت بوذا وهو يعزف:

في لحن الاصطبار

***

طيف تحدر

يوم الشمال يوم السلام

طيف تحدر من وراء حجاب ... غضير الترائب مثقل الأهداب

متفجر الينبوع يزخر بالسنا ... ويرش وجه الفجر بالأطياب

وكأن ساحرة ترقص حوله ... أعطاف أودية وهام روابي

وكأنه ما يتيه بنفسه ... تيه الحياة بزهوها المنساب

طيف تحدر سلسلا ومظنتي ... أن الطيوف تعن لمح سراب

حلمت به سود الليالي حقبة ... هي شر ما زرعت يد الأحقاب

ثقل الرصاص وئيدها ووجيفها ... بشواظ نار.. أو بسوط عذاب

حلمت به.. وأبى عليها مثلما ... حلم المشيب برجعة لشباب

حتى إذا بلغ المدى أشواطه ... ملآن من رهق ومن أوصاب

وتسابقت فيه المنايا ركضا ... كتراكض الأفراس يوم غلاب

وتساقت الدم والدموع أخوة ... ألفتهما نخباً من الأنخاب

وتراجفت زهر النجوم لهولة ... قاني الصفائر.. أسود الجلباب
انس كأن الوحش ألقى نحوه ... ما شاء من ظفر لديه وناب
متمزق بيديه يأكل لحمه ... ويعاف فضلة زاده للغاب
حتى إذا اليأس استشاط مطوحا ... برجاء خمس مؤمنين غضاب
شدوا إلى قدر هزول لاعب ... كتلاعب الصبيان بالدولاب
وتوجسوا من كل صدق خيفة ... من فرط ما صلبوا على كذاب

حتى إذا غزت العيون كآبة ... من مزحف كدر.. وجو كابى
وترصدت خلل الغيوم زواحفا ... نسرا يمزق من جناح غراب
أسرى إلى الشك اليقين يهزه ... كالفجر يزحف من شقوق الباب
ثم استفاض يصك سمع مشكك ... فيه.. ويدمغ ريبة المرتاب
وتلقفته ليلة مذخورة ... لأوانها محصية بكتاب
محسودة حسد الفصول ربيعها ... أو حرقة الشوهاء بين كعاب

يا أيها الشيخ الرئيس تحية ... هى فى صميم الود والإعجاب
لك عن جميل الصنع قد أسديته ... كفو لكل كريمة وثواب
وعلى جسيم الأمر قد أنجزته ... لا بالنكول به ولا الهياب
كنت المهيب بأن تقرب ساعة ... ما اسطعت من يوم أغر مهاب
أفرغت أطماح العراق وأهله ... جسداً أفضت عليه خير إهاب
ونفخت فى أمل حياة حلوة ... ووضعت شاخصها بخير نصاب
وأحلت عن بؤس نعيماً رفرفاً ... ونتجت روضا عن دم وتراب
ودعوت حزبك أن يبادر مغنما ... هو من طلاب الخمسة الأحزاب

وأقــل حبــوة مــانح قــول الفتــى سـلمت يمـين المـانح الوهـاب

رمت العسير فكنت أصدق شاهد أن لـيس مـن عسر عـلى طـلاب

هـم الرجـال قريبـة مـن بعضـها أنـى تكـون.. لصـيقة الأنسـاب

وتجـاوب الرغبـات في ذرواتهـا أمضى وأسرع مـن سنى جـواب

ولقـد يجـاء مـن الضـمير لصـنوه في رمشـة برسـالة وجـواب

مرحـى ليـوم الظـافرين ومرحبـا بمخاصـمين أعـزة أحبـاب

متجـانفين بـرغمهم فقلـوبهم كشف ضـواحك والوجـوه نـوابي

ألغـى مسـافة بينـهم مـا أشربـوا مـن حـب هـذى التربـة المخصـاب

خلطـت عظـامهم بهـا.. وتعاطفـت فيهـا صـدورهم عـلى الأعقـاب

وتنـاثرت فيهـا القبـور فعنـدهم في كـل دار قبلـة المحـراب

مـا أفظـع الإنسـان لم يـدفع بـه زخـم الحيـاة بموجهـا الصـخاب

مـا انفـك رغـم حضـارة مشـبوهة مغـرى بـذبح.. مولعـا بخـراب

خزيـان يمسـخ بقعـة مخضـرة بقـع الـدماء عـلى الرمـاد الكـابي

لعنـت عهـود آثـمات خلفهـا مـن لعنـة الأجيـال شر عقـاب

قـد كـاد ينفلـت الزمـام ويـدحى ركـب العـراق لهلكـة وتبـاب

غامـت بـه الأجـواء إلا زبرجـا زيفـا.. كصـبغة لسـة بخضـاب

ومشى بها الإجداب حتى استعذبت سـنة تطـوف بهـا مـن الإخصـاب

واستوحشـت حتـى تناسـت جنـة كانـت تظللهـا.. لفـرط يبـاب

ودجـا غـد.. وهـوت معـالم رؤيـة سـمحاء.. إلا مـن خـلال ضـباب

ومشت سموم ضغائن فى أنفس	ومجالس.. ورسالة.. وكتاب
قد كاد يرضعها الوليد براءة	ويقيئها حقدا على الأتراب
وتصارخ التاريخ مما شوهت	منه يراعة مارق نصاب
لو قيل ما غش عقوبة ربه	موت.. لقلت غشاشة الكتاب
ولطالما لعنت ذويها أحرف	قامت لعورتهم مقام ثياب

ناديت شيطانى فأحسن جابة	وهو المعاصى سيد الأرباب
ياخالب اللباب جيء بيتيمة	هى من ولائد سحرك الخلاب
حلق ولا ترحم هناك محلقا	حتى تجرره على الأعتاب
كن أيها النور المضيء بنفسه	فى مهرجان الحق فصل خطاب
غن العراق بخير ما لقنته	من موصلييه ...ومن زرياب
كن أيها النور المضيء مجرة	أبداً تمور بألف ألف شهاب
وأنر دروب الشعر..إن دروبه	إن أنت لم تنهض بهن كوابى
وكن الدليل على الضمائر تهدها	سبل اللغى ومحجة الأعراب
واجعل فراديس الخيال هوايتى	وهوى عرائسهن من آرابى
وضع الحروف عجائبا وتناسها	حتى كأنك لم تجيئ بعجاب
سبعون عاماً والليالى.. مخضا	طلقا.. يلدنك بعد طول عذاب
حشدت لإرضائى فتونك كلها	وكأنها حشدت على إغضابى
نهب الزعازع .. شاردا .. متحرقا	لبناء بيت محكم الأطناب
وتكاد تنطف من رباط حروفه	بقيا جراح يتنزفن رغاب
ما أفسد الأوتار فى فم شاعر	حتى يشد بها على الأعصاب

يـوم الشـمال وأنـت مـن تطلابـى ... وإليـك مـن عشريـن كـأن خطـابى
لم تـزو عـن عينـى رؤاك ولا خلـت ... شـفتاى مـن نغـم ومـن تطـراب
قـد كنـت منك ولسـت أبـرح قطعـة ... وهـواك ظـل عـلى المـدى مـن دابـى
ناغيـت أعشـاش النسـور كأنهـا ... فـوق القبـاب نـماذج لقبـاب
وعلـوت أسـنمة الجبـال وخلتنـى ... مـنهن ممتطيـا متـون سـحاب
وسـمعت همهمـة الريـاح مبينـة ... عـما بهـا ، وكأنـه عـما بـى
ولممـت مـن آداب أهلـك باقـة ... نثـرت براعمهـا عـلى آدابـى
وجنـت يـداى قطوفهـا وترنحـت ... قـدماى فى سـوح لـه وشـعاب
وخطفـت همسـا مـن نجاوى صبوة ... رفـل كأنـداء الصـباح عـذاب
حلجـات أحـلام كـأن رفيفهـا ... همـس الربيـع لروضـة معشـاب
ورؤى تمـازج لا تبـين كصـحوة ... فى غفـوة أو حضرة بغيـاب

يـوم الشـمال وفى ضـخامة باعـث ... عـذر يقـوم بتهمـة الإطنـاب
أنـا فى ركـاب الشـعر مـا لم أحـده ... فـإذا حـدوت فإنـه بركـابى
صـغت القـوافى فيـك أنـت مثارهـا ... وإليـك حسـن مـردة ومثـاب
مـن حـر بأسـك وقـدها ونسـيجها ... مـن نسـج درع المسـتميت الآبـى
ووفيـت حتـى إذ كفـانى موهنـا ... بـؤس التغـرب ذلـة الإرهـاب
واليـوم ألقـى للفـداة بحصـتى ... وعـلى ثـواب الـواهبين ثـوابى

يـوم الشـمال ولـيس يومـك وحـده ... هـو يـوم كـل محلـة وجنـاب
هـو يـوم رهـط الشـعر والآداب ... وتلاحـم الأقطـاب والأقطـاب

هو يوم أعراس العراق بها انجلت … من غمرة كالعثير المنجاب
هو يوم بغداد يصافق دجلة … فيها الفرات بمترع الكواب
كانت شريكك فى بلائك كله … وحليف روحك فى الأذى المنتاب
حرانة فى ليلة ونهارها … غصانة فى مطعم وشراب
وكأنما كانت يقض وسادها … ما فى وسادك من رؤوس حراب
كانت ترى الإرث المقسم بينها … نهب الخطوب السود كالأسلاب
وشعاف تاريخ لباب نابض … قطعا يحز بها كحز رقاب
ولشركة الأفراح أهون منفذا … فى ألفة من شركة بمصاب

إيه سراة الدار لا أعنى بهم … إلا حساة الدار يوم ضراب
الحاسبين الشعب خير قضاتهم … والخائفين لديه يوم حساب
والنازعين الحق من أسد الشرى … والخائضين إليه أى صعاب
وأجل من تعب بعابر لذة … عند المكافح لذة الأتعاب
لا بد من إحدى اثنتين مبرة … فيها عناء ، أو معرة عاب
من أجل ذلك قيل: حسبك من غنى … كسر الرغيف ، وطاهر الأثواب

لموا صفوفكم ، وخافوا غدرة … رقطاء من مستعمر وثاب
وتحرزوا منه ومن خرزاته … إن العقارب لدغ بذناب
وتسابقوا للمجد إن فخاره … نصف على الأشباه والأضراب
يثنى على المغلوب فيه ويعتلى … إكليل غار مفرق الغلاب
وقفوا خلافات أطال عناءها … إغذاذها فى جيئة وذهاب

لم يلـف مـن سـبب لكـل بليـة | نكـراء مثـل تقـاطع الأسـباب
يعيـا الجحـيم بـأن يسـعر أمـة | فـإذا هـى اختلفـت فعـود ثقـاب

هى فرصة مر السحاب فلا تفت | أولا فمـت يسـطيع رد سـحاب

اليـوم أخلـد فى غـلاف خنجـر | خجـل ، وفـر مهنـد بقـراب
وخبـأ أزيـر الطـائرات كأنـه | تنعـاب بـوم ، أو عـواء ذئـاب
ومشـى السـلام مرفرفـاً بجناحـه | بـذرى حمامـات لـه أسراب
أضـوى الهـزال لحومهـا وأكنهـا | رعـب بأقبيـة لهـا وجبـاب
واليـوم تسـمن بالأمـان حواصـلا | وتـرب منـه حواصـلا لزغـاب
وسـلمت يـا وطنـاً كفـل جيئتـى | وأعـد زاكـى تربـه لإيـابى
أغـلى أمـانى التحـام صـفوفه | ونقـاء وحدتـه أعـز طلابـى

***

وصرفت عينى

وصرفـت عينـى وهـى عالقـة | صرف الرضـيع برغمـه فطـما
عـن كـل مـا جـرت الـدماء بـه | مـا دق مـن شيء ومـا عظـما
عـن دورة الوجـه التـى انسـجمت | وجمـال هيكلهـا الـذى انسـجما
نطـت بـه شـفتان زودتـا | بألـذ مـا وعـت الشـفاه فـما
جمـع الشـتات يمـج مرشـفه | عبـق الربيـع ويـنفخ الضرمـا
عـن روعـة النهـدين خلـتهما | متـوزعين إذا همـا التأمـا
عـن كـل مـا فيهـا وأحسـبها | خلقـت معـانى لم تجـد كلـما

حتـــى لأخجـــل إن تمـــد يـــدى لتجنـــــد القرطـــاس والقلـــما
عريتهـــا خلســـا ومـــا أثمـــت ووجـــــدت لـــــذة مشـــته أثـــما
وصرفـــــت عينـــــى أدرى ألمـــــا مـــن حيـــث رحـــت أضـــاعف الألمـــا
كـــان الوجـــود أريـــده عـــدما ويريـــــدنى إن أوجـــــد العـــــدما

***

لجاجك في الحب لا يجمل

لجاجـــك فى الحـــب لا يجمـــل وأنـــت ابـــن ســـبعين لـــو تعقـــل
تـــــقضى الشـــباب وودعتـــــه ورحـــــت عـــــلى إثـــــره ترقـــــل
مضى منـــك فيـــه ربيـــع الحيـــاة ومـــات بـــه نصـــفك الأفضـــل
بكفيـــــك واريتـــــه لحـــــده وظلـــــت عـــــلى لحـــــده تعـــــول
وهـــا أنـــت تســـتقبل الماضـــيات لـــو أن الـــذى فـــات يســـتقبل
تعلـــــل نفســـــاً بأطيافهـــــا وموعظـــــة لـــــك مـــــن عللـــــوا
كـــأعمى أضـــل ســـواء الســـبيل وحيـــــدا.. وقـــــد فاتـــــه المنـــــزل

تـــدير بعينيـــك حيـــث الشـــباب يعـــــل بـــــه الـــــوارد المنهـــــل
وحيـــث يهـــب نســـيم الحيـــاة يثـــير بـــه المفصـــل المفصـــل
وإذ كـــــل ناعمـــــة بضـــــة بـــــأنعم تـــــردف أو تحمـــــل
وإذ أنـــت لا مـــنهم فى الســـلاح ولا أنـــت منجـــرد أعـــزل

***

أيها الفارس

أيها الفارس الذي غادر الحومة عزلاء بعده والرجالا
عظم الخطب فيك غالب غلاب يعيى لكل خطب نزالا
يعجز الفكر موغلاً أن يواتي ما تواتي بداهة وارتجالا
أنشد الناس إذ رأوك على الأعناق تختال هيبة وجلالا
ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا
شرف ينطح النجوم بروقيه وعز يقلقل الجبالا

***

يا غادة الجيك ويا سحرهم

ياغادة الجيك ويا سحرهم أين اقتنصت كل هذا الجمال
من خضرة المروج ؟ من حمرة الورود؟ من نبع بسفح الجبال
ياغادة الجيك يا سحرهم ويا مهاة في كناس الغزال
شاء نداك السمح أن يلتقي ضربان شتى من ضروب المحال
رفيف صدغيك المنى يافعاً باليأس من رفيف شيب القذال
ران على صدر كسقط الندى من رقة ثقل السنين الطوال
غُنجان قتالان.. غنج الهوى يعتصر القلب وغنج الدلال
أدار من رأسك خبث الصبا وأجهزت كأس عليه فمال
وادورت كي تقطف الوجنتان كالثمر الغض ادلى كي ينال
كأن ما بين انعطافيهما لؤلؤة تندس بين الرمال

ياغادة الجيك وما إن يزال	أبعد مما قيل ما لا يقال
علمني كونك في جانبي	أن ليس شيء معجز لا ينال
ياغادة الجيك كعنف الصبا	ولينه عندك لين الصلال
سوف تظل الفكر الموحشات	تجتز من لطف وعنف الوصال
خمس ليال ألفت بيننا	عاشت بذكراهن شتى ليال
إذ شعرك الجعد ادلى فادنى	وأنفك الحلو تعالى فشال
وإذ مشت عيناك في ومضة	عجلى كخفق أخريات الذبال
وإذ سؤال مبهم لم يجب	وإذ جواب لم يشأه سؤال
وإذ رؤى الكون وأحلامه	حقيقة وإذ حقيق خيال
والند إذ يسطع من مجمر	ما كل ما يعرف عنه يقال

يا غادة الجيك ولا تنكري	عقبى الهوى فالحب داء عضال
يعتصر القلب بأوجاعه	حتى إذا اشتد بها واستطال
تحينت من روحه فرصة	كعنزة ناشطة من عقال

يا غادة الجيك وأعجوبة	قرب المواتاة وبعد المنال
طوع يدي كنت وكان الهوى	طوع يد العقبى ورهن المآل
ياغادة الجيك ومهر الصبا	ألفى له فيك مجالا فجال
رهواً طليقاً كنسيم الصبا	يختال ما شاء له الاختيال
لي ثقة بالنفس أنعشتها	كقاب قوسين من الانحلال

ياغادة الجيك وساوى بنا	أنا كلينا عرضة للزوال

تعزيــــة للـــــنفس فى طيهـــــا لمــن يريــد الصــدق قــولاً.. مقــال

يـــا غـــادتى.. إن الـــدنى جنـــةٌ نغّـــص منهـــا سرعـــة الانتقـــال

حشــد مــن الخلــق بهــذا المجـاز يمــر كالأطيــاف سرعــى عجـال

ياغــــادتى ..إن الغبــــار الـــذى تـــرين بقيـــا ذكريـــات تـــدال

لوشــــاء ذا الهبــــاء قــــولا لقــــال مــــا لم يكـــن يخطـــر يومـــا ببــال

لقـــال : إن الـــدهر طاحونـــة نحـــن ومـــن أســلف منهــا ثفـال

لقــال : إنـــى هبـــة مـــن هـــوى يــذكو.. وســؤر مــن دمــوع تــذال

إنـــى لهـــاث القـــبلات الطـــوال وميلـــــة عـــــلى فـــــم يســـــتمال

ذكـــرى يمـــين علقـــت بالشـــمال ووشوشـــات مثـــل همـــس الـــنمال

ذكـــرى قلـــوب عالجـــت بعضـــها ثـــم انجـــلى النفـــع وزال القتــال

ياغـــادة الجيـــك وكـــم لطفـــت مــــرارة الـــذكرى بحلـــو الخيـــال

ياغـــادة الجيـــك وكـــم خـــاطر أهـــون منـــه شـــفرات النصـــال

ياغـــادتى : وســـالف الـــذكريات مثـــل الهشـــيم اليـــبس فى الاشـــتعال

تقدحــــه الخــــواطر الملهبـــــات قــدح الزنــاد الصــلد عــود الــشمال

مـــا أتفـــه العمـــر ســـوى برهـــة كـــل ليالينـــا عليهـــا عيـــال

نحــــن ممــــا اقتطعـــت عنـــوة حنـين نيـــب لاقتطـــاع الفصـــال

تصـــعد الزفـــرة عـــن زفـــرة مـــا دب فى الأرض فصـــيل مثـــال

ياغـــادتى وقـــد أرتنـــى الحيـــاة أن المخـــــــــيلات سراب وآل

يصـــطنع المخـــدوع أكذوبـــة كـــيما يقـــال إنـــه فى الرجـــال

أريـــد لى أن أستشـــف الهـــوى والعمـــر فى بحبوحـــة الاقتبـــال

إذ الشباب شافعي في الهوى يقتنص النجم البعيد المنال
وإذ يدي تزهى بحب النوال وإذ فمي يحشى بسحر حلال
إذ الندى رجولة.. والهوى شهامة ولطف روح جمال
ياغادتي : وعت ما لا يعاف وابتعت مغروراً رخيصاً بغال
واعتضت عن معركة العاطفات جياشة.. معركة من جدال
أزعم أني مغرم بالنضال كأنَّ حباً ينتفي والقتال
كأن حباً لم يكن علة لكل معلول به لا يُطال
وفي دمي مما ارتمى حوله من الأحاسيس مدب النمال
ياغادة الجيك ومات الصبا غرثان صديان بداء الهزال
ألقت به الأقدار في مهمه يخادع العين به كذب آل
وحوله في أيما مطعم أيتما فاكهة في سلال
ألقيت رحلا مثقلا بالوني في مهمه عنه تشد الرحال
ياغادتي : إني وسحر الحياة ولطفها وخافقات الظلال
ومرهف الحس كما ضايقت شول لقاح درب عود حيال
وكالضليل يرتعي النيرات ومغرز الرجل بكوم الرمال

ياغادة الجيك ولم يجتمع كحسن أهليك لأهل وآل
بوهيميا والناس في خطة وأنت في أخرى كحرب سجال
علمت دنيا زمتت أنه يقتنص اللذات من لم يبال
علمتها كيف يكون المحال وكيف لو أمكنه لاستحال
ياغادة الجيك وكم خولطت شاكلة الزى بزى الشكال

تجسد الحسن بما جلببت ... فتونه ولو تعرى لسال
فن به صنت الهوى فازدهى ... لو كان من غيرك كان ابتذال
بوهيميا يا قطة في الجبال ... وحشية تخاف منها الوعال
تلون الغاب بأظلاله ... تلونت ما بين حال وحال

***

ذكرى عبد الناصر

أكبرت يومك أن يكون رثاء ... الخالدون عهدتهم أحياء
أو يرزقون؟ أجل.. وهذا رزقهم ... صنو الخلود وجاهة وعطاء
قالوا: الحياة.. فقلت:دين يقتضى ... والموت قيل: فقلت: كان وفاء
يا قائد الجيش الشهيد أمضه ... شوق فزار جنوده الشهداء
أكبرت يومك أن يكون رثاء ... أجعلت منه موعدا ولقاء ؟
أبرفرف الخلد استفزك طائف ... لتسامر الخلصان والخلطاء؟
أم رمت جمع الشمل بعد تفرق ؟ ... أم أن تثير كعهدك الشعراء ؟
يا أيها النسر المحلق يتقى ... فيما يميل عواصفا هوجاء
ينقض عجلانا فيفلت صيده ... ويصيده إذ يحسن الإبطاء
أثنى عليك وما الثناء عبادة ... كم أفسد المتعبدون ثناء

دية الرجال إساءتان.. مقلل ... وأساء.. جنب مكثر وأساء
لا يعصم المجد الرجال وإنما ... كان العظيم المجد والأخطاء
وإذا النفوس ترفعت لم تفتكر ... لا الانتقاص بها ولا الإطراء

لا يأبه البحر الخضم روافدا ... يلقى ولا زبدا يطير غثاء
لم يخل غاب لم يحاسب عنده ... أسد.. بما يأتى صباح مساء
تحصى عليه العاثرات وحسبه ... ما فات من وثباته الإحصاء
قد كنت شاخص أمة نسماتها ... وهجيرها والصبح والإمساء
ألقت عليك غياضها ومروجها ... واستودعتك الرمل والصحراء
كنت ابن أرضك من صميم ترابها ... تعطى الشماء ولم تكن عنقاء
تتحضن السراء من أطباعها ... وتلم رغم طباعك الضراء

قالوا: أب بر فكانت أمة ... ألفا ووحدك كنت فيها الباء
خبطت كعشواء عصورا وانثنت ... مهزومة فأثرتها شعواء
وأنرت درب الجيل شاءت دربه ... حيل الطغاة عمية تيهاء
وعرفت إيماناً بشائر وعيه ... إذ كان يعرف قبلها إغواء
وانصعت فى سود الخطوب لئيمة ... تسدى طلائعه يدا بيضاء
وبرمت بالطبقات يحلب بعضها ... بعضا.. كما حلب الرعاة الشاء
ووددت.. لو لم تعترف شريها ... لا الأغنياء بها ولا الفقراء
وجهدك أن تمضى قضاءك فيها ... لتشيد مجتمعا يفيض هناء
أسفا على ك فلا الفقير كفتيه ... بؤسا.. ولا طلت الغنى كفاء
قد كان حولك ألف جار يبتغى ... هدما.. ووحدك من يريد بناء

لله صدرك.. ما أشد ضلوعه ... فى شدة.. وأرقهن رخاء
تلج السياسة فى تناقض حالها ... فتطابق العزمات والآراء
كراً.. وإحجاماً.. ورقة جانب ... وصلابة.. وسلاسة ودهاء

ورأيت فى أسوان قدرة ساحر يسعى ليوسع ميتا أحياء
وبعثته حيا ودست مشككا وصفعت همازا به مشاء
وقمرت شر مقامر وكسبته وسلبته أوراقه السوداء
ورددت كيد مكايد فى نحره واصطدته بشباكه إغراء
ولففت رأس الأفعون بذيله وقطعته.. وخطبتها بتراء
وصنعت معجزة القناة ورعتهم وسقيتهم حمم الجحيم الماء

وعصرت طاقات الجموع ورزتها فوجدتها ولادة عشراء
وجسست أوتار النفوس فوقعت لك طوعا أنغامها السمراء
ألقت إليك قلوبها وعروقها سمحاء ما شاء الندى معطاء
فإذا نطقت ملكت مهجة سامع وخشوعها.. والسمع والإصغاء
وإذا سكت أشاع صمتك رهبة حتى يخال كتيبة خرساء

أثنى عليك على الجموع يصوغها الزعماء.. إذ هى تخلق الزعماء
ورؤى حزيران وحسبك أنه يحيى لنا برؤاه عاشوراء
ناهضت فانتهضت تجر وراءها شم الجبال عزيمة ومضاء
واقتدتها فمشت يسدد خطوها إن كنت أنت دليلها الحداء
ونكست فانتكست وكنت لواءها يهوى فما رضيت سواك لواء
ثقة.. يحار بها النهى.. ومعزة تاهت عليهام السها خيلاء
قالوا:عمى فى العاطفات.. وندرة بعث الزعيم عواطفا عمياء
كانوا وعاه يأخذون طريقهم للموت.. لا غفلا ولا أجراء
خار الضعاف دروبهم وتخيرت همم الرجال مشقة وعناء

ما كان ذنب أن يطول على السرى ... ليل يطيل صباحه الظلماء
يطوى عليه الناكصون جناحهم ... ويضم تحت جناحه العملاء
كلا.. ولا ذنب الجموع بريئة ... عذراء من غصب العفاف براء
ما كان ذنبك كليكما عدد الحصى ... أمم نهين بوطئها الحصباء

يا مصر نحن الحالمون كما ادعوا ... حاشا.. وبئست نزعة تتراءى
إنا رئات فى حنايا أمة ... راحت بنا تتنفس الصعداء
لم نأت بدعا فى البيان وإنما ... كنا لما حلمت به أصداء
لسنا ملائكة.. ولكن حسبنا ... إغراؤها لنقاوم الإغراء
نلفى بها وهبت لنا من وحيها ... عن كل ما تهب الحياة عزاء
لا هم عفوك.. إننا من قلة ... خلقت لتعطى حقها الأشياء
خلقت لتدرك ما يخامر نملة ... فى زحفها وحمامة ورقاء
لتعيش مأساة الخليقة كلها ... ولتستبين دواءها والداء
وارحتما للمبصرين تكلفوا ... أن يسدلوا عما يرون غشاء
دوت حماسات الرجال.. وأرزمت ... حتى لتستبق الجمال رغاء
ما أشجع الآساد تعجز كلها ... عن أن تنازل حية رقطاء
خمس مئون ملة وعروبة ... تعطى الصغار ثلاثة لقطاء
تلهو وثانى القبلتين مباحة ... وتعيد المعراج والإسراء
وتزخرف الحلقات كل عشية ... لتقيم زارا أو تشن دعاء
وتكدس الذهب الحرام كأهله ... تجد الحياة مذلة وثراء
وتطارد الفكر الشريف كأنها ... منه تطارد «هيصة» ووباءَ

ويشاركُ الدستورُ وعيَ مناضلٍ بالمجرمين عقوبةً وجزاءَ
وتُفلسفُ الجَورَ العسوفَ وتجلدُ الدينَ الحنيفَ ليستحيلَ عطاءَ
من فوقِ أعناقِ المشانقِ تدّلى خيرُ الرؤوسِ شهامةً ووفاءَ
وتكادُ أقْبيةُ السجونِ غضاضةً وأسًى تصيحُ لترحمَ السجناءَ
وتعودُ تَعْجَبُ كيفَ كان مكانُها من حيثُ تنطلقُ الحياةُ وراءَ
فيم التعجّبُ؟ لا نحمِّلُ وزرَنا قَدَرًا.. ولا ما نحنُ فيه قضاءَ
رُحنا نقصُّ من الجَناحِ قوادماً وخوافياً قصَّ الغريرِ رداءَ
ونزفُّ لا الأرضَ الوطيئةَ نرتضي وكراً ولا يرقى الجناحُ سماءَ

ساءلتُ نفسي لا أريدُ جوابَها أنا أمقتُ الضراعَ والبكّاءَ
أترى « صلاحُ الدين » كان محمَّقًا إذ يستشيطُ حَمِيَّةً وإباءَ
أم عادت القدسُ الهوانَ بعينهِ؟ أم عادَ دينُ المسلمين رياءَ؟

يا ابنَ «الكنانةِ» وابنَ كلِّ عظيمةٍ دهياءَ تُحسنُ في البلاءِ بلاءَ
أعززْ علينا أن تساءَ منبَّئاً ما كنتَ تكره مثلها أنباءَ
ذُبحَ « الفداةُ» ورحتَ أنت ضحيةً عنهم.. وما أغنى الفِداءُ فداءَ
ذُبحَ « الفداةُ» وليتَ ألفي ذابحٍ عن إصبعٍ منهم يروحُ وقاءَ
واخزيةَ « الأُرْدُنِّ» صُبِّغَ ماؤهُ من خيرِ أعراقٍ لديهِ دماءِ
لا طالعتْ شمسُ النهارِ ضفافَهُ وتساقطتْ رجماً عليه مساءَ
نذوراً لأشلاءِ الغزاةِ بغربهِ فتساقطوا « شرقيةً» أشلاءِ
تلك العظامُ سيستطيرُ غُبارُها يُعمي الملوكَ.. ويَطْمُرُ الأمراءَ
وإذا عجبتَ فأَنْ يلمّ رميها من حولِه « الفرقاءَ» والفرقاءَ

لجأوا لأدبار « الحلول» فسمَّيت
وسَطاً.. وسمَّى أهلها وسطاءَ

يا مصرُ يا حُلم المشارق كلّها
مذ عانت الأحلام والأهواء

يا بنتَ « نيلك»من عذوبة جرسِهِ
نغماتُ جرسك رقّةً وصفاء

حَضَنَ الحياةَ صبيةً فمشت به
ومشى بها يتباريان سواء

يقظى ليقظان يَهُزُّ سريرها
لم تقو فى شُطئانِهِ إغفاءَ

وربيبة «الهرمين» شاخا إذ هما
يتبنيانكَ صبوةً وفتاء

تلقين فى السرّاء سحرَك كلَّه
وتموّعين بصبرك الضراءَ

وتموِّنين الدهر سبعاً خصبةً
يُكفَى بها سبعاً له جدباءَ

مشت القرونُ.. وخلّفت أسحارها
ترمى عليك الطلَّ والأنداءَ

والصبحُ يصبغُ وجنةً مشبوبةً
والليلُ يكحُلُ مقلةً وطفاءَ

والشمس تلفحُ سُمرةً عربيةً
والنجمُ يُرقِص قامةً هيفاء

ودَرَجتِ فى حقل« الحضارة» غضّةً
وبدأتِه تفّاحةً خضراءَ

ولمستِ عن جنبيهِ أزهار الربى
وجلوتهنَّ جنائناً غنّاء

أسكنتِهُنَّ الشعر والشعراء
والعلم.. والعلماء.. والحكماء

شِعّى برغم الداجيات.. وزحزحى
منها.. وزيدى بهجةً وُرواءَ

وتماسكى.. فلقد صمدت لمثلها
وأمرَّ.. ثم أطرتهنَّ هباء

شِعّى.. فقارات ثلاثَ تجتلى
عَبرَ العُصور سِراجَكِ الوضاءَ

يا مصُر.. أحرفُك الثلاثة كنَّ لى
لولا الغلّو.. الوجدَ والإغماءَ

عشرين عاماً لم أزرك وساعة
منهنّ كانت منيةً ورجاء

لِمَ؟ لست أدرى غير إن قصائداً
عشرين لم تشفعْ لديكِ لقاءَ

ناغيتُ فيها شعبَ مصرَ وهِجتَهُ ... ورجوتُه أن يركبَ الهيجاء
وشجبتُ «فرعوناً» يتيه بزهوه ... ينهى ويأمر سادراً ما شاء
وظللتُ أحْسُدُ زائريك.. وخلتني ... رتعاءَ تحسد أختها العجفاء
من كلِّ حذْبِ يتسِلون، ولم أكنْ ... – وهواكِ – فيهم نسلة نكراءَ
وهبى ثقيلَ الظلِّ كنتُ فلم أُطَقْ ... أفما أطَقْتِ – فديتكِ – الثقلاءَ
دلّلتُ فيك أبوّةُ عهدى بها ... علمَ اليقين.. تدلّل الأبناءَ

يا مصرُ.. لى وطن أُجلُ عطاءَه ... ويُحبُّ فىّ سماحةً وعطاءَ
يغشى الدروب على حتى أننى ... لأكاد أفقد في الزحام رداء
سِرنا على درب الكفاح مُذ انجلى ... فخر الكفاحِ بجوِّه وأضاءَ
مُتجاوِبَيْن مدى الأبيد.. أهُزه ... إيثارةً.. ويهزّنى إيحاءَ
للموتَ أَحدو والشهادة أهلَه ... أترى وجُدت لأذبح الشهداءَ؟!
وبمصرَ لى وطن أطارَ بجوّه ... ما لا أطار بغيره أجواءَ
أجدُ العوالمَ كلَّها فى سَفْحه ... سبحانَ خالقِ كونه أجزاءَ

يا سِدرةً فى المنتهى لم تعترف ... إلاّ الظلالَ الخضر والأفياءَ
عاطى ظلالَكَ «ناصراً» فلطالما ... عاطى الجموع ظلالَه وأفاءَ
وعليكَ يا فخر الكفاح تحية ... فى مثل روحك طيبةً ونقاءَ
إن تقض فى سُوح الجُهاد فبعدَما ... سَعَّرت فيها الرمل والرمضاءَ
ولقد حمَلتَ من الأمانة ثِقْلَها ... لم تُلقِها برَماً ولا إعياءَ
نَمْ آمناً.. ستُمدُّ روحُك حرةً ... وسْط الكفاحِ رفاقَك الأمناءَ

***

هلُمَّ أصلح

هلُمَّ أصلِحْ.. رعاك الله.. ما فسَدا ... ما أنت أفسدت من أمر بدا فعدا

الْغادةُ استوحشت من بعد أُلْفَتِها ... وأَدبرت بعد إقبال لها صددا

أريتها «الألفَ» فاستضْرَتْ شهيتُها ... تخالُها ألفَ ألفِ ضوعفَت عددا

وأنّ لى كنز قارون وأنّ لها ... من إرثَهِ ما يُصيب الأهلَ والولدا

من بعد ما كانتِ العشرونَ تبهَرُها ... تكاد تخطَفُ منها الروح والجسدا

أَفسدْتَ ميكى وميّكى وردة قُطِفَتْ ... من جنة الخُلْد إذ رضوأنها هجدا

كأنّ عُرْيَتَها فى جُنْح داجيةٍ ... عُرْىُ الصباح على خُضْر الحقول بدا

كأنَّ رَوْحَ نسيمِ فى تنفسها ... يَهُبُّ من ليلِ داريّا على بردى

هلُم أَصْلِحْ رعاكَ الله ما فسدا ... وخلّها تنجز الوعدَ الذى وُعدا

لَفّقْ من كذوبِ القولِ أعذَبه ... تَجدْ له فى قلوب الغانيات صدى

أَقْسمْ لها إنها عَشْر أَضفْتَ لها ... صِفْرينِ تبغى بذاك المزح والفَنَدا

أو أنها وَرق لَوَّنْتهُ فغدا ... كأنّه الوَرِقُ النَّقْدُ الذى أُتقِدا

أو أنها راودت فى يقظة حُلُماً ... حتى إذا مَسَّحت أجفانَها طُردا

أقسم لها أنه لو كان يملكها ... لمات من فَرَح أو جُنَّ فارتعدا

لا يعرف «الأَلْفَ» إلا فى مصائبه ... أوالخصوم..أو المرّ الذى حصدا

لكنه يملك الدنيا بعاطفة ... جيّاشةٍ وفؤاد يُلْهبُ الجَمَدا

وإن حظَّكِ من هذا وذا نَصَف ... فى بعضه ما يُثيرُ الحِقْدَ والحسدا

ظلي – سلمتِ – له ظلاًّ يلوذُ به ... ينسى بيومكِ أمساً غابراً وغدا
وأَسلميه كنوزاً منكِ عامرةً ... فإن في الحب كنزاً عامراً أبدا
ولا تخالي فروقَ العُمْر حائلةً ... فكم شأى في «الفتون» الوالدُ الولدا
سبع وعشر وسبعون إذا اجتمعا ... كنَّ الصبَّا والنُّهى واللُّطْفَ والرَّشدا
إن تَسْلما يَنْمُ غرسُ الفنِّ بينكما ... ومن يمت منكما يوماً فقد خَلَدا
قطّر لها ما يُذيبُ النحلُ من شَهَدٍ ... فإن في الحرف زهراً يجمع الشَهَدا
أولا فحتفُكَ في كفي وطوع فمي ... فإن في الحرف سماً يقتُل الأَسَدا

***

سلمت ثورة .. وبورك عيد

عيد نيسان

سَلِمَتْ ثورة وبُورك عيدُ ... وتعالت جُموعُكم والحشودُ
وزكت ساحة من المجدِ تُعْلِي ... جانِبَيْها معاصم وزُنودُ

أيُّها المبدعونَ يُحيون نيساناً ... جديداً تَرفُّ فيه الوُرود
ويعود الربيعُ غضّاً بما تضفي ... عليه وجوهُكم والجُهود
بوركت هذه السواعدُ ما تبني ... وما تبتغي وما تستزيد
يأكُلُ الحَر جِلْدَها ثم تُنشأ ... بالذي ضمت القلوب جلود

بُقَعُ الشمس للنِّضال شعارات ... وخفقُ الأرواح فيها بنود
شمَخَتْ بالذي تُقلُ بُناة ... وزها بالذي يُقِلّ الصعيد
جِدَّةُ الدهر سوف تَبْلَى وتبقى ... نخوة مُرّة وعزم عنيد

كلُّ شيء لَه حدود وليست للذى تُبدِعُ الشعوبُ حدود
وعلى ما يشيد ذهن مَريد تتهاوى حواجز وسدود
وسلاماً للعاملين يشقون دروباً يمشى عليها الخلود
عطرات رباعُها يتهادى فوقها يَسْبقُ الجدودَ الحفيد
كذِبَ الجودُ مرتجى وتِجاراً عَرَقُ الكادحين فضل وجود

سلِمَتْ ثورة.. إذا مرّ عيد جَدَّ عيد منها رضيٌّ سعيدُ
ينفع الناس.. لا المباهجُ غُفْى مُبْهَمات ولا العطاءُ وعود
للجماهير لا كما أوقفتْها لكروشٍ تلك العهودُ السود
لا لبعثٍ ولا نشورٍ تُرَجّى قُبِرَتْ وانطوتْ عليها اللّحود
أزف الوعدُ وانجلى الصبّح واستشرف للعين فجُره الموعود
وأرى التضحياتِ يَقبِسُ جيل بعد جيلٍ من ضوئها ويَزيد

يومَ «نيسانَ» أنت للبعث عيد والتفافُ الصفوف حولك عيدُ
جبهة مثلُ جبهةِ اللّيثِ.. بأس واعتزاز يمشى بها وصُمود
غايةُ المجدِ أن يلَمَّ شتات كلُّهُ حين يُسْتجاشُ جنود
حبةً حبةً تُضَمُّ اللئالى ريثما يستقيمُ عِقْد فَريد
وقِوامُ الشعوب جهد وصبر وعطاء عَبْرَيها مردود
وعلى قدر ما تُمَهَّد أرض ويُنَمَّى زرع يكون الحصيد
يا حُماةَ الحِمى وعبء الأمانات ثقيل وحملُهُنَّ يؤود
ولقد تَنْصُرُ الجدودُ جباناً ولقد تَخْذُل الشّجاعَ الجدود
ولقد يُخجل القُعُودَ قيام ولقد يُخجل القيامَ قعود

رهــن أُيــديكُمُ مصــاير شــعْب ... في يديــه للتضــحيات رصــيد
مُغْــرمَ بالوفــاء يُســدى إلــيكم ... ضــعفَ مــا قــد تُسْــدوَنه ويزيــد
ولديــه مــن مضــمراتِ النّوايــا ... بَصَر يكِشــفُ الغيــوبَ حديــد
شُوِّشَــتْ عنــده المواهــبُ حتــى ... ليعَمّــى ذكُّيهــا والبليــد
فجِّروهــا يُفَجّــر الشرق منهــا ... ضَرَم يُسْرِج الظــلام.. وقيــدُ
وأضــيفوا شــوطاً لشــوط كــما تعلى ... جيــاد طرادهــا وتُجيــد
وأمِــدّوا بــالمنجَزاتِ وزيــدوا ... واســتميتوا مــن دونهــن وذُودوا

يــا حــداةَ التــاريخ طابــت شــداة ... وســمت غايــة وجــلّ النشــيدُ
ســعِّروا جمــرة الكفــاح ومُــدّوا ... نارَهــا يَنْبَثِــقْ لنــور عمــود
لا يَهُنْ دربُكُم على كُمْ ولا يُسلِسْ ... نظامــاً مشــى عليــه وئيــد
ظنّــه أن مــا تــيسّر منــه ... حِصَــص لــيس بعــدهنّ مزيــد
وانخــداعاً أن قــد أفــاء عليــه ... سَجْسَــج وارفُ الظــلال مديــد
طُــرُقُ المجــدِ مُــوعرات عليهــا ... كــلّ يــوم في كــل شــبر شــهيد
نَعْتَــذى مــا طهــا الطهــاةُ وننسى ... أنهــم ملــح مــا طهــوا والوقــود
والحضــارات مــا تفجــر صــدر ... وســقى معصــم ودرَّ وريــد
والكيانــات بــالجماجم مــا صــفّق ... كــأس منهــا ومــا رنّ عــود
سلِمُ الدهرُ في صُعود ومن يدرى ... إلى أيــن ســوف يــمضى الصــعود
والليــالى مــذ كــان ليــل بــزاةِ ... وشــباك وقــانص وطريــد
وصراع دامِ ليــوم مريــرِ ... يســتوى فيــه ســيد ومســود
ومهيباً يمشى الزمانُ فلا تطرف ... عــين ولا يُلَفَّــتُ جيــد

فجديـد ينشـا ويُنسـى ويَمْشـى … فوقَـه دون أن يُحَسّ.. جديـدُ
يـا ربايـا غـدٍ يُلَـوِّحُ منهـا … مشرئبـاً غـد مكـين وطيـد
لا خبا نـوؤكم ولا غـاب عـنكم … مـن نجـوم تلـوح فيـه سـعود
ورعـتكم مـن المـواطن عـين … لـيس تـدرى أجفانهـا مـا الهجـود
سـاهرات مـا إن يُغَيَّبُ عنهـا … حـين يُحصِى المـذمومُ والمحمـود
وكتـاب للشـعْب فى دَفّتيـه … كـلّ خـير بضـعْفِهِ مـردود

وسـلاماً للقائـد الأصيد البكـرِ … تلاقـت عـلى خطـاه الصـيدُ
واسـتجابت لـدعوة منـه أشـتات … يضـم القريـبَ منهـا البعيـد
جبهـة مثـلُ جبهـة الليـث.. بـأس … واعتـزاز يمشـى بهـا وصـمود

سَـلِمَتْ ثـورةْ وبـورك عيـد
وتَعالـت جمـوعكم والحشـودُ

***

فى يوم التأميم

وافى كفجـرِ يُولَـدُ … يـوم أَغَـرُّ محسَّـدُ
فى كـل سـاع مُخبَرَ … منـه يعِـنُّ ومولـد
عطـرُ الشـذاة كـما … تفـوحُ جميلـة تَتَنَهّـد
وافى يُرفْـرِف فُوقـهُ … شَـفَق يَطُـوْفُ مُـوَرَّد
حُلْـم لـه قَـدَر مـع … السَّـحَر النَّـدى وموعـد

ومنىً كأزهار الربيع ... على المَدى تتجدَّد
يوم لأيام حسانٍ ... يُسْرتَقَبْن يُمَهِّد
وعلى ملامحه طلائعُ ... ما سيطلُعه الغدُ

قل للشباب وهم عروقُ ... حميمةِ تَتَقَصَّد
ومسارج في كلِّ ... داجيةٍ تُضاء وتُوقد
يا خيرَ من تُثْني عليه ... عُرى الرجاء وتُعْقد
وأحقَّ من يُدعى إذا ... دُعيت «نَزال» ويُقصَد
لُمّوا الصُّفوف وحشِّدوا ... وخذوا الطريق وأَبعدوا
واستهدفوا المرمى البعيدَ ... وشَخِّصُوهُ وسَدِّدوا
طُرُقُ الكفاح مذلَّلات ... بالدماء تعبَّدُ
يحيا النضال بجمرها ... وعلى حصاها يولد
وتوَّحدوا فلطالما ... غَنَّيْت أن تتوحدوا
ولطالما راح القصيد ... ومن دمي يَتَفَصَّد
ولطالما عِلقتْ بكم ... منه العُيونُ الشُرَّد
فتكاتفوا تُزْند بكم ... كتف البلاد وتُعضَد
إنِ الطوارق لا تفرق ... بينكم فَتَوَحَّدوا
وَهَبَ البُحورَ مناعة ... نهر بنهر يُرْفَدُ
ما جبهةُ الأسدِ الشّموخِ ... بها يَصُولُ ويَنْهُد
يُزهى على ضوء الصباحِ ... بغُرة تتوقَّد
يوماً بأمنعَ من جباهِ ... حُرّة تَتَوَحَّد

لا تصبِروا.. إن الصبور ... على الأذى يَتبَلَّدُ
فإذا تعذرت الحياضُ ... على الوُرود.. فأَوْردوا
وإذا بَرِمْتُمْ بالعَتيق ... من العُقول فجدِّدوا
وإذا تمردت الخُطوبُ ... على كمُ فتمردوا

وتحضنوا عهداً يربُّ ... طِماحَكم.. وتعهدوا
حمداً لمسعى الجْاهدينَ ... بكل مسعىّ يُحْمَد
الحاملينَ من الأمانةِ ... ما يُقيمُ ويُقعِدُ
والناهضين .. وقد تقاعسَ ... قاعد أو مُقْعِد
يتسابقون مع الزمان ... فيصعَدون ويصعَد
يجدون طوعَ يد الرجولةِ ... كلَّ ما لا يوجد
يُغريهم أن يصطلوا جمر ... الكفاح .. ويصمُدوا
ويَرَوْنَ أكفاء الرجال ... شدائداً تتحشدُ
فكأنها المحن الصعابُ ... لأهلها تَتَورد
إن لم تجيء طوعَ الجرىءَ ... فإنها تتعمد
بعثت بهم حرانة ... من حيثُ كانت ترقد
روح تعاوُرها الرياح ... حزينةٌ تتشرد
لم تُلف من جسد وها هي ... عندهم تتجسَّد
حقًا يشابكُ باطلاً ... ويدًا .. وتعلوها يد
وسيجهدون ونَجْهد ... وسيُبْرقون ونُرْعِد
شرف المعارك أن يخوضَ ... غمارها المتحد

يقظـــان ذا ثقـــة بـــما ... وعـــدت .. ومـــا تتوعـــد

يلـــوي ويعـــرك عودهـــا ... مـــن أي نبـــع يُخضـــد

مـــا إن يهـــاب مصـــايرًا ... إلا الجبـــانُ القُعْـــدُد

خمســـون عامًـــا والعـــراق ... عـــلى الـــبلاء مُصـــفَّد

ذهبًـــا يســـيل وفي مصـــارف ... «لنـــدن» يتجمـــد

صـــهب الســـبال يهزهـــا ... طفـــل جميـــل «أســـود»

يتخطفـــون نظـــيره ... مـــن أي حضـــن يولـــد

خمســـون عامًـــا والدخيـــ ... ـــلُ «التـــيمسيُّ» الســـيد

الجـــدَّ كـــان .. وللمُـــزاح ... متـــوَّج .. ومســـود

ومجـــالس كـــذبًا يقـــام ... بهـــا وزورًا يقعـــد

كثـــر «البـــزاة» الصـــائدونَ ... بهـــا .. وغـــاب الأصـــيد

تســـقيهم لعـــق الـــدماء ... يـــد بهـــم تتصـــيد

وشرائـــع تضـــني بـــما ... يـــوصي الســـفير وتوجـــد

يـــروي ويظمـــئ مصـــدر ... في راحتيـــه .. ومـــورد

أبـــدًا ينـــزل مـــن عصى ... ولمـــن أطـــاع يصـــعد

وصـــنائع مـــن كـــل لـــون ... خـــادع يتعـــدد

يتناســـخون .. فصـــبغة ... عـــن صـــبغةٍ تتولـــد

مثـــل الفســـائل في الـــتراب ... عرقُهـــا تتمـــدد

تعطـــي الصـــغار لـــه يـــد ... لتخـــونَ موطْنهـــا يـــد

لمُـــوا الصـــفوف وحشـــدوا ... وزنـــوا الكفـــاح.. وصـــعِّدوا

عـــدُّوا عـــلى المتربِّصيـــ ـــن خطـــاهم وترصَّـــدوا
وخـــذوهم مـــن كـــل حـــدْبٍ ينســـــلونَ وشـــــدّدوا
فســـيجمع الـــرهط الأجيـــ ـــرُ فلولـــه ويُجَنِّـــد
وســـينغظون .. رءوســـهم طلـــع الرجـــوم وأنكـــد
زعـــم «المرجِّـــفُ» أن ستُخـــ ـــبط أزمـــة وتعقـــد
ولســـوف يفســـد مصـــلح ولســـوف يصـــلُح مفســـد
ولســـوف يـــنهضُ مـــنهمُ زرع هنالـــــك يحصـــــد
وتنـــاذروا أن ســـوف يطـــ ـــمُع «فرقـــدان» و«فرقـــدُ»
بغيًّـــا تـــراود أنفسًـــا أنفاســـــها تـــــترددُ
مـــا أطيـــبَ الأحـــلام لـــولا أنهـــــا تتبَّـــــدد
تـــأتي الهشـــيم فتوقـــدُ وتطـــيرُ عنـــه فيخمـــد
أولاء قـــــوم فـــــاتهم ركـــبُ الحيـــاة فأخلـــدوا
لا يحفلـــــونَ بيـــــومهم في أيِّ وجـــــهٍ ينفـــــد
وتجـــاهلوا لغـــة الشـــعوب وقـــد وعاهـــا «الهدهـــد»
وتســـخروا الطمـــع الرخيـــ ـــص فأجهـــدوه.. وأجهـــدوا
يتضـــيدون ويرقبـــون متـــى يـــلاث المـــورد
أي المصـــاعدِ كـــان مـــا يُرقـــى إليـــه ويصـــعد
حتـــى علـــى جُثـــث مـــن الشهـــ ـــداءِ .. نِعَـــمَ المصـــعد

لُمـــوُّ الصـــفوف وأقحموهـــا كـــلَّ بـــاب يُوصـــد
فبحســـبكم عـــبر تمـــدُّ خطـــى الضـــليل وترشِـــد

أيـــن الـــذين تصـــالحوا والمووبقـــــاتُ فأفســــدوا
وتحلَّبـــوا مُتـــع الحيـــاة فكـــل شـــدق مزبـــد
وتســـلقوا قِمـــم النُســـورِ وهـــم خُطـــام أجـــرد
مـن كـل «طـاووس» يُلاعِـبُ ريشـــــه ويُمسِّـــــد
شَـــحْم ولُحـــم يُكنـــزانِ ووجنـــــة تتـــــورد
يجـــدون أطيـــاف النعيـــــم وســـائدًا تتوســـد
واليـــوم يمســـخ بومـــة متصــــعِلك متقـــرِّد
لم يبـــقَ حتـــى الرســـم منـــه ورُبَّ رســـم ينشـــد
يخِـــزُ العظـــام ضـــميره وبـــه يســـاطُ ويُجلـــد
الصـــبح وهـــو مزعـــزع والليـــل وهـــو مُســـهَّد
لُّـــوا الصـــفوف وحشِّـــدوا فســـــينهضُ المتبلِّـــد
ســـيهُزُّ أمواتًـــا غـــدُ وتشـــورُ أرض ترقـــد
ســـتموت «قنبلـــة» ويُقـــبرُ «خِنْجَـــر» و«مُهنَّـــد»
إذ ذاك لا مســـــتعبِد طـــاغٍ .. ولا مُســـتَعبَد
عاهـــدتُ نـــفسي وهـــي حِلْـــفة مـــؤمن يتعهَّـــدُ
أن لا أُجلـــج خدعـــة فـــيها يُـــذمُّ .. ويُحمـــد
كالســـيفِ اقطـــعُ صـــارمًا وكـــذلك المتجـــرِّد
ولـــذاك تبتشـــر القصيـــدُ عـــلى الشـــفاه ويُنشـــد
أو مـــا تـــراني إذ يُريـــبُ مقـــرِّظ .. ومفنِّـــد
أبـــدًا أنـــوحُ مـــن الضميـــر.. وبالضـــمير أُغـــرِّد

وإذا تصـــافقتِ السُـــقاةُ ... بمُـــثْلج يُتَــبَرِّد
صـــفقت زغـــردة الصـــداح ... بآهـــةٍ تتصـــعد
يـــا شـــعرُ يـــا دفـــع الهمـــومِ ... مـــن العـــروق تفصَّـــدُ
يـــا أنـــتَ .. يـــا «حرفًـــا» ... يُحـــثُّ كـــما يُحَـــثُّ المِـــبرَد
كـــم مـــأزق بـــكَ خُضْـــتُه ... كـــالبحر حـــينَ يُعربـــد
يـــترددُ «التِمســـاح» ... يخشـــاهُ .. ولا أردَّد

حُييـــتَ يـــا وطنـــا عـــلى ... أعتابـــه تتعبَّـــد
طُـــلْ مـــا شـــاءُ ولا يطُـــل ... صرح عليـــك ممـــرَّد
وتخـــطَّ أســـوار الحـــدودِ ... برغمنـــا تتحـــدَّد
يـــا «تُربـــةً» نهفـــو إليهـــا ... كالإلـــه ونســـجُد
غُفْـــلاً نعفـــرُ كالـــذبائح ... فوقهـــا .. ونُمهَّـــد
حســـدًا نُجـــلُّ شـــهيدها ... أرأيـــتَ موتًـــا يُحسـد
ونحبُّهـــا حتـــى ونحـــ ... ـــنُ مُطـــارد .. ومُشرَّد
ســـأقولُ فيـــكَ ولم أكـــنْ ... ممـــن يزيـــغُ .. ويجحـــد
أنـــتَ الـــذي يُثنـــى عَليـــه ... في الكـــرُوبِ ويُحمَـــدُ

***

أقول : مللتها .. وأعود

أقـــول مللتهـــا .. وأعـــود شـــوقاً ... كـــأني مـــا عشـــقت .. ولا مللـــت
بـــلي وكـــأنني لم أثـــن منهـــا ... أماليـــد الغصـــون ... ولا أملـــت

ولا ســـالت بأكؤســـها دهاقـــاً معطـــرة الحفـــاف.. ولا أسـلت
ولم أعكـف عـلى مـرضي جفـون ولم أبـــرأ بهـــن.. ولا اعتللـــت
مضـــت عشر وعامـــان اسـتقلا ومـا اسـتعفيتهن .. ولا اسـتقلت

تقـول مـا يشـاء خبيـث طبـع بلـــوت طباعـــه حتـــى كللـــت
بـــأني حـــول ...إن أعـــوزتني عـــلى المـــلات أعـــذار .. أحلـــت
وأني مـــا طلعـــت عـــلى صـحاب أسر بقـــــربهم.. إلا أفلـــــت
معـــاذ الله .. والخلـــق المصـــفي وحـــرة طينـــة منهـــا جبلـــت
ولكنـــي وجـــدت الـــود ســـوقاً يـــراد بهـــا تجـــار فاعتزلـــت
فمـن ختـل رميـت ومـا ختلـت وعـن جـبن خـذلت.. ومـا خـذلت
خـبرت النـاس والأيـام حتـى يـداي كليلتـان بـما نخلـت
تسرهـــم هنـــاتي لم أســـائل بهـم « عـر الهنـات » ولا حفلـت
ولم أخـــبط معـــاجنهم فحســـبي بهـا الشـعرات منهـا قـد سـللت
ولم أســـال مغـــازلهم خيوطـــا غنـــى عـــنهن بي فـــيما نسـلت
كـذاك خلقـت مـا سـاومت خـدني عـلى العـورات منـه.. ولا اهتبلـت
ولا خودعـــت بالأمجـــاد يومـــا ولم أهتـــف بهـــن ولا ابتهلـــت
ولكـــن بالســـجية وهـــي صـفو وبـالنفس الرضـية وهـي صـلت
وجـدت الحسـن يكمـل بانتقـاص فلـو قـيض الكـمال لمـا كملـت
وتنعـدم الفـروق بـلا عيـوب فلـو قـيض الكـمال لمـا كملـت

أبي ملـل.. ولـو قويضـت كونـا بمـن أهـوي.. ومـا أهـوى..عـدلت

وتفجؤني طيوفهم كأني ... إليهم من جديد قد حملت
لمغني عشته معهم سعيداً ... بهم .. وخريبة معهم نزلت
ولا والله ما أوذيت فيهم ... ولا تقلوا على .. ولا ثقلت

ولو بي ملة لمللت طبعا ... يجشمني وعن شيمي عدلت
ولا استنهزت من فرص وأخرى ... ومثل الزئبق السرع انتقلت
ولكني أجر الذيل تيها ... بثوب قبل خمسين اشتملت
ويزهوني على القصب الموشي ... حصيلة ما خسرت وما حصلت
ولو حملته كذويه غلا ... لكنت به كما حملوا حملت
ولكني شجعت ...فما أبالي ... أجلي .. أم كبا قدح أجلت
سألت الصبر كيف جملت عندي؟ ... فقال بما تصبرني! جملت

تنسيني بنات الدهر نفسي ... ولم أنس اللدات ولا غفلت
وأوعر ماأكون.. فإن تراءت ... حقوق أخ صدوق لي.. سهلت
وإني والمذلة من عداتي ... يهون لعزه.. أني ذللت
وها أنا ما أقالتني الليالي ... عن الإلف الخدين.. ولا أقلت
وعندي صفوة لو فاضلوني بهم ... غرف الجنان لما فصلت
ولو حملت كل أذى وسوء ... كفاء الذب عنهم.. لا حتملت

أبي ملل .. ولم أبرح أمينا ... لقول قلت.. أو فعل فعلت
ومقهى أصطفيه نصف قرن ... بذكراه ورفقته احتفلت
ودنيا ذكريات عن هموم ... قصرت بهن هما أو أطلت

مـدى عمـري تطـالعني وجـوه ... بهـن كطلعـة الفجـر اكتحلـت
أصـعد آهـة مـن بعـد أخـري ... علـى مـن قـد فقـدت ومـن ثكلـت
أقـول مللتهـا.. وكـأن تربـا ... علـى قـبر عزيـز قـد أهلـت
وعـن شـغف أعـود أشـم منهـا ... أريـج ثـرى عليـه قـد دللـت
تـرى.. كـم بسـمةٌ فيـه ابتـذلت ... وكـم مـن دمعـة حـري أذلـت
وقلـتُ لصـاحبيُ والكـأسُ تثْنـي ... يـدِي.. وكـأنني بـدمي غُللـت
وملهمـة بـما تُلقـي دلالا ... بكـأسي مـن ثمالتهـا ثَمِلٌـت
وقد ثمِلتْ.. فمالت وهـي تُرخِـي ... علـى كِتِفـي ذوائبهـا.. فَمِلـت
وأصـدء مـن الـنَّغَمِ المزجّـي ... بـهِ خِلـتُ الـذي مـا كنـت خِلْـت
كـأني بالمعـارج مـن صـداه ... عَرَجـت إلى السـماء.. ومـا نزلـت
لعمُـر أبيـكِ ولا يُثْقِلـكِ قـولي ... وكـم مـن قولـة ثَقُلـت فقلـت
أري السـبعين في رشـدى دهـوراً ... وسـبعاً.. وإن سـدرت وإن ضـللت

***

لّمي لهاتيكِ لَّما

لـمـي لَهاتَيْـكِ لّمـا ... وقـرّبي الشَّـفتين

لُمـا عـلى جمـرتين

بـالموت ملمـومتين

يـا حلـوة المشربـينِ

مـن أيـن كـان ... وأيـنِ

مــن صــنع كــذب ومــينِ
سَّـــــموْهُما زهـــــرتَّين

لّــــي هاتيــــك لمـــا وقـــــرّبي الجمـــــرتينِ

وباعـــــدي الخَصـــــلتينِ
إمّـــا نظـــرتُ بعينـــي

فـــالموتُ أقـــربُ ممّـــا بـــين الجـــديلِ وبينـــي
يـــا حلـــوةَ المشربـــينِ مـــن أيـــنَ كـــانَ وأيـــنِ

أتثـــأرين بـــدَيْن ؟
أم أنـــت حتفـــي .. وحينـــي

لّــــي هاتيــــك لمـــا وقـــــرّبي الزهـــــرتين

جمـــراً يُقَطّـــر سَـــمّا
يـــا ثالـــثَ الكـــوثرين
مـــا أطيـــبَ السَّـــمَ طعـــما
شَرِبْتُـــــه مـــــرّتين
فـــــزادني « أُقّتـــــينْ »
دماً... ولحـــماً .. وعظـــما

لّــــي هاتيــــك لّمـــا وقـــــرّبي « المعبـــــدين »

«ربيّن مُسْتَعبدَين
يُجدّفان عليكَ
فيما تجنيتِ إثما
مما.. ومما ..ومما

يا حلوةَ المشربينِ   من أين كان.. وأينِ

لا تحذري اللَّعنتين
فَثمَ طوعُ يديك
من يُوسِعُ الإثْمَ لثما
والجمر َضمّا. ولّما
ويَستنيبُ إليك

يا نبت هذا البُدَيْنِ   يَتيه بالأَغيدَين

فُوَيقهِ.. والدوَيْن
أتؤمنين بذَيْن
أم تثأرين بذَيْن
أم أنت حتفي وحيني

لي هاتيك لمّا   وقرّبي الشّفتين

بابينِ للجنتين
والموت ما بين بينِ

يـــا حلـــوةَ المشربـــينِ مـــن أيـــن كـــان وأيـــنِ

بُـــلّي بـــذاك « اللُسَـــيْن»

فـــما تغشـــته حمـــى

كســـنٍّ رمـــح رديـنـــي

لم يـــــرو إلا لـــــيظما

يـــا أعـــذب الميتتـــين إن تبـــد وهنـــا لعينـــي

أســـطورة المـــوت وهمـــا

فـــالسر في الخُـــدعتين

إني حبيتُـــــك جمـــــا حُـــبَّ الثـــرى للمـــزين

فـــما أبـــالي بحـــين

مـــا لا مســـت إصـــبعين

منـــك اليـــدان اليـــدين

أقســـمتُ بالشـــمعتين مـــن عســـجدٍ .. ولجـــين

بتينـــكِ الـــوجنتين

نجـــم يضـــاحك نجـــمًا

أقســـــمت بـــــالقبلتين   بتينـــــكِ الإصــــــبعين

زمـــا شـــفاهي زمـــا
أن تلفـــظ «الــــدُّرتين»
إني أحبـــك .. علـــما
بهجنـــة «الكلمتـــين»

أقســـمتُ بـــالكون طُـــرّا   صـــدرًا.. ونهـــدًا.. ونحـــرا

ومرتقـــــى .. ومجـــــرا
دنيـــا تُعـــاش .. وأخـــرى

إني عـــن الكـــون أعمـــى   وأنـــت لي ألـــفُ عـــين

***

سائلي عما يؤرقني

ســـــائلي عـــــما يـــــؤرقني   لا تســـل عنـــي.. ولا تلـــم
حـال ريعـان الشـموس ضحى   وتمشي الـــــــثلج في الضرم
وانطـــوت دنيـــاي في كفنـــي   وتــــقضى العمـــر كـــالحلم
وتمطـــي «الغـــول» محتقنـــا   مـــن دم يمـــتصُّ وهـــو ظمـــى
ألـــف أظفـــور بـــألف يـــدٍ   ألـــف نـــاب بـــين ألـــف فـــم
ورؤى الأطيـــاف تجرُفنـــي   قشـــــةً في ســـــيلها العـــــرم

فأنـــا كـــالموج منصرمًـــا — في عبـــاب غـــير مـــنصرم
وأنـــا كـــالبرق منطلقًـــا — فـــات حتـــى خيـــل لم يشـــم
وأنـــا كـــالعود يقضـــمه — ســـارب مـــن ســـارح الـــنعم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني — أنـــا مـــن ديمومـــة الظلـــم
أنـــا مـــن أعـــماق وحشـــتها — أنـــا مـــن ديجورهـــا الهـــرم
أنـــا أعمـــى في متاهتهـــا — كـــيفما حطـــت بهـــا قـــدمي
ظلـــماتُ الـــنفس قـــد رســـمت — منـــذ خطـــت ظلمـــة الـــرحم
وعـــلى حافاتهـــا انتصـــبت — هولـــة، أرجوحـــة العـــدم
وعـــلى طـــول المـــدى غصـــص — ترقـــب الســـارين مـــن أمـــم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني — أنـــا مـــن دوامـــة الألم
أنـــا ينبـــوع مـــن الـــبرم — أنـــا تعبـــير عـــن الســـأم
أنـــا مـــن إعصـــار جاحمـــة — طويـــت قسرًا عـــلى الحمـــم
فـــإذا مـــا هزهـــا غضـــب — يتحـــدى الصـــبر في الإزم
راح يمحـــو صـــدق جاحمهـــا — عـــن ريـــاء كـــاذب النســـم
أنـــا لي جفنـــان مـــن حجـــر — إن يصـــبه الليـــل ينقســـم
فـــإذا مـــا أطبقـــا أخـــذا — تحـــت ظـــل الصـــارم الخـــذم
لـــوبيء، مـــوحش، دنـــس — بالأفـــاعي الـــرقط مـــزدحم
وانـــبرت تلتـــف حـــولها — غابـــة مكتظـــة الأجـــم
أنـــا غـــير المـــرء تقـــرؤه — مـــن خـــلال الوجـــه والكلـــم

بسمات فجة حجبت ... في قلبنا غير مبتسم
تأكل الحاجات ضارية ... أكلة الجوعان من شممي
ويد الأعراف خائسة ... تمسخ المرضى من شيمي
من دمي تمشي الحروف دما ... وسدى تهفو على قلمي
يتهاوى الفكر منسجمًا ... عبر حرف غير منسجم
والعذارى من سوانحه ... ترتمي مهتوكة الحرم
لم أجد في العود من وتر ... واحد يقوى على نغمي
شاء هم الناس أحمله ... فوق همي أن يلاث دمي
وأحاسيس أنبشها ... كانتباش الدود في الرمم
كل شوهاء كأن بها ... كل قبح الكون من قدم
من طيوفي ترتعي مزقا ... كارتعاء الذئب في الغنم

أنا يا من رحت تجهلني ... عبد مكذوب من الهمم
أسحق النيران يغمرني ... نورها القدسي بالقدم
وأصب الجرح منغرا ... فوق جرح غير ملتئم
وأحط الروح رافضة ... كبرياء قمة الهرم
لسفات موزعة ... كمشاش العظم في الوضم
تتحداني زواحفها ... تفضح المنفوش من ورمي
ندم في إثره ندم ... عظمت كفارة الندم
يا حبيبي والمنى قسم ... بين مرجو ومغتنم
حاجة ريمت فما امتنعت ... عشت منها أتفه القسم

وحويجـــات هتفـــت بهـــا ... فســـددن الســـمع بالصـــمم
وانـــزوت في الـــنفس ثالثـــة ... بعـــدت شـــأوا فلـــم تـــرم
قتـــل الطـــماح مـــن ثمـــل ... بجـــدار الـــوهم مـــرتطم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني ... أنـــا مـــن عبـــادة الصـــنم
أنـــا مـــن أســـلاب معـــترك ... حـــرد كـــالوحش مغـــتلم
أنـــا مـــن أشـــلاء مجتمـــع ... يجلـــد العقبـــان بـــالرخم
يضرب الشـــاكي «ببلطتـــه» ... ثـــم يضـــفي بـــزة الحكـــم
ويقـــاضي غـــير مـــتهم ... ويزكـــــي شر مـــــتهم
تســـحق الـــواعين نقمتـــه ... ويســـمى ســـيد الـــنعم
ويـــريش الســـهم .. شرعتـــه ... كـــل مـــن لم يـــرم عنـــه رمـــي
ولهـــاث الجـــوع يخنقـــه ... بنفايـــات مـــن الحكـــم
ويغطيهـــا بمصـــطخب ... عـــارم الأمـــواج ملـــتطم
ثـــم تخفـــي قـــبح هيكلـــه ... نخـــرا موشـــية الـــنظم

ســـائلي عـــما يـــؤرقني ... قـــع عـــلى البلـــوى .. ولا تحـــم
أنـــا مهـــما اشـــتط متهمـــي ... لســـت مـــن فحـــش ولا لمـــم
أنـــا جئـــت الصـــبح مخترمـــا ... علـــم أن الليـــل مخترمـــي
خصـــل رفـــت ألـــوذ بهـــا ... مـــن رفيـــف المـــوت في اللمـــم
وحفيـــف الرعـــب أطـــرده ... بحفيـــف الكـــأس والـــنغم
وحمـــيم النـــزع أقتلـــه ... بســـواد سلســـل شـــبم

سـائلي عـمـا يـؤرقني
لا تكن خصمي .. ولا حكمي

***

يومان على فارنا

ما لهـدي الطبيعة البكر غضبي — ألهـا أن تثـور نـذر يـوفي
أبرقت.. ثم أرعدت.. ثم ألقت — حملها توسع البسيطة قصفا
زحمت كل ثغرة.. واستباحت — شرفات البيوت صفا فصفا
غبش ناعم السنا وشفيف — من سديم راص الدجي أن يشفا
وكأن الغيوم فوق الجبال الخضر — فوق الأدواح يرفعن سقفا
وعجاج من الرذاذ تنث العطر — والدفء سمحة منه وطفا
وكأن الأمواج يرهفن سمعا — ويطارحنها الأناشيد عزفا
صعدت ما تشاء ...ثم ألاحت — بجناحين أوشكا أن يزفا
طبق تلو آخر ثم يجلي — وخروق ما بينها ثم ترفا
وخلت باحة السما غير رسم — لم يلح للعيون حتى تعفي
ثمة ازينت بأبدع ما وشي — حسنا.. وقد تخير لطفا
حلم لم توفه العين رؤيا — كذب الحرف أن يوفيه وصفا
خلت في الجو ساحراً يبعث الخلق — جديداً صوغاً.. ونشراً.. ولفا
تتعرى له الطبيعة عجباً — وبلمح من ظله تتخفى
ثم يلقى خضر الشفوف عليها — ثم يرمي بهن شفاً فشفا
وحنايا جن كأن عليها — من حفيف الرؤى غدائر وحفا

بـــدل الكـــون خلقـــة فالعتـــل ... الضخم يبدو فيه الأشف.. الأشفا
وكـــأن الحيـــاة تـــوحش نصـــفاً ... مـــن سـماواتها.. وتـــؤنس نصـــفا
وكـــأن الســـفوح ينســـبن ذعـــراً ... وكـــأن الجبـــال يـــزحفن زحفـــا
وكـــأن الحجـــوم ضـــوعفن ألفـــاً ... مـــن مقاييســـها.. وصـــغرن ألفـــا
كتـــل تنـــبض الحيـــاة لمامـــاً ... في تضاريســـها.. ويحســـبن غلفـــا

أشرق الفجر فوق «فرنا» فأضفت ... فوقـــه ســـحرها الخفـــي وأضـــفى
واســـتطاب الرمـــل النـــدي بســـاطاً ... فـــمشي نـــاعم الخطـــي يتكفـــا
معجبا يمسح الـدجي منه عطفاً ... ويهـــز الصـــبح المنـــور عطفـــا
وتوارى عات من « الزنج » صفي ... مـــا لديـــه مـــن النجـــوم فأصـــفي
وارتمـــي البحـــر عاصـــفاً يلطـــم ... الســـاحل حتـــى حسـبته يتحفـــي

ونـــديمي وجـــه صـــبوح وكـــأس ... غـــودرت في مزاجهـــا الصرف صرفـــا
أحتسيها مـن لاعـج الوجـد عبـاً ... وعـــلى رفـــة الشـــفاه فرشـــفا
ثـــم دبـــت بنـــا تثقـــل جفنـــاً ... وتصـــفي نفســـاً.. وتـــرعش كفـــا
يـا مزيجـاً مـن ألـف كـون ترفـق ... إن كونـــاً عـــلى ذراعيـــك أغفـــى
قتـل الحسـن مـا أشـد عـلى العـين ... وضـــوحاً.. ومـــا أدق وأخفـــى
يـذهل النفس سـحره .. ما تخطي ... مـــن معـــاييره .. ومـــا تتقفـــى
أنت « إكليك » يا طفيفاً من اللحم ... عـــلى العظـــم كـــاد أن يستشـــفا
ألف « الفن » صورة منك تناهت ... في الحســـن لطفـــاً وعنفـــا
دفع الصدر دفعةً أعجب النهـدين ... منـــه طيـــب المقـــام فرفـــا

الشـــهيان لمـــا فاســـتدارا فاســتثارا.. فاستضريا.. فاستخفا
وثنـــي طيـــة فضـــمر كشـــحاً ورأى فســـحة فـــدور خلفـــا

يـــا نـــديمي ولا يخفـــك نـــديم أثقلتـــه ســـود الليـــالي فخفـــا
حـــرم العـــيش ممتعـــاً.. فهـــو يلفـــى متعـــة منـــه نعمـــة حيـــث تلفـــي
يخطـــف النبـــع بـــين ثغريـــك يخشـــى وعـــد صـــدق مـــن نبعـــه أن يجفـــا
وعـــد صـــدق.. وكـــل وعـــد صـــدوق غـــيره .. طالمـــا تحـــين خلفـــا
في دمـــي ثـــورة عـــلى المـــوت تكفـــي أن تعفـــى عليـــه لـــو كـــان يكفـــي
مـــا ألـــذ الحيـــاة لـــولا نهايـــات مطـــاف مـــلآن رعبـــاً وســـخفا
ينفـــد العمـــر شـــد مـــا كـــان حوجـــاً كسراج في فحمـــة الليـــل يطفـــا
ليـــت أن الحـــمام.. إذ لم يكـــن بـــد مـــن المـــوت.. علـــة ثـــم تشـــفي
يجـــد المـــرء بعـــدها العـــيش أحـــلى وهبـــات الـــدنيا ألـــذ وأصـــفي
أفحـــتم .. وإن ثـــوي المـــرء ألفـــا أن يـــذري ذرو الـــتراب ويعفـــي
فلـــم الزهـــر.. والربيـــع.. وشـــدو مثـــل ســـجع الحـــمام حلـــو مقفـــي
ولم الـــثلج.. والشـــتاء وشـــم مـــن نهـــود بجمرهـــا يتـــدفي
ولم الصـــيف عاريـــاً يتقـــاضي واجبـــات النفـــوس عريـــاً وكشـــفا
ليـــت شـــعري والمـــوت مثـــل عقـــاب الجـــو يـــدمي بنـــا مخالـــب عقفـــا
أقـــرابين نحـــن شـــوهاء تزجـــي للإلـــه الغضـــبان قـــربي وزلفـــي
أم عقـــول صـــنائع ســـيطر الـــوهم عليهـــا فـــرحن يـــرقبن حتفـــا
أم ألاعيـــب مـــن دمـــي صـــنع فـــذ طـــوع كفيـــه مـــا يخـــط وينفـــي
أم على الكوكب العجيب من الغيب رصـــود يمـــتعن إلفـــا وإلفـــا

أن يعيشا عمر النجوم وأن يستكفيا ... فى الحيـــاة مـــا لـــيس يكفـــي

يـا نـديمي .. ومـا غـد .. والليـالي ... ثمــر يُشــتهَي فُيخطَــف خَطْفــا

يســخر اليوم مـن غـد خـائر الهمـة ... مـــن كـــل مـــا يُعنيــه يُعفَـــي

يترجــي ويخــتشي لــيس يــدري ... يُولَـــدُ الصــبُح منــه.. أم يُتــوفَّي

أنــت « إكلــك » هاهنــا .. تملأيــن ... السـمعَ والعـينَ والأحاسـيس لُطْفـا

أتمـــلي عينيـــك عرقـــا فعرقـــا ... وحــديثاً سَــجَعتِ حَرفــاً فحرفــا

ووشـاحا أضـفيت مـا اللـون منه ... وجَــديلاً صَــففَته كيــف صُــفّا

ولكــم صــانت الهــوى ذكريــات ... هــنَّ أبقَــي ذكــراً.. وأغنــي.. وأوفي

***

على الرصيف

لم يعـــد عـــامين وكانـــت لـــه ... مـــن ثقـــة بـــالنفس أعـــوام

يـــمشي الهـــويني يستشـــف الـــرؤى ... كـــــما أتي المرســـــم رســـــام

عـلى « الرصـيف» لم يعـق سـيره ... خلـــف.. ولم يزحمـــه قـــدام

وأمـــــه ترعـــــاه قوامـــــة ... وهـــــو غـــــدا راع وقـــــوام

بينـــا ابـــن ســـتين وفي زعمـــه ... مـــن عبقـــر يأتيـــه إلهـــام

يختــبط « الشـــارع » مـــن حولـــه ... تنهـــال للأخطـــار أكـــوام

حييتـــه فردهـــا لي فـــم ... مثـــل فـــم البلبـــل تمتـــام

وافـــتر وجـــه مـــا بـــه غيمـــة ... ويشـــجب البـــدر ويغتـــام

لم يعـــد عـــامين.. وفي عينـــه مليـــون عـــام لمهـــا عـــام
يـا بـن الحضـارات أبـا عـن أب شـــدتك أخـــوال وأعـــام
بـاق عـلى الأنطـاف مـن لطفهـا وشـــم.. وفي الأصـــلاب أختـــام
في كـــل حقـــل مـــن ميادينهـــا عطـــر مـــن التـــاريخ نـــمام
غـــذتك أم ثـــديها نعمـــة ودره فهـــــم وإفهــــام
حنـت عـلى وجهـك أنفاسـها فهـــو كلـــوح الزهـــر بســـام
وراوحتـــه بســـمات الصـــبا وداعبـــت روحـــك أنســـام
وغنـــت الحـــب وأنغامـــه فأرهفـــت ســـمعك أنغـــام

يـا بـن الحضـارات وكـم قسـمة ضـيزي.. وكـم أجحـف قسـام
أوسوســات هــن ؟ أم حكمــة ؟ أم هـــن أقـــداح.. وأزلام ؟
كـم لـك في هـذي الـدني مـن أخ حلـــو بســـوق الـــذل يســـتام
وهامـــة مثلـــك جبـــارة تحنـــي لهـــا لـــو سـلمت هـام
خلاقـــة كانـــت ومـــن خلقهـــا قـــد كـــان « خـــلاق » وعـــلام
أقعـــده إن لم يكـــن عنـــده أهـــل كأهليـــك.. وأقـــوام
هزتـــه في المهـــد يـــد هزهـــا جـــوع.. وإذلال.. وأســـقام
ديفـــت أغانيهـــا بهـــا وارتمـــت ســـوداء أطيـــاف وأحـــلام
وامـتص ضرعـاً سـممت لحمـه وأدغلـــت في الـــدم آلام
رعـي محيطـاً مجـدباً فانضـوي كـــما انضـــوت في القفـــر أغنـــام

يـا بـن الحضـارات وأسـطورة المثـــل العليـــا.. وأوهـــام

يخدر الجوعي بها.. والرؤي   سود.. ولمح النور إيهام
والجهل كفران بها في الوري   من روعة.. والعدم إعدام

يا بن الحضارات وهل بدلت   بؤسا.. دساتير وأحكام
خداعة الوجه وفي جوفها   أسوأ ما ضمته أرحام
يضحك المبكي بها لا تري   كيف يماز الحمد والذام
كواكب ديست.. سوى كوكب   لم يكتشفه بعد مقدام
فيه أعاجيب.. ومن تربه   صيغت عماليق.. وأقزام
يسحق بعضاً هارساً لحمه   بعض.. ولا تسأل أقدام
ويسرق الناس .. وأوطانهم   لص.. ولا يقطع إبهام
وشرعة ذبح الفتي جاره   وأن يجاد الذبح إلزام
وتعبد الأعراف فيه كما   تعبد أحجار.. وأصنام
لكل عرف قدره..مثلما   توزن أقدار.. وأحجام
ويلكز الفكر وأربابه   ما شاء سراج.. ولجام
جرم بحجم الكف.. في عالم   عد الحصى غطته أجرام
نزت ملايين قروح به   كانت بعهد الغاب تلتام
والأرض غاب فيه من خيرها   وشرها .. نور وإظلام
ويخلف الوحش بها مثله   ذئب.. وثعبان.. وضرغام
ومن دم بها سارب   تفتحت للزهر أكمام
قد يأكل المحكوم من لحمه   فيه.. وقد تؤكل حكام
أيعمر المريخ من همة   في الأرض أن تزرع ألغام

مناجاة!

يا لخديك ناعمين ... يضجان بالسنا
ولجفنيك ناعسين ... مشي فيهما الونى
يا شفائي.. ويا ضني ... حبذا أنت مني حبذا
حبذا أنت في الهوى ... من عقابيل تقتني

بأبي أنت لا أبي ... لك كفو.. ولا أنا
من مميت إذا نأى ... ومخيف إذا دنا
أختشي فقده هناك ... وهجرانه هنا
أرقب الصبح موهناً ... ودجي الليل موهنا
لا صدي هاتف يرن ... ولا الجرس مؤذنا
وأصالي على الطريق ... وجوهاً .. وأعينا
ظنة أن تكون أنت ... وحسبي تظننا
إنما الحب جنة ... كفوها من تجننا
وإذا ما انتهى الهوى ... فتنة كان أفتنا

أنت يا مرة الطباع ... ويا حلوة الجني
كم تودين لو خنقت ... صدي الحب بيننا
وتحينت قبره ... وهو حي ليدفنا
أنت يا من تركتني ... بالجراحات مثخنا
لا وعينيك لم أجد ... فيك للطعن مطعنا

لا جنـــــــــاح.. وإن مشي الضر بي منـــك والعنـــا
كـــل شـــوك زرعتـــه ثمـــر منـــك يجتنـــي
أنـــا.. مـــا خفـــت.. واجـــد بـــين نهـــديك مأمنـــا

بالـــذي صـــاغ واعتنـــي وبنـــي منـــك مـــا بنـــي
وتبنـــاك «مقطعـــاً» مســـتعاداً فأحســـنا
والـــذي شـــاء أن يكـــون لـــك القتـــل ديـــدنا
فتفـــداك بالضـــحايا فـــرادي.. وبـــالثني
والـــذي لم يـــدنك إذ دان كـــلا بـــما جنـــي
حلفـــة الصـــابر ارتضي مـــا يلاقـــي فأذعنـــا
لـــو تتوجـــت بالـــدني لم يكـــن عنـــك لي غنـــى
خلـــق الوجـــد والأسي ليكونـــا كـــما أنـــا

***

آهات..

لا تلـــم أمســـك فـــيما صـــنعا أمـــس قـــد فـــات.. ولـــن يســـترجعا
أمـــس قـــد مـــات.. ولـــن يبعثـــه حملـــك الهـــم لـــه.. والهلعـــا
هـــدراً ضـــيعته مثـــل دم الملـــك «الأبـــرش» لمـــا ضـــيعا
لم تمطـــره فـــلا تســـأل بـــه أشـــباباً.. أم ســـحاباً أقلعـــا
واطرحـــه واســـترح مـــن ثقلـــه لا تضـــع أمســـك واليـــوم معـــا

آه كــم جرتهــا عــن كبــد — مــن وقيــد الآه ســالت قطعــا
آه يــا شرخ الصــبا لــو طلــل — سـمع النجـوى ولـو ميـت وعـي
مــا أذل العمــر ممحــوق السـنا — يشــتكي منــه المغيــب المطلعــا
فهـو مـا ارتحـت لـه حتـى امحى — وهــو مــا ســلم حتـى ودعــا
وأخــس المــرء يشــكو يومــه — فــإذا ولى بكــاه جزعــا
عاطشــا يــمضي ولمــا يغــترف — مــن أفــاويق الصــبا مــا رضــعا
تنحــت الآلام مــن أطرافــه — يأكــل الموضــع منــه الموضــعا

يــا بقايــا ذكريــات كلــها — جس عـود مـن صـداها رجعـا
أجمــع المــر بهــا — وأســقاها ســموما جرعــا
ترتعــي في النــوم منــي حمــلا — وادعــا يرقــب منهــا السـبعا
حــدثي مــا شـئت عـن أبدوعـة — ولقــد يــأتي الزمــان البــدعا
عـن فتـى أخصـب في شـتوته — لاعنــاً فيهــا الربيــع البلقعــا
عـاش في العشريـن شـيخا ورعـي — بعــد ســتين شــباباً ممرعــا
ورأى مــن ذي وهــذي عــبرة — ولكــم ضر الفتــى كــي ينفعــا

قف على « براها » وجب أرباضها — وســل المصــطاف والمرتبعــا
أعــلى الحســن ازدهــاء وقعــت — أم عليهــا الحســن زهــواً وقعــا
واســتعر منهــا عيونــا جمــة — وتمــل النــاس والمجتمعــا
وســل الخــلاق هــل في وســعه — فــوق مــا أبدعــه أن يبــدعا
قلــت مما أفــرط الحســن بهــا — بئســت الــدنيا لنــا منتجعــا

يحسد المقعد من جوع بها ... متخما أقعد مما شبعا

يا لصيف ممتع لو لم يكن ... غيره كان الفصول الأربعا
ممطر آنا .. وريان الضحي ... مزهر آنا .. وذاو سرعا
حلم العذراء في يقظتها ... ويناغي حين تغفو المخدعا
تشتهي ما ظل أن لا ينقضي ... فإذا ودعها أن يرجعا
مرت الأسراب تترى .. مقطع ... من نشيد الصيف يتلو المقطعا
وتفتحن على رأد الضحي ... حلما أشهي.. وصحوا أمتعا
وتقاسمن الصبا ميعته ... وشذاه.. والهوى والمتعا
وتخفض فما زدن على ... ما ارتدت « حواء » إلا إصبعا
رحمتا « لابن زريق » لو رأى ... فلك الأزرار ماذا أطلعا
كل مضموم إلى صاحبه ... مشرئبين إلى النور معا
ما أرق الزهر في سيقانه ... وعلى لباتها ما أروعا

يا بديل الخلد لولا أنها ... كانت المرأى.. وكان المسمعا
لا تخطاك الحيا من ممرع ... صابه.. أو لم يصبه أمرعا
وتناغت بك أوتار الصبا ... سا شدا شاد.. وما داع دعا
فلقد رضت جماحات الهوى ... تنحولن الرضى الطيعا
كفيت النفس مما غذيت ... مطمحا لم تغذه.. أو مطمعا
لا أحابيك في حز المدى ... من عقابيل أبت أن تنزعا
وأحاسيس يبقي عضه ... مدرج النمل بها أتى سعى

ومضـب في رؤي لا تختفـي فأواريهـا.. ولا أن تسـطعا
أسـدل السـتر عـلى واحـدة فتعـرى مـا سـواها أجمعـا
تتسـاقي مصـبحات مـن دمـي وتمـاسي فـتقضر المضـجعا
غنيـة أن قـد تلمسـت المـدى مـن مـداها .. ورقيـت الأوجعـا
كلـما أفزعنـي مـن وحشـها طـارق... ألقيـت فيـك المفزعـا

***

خلي ركابك

خـلي ركابـك عالقـا بركـابي قصر الطريـق يطيـل في أتعـابي
سأضـم في قـبري لتـؤنس وحشـتي رعـش الشـفاه.. ورجفـة الأهـداب

ما كنت أحسب أن طارقة النوى قصـوى المطـاف.. وغايـة الـتطلاب
حتـى ابتليـت ببؤسـها ونعيمهـا فـإذا بهـا سـبب مـن الأسـباب
قسـماً بعينيـك اللتـين اسـتودعا سر الحيـاة وحـيرة الألبـاب
نحـن السـبايا « أريـع في غربـة » أنا والهوى.. ويدي.. وكأس شرابي
قد كنت أصعق في حضورك دهشة فتصـوريني منـك رهـن غيـاب
أصغي لجرسك طائفاً في مسمعي وأشـم عطـرك عالقـا بثيـابي
وأزيـر طيفـك نـاظري في يقظـة مـرح الخطـي ثمـلاً عـلى الأهـداب
وأجلـه عـن يـزور عـلى الكـرى فيتيـه مـن ظلماتـه في غـاب

***

إلى وفود المشرفين تحية

حللتم مثلما حل السحاب وطبتم مثلما طاب الشباب
وكنتم دعوة في كل صدر عراقي وها هي تستجاب
وفود المشرقين وقد تناءت بنا دار.. وطال بنا اغتراب
حنانيكم فهذي الدار منكم ونحن الأهل فيكم والصحاب
نسر بقربكم.. ونساء بعدا كأنكم المثوبة والعقاب
قفوا معنا نقف معكم.. ويشمخ بنا في حسن منطلق مآب
وننشر كالضياء معاً ونطوى كما يطوى على الروح الإهاب

حللتم والربيع.. ومنجزات بكم وبهن يجمعنا نصاب
مضي عهد يذم به الشباب ويحسد فيه من شاخوا وشابوا
وأبدل عنه عهداً ود فيه رفاق الشيب لو عاد الشباب
وجئتم والعراق يشق دربا يحال إلى الجنان به التراب
ويعلوه الغبار وأى فخر لمسعي لا تتوجه الصعاب
أقول لخيرين وقد تلاقي عليهم من شرور الغاب غاب
ولفهم العجاج كما تحدي رفيف الروضة القفر اليباب
صموداً مثلما صمدت وطالت على الإعصار أدواح صلاب
وصبراً ثم تنكشف البلايا كنور الشمس يعبره الضباب
ويفتح للمصابر ألف باب إذا ما سد في الأزمات باب
نضجتم في الصميم من الدواهى فأنتم من خميرتها لباب

وأنـــتم إذ يحـــر الخطـــب أدرى ... بـــما يصـــفي لــــه وبــــما يــراب
تضــــيق بمتعبــــين رؤى المنايـــــا ... وتحضـــــنن أفئـــــدة رحــــاب
وســوح المجـد تعمرهـا الضـحايا ... وتـــزحم فوقهـــا الهـــام الرقـــاب

وفـــود الشرق إن الشـــعر وجـــه ... طليـــق.. لا يليـــق بـــه النقـــاب
بـــه مـــن نســـمة الإصباح عطـــر ... ومن سـحر.. ومـن شـفق خضـاب
عـلى السـجع الرتيـب تـرف دنيـا ... مســـــجعة أغانيهـــــا رتـــــاب
وبـــين فواصــــل منـــه جـــراح ... وآفـــاق.. وأطـــماح رغـــاب
يخفــــق في مقاطعـــــه ضـــمير ... جـــرىء.. لا يلـــين.. ولا يهـــاب

وفـــود الشرق إن الـــداء فينـــا ... ونحـــن الملزمـــون بـــما نصـــاب
غزينــــا عنــــوة في عقــــر دار ... عفـــاء.. كـــل مـــنا فيهـــا يبـــاب
وأعـــــراف مرثــــات قبــــاح ... رزاح فــرط مــا امتطيــت.. لغــاب
تعبــــدنا ولم يخفـــــق علينـــــا ... بهـــا وحـــي.. ولم ينـــزل كتـــاب
فنـــور الفكــر يحجبــه احتجــاز ... ونـــور الشـــمس يحجـــزه حجـــاب
ومجتمـــع يشـــل النصــــف منـــه ... ويعفـــي النصـــف مجتمــع خـــراب
ونصــــبنا صـــــدوراً عاريـــــات ... إلي المســـــتعمرين وهــــم حـــــراب
ورحنـــا يســـتر العـــورات منـــا ... نســـيج الحـــق في دغـــل يشـــاب
نعـــريهم ونســـــحب أن كســـــينا ... بعـــريتهم . وضـــوعفت الثيـــاب
ونحمـــل سـم «عقربـة» الـذنابي ... ولولاهـــا لمـــا كـــان الـــذناب

وفـــود المشرقـــين وعـــن ضـــلال ... يثـــاب وعـــن مســـاءات يتـــاب

لنا ظفر على جرح دوي ... وللمستعمرين عليه ناب
بلاء الشرق أصنام تسمي ... سيوف الله يحرسها الكتاب
عفت شفراتهن فهم كهام ... صدىء الحد زخرفه القراب
لهم فصل الخطاب بحد سيف ... وليس لمبتل بهم خطاب
ويكتنزون من سحت حرام ... وحولهم ملايين سغاب
وكان التمر نعبده إلها ... يساغ به طعام أو شراب
فليت لنا بهم شعباً ورياً ... ومما زاد تمتلئ العياب
لقد شبنا وشب بنو بنينا ... وما شب البقيع ولا السراب
ولا شلت حلاقيم رطاب ... تجول بهن ألسنة كذاب
تساقط ما تشاء ولا تبالي ... على ما يعاب بها يعاب
وقالوا أوثق الخصيان ضرعاً ... وشدا منه.. وامتلأ الوطاب
وعاد النفط يحلب من جديد ... ولا «عنز» تدر.. ولا احتلاب
فقلت أجل بنات الدهر منا ... ومنها نحن.. والدنيا عجاب
تعالى الصلح أفئدة تلاقي ... بأفئدة.. ففيم الاحتراب
وفيم الضير أن يغشى حوار ... مناجاة الأحبة.. أو عتاب
وفيم الحرب.. والأحقاد شؤم ... وتصطلح الحمامة والغراب
وتصطلح «الضرائر» من قديم ... كذلك كن «زنيب» و«الرباب»
وهبنا نستدير كما استدارت ... على الأمات أفرخة زغاب
تعالى الصلح في «التلمود» منه ... أعد لكل مسألة جواب
عراة في الخيام لهم سماء ... وأرض.. واصطبار.. وارتقاب

وهب وطال العذاب فليس شيء | بباق.. لا النعيم.. ولا العذاب
وما يدعي « فلسطينا » مراح | متي شئنا.. وشاءت مستطاب
وهل هي غير أرض واستبيحت | فأرض الله واسعة نهاب
وبيت القدس ليس سوى مزار | يراد الأجر فيه.. والثواب
وهل « سيناء» غير مهيل رمل | تعيث به الأفاعي والذئاب
وفي الجولان من دم كل حر | يباع ويشتري مسك ملاب
وشطئان الخليج « مدورات » | نقاسمها كما اقتسمت كعاب
كفاها ألف عام أن يدوى | بها العربى والخيل والعراب
دعوها تنفتح لدم وثان | فخير دم الشعوب دم ضراب
مساخر لا لأعياد ولكن | حداد فيه تصطبغ الثياب

وفود الشرق إن غداً رعيباً | نحن له كما حنت سقاب
ويوما مثل يوم الحشر فيه | يطول لكل ذي وزر حساب
سيحرث عالما.. ويجد زرعا | وتستصفي القشور به اللباب
وعن حقب ذليلات ستأتي | لتمحو عارها حقب غضاب
تزعزع من جذور طالحات | فلا صم الصخور.. ولا التراب
وتفجر في الدم العربي نبعاً | كنبع الزيت يعوزه ثقاب

ويا غرف الجنان مشعشعات | على « الزابين » ترقصها القباب
وتحضنها الفوارع شامخات | يحوم دون ذروتها العقاب
سقي صوب العهاد لديك ربعا | حرام بالدم الغالي يصاب

قطعنـا شـوطنا خمسين عامـا | توحـدنا المسرة والمصـاب
يـراوح بـين كفينـا عنـان | ويجمـع بـين رجلينـا ركـاب
رضـاع أخـوة عشـنا عليـه | يـمازج دره عسـل وصـاب
يـرن صـدي المناحـة في بطـاح | من « الأهوار » ما ناحت «هضاب»
أفـلآن النكـوص وقـد تـوشي | ربيـع الأرض.. واخضر الجنـاب
ولـوح فجـر آذار وجـلي | بـه لبيـان آذار شـهاب
ولاح غـد سـهرناه طيوفـا | تدغـدغهن أحـلام عـذاب
نشـدتكم القرابـة والضـحايا | ومـا شـد العـري منـا كتـاب
ومـا غنـت لكـم منـا قـواف | يرقـرق نسـجها دمـع مـذاب
ومـا ضـم الثـري إلا حقنـتم | دمـا يشـجي المصـيب بـه المصـاب
دعونـا نحـتكم بعـض لـبعض | فللجـرفين يحـتكم العبـاب
فـإن وراءنـا ذئبـاً خبيثـاً | يحـاول أن يكـون لـه الغـلاب
سـينهش مـنكم كتفـا.. ومنـا | ومـا يبقـي ستنهشـه ذئـاب
ويـا فرسـان معـترك وسـلم | ورهـط محبـة طابـت وطـابوا
سـيخلف عـن وداعكـم لقـاء | ويثـأر مـن ذهـابكم الإيـاب
سـيبقي الرافـدان مصـب خمـر | يسـاقيكم.. و خـابور وزاب
نسـاقيكم وأكؤسـنا قلـوب | وذوب عواطـف فيهـا شراب

حللـتم مـثلما حـل السـحاب
وطبـتم مـثلما طـاب الشـباب

***

تحية.. ونفثة غاضبة

سماحاً إن شكا قلمي كلالا ... وإذ لم يحسن الشعر المقالا

وان راحت تعاصيني القوافي ... بحيث الفضل يرتجل ارتجالا

كبا مهري بشوط لم تغادر ... له غر الجياد به مجالا

حماة الفكر .. والدنيا غرور ... كضوء الفجر لطفا وانتقالا

أتبغون الفتوة عندهم ... على السبعين يتكل اتكالا

تمشي الثلج في جذوات قلب ... مدي خمسين يشتعل اشتعالا

وما شمس الظهيرة وهي تغلي ... كمثل الشمس قاربت الزوالا

بنات الشعر كنت أبا رؤوما ... أسامرهن نجوى وابتهالا

أغوص على اليتيم الفذ منها ... واحتضن الأوانس والثكالى

وتفجؤني عرائسهن ليلاً ... تقربني وتبعدني دلالا

وكن لدات تصبو ناشطات ... فهن اليوم أنضاء كسالى

وها أنا بعد ميسرة ورفه ... أروح على أرملها عيالا

حماة الفكر والأدب المصفي ... يزينان الشمائل والخصالا

قصدتكم وبي شوق ملح ... كقصد الظامئ الشبم الزلالا

وكنتم حاجة قصوى لنفس ... تضيق بحاجة قربت منالا

وزرت المغرب الأقصى عجولا ... زيارة عاشق حرم الوصالا

وجئت الساحر الفنان منه ... لعلى أقبس السحر الحلالا

أكاد أعب ماء البحر ملحاً ... وانشق في شواطئه الرمالا

وأبسط راحتي خيال شعر كأن يدي تحتضن الجبالا
فياويحي من الحب المعني برمت به فراغاً وانشغالا
تقنصني الجمال بها وعلمي بأني جئت أقتنص الخيالا
لعنت الحسن تورثني رؤاوه خبالين:القريحة والخبالا
وتمنحني الشقاوة في النعيم وربة نعمة عادت وبالا
ويطلع لي الدم الفوار منه جنان الخلد تضطرم اشتعالا
أقول وقد خبرت وذقت طعماً جمالات الدنا حالاً فحالا
كذاك.. كذاك فليحرز سوياً جمالات المغربية أو فلالا
نزا صدر بنهدين استقلا كأنهما يريدان انتقالا
ونط خلاف وجهته رديف كأروع ما احتوى قمر هلالا
وضويق فاستدق.. ورق خضر كأن عليه أعباءً ثقالا
ورنح كل ذاك غصين دوح لوى ثقل الثمار به فمالا

سلام الله يا «طنج» يغادي ربوعك موطناً.. وذويك آلا
وحيث ملتقي البحرين كأس تصب هناك من كأس ثمالا
بزيح ظلاله وضح فلتقي تعاريج السفوح له ظلالا
وتنزع الشموس له جمالا فتخترع الغيوم له جمالا
وتصطفق النجوم مشعشعات سرجة حفافية تلالا
وترقصه المسابح ناشرات على ها الغيد أسراباً عجالا
كعوم البط أجنحة تلاقي بأجنحة.. وأعناق تعالى

حماة الفكر .. قيلة مستنيب | يجنب نفسه قيلاً وقالا
تنقل رحله شرقاً وغرباً | وحط هنا بسوحكم الرحالا
يحرق نفسه فيكم سراجاً | ويستبقي له منه الذبالا
يطوحها بوحي من ضمير | كبرج الشمس ظهراً واعتدالا
يحاول بعد دنيا من عذاب | عن الدنيا وما فيها اعتزالا
فصونوه من العادين ضبحا | ووقوه التماحك والجدالا
كفاه ألف نافثةٍ سعيراً | فخلوه وخافقة ظلالا
وفي جنبي نفس لو تراءت | لكم لرأيتم العجب المحالا
أسل النصل عن جرح نزيف | فألفي تحت حفرته نصالا
كأن مشارف الدنيا ضباب | مقيم لا يزال ولن يزالا
كأن غدى على عيني منه | حجاب راح ينسدل انسدالا
كأني من غد داج وأمس | محيل ليس يعرف كيف حالا
مللت الطارئات فما أبالي | أتشكو الهجر.. أم تشكو الملالا
ومن حسنات عمرك أن تهزا | بما يغري سواك إذا استطالا
تعدد ساعة منه وأخرى | فلا سؤلا تعد ولا سؤالا

أحبتي الذين يعون قولي | رصينا.. لااغترار ولا اختيالا
لكم عندي حقوق لا توفي | ولو صغت النجوم لها مثالا
ولي حق على كم أوجبته | قواف رجعت حقباً طوالا
تهز مبرحين على البلايا | وتكشف عنهم الداء العضالا
نشدتكم المحبة والتصافي | ومنطلق الأخوة والمآلا

وطيب جواركم إلا شددتم ... عري للود تأبى الانحلالا

وقلت لحاقدين على غيظاً ... لأني لا أحب الاحتيالا

هبوا كل القوافل في حماكم ... فلا تهزوا بمن يحدو الجمالا

ولا تدعوا الخصام يجوز حدا ... بحيث يعود رخصاً وابتذالا

وما أنا طالب مالاً لأني ... هنالك تارك مالا وآلا

ولا جاهاً.. فعندي منه إرث ... تليد لا كجاهم انتحالا

ولا أنا من يلوك دم الأضاحي ... يلم جلودها للسحت مالا

حذار فإن في كلمي حتوفاً ... مخبأة.. وفي رمل صلالا

وأن لدي أرماحاً طوالاً ... ولكن لا أحب الاقتتالا

تقحمت الوغى وتقحمتني ... وخضت عجاجها حرباً سجالا

فكان أجل من قارعت خصمٌ ... بنبل قراعه ربح القتالا

ولم أر كل خصومة من محك ... يبين لك الرجولة والرجالا

وأخبث ناهز من راح عمداً ... يسيء حراجة الضيف اغتلالا

ويا لحراجة القلب المعنى ... يراد بمن يعنيه انشغالا

فكم من قولة عندي تأبي ... لها حسن الوفادة أن تقالا

ستضرب فيهم الأمثال عنها ... إذا انطلقت وجاوزت العقالا

وعندى فيهم خبر سيبقى ... تغامز منه أجيال توالى

حذار فكم حفرت لحود عار ... لأكرم منهم عما وخالا

ويا صفو الوفاء أبا حنين ... نداء يستجيب لك امتثالا

أخا الكلم النوابض بالمعاني ... فلا عللا شكون ولا هزالا

يجسدها فهن دم وروح … وبعض القول يغتال اغتيالا
وينحلهن فكرك حيث ترضي … بنات الفكر تنتحل انتحالا
ويا من زاد قدر المجد مجدا … ومن جمع التواضع والجلالا
ومن كسب الرهان على المعالي … وفي أي القداح بها أجالا
حبيتك حب من يصفي هواه … لمن يهوي انفعالاً لا افتعالا
على بعد عرفت هواك تحصى … محط خطاي حلا وارتحالا
وهذا أنت عن قرب صفيا … يزين بحبه القول الفعالا

حماة الفكر والأدب المصفي … يزينان الشمائل والخصالا
سماحاً إن شكا قلمي كلالا … وإن لم يحسن الشعر المقالا

***

الصحراء في فجرها الموعود

صحراء فجرك موعود بها يلد … والمغربيون أكفاء بها وعدوا
على جبينك من نضح النجوم ندي … وفي رمالك من حباتها نضد
وأنت.. من وطن يصفيك مهجته … دم بتاموره تستصلح الكبد
صحراء يا حرة مكمودة عنتا … مهلا فكم فرحة وافي بها كمد
ستحمدين على العقبى حلاوتها … كما تقطر بعد العلقم الشهد
لابد فوقك يوما خافقا علم … يضم شمل بنيه أينما وجدوا
يحمون سارية تعليهم شرفا … ورفرفا منه يدنيهم إذا بعدوا
صحراء ،كم رثة ضمت معالمها … ما ينفع الناس خيلت أنها زبد

حتى إذا بان لمح من معالمها ... مدت إليها من الست الجهات يد
صحراء، لا يعدل الدنيا وزخرفها ... إلا النقيان منك الروح والجسد

ساءلت نفسي بما يعيا الجواب به ... وما أريد له عذراً فلا أجد
ما بال «مدريد» تشكو العسر معدتها ... وتستزيد بما لا تهضم المعد
أتشرب البحر في حلقومها علق ... وتقضم الصخر في أسنانها درد
ويسخر الخلق منها إذ يرى عجبا ... صحراء مزروعة بالموت تزدرد
فرت بأجنحة شدت بجانحها ... فلتنفرد نحونا إبان ينفرد
لنا غد يتحدي الطامعين بنا ... وعندها ما يسر الطامعين غد
لم يكسنا الزهو أيام بها سلفت ... فهل ستبطرها أيامها الجدد
لنا عليها من « الحمراء » شاهقة ... لم يلف أروع منها زينة وتد
كأنها في ربي « غرناطة » شفق ... مدي الأصائل باق سحره أبد
تزيد عن كل ما أبقي تراثهم ... وإن هم انتقصوا منها ولم يزدوا
يبني الحضارات عجلان يزخرفها ... فتسترد.. ويعليهن متئد
عوذت شعبك يا مدريد من نكد ... لو لم يكن من صنيع الساسة النكد
قد شد ساعدنا المبسوط ساعده ... لو ارتخي عنه حبل مبرم مسد
وخير من مج طعم الاضطهاد فم ... ما انفك يسقيه كأس الذل مضطهد
من مبلغ السادة العميان أرهقهم ... حرمانهم.. وتعاصت فيهم العقد
عموا ومذ بصروا بالدرب مشرعة ... صموا، فما افتقدوا شيئا ولا وجدوا
إن الليالي عجيبات بها حرن ... لمسلسلين.. وإسلاس لمن صمدوا
مشى عليهم فهم في قعره صبب ... ركب من الدهر حث سيره صعد

وما يحول الضحي لونا ولا شية ولا السماء ولا الصبح الذي تلد
وإنما هي صفو عند ذي بصر صاف.. وربداء في عين بها رمد

يا حارس الوطن الموهوب جانبه على ه مما يني تاريخه رصد
وراكز الراية «الخضراء» خافقة على الصفوف زهاها العد والعدد
فاءت إليك بما ضمت وما تلد كما يفيء لظل الوالد الولد
صحراء يوحشها عيُ الذئاب بها وتطبي سمعها أن يزأر الأسد
غضبان ردت على اليافوخ عفرته وارتج غيظاً على أكتافه اللبد
ينهي لمن كان في سهل وفي جبل ألا يحوم حوالى غابه أحد
واستشفعت بك للسقيا مطامحها محلات عن الحوض الذي ترد
واستنجدت بك أن تحصي مصايرها بذاك عودها آباؤك النجد
تمضي على سنن منهم وعن ثقة وملتقي فرقد عن فرقد صدد

شهدت يومك مرنان الصدي عرما يحتج من سمعوا عنه بمن شهدوا
غامت كأنما اسود كانون.. سماؤتها ولحت فيها كضوء الجمر تتقد
شهماً تنفض عن برديك غبرتها وقد توالت بنات الدهر تحتشد
وكان فصل خطاب.. فيه ملحمة من البيان.. وفيه الهدي والرشد
ما كان أبرعه مزجاً تصب به مر الوعيد على حلو بما تعد
شهرت أمضى سلاح لا يقوم له لا المرعدات.. ولا المحمية الزرد
ما أعظم الشعب يرمي عن كواهله عبء الخلاف لدى البلوى ويتحد
زففت بالعودة البشري لتربتها ومن عليها.. فكل صادح غرد.

أنعشت منها فؤادا ظل محتبساً ... لدي الدخيل كئيبا فهو يفتأد

صحراء محزونة أن يستبد بها ... نوى فتفقد من تهوى وتفتقد

وأن تغادر أوصالاً ممزقة ... وأن يطن لها عن ساعد عضد

غمت عليها رؤى كانت تطوف بها ... جذلي من الوطن الغالي وتنعقد

تمتد بالعين حتى لا مرد لها ... ولا مساف.. ولا بعد ولا أمد

وبدلت غبشا أطياف بهجتها ... كما تبدل بؤساً عيشة رغد

كانت تلم عناقيداً معرشة ... من النجوم بمرج معشب تقد

وتستريح إلى نجوي الرياح بها ... تخالها صوب أرض حلوة تفد

واليوم واحاتها قفر، ونسمتها ... صر، وكل مسيل فوقها جمد

ولم أجد كسليب الأرض حاردة ... محمومة.. بالدم الحران تبترد

تسقي وتسقي وما تنفك عاطشة ... وليس ينفك من يسقي ومن يرد

حتى إذا استرجعت عادت بشاشتها ... وعاد زهو الحياة العابس الحرد

مشي إليك يجد البيعة البلد ... عليك في الخطب بعد الله يعتمد

يلقي بأثقل حمليه على كتد ... من عاتقيك إذا ما خانه كتد

واستعصمت بك أحزاب وقادتها ... يلتف مقترب منهم ومبتعد

عيد الإخاء جلا الباغون بهجته ... لو جاز حمد بغاة مثلهم حمدوا

عقائد ورسالات تلم بها ... رسالة يوم لأواء ومعتقد

اليوم ما اجتهدت صماء قارعة ... وفي غدٍ فلهم فيه وما اجتهدوا

مستأمنون على خير البلاد مشت ... للمشرقين على أيديهم برد

أيد تلاقت وأضحت في الجهاد يدا ... تشتد بالحسن الثاني وتعتضد

هـم وللنـاس والأوطـان مـا زرعـوا على البسيطة من خير وما حصـدوا

وبـورك الأمـر شـوري يسـتقيم بـه عـلى عثـار الليـالي نهجـه الجـدد

ومـا الكمـي عـلى جيش يصـول بـه مثـل الكمـي غـداة الـروع ينفـرد

أبـا محمـد سـمعاً جـرس مالكـة سـمحاء لا زيـغ فيهـا ولا أود

مـن واقـف في سـبيل النـاس مهجتـه في حـبهم يسـتطاب الأيـن والسـهد

لم يعرف الدهر لا حقـداً ولا حسـداً وإن تشـفت بـه الأحقـاد والحسـد

أفرغت جهدك في التبليغ ما اتسعت له العلى .. والنهي.. والحلم والجلد

فحسـبك اليـوم منـه مـا أبنـت بـه للكـون شـوكة عـز لـيس تختضـد

واعمـد لأخـرى بـها تنهـي مناجزة لـيس الخصـام بمنهيهـا ولا اللـدد

إن الطغـاة إذا لا ينـتهم بطـروا مثـل الصـغار إذا دللـتهم فسـدوا

ومنطـق الحـق مشـلول.. ومصـطلح خزيان.. مضطهد عـات ومضـطهد

لابـد مـن جالـة تنجـاب غمرتهـا عـن صـامدين عـلى حق بـها وعـدوا

فخـل جنـدك جنـد الحـق يقحمهـا وخـل خيلـك خيـل الله تضـطرد

وفي حمـاك صـناديد يضـيق بهـم درع الجـلاد ويغشـاهم إذا اجتلـدوا

سمر الوجـوه شـداد مـن شـكيمتهم ظـل عـلى التربـة السـمراء ينعقـد

مـن كـل منفتـل الكشـحين محـترب ينسـل كالسـيف عريانـاً وينحـرد

لم تـأل خيفـة أشـباح مغاربـة فـرائص مـن بنـي صـهيون ترتعـد

فصـد دمـاً مغربيـاً لا كفـاء لـه بـين الـدماء زكيـات ولا قـود

دمـا يسـيل عـلى سـوح النـدي سرقـا وإنـه مثـل دمـع العـين يقتصـد

فصده تنجـد بـه الصـحراء في غـدها عرقـا بـأمس عـلى الجـولان يفتصـد

يـا نـاثرين عـلى البلـوى نفوسـهم طوعـاً فهـم كسر في سـوحها قصـد

يهدون للشرق أرواحاً إذا عصفت ... بهم وبالموت ريح قرة صرد
وزارعين على بعد قبورهم ... نوم الغريب على الأحجار يتسد
طخياء ملغومة بالرعب موحشة ... وكل شاهدة نجم بها يقد
نهجتم الدرب سمحاء شريعته ... بالتضحيات لمن يسعى ومن يفد

صحراء فجرك موعود بها يلد ... والمغربيون أكفاء بها وعدوا

***

يا رسول النضال

يا رسول النضال طبت مقاماً ... مثلما طبت عزمة واقتدارا
خالد أنت صنو اسمك ما سامرت ... ليلاً وما أضأت نهارا
حقب سلطت وأنت عنيد ... تقهر الموج مدة وانحسارا
تنجلي عنك غمرة فتوالى ... غمرة بعدها تجر غمارا
تتحدى ظلم الطواغيت لا ترهب ... ما يرغب الشجاع ضرارا
تطلب الموت للخلود اختيارا ... إذ جبان يهوى المهات اضطرارا

يا رسول النضال طبت مقاما ... وتقبل من دار أهليك دارا
وتصفح هذي الوجوه تجدها ... بك تشتد فرحة وازدهارا
باقة من غياض بغداد لمت ... خير ما لمت الورود نثارا
كن رسولاً من العراق إلى الشام ... خدينا يزجي الخدين الحوارا
واشع في ربوع جلق من بغداد ... صوتاً يهدي الجموع الحيارى

هو صوت للعمر والعصر والتاريخ يمــلي وقائعــاً لا تُمــارى

يـأنف المجـد أن تظـل زروع المجـد نهبـاً رهـن الريـاح اعتصـارا

زيفـوا دارة وحلـف رضـاع وفطـام مستوحشـات نفـارا

والليـالي تقـص منهم جناحـاً والرزايـا تغتـال منهم مطـارا

يـا رسـول النضـال ألـف سـلام لـك والقـادة الهـداة الغيـارى

***

شكر .. وعذر

مقـامي بيـنكم شـكر ويـومي عنـدكم دهـر

سيصـلح منكم العـذر إذا لم يصـلح الشـعر

***

أزح عن صدرك الزبدا

أزح عـن صـدرك الزبـدا ودعـه يبـث مـا وجـدا

وخـل حطـام موجـدة تنـاثر فوقـه قصـدا

ولا تحفـل فشقشـقة مشـت لـك أن تجـيش غـدا

ولا تكبـت فمـن حقـب ذممـت الصـبر والجلـدا

أزح عـن صـدرك الزبـدا وقـل، تعـد العصـور صـدى

أأنـت تخـاف مـن أحـد أأنـت مصـانع أحـدا

أتخشـى النـاس، أشـجعهم يخافـك مغضـبا حـردا

ولا يعلـــــوك خـــــيرهم	ولســـت بخـــيرهم أبـــدا
ولكـــن كاشـــف نفســـا	تقـــيم بنفســـها الأودا
كنســـج الـــدرع واثقـــة	بكـــون عيوبهـــا الـــزردا
ســـيطريها ، إذا انتقـــدت	مســـاوئها ، مـــن انتقـــدا
أزح عـــن صـــدرك الزبـــدا	ونهنـــه لاعجـــا رقـــدا
أعـــد للنبـــع سلســـلة	وزحـــزح آســـنا ركـــدا
فغـــيرك مـــن إذا أكـــدى	تـــرضى النـــاس والبلـــدا
تركـــت وراءك الـــدنيا	وزخرفهـــا ومـــا وعـــدا
ومـــا منتـــك مثقلـــة	بـــما يغريـــك أن تلـــدا
ورحـــت وأنـــت ذو ســـعة	تجيـــع الأهـــل والولـــدا
ظللـــت تســـارع الأســـدا	تريـــد المجـــد والصـــفدا
وتطمـــع تجمـــع القمريـــ	ـــن فخرهمـــا أن انفـــردا
ولـــولا ذا لمـــا وجـــدا	ولـــو وجـــدا لمـــا افتقـــدا
عجيـــب أمـــرك الرجـــراج	لا جنفـــا ، ولا صـــددا
تضـــيق بعيشـــة رغـــد	وتهـــوى العيشـــة الرغـــدا
وتـــرفض منـــة رفهـــا	وتـــبغض بلغـــة صردا
وتخشـــى الزهـــد تعشـــقه	وتعشـــق كـــل مـــن زهـــدا
ولا تقـــوى مصـــامدة	وتعبـــد كـــل مـــن صـــمدا
ويـــدنو مطمـــح عجـــب	فتطلـــب مطمحـــا بعـــدا
ويـــدنو حيـــث ضـــقت يـــدا	وضـــعت ســـدى ، وفـــات مـــدى

أفـــالآن المنـــــى مـــنح وكانـــت رغـــوة زبـــدا؟
وهبـــــك أردت عودتهـــــا وهبـــك جهـــدت أن تجـــدا
فلســــت بواجـــــد أبـــــدا عـــلى «الســبعين» مـــا فقـــدا

أزح عـــن صـــدرك الزبـــدا ولا تتـــــنفس الصـــــعدا
ولا تحـــــزن لأن قطعـــــت يـــداك الزنـــد والعضـــدا
وأن العـــــيش منهـــــزة وأن التضـــــحيات ســـدى
وأنـــك تطعـــم الأيـــام يـــوم الأحمقـــين غـــدا
ومـــاذا؟ بعـــدما درجـــت كحبـــات الســـنا بـــددا
رؤى كسراب خادعـــــة تقـــرب منـــه مـــا ابتعـــدا
ومهـــما تبتـــدع صـــورا مجنحـــة الـــرؤى جـــددا
فـــما لـــك غـــير واحـــدة بهـــا في «عبقـــر» وعـــدا
دم حـــل لمـــن فصـــدا وروح تأكـــل الجســـدا
وبشرى لا تحـــس بهـــا بأنـــك تـــزحم الأبـــدا
وهـــل رد الحيـــاة دمـــا لميـــت أنـــه خلـــدا

كفـــرت ولم أكـــن يومـــا بـــأول مـــؤمن جحـــدا
بكـــل النـــاس مجتمعـــا وكـــل الفكـــر معتقـــدا
فـــذا يعيـــا بمـــن وجـــدوا وذاك يلـــف مـــن وجـــدا
وينهـــد ذا عـــلى فـــزع ويقـــنص ذاك مـــن نهـــدا
ويلتقيـــان في شـــبح يمـــج البـــؤس والعقـــدا

ويغدو الفكر بينهما   ذليلا يخدم المعدا

أزح عن صدرك الزبدا   وهلهل مشرقا غردا

وخل «البوم» ناعبة   تقيء الحقد والحسدا

مخنثة فإن ولدت   على «سقط» فلن تلدا

سينهى «الفجر» وحشتها   ويلحقها بمن طردا

ويا خلا برمت به   إذا حاججته اجتهدا

ألا أنبيك عن نكد   تهون عنده النكدا

وردت وبيء جاحمه   ولا أرضاك أن تردا

بمجتمع تثير به   ذئاب الغابة الأسدا

عراة وهو مشتمل   على أكتافه اللبدا

ولو لم يثنه إلف   مرى شدقيه فازدردا

وخلق واخز خشن   قتاد الشوكة اختضدا

كأنك تزرع «الموت»   بأعينهم لمن حصدا

وكابوسا على مهل   يلف حباله مسدا

خفافيش تبص دجى   وتشكو السحرة الرمدا

ويعمى الضوء مقلتها   فتضرب حوله رصدا

وقطعان بمدرجة   تجمع حولها النقدا

تزيغ عيونها فزعا   تخاف الذئب أن يفدا

وصلف مبرق ختلا   فإن يزر نهزة رعدا

يـــزورك جـــنح داجيـــة ... يزيـــر الشـــوق والكمـــدا؟
فـــإن آدتـــك جائحـــة ... أعـــان عليـــك واطـــردا
مشـــى يلســـانه شـــلل ... وران عليـــه فانعقـــدا
يمـــزق فيـــك مجتمعـــا ... ويســـمن منـــك منفـــردا
فليـــت مشـــاهدا خرســـا ... فـــداء مغيـــب شـــهدا

و«بطـــن» ينـــتج الشـــعراء ... لا تحصـــيهم عـــددا
مـــدب الـــدود مـــن أصـــفى ... ومـــن أخـــوى، ومـــن بلـــدا
يـــوزعهم عـــلى «الـــعشرات» ... أكوامـــا بهـــا نضـــدا
ويفـــرزهم كـــأن بـــه ... طبيبـــا يفـــرز الغـــددا
يخـــال الشـــعر مزرعـــة ... تجـــد فســـائلا عـــددا
تـــرى أبـــدا مواســـمها ... طرائـــق، فصـــلت، قـــددا

وآخـــر يشـــتم الجمهـــور ... لـــف عليـــك واحتشـــدا
ويلغيـــه كـــأن لـــه ... بـــأن يلغـــى الشـــموس يـــدا
يعـــد الشـــعر أعذبـــه ... إذا لم يجتـــذب أحـــدا
ومـــا غنـــى ملحنـــه ... وعـــبر الحـــى والوتـــدا

وشـــعر خـــير مـــا وصـــفوا ... لحـــران إذا ابـــتردا
كطعـــم المـــاء، تســـمعه ... كأنـــك تقضـــم الجمـــدا
تحضـــن ربـــه همـــل ... موكلـــة بـــها كســـدا
حفـــاة بـــئس مـــا حـــذيت ... أديـــها خائســـا سردا

أبـــا الوثبـــات مـــا تركـــت | لجـــرد الخيـــل مطـــردا
يضـــج «الرافـــدان» بهـــا | ويحكـــى «النيـــل» عـــن «بـــردى»
ويهتـــف مشرق الـــدنيا | بمغربهـــا إذا قصـــدا
ومـــن ســـتطول مدتـــه | بـــما تتجـــاوز المـــددا
عيـــون الشـــعر تضـــمنها | عيـــون تـــأنف الضـــمدا
ويـــأبى أن يجـــف دم | طهـــور دم بـــه رفـــدا
ويـــا مـــن أتعـــب النـــاس | وخفـــق الـــبرق والـــبردا
ترفـــع فـــوق هـــامهم | وطـــر عـــن أرضـــهم صـــعدا
ودر في بـــرج كوكبـــة | تنـــور منـــك واتقـــدا
وكـــن كعهـــاد مـــاطرة | ســـقى ، ومضى كـــما عهـــدا
ودع فرســـان «مطحنـــة» | خـــواء تفـــرغ العـــددا
ألم تـــر ســـيف «كيشـــوت» | كســـف «النخلـــة» ارتعـــدا
ولا تحقـــد فـــما خلقـــت | يـــداك لـــرجم مـــن حقـــدا
فـــلا ذمـــا لمـــن جحـــدا | ولا حمـــدا لمـــن حمـــدا

وغـــافين ابتنـــوا طنبـــا | ثـــووا في ظلـــه عمـــدا
رضـــوا بـــالعلم مرتفقـــا | وبـــالآداب متســـدا
وجـــابوا عـــالم الفصـــحى | ولمـــوا منـــه مـــا شردا
فهـــم إن عميـــت ســـبل | يـــرون اللاحـــب النجـــدا
وهـــم لا يبســـطون يـــدا | تميـــز الغـــى والرشـــدا

وهـم يرثـون مـن صلحوا وهـم يخشـون مـن فسـدا
يـرون الحـق مهتضـما وقـول الحـق مضـطهدا
وأم «الضـاد» قـد هتكـت ورب «الضـاد» قـد جلـدا
ولا يعنـون ، مـا سـلموا بأيـة طعنـة نفـدا
بهـم عـوز إلى مـدد وأنـت تريـدهم مـددا

أزح عـن صـدرك الزبـدا ودعـه يبـث مـا وجـدا
وقـل : يـا نفـس لا تـردى عـلى أعقـاب مـن وردا
ويـا غـررا محجلـة سـعيت بهـا لمـن قعـدا
أثـرت غبـار حلبتهـا عـلى صـم فـما عبـدا
خـذى مسـعاك واسـتبقى مسـاف الشـوط والأمـدا
وعـاذرة إذا عثـرت صـواهل تنشـد الجـددا
وحسـبك ركعـة عرضـت وكـم مـن راكـع سـجدا

***

حبيبتي

حبيبتي منذ كان الحب في سحر حلـو النسـائم حتـى عقـه الشـفق
ومـد تلاقـي جناحانـا عـلى فـنن منـه إلى العـالم المسـحور ننطلـق
نصـون عهـد ضـميرينا وبيـنهما نجوى بها همسات الروح تسترق
يـا حلـوة المجتلى والـنفس غائمـة والأمـر مختلط ، والجـو مختنـق
ويـا ضـحوكة ثغـر والـدنى عـبس ويـا صـفية طبـع والمنـى رنـق

ويا صبورا على البلوى تلطفها حتى تعود كبنت الحان تصطفق
منى إليك سلام لا يقوم له سن البراع ، ولا يقوى به الورق
كأن نفسى إذ تغشين وحدتها إنسان عين بمرأى أختها عرق

حبيبتى لم تخالف بيننا غير إلا وعدنا لماضينا فنتفق
ولا اشتكى جانب فرط الجفاف به إلا ارتمى جانب مخضوضر أنق
نهش لطفا بلقياهم كما انتفضت عن الرياض سقاها الرائح الغدق
حبيبتى والهوى، كالناس ، خلقته تمل ما لم تغاير عنده الخلق
ما لذة الوصل لم يلو الصدود به والحب لم يختلس من أمنة الفرق
بئست رتابة لحن عوده وتر وبئس طعم حياة لونها نسق

تلك الثلاثون والتسع التى دلفت تستاقنا عنتا طورا وترتفق
للآن نعجب من ألواح سيرتها مما تشابك فيها الحلم والخرق
جعنا بها وشبعنا ، لا الغنى بطر ولا الطوى برم يجتره الأرق
تزيدنا ثقة بالنفس ضائقة كما يزيد جمال الضحوة الغسق
معا نعاطى بأنفاس مصعدة معذبين تعاطوا كأسنا وسقوا
كم ساء قوما غنوا عزا فما سكتوا مصاب قوم غنوا ذلا فما نطقوا
نصلى بنارين يصلى الخلق حرها سيان من حرموا منهم ومن رزقوا
فى اليسر نار لمسعورين أججها نبل وفى العسر نار شبها الحنق
ما إن نحس بها حتى تصيّرها بردا مصاير قوم قبلنا احترقوا
ماذا تظنين هل كانت لنا خير فيها عداها؟وهل كانت لنا طرق

وشركـــة ومآســـيها لهـــا ثقـــة ... بنـــا ونحـــن بعقبـــى أمرهـــا نثـــق

حبيبتى لم تصرف زحفنا «صـدف» ... كما يصرف زحـف الركـب مفترق
ولا اصطفى القـدر المظنون رحلتنا ... كنـا لهـا قـدرا يـمضي ويستبق
سرنـا عـلى الشـوك يـدمينا ونألفـه ... وفى مفـــاوز ترمينـــا ونلتصـــق
كنـا نـرى الجمـر مشبوبا ونحـترق ... ومغـرس الرجـل ملغومـا ونختـرق
مجـــانفين درويـــا ذل ســـالكها ... من فرط ما عبـدوا منهـا ومـا طرقـوا
كأن ما استمرأوا من رعيهـا حسـك ... فظ ، وما استعذبوا من وردها طـرق

حبيبتـــى مســـنا ضر بمجتمـــع ... كـل الـذى فوقـه فى ضـده شرق
تسـد فيـه فـراغ الـروح وحشـتها ... كـما يشـوه فتـق الريطـة الرتـق
كـأن مـا يتخطـى مـن حـواجزه ... حـواجز المـوت تخطوهـا فتنصـعق
نشـوى بأحكامـه يومـا ونرفضـها ... ونســترق لـــه يومـــا ونعتـــق
نســـوم أنفســـنا خســـفا يجنبهـــا ... خسـفا ويسـخر منـا النـاهز اللبـق
وبحسب العيش ما يغنى الكفاف به ... إذ الكفـاف لـدى مـن حولنـا حمـق
ونكـرم الحـرف أن يـودى الهـوان بـه ... ويســتبيح حمــاه الواغــل المــذق
ومـا سـلمنا مـن العـدوى تلاحقنـا ... فعنـدنا مـن ثيـاب نفضـت شـقق
وقـد أفـاض علينـا مـن جرائـره ... ما ساورت مسحة الآهات والحـرق
وبـئس ذاك عـزاء ، غـير أن يـدا ... تكـافح المـوج قـد يـوقى بهـا الغـرق

حبيبتـى سـيقص الـدهر قصـتنا ... حتـى ليكـذب أقـوام وإن صـدقوا
وكيـف لا وخفايـا أمرهـا عجـب ... بـــه علينـــا ضـــحايا سره غلـــق

ماذا لقينا؟ أنبدى مسخ خلقته ... أم سوف يلعن فيه الخلق والخلق؟
من شامتين تبنوا خزى مختلق ... وغاضبين ، وحيا ظل مختلق
أم سوف يندى من التاريخ زوره ... ما شاء وغد جبين بله العرق
لم يبق فى الغاب من ذئب به كلب ... إلا ومن دمنا فى نابه لعق
تشجعى كم أدال الحق من سفل ... داسوا عليه وكم ديسوا وكم سحقوا
لسنا بأول مخضوب دما هدرا ... ولا بآخر من يقفو ويلتحق
إن السهام التى ما راشها صيد ... ولا تكافى بها مرمى ومرتشق
كبرا صمدنا لها فاساقطت كسرا ... كما تساقط حول الأيكة الورق
لا نكذب الفخر ، فى أعماقنا عقد ... مسا يمج وفى أطباعنا علق

حبيبو والخطايا فى الورى نسب ... وللخطاة ، على ما أضمروا ، فرق
تبقى الجريمة يشتط العقاب بها ... حتى يمص دماء المجرم العلق
وللضمائر أفاق مجاوبة ... إذا دجا أفق جلى له أفق
وقد يثوب ضمير خاب آمله ... والنبع حتى من الجلمود ينبثق
ما نب شر فإن الخير يقحمه ... وما استقام الدجى فالنجم يأتلق
حبيبتى إنما أغرى اللئام بنا ... أنا جبلنا بطين غير ما خلقوا
خيطت عليهم جلود عندنا قرف ... من ريحها . وعليهم نثرها عبق
كم سرنا عسرنا مستعليا بدلا ... عن يسرهم يمتطيه الذل والملق
نفوسنا كئياب فوقهم جدد ... وثوبنا كنفوس عندهم خلق

حبيبتى وسيبقى منك مصطبح ... تندى على حواشيه ومغتبق

وسوف تستل من ريعان نشوته ... مرارة بشغاف القلب تعتلق
مرغت زهوك فى شوكى أجرره ... فكل أوراقه منزوعة . مزق
وقد تحملت عنى وزر محترب ... فج بعاتقه من حمله رهق
محلما فوق ما ترضى الحلوم به ... ومستخفا بما لا يطمع النزق
وحابس رأيه والنفس نازعة ... وحابس نزعها والرأى منطلق
يغشى المكاره لم يفحص مضاربه ... والسيف يفحص حداه ويمتشق
إن الجبين الذى ضوى جوانبه ... من جعد شعرك ما قد زرد الحلق
مشت عليه تجاعيد يضاربها ... عبر الغيوم صباح مشرق ألق
كم من يد لك فيها صنت لى قدما ... كادت على النمرق المفروش تنزلق
على التى تسحر «الغاوين» تفجعهم ... بالعبقريات ترقيها فتنمحق
شقوا الأعاصير خفاقين أشرعة ... واستروحوا النسم الغافى فما خفقوا

إنى وعينيك لا أمنى بداجية ... إلا وأنت لى الإصباح والفلق
سألتنى أمس فى نجوى يهز بها ... خوف النهايات من هاموا، ومن عشقوا
علام يجمع فى إبان غفلته ... شمل وإذ يزدهيه الوعى يفترق
حبيبتى ما يزال السر فى عمه ... على أسارى بأنياب الردى علقوا
تقحموا عالما غمت مصايره ... كأنهم من مصير غيره سرقوا
لا يستطيعون فكا من محاوره ... إلا إذا اسطاع فك المحجر الحدق
من كل مستغفل خطت منيته ... عليه ليلة وافى أمة الطلق
وإذا عجبت فمن «معلوفة» درجت ... ترعى «الهشيم» ويستبقى لها رمق
جيلين فى قبضة الجزار لا أمنت ... على الحياة، ولم تضرب لها عنق

نقائض يرسف العقل الطليق بها ... وإن تفلسف أقوام ، وإذ حذقوا
أولا ، ففيم عفاريت موكلة ... بالموت ما رعدوا فينا وما برقوا
وفيم زهو الصبا واللطف يسحقه ... والحب ، والخير عات سادر نزق
تقلص الجهل حتى دق مفحصه ... وسمن العلم حتى كاد ينفلق
واصاعد الفكر حتى الكون فى رهج ... به ، وحتى نسيج الكون منخرق
وما يزال الأذى ، والبؤس مرتهنا ... والحقد والخبث والإدقاع والقلق
وما تزال حضارات مشعشعة ... فى قبضة الذر وحشا يوم ينطلق

***

فاتنة ورسام

وقال «محمد المصباح» يوما ... لفاتنة من الغيد الحسان
من «الجيك» السواحر لست تدرى ... بهن المحصنات من الزوانى
هلمى ارسمنك غدا.. ... فقالت غداة غد وفى المقهى الفلانى

فقال:

يمر سمى حيث استتمت ... من الرسم المعانى والمبانى

فقالت :

لا.. ومن أعطاك ذهنا ... وعلمك التفنن فى البيان
أداة الرسم تحملها سلاحا ... على فخذيك مشحوذ السنان
ولكن كل ما تبغيه منى ... خفوت الضوء فى ضنك المكان

***

طال ليلى

طال ليلى .. أما لصبح طروق ... فيولى .. أما لشمس شروق

وتغيب الشموس عندى ومشوا ... هن ناء فى الصدر منى سحيق

يزحم الهم مثله مستميتا ... مثلما يزحم الغريق الغريق

شاغلات فراغه ، لا يخلى ... عن طريق ، ولا يعاق طريق

يا نديمى .. وللطموح جموح ... عن سواه ، وللنجوم خفوق

والهموم المعذبات نعيم ... للمعنى ، يصلى بها وتروق

لا تخفف همى .. وأنت الشفيق ... أنا بالهم والعذاب .. حقيق

***

رسالة ..

إلى محمد على كلاى

من:

محمد مهدى الجواهرى

تلاكم وخصمه فهزمه

وأدماه فحاز إعجاب العالم وملايينه

يا مطعم الدنيا- وقد هزلت- ... لحما بشحم منه مقطوب

ومزيرها يقظى وغافية ... أطياف بادى البطش مرهوب

يا حالبا من ضرعها عسلا ... عن غير سم - غير محلوب

ومرقصا منها كما انتفضت ... نطف الحباب بكأس شريب

وكـــما تراقصـــت الــــدمى عبثـــا ... مـــا بـــين تصـــعيد وتصـــويب
ياطاعنــــا أعجـــاس صــــفوتها ... بمطــي شــديد الصــلب أهــوب
شســـع لنعلـــك كـــل موهبـــة ... وفــداء «زنــدك» كــل موهــوب
وصـــدى لهاتـــك كـــل مبتكـــر ... مــن كــل مســموع ومكتــوب
مــن كــل مــا هجــس الغــواة بــه ... عــن فــرط تســهيد وتعــذيب

يـــا ســـالبا بجـــماع راحتـــه ... أغنـــى الغنـــى ، وأعـــز مســلوب
مـــا الشـــعر؟ .. مـــا الآداب؟.. ... ما بدع للفكر؟ ما ومضات أسلوب
شســـع لنعلـــك كـــل قافيـــة ... دوت بتشريـــــق وتغريـــــب
وشـــدا بهـــا الســـمار مالئـــة ... مــا يفــرغ النــدمان مــن كــوب
ومعيلهـــــا يجـــــتر مـــــن ألم ... دام عــلى الأســلات مســحوب
يلغـــى وينفـــى شـــأن منتبـــذ ... ســقط مــن الأغــلاط مشــطوب

يـــا ســـيد «اللكـــمات» شـــامخة ... تهـــزا بمنســـوب ، ومحســـوب
ومربـــب الضربـــات ، مـــا مســـحت ... يومـــا عـــلى أكتـــاف مربـــوب
مجـــد ذراعـــك ، إنهـــا هبـــة ... أغنتـــك عـــن أدب وتأديـــب
محبوكـــة «الأليـــاف» في نمـــط ... عجـــب ، معنـــى فيـــه ، مطلــوب
وتغـــن فيهـــا ، واســـتجد لهـــا ... غــــزلا ، ولا تبخـــل بتشـــبيب
لله نســـجك ... أي ذي عصـــب ... مــن عــالم القــدرات مجلــوب
مـــا كـــان إلا أن مـــددت بـــه ... ســـببا لمجـــد جـــد مكـــذوب
حتـــى انثنيـــت بخـــير مـــا حفلـــت ... حلبـــات مـــوروث ومكســـوب

يفـدى عروقـك كـل مـا حملـت ... أعـــراق داود ، ويعقـــوب
ونثـــار عرســـك كـــل مقـــترن ... مـن خاطـب عرسـا ، ومخطـوب

ســبحان ربـك كيـف عوضـنى ... عـن «حومـل» قفـر و «ملحـوب»
ربعـــا أنيســـا فى ملاعبـــه ... مـا شـئت مـن لهـو وتطريـب
متحاضـــنين ، وبيننـــا ملـــح ... مـن عاتـب صـب ، ومعتـوب
نتبـــادل «اللكـــمات» نحســـبها ... قـبلات محبـوب ، ومحبـوب

يـا سـيد «اللكـمات» : يسـحرها ... ذهبـا بـذهن منـه مشـبوب
نحـن الرعيـة ..عشـت مـن ملـك ... بمفـاخر «العضـلات» معصـوب
زنـد بزنـد .. والـورى تبـع ... لكـما ، وعرقـوب بعرقـوب
مرغـه .. مـزق ثـوب سـحنته ... رقعـة مـن دمـه بشـؤبوب
لدغـه بـالنغرات لاذعـة ... مـا لم يلـدغ سـم يعسـوب
سـلمت يـداك ..أأنـت صـغتها ... أم صـوغ رب عنـك محجـوب

قـل لى – أبيـت اللعـن – ممتـدحا ... وكرمـت عـن لـوم وتثريـب
الملهمـون أأنـت ترسـمهم ... خـولا مـن الشـباب والشـيب
خـدما «لـقصرك» صـنع سـاحرة ... ذى ألـف سـقف فيـه مـذهوب
ذى ألـف «باطيـة»وسـاقية ... وبـألف رعبـوب ورعبـوب
أم أنـت تخشـى أن تعيـث بـه ... نـزوات «مرعـوص» ومجـذوب
«أمحمـد» والـدهر ملحمـة ... مـن غاصـب عـات ومغصـوب
والنـاس ذؤبـان تضـيق بهـا ... أسـلاب تثقيـف ، وتهـذيب

لا يرتضون- لفرط مكلبة - ... وثبات ذئب غير مكلوب

ويصفقون لمحرب شرس ... ويبصقون بوجه محروب

يذكى «الهراش» حماسهم طربا ... لدم بعرف الديك مسكوب

وكأنهم يسقون صافية ... بنزيف رأس منه منخوب

و«الثور» ، تصطخب الجراح به ، ... مدعاة تهليل وترحيب

وكأن مرتكز الرماح به ... نغم بعود منه مضروب

كن حيث أنت تجئك صاغرة ... دفع اللهى ، والزهو ، والطيب

تسعى لذى بطر ، وقد زويت ... عن نابغ ، أسيان ، مغلوب

كم «عبقريات» مشت ضرما ... فى جنح داجى الجنح غربيب

وتنفست رئة الحياة بها ... من بعد تعبيس ، وتقطيب

عاشت وماتت فى حمى جشب ... جاس ، شتيم العيش مسبوب

مجلودة – تلوى أعنتها – ... بسياط ترغيب ، وترهيب

بمرجمين .. نهار مرتخص ... وبليل نابى الجنب ، مرعوب

حجج مئون ، دون شهقتها ... شهقات مخنوق ، ومصلوب

أعطت ، وأغنت واسترد بها ... أنفاس محزون ، ومكروب

ما عادلت أعشار «ثانية» ... عمرت بساح موحش موبى

تلك «الملايين» التى سحبت ... سحب «المخاضة» عبر «أنبوب»

نثرت على قدمين خضبتا ... بدم لآخر منه مخضوب

يا أيها «العملاق» نازغه ... «قزم» على سبب .. وتسبيب

كم جاء دهرك بالأعاجيب — من كل مرفوض ومشجوب

كم راغب نحى، ومرتغب — وكم استعز بغير مرغوب

وكم اصطفى هملا بنادرة — وكم ابتلى فحلا بمجبوب

شسع لنعلك كل موهبة — وفداء زندك كل موهوب

***

أبا مهند

أبا «مهند» لا آذتك نازلة — ولا تخطت إلى عليائك العلل

ولا خلت منك سوح الفضيل عامرة — بها إذا غبت عنها ساعة خلل

وظلت كالفجر ضوء منك منطلق — يهدى العصور، وهدى منك مقتبل

يا كاسى الجيل من أفضاله مننا — منها تتيه على أكتافه حلل

وحاضن «اللغة الفصحى» وقد عبثت — بها الجهالة .. والأخطاء .. والزلل

ومطلع الفكر فى ظلمائها قبسا — كما يحول روضا يانعا طلل

يهنيك أن ربوع العلم تحتفل — بأن سلمت .. وسوح المجد تبتهل

***

طنجة

لله درك «طنج» من وطن — وقف الدلال عليه والغنج

الليل عن جفنيك منطلق — والصبح عن نهديك منفرج

تتخالف الألوان فى شفق — ويلمها غسق فتنمزج

مرج من «البحرين» فوقهما — ضوء النجوم يرف والسرج

تهفو الرمال إليه ناعمة ... والسفح والأمواج .. و«القبج»
صفت النفوس فلفها مرح ... يهفو بها ، وتلاقت المهج
فيد على خصر ، ولا رصد ... وفم على ثغر ، ولا حرج
وتعلى العيون من الأسى رهج ... وعلى الوجوه من الجوى وهج
تغفين والأطياف حالمة ... فى كل مغنى فيك تختلج

***

تنظم الشعر

أو

غزل فى الجو ...

وقالت : انظم الشعر ... فقلت : وها أنا الشعر
خذيني بين كفيك ... فذاك «العجز» والصدر
وصوغيني كما تهوين ... سطرا حذوه سطر
وشطرين سويين ... وأى شئته شطر
ألا يا حلوة العينين ... يا من حلوها مر
ويا مشبوبة الخدين ... عندى منهما جمر
عبدت الحب .. والشعر ... وكل منهما ..كفر

***

آليت

آليت أبرد حر جمرى ... وأديل من أمر بخمر

وأقـايض البلـوى بأيـة ... بسـمة عـن أي ثغـر
بنشـيش كأسـي بالحبـاب ... بخمرتـي ، ببنـات شـعرى
يـا رب يـوم لي غنيـ ... ـت بساعة عـن ألـف شـهر
خلـت الحيـاة بـزوغ فجـ ... ـر عنـده بضـفاف نهـر
وكـأن لي مـن بـرد معـ ... ـسول الرضـاب دنـان خمـر
وحسـبت أنـي داهـر ... مـا شـئت أرغـم أنـف دهـري
ونسـيت أنـي مضـغة ... في شـدق أرقـط مسـتسر

آليـت أمضي بـالعيون ... سـواحرا نفثـات سـحرى
وألحـن الأمـواج في ... شـعرى عـلى أمـواج بحـر
وأخـيط مـن مـزق الغـمام ... مطارقـا لبنـات شـعرى
وأصـب في الأنفـاس مـن ... خضر الربـى نفحـات عطـرى
وأصـون عشـي وادعـا ... صـون الحـمام أليـف وكـر

آليـت بعـد تمـرس ... بالـدهر مـن كـر وفـر
ووقيعـة أنكرتهـا ... شـنعاء مـن «زيـد» بعمـرو
أن أفتـدى بـدمي جريـ ... ـحا كـان أن أريـده نـذرى

أوقفـت شـطرى في الشـدائد ... كـي يـروح وقـاء شـطرى
حتـى إذا انفرجـت ريـاح ... الـدهر عـن نكبـاء صـر
يتكالـب الشر المحيـ ... ـق بهـا ، فيلجـا لـلأشر
عرضـت وجهـي للحتـوف ... دريئـة وأسـلت نحـرى

آليت أمتحن الرجولة ... يوم ملحمة وعسر
وارى رجولات الفتى ... ما كان من نفع وضر
وكريهة ملمومة ... لم ألف عنها من مفر
لم أعتذر عنها ، وعنـ ... ـدى لو أراوغ ألف عذر
وكريهة لم تكتشف ... فدفنت جاحمها بصدرى
ألفيتها خير الثواب ... لمنبه فى الناس ذكرى
من صنع وغد فجرة ... من كل ذى بر أبر
ومساوين على الحروف ... كأنها تنزيل ذكر
مدوا العريان الضمير ... يدا بزعمهم تعرّى
ماذا تعرى إنها ... شية الحجول على الأغر
يا زاحمين بطهرهم ... طهر الملائك يوم حشر
شتأن أمركم وأمرى ... أنا ذا أنوء بثقل وزرى
أنا ليس لى عسال «عنـ ... ـترة» ولا صمصام «عمرو»
عمرى سيقطع رحلتى ... أنال ليست أقطع شوط عمرى
شاخ الجواد ولم يزل ... تعتامة صبوات مهر
طلق العنان فإن كبا ... نفض العنان ، وراح يجرى
ولقد أقول وفى الثرى ... رجلى ، ونفسى فى المجر
سبحان من جمع النقائض ... فى من خير ، وشر
عندى كفاف «حمامة» ... فإذا استثرت فجوع «نمر»
أسرجت للأزمات مهرى ... وخبرتها ، وحزمت أمرى

وجــمـــدت في الكــــرب الشــــداد | صــــمود إيمانـــــي لكفــــرى
ســـــبعون في ســــوح الجهـــــاد | نـــــذرتها ، ووفيـــت نــــذرى

ومبــــــارزين ســـــــلاحهم | أن لســــت نــــد ذوات ظفــــر
أمنـــــوا بعصـــــمة صــــافح | عــن كاشــفى الســوءات نكــر
مثــــل «القـــــواحش» يحتميــــ | ــــن بفحشـــهن ، بــأى ســتر
مســــــتعبدين توارثـــــوا | حقــب التملــك ، والــتسرى
ومســـــخرين فهــــم لديــــ | ــك وهــم عليـك لقــاء أجــر
ومخنــــــث لم يحتســـــب | في ثيـــب خطبـــت وبكـــر
أقعـــــى .. وقــــاء ضـــميره | مــلآن مــن رجــس وعهــر
كـــــذناب «عقربـــــة» لهـــا | ســم عــلى العــذبات يجــرى
غـــال كـــأرخص مـــا تكـــون | أجـــور غـــير ذوات طهـــر
لم يعــــل قـــدرى مدحــــه | وبذمــــه لم يــــدن قــــدرى
أســـــــــلمته للمبتليــــــ | ــــن العـــارفين بـــه بـــمصر
ولـــــن بــــرى أظفــــاره | قلـــم المباحـــث والتحـــرى
يضـــوى بـــما يغــــذى بــــه | شــهم ، ويســـمن بــالتهرى

ومقــــامرين عـــلى «الجـــواد» | فكبـــــوة منـــــه بقمـــــر
حســــدوا الفتـــى في نعمــــة | مــن دون مـــا نشــب ووفــر
مــــن دون مــــا ورق ســــوى | ورق مــــن الجنــــات نضر
لـــــولا خفــــوق جناحــــه | لم تعــــترف وثبــــات نسر

عاشـــوا عـــلى ســـاع لســـاع ... وهـــو مـــن عصر لـــعصر
يحصـــون وقـــع مزاحفـــى ... وكـــأنهم أشـــياخ «بـــدر»
دنيـــا تلـــوذ بواحـــة ... إذ ألـــف قصر رهـــن قفـــر
أفكـــان ذنبـــى أننـــى ... أنشـــودة فى كـــل قطـــر
أو أن تـــروح قصـــائدى ... وكأنهـــا نفثـــات ســـحر
خسرى خســـارة أمـــة ... وكـــأن ربحهـــم بـــخسرى
يـــا صـــامدا .. والنـــازلات ... الســـود تخلـــق ثـــم تفـــرى
عجبـــا للحمـــك لا يطـــا ... ق أقـــد مـــن زبـــر ، وصـــخر
كـــم صـــل عنـــد كعوبـــه ... للـــوحش مـــن نـــاب وظفـــر
يـــا صـــاحبى فى الباحـــة القصـــوى ... وأنـــت أخـــى وذخـــرى
هونـــت كيـــد الكائديـــ ... ـــن تمـــد فى جلـــدى وصـــبرى
أكبرتنـــى أن أختشـــى ... وغـــدا وأن أعنـــى بغـــر
وضربـــت لى أمثولـــة ... بـــأبى المحســـد والمعـــرى
يـــا ســـيدى .. ونـــداك ذخـــرى ... ونثـــاك مجمرتـــى ، وعطـــرى
شـــكرا وتلـــك هديـــة ... يعيـــا بهـــا فرحـــى ، وشـــكرى
إن الرجولـــة حـــرة ... كـــالبحر فى مـــد ، وجـــزر
بنـــت الطبيعـــة .. كالنـــدى ... كـــالبحر ، كالنســـمات تسرى
كـــالزهر يحمـــل شـــوكة ... ويجنبـــه نفحـــات عطـــر
يغشـــى الهجـــير مغاضـــبنا ... ويـــرق مثـــل نســـيم فجـــر
مـــا أهـــون الـــدنيا إذا ... ضـــاقت بســـمح الـــنفس حـــر

وإذا انتهـــى أمـــر الأديـــ ـــب بهـــا إلى نهـــى وأمـــر
وإلى مـــدى مـــا في القـــراع المـــر مـــن نفـــع وضر
لا خـــير في ومـــض النجـــوم إذا خبـــت ومضـــات فكـــر

أمـــا حـــديث المشرقيـــ ـــن فملتقى نحرى، وسحرى
ضـــاقت قبـــور الملهميـــ ـــن فـــألف موهبـــة بقـــبر
إنـــي دريـــت، وليتنـــي كنـــت الجهـــول، فلســـت أدرى
بـــالمنعظين رؤوســـهم كـــبرا، نتـــاج صـــغا وصـــغر
وبكـــل منعفـــر الجبيـــ ـــن أرب مـــن فحـــش وهجـــر
يبـــدى العفـــاف، وربـــه ومربـــه فضـــلات تـــبر
ســـحتا يســـمن نحـــره بـــدم الأضـــاحي يـــوم نحـــر
ومســـارج مزعومـــة في حومـــة الآداب غـــر
حـــولى .. ولا أدرى بهـــن كـــأنهن نجـــوم ظهـــر
حتـــى إذا زحـــف الظـــلام بجحفـــل للخطـــب مجـــر
لم ألـــف حـــرف ذبالـــة تهـــدى الســـبيل مـــدب شـــبر

خاســـت براعـــات تخـــش كـــأعظم في القـــبر نخـــر
ومســـعرات ضـــغائن تتآكـــل الأضـــلاع وغـــر
ليـــت القـــذاة بـــأعين مســـمومة النظـــرات خـــزر

مـــن ذا يخلـــص أمـــة أخـــذت عـــلى طـــوع، وقسر
مـــن نفســـها، مـــن آمـــر فيهـــا، ومـــن خـــدم لأمـــر

مثـــل «المــــوالى» شرفـــت نســـبا إلى «مضر» و «فهـــر»
يتملكــــــون رقـــــابهم ملـــك الجـــزور ليـــوم نحـــر
مـــن كـــل «فرعـــون» بهـــا مـــن تحتـــه الأنهـــار تجـــرى

***

آه على تلكم السنين ...

آه عـــلى تلكـــم الســـنين تياهـــة العطـــف بـــالجنون
نمشـــى ملوكـــا بهـــا حفـــاة عروشـــنا مـــترف المجـــون
نســـقط فى الحـــاضر المـــواتى مـــا يحمـــل الغيـــب مـــن جنـــين
ولا نخـــاف الغـــد المعمـــى ولا نبـــالى بـــالمنجنون
ولا نعـــير الأفـــلاك ســـمعا أفى حـــراك أم فى ســـكون
نشـــك أنـــا صرعـــى غـــواة فنقتـــل الشـــك بـــاليقين
جراحنـــا لســـن بـــالمواضى وحقـــدنا لـــيس بالـــدفين
زكـــل آهاتنـــا الخـــوافى تســـحقها الكـــأس بـــالرنين

نشـــدو نشـــاوى فى جحـــر ضـــب شـــدو العصـــافير فى الوكـــون
وتســـتدر النفـــوس طوعـــا مـــدرة المضرع اللبـــون
ونـــزدرى حاقنـــا معنـــى بسره الأحمـــق المصـــون
وشـــحة فى «الجيـــوب» منـــا تخـــزى بهـــا شـــحة الضـــنين
وعـــين «خمارنـــا» المجـــافى ترقـــت منـــا ســـوم الغبـــين
لا نســـتطيع الفـــرار منـــه ألا بشـــان «منـــا» رهـــين

و «النـــدل» إذ نســـتدين منـــه ... دريهـــمات عـــلى ضـــمين
إذ نتهجـــى شـــتى حـــروف ... تـــفضى إلى «حرفـــه» الـــرطين
وعنـــا بالســـباب منـــه ... ووجهـــه النـــافر البـــدين
وخرقـــة كـــالقماط لفـــت ... ضـــنكا عـــلى مكـــرش بطـــين
ثمـــة نزجـــى أحـــلى القـــوافى ... نرثـــى بهـــا ميـــت الـــديون
آه عـــلى تلكـــم الســـنين ... بـــالآه بيعـــت وبـــالحنين
نخـــبط ســـت الجهـــات فيهـــا ... لا ليســـار ولا يمـــين
نحســـب أنـــا لكـــل حـــين ... وكـــل حـــى فـــرهن حـــين
يـــذكى فتـــون الشـــباب فينـــا ... مـــا فى اللبانـــات مـــن فتـــون
لا نتعـــزى عنهـــا بجـــاه ... ولا بـــمال ، ولا بنـــين
نســـحب فى غـــزوة وأخـــرى ... ذيـــول فـــتح لنـــا مبـــين
نـــأتى كنـــاس الغـــزال صـــبحا ... وفقـــنص الظبـــى فى الكمـــين
رنـــق فى عينـــه نعـــاس ... ثقـــل مـــن خفقـــة الجفـــون
و«القـــرط» ملقـــى إلى اليمـــين ... و «المـرط» شـعث من الغضـون
والشـــعر نســـل عـــلى التراقـــى ... حفـــل ، وحفـــل عـــلى المتـــون
وبســـمة فى الشـــفاه حـــيرى ... كبســـمة الحـــالم الحـــزين
ونظـــرة خلتهـــا هتافـــا ... مـــن نغـــم أخـــرس مبـــين

آه عـــلى تلكـــم الســـنين ... تهصر مـــن رقـــة ولـــين
مـــن مرجـــع شمســـها ربيعـــا ... وليلهـــا مشرق الجبـــين
أيـــام رب الغـــواة ربـــى ... والفجـــر بـــين النخيـــل دينـــى

وكـــل مـــا يزدهـــى فتيـــا | يلهـــب نفســـى ويزدهينـــى
أيـــام لم نلـــف فى النــــدامى | مثـــل الصـــعاليك مـــن قـــرين
أنفـــس مـــا فى الوجـــود كنـــزا | خبـــئ فى دمنـــة وطـــين
وخـــير مـــن دب مـــن أمـــين | لمـــن يصـــافى ، ومـــن خـــؤون
يهـــزون مـــن «عبقـــر» وواد | يحـــل ، خـــال مـــن القطـــين
وكلهـــم إن حمـــى وطـــيس | عربيـــد جـــن ، أخـــو فنـــون
ينـــوون حجـــا إلى «المصـــلى» | إذ هـــم غـــزاة عـــلى «الحجـــون»
ويحســـبون المـــال «المخبـــا» | دينـــا يقـــاضى مـــن المـــدين
نفقـــدهم ثـــم نلتقـــيهم | فى القبر ، فى القفر ، فى السجون

آه عـــلى تلكـــم الســـنين | إذ نحـــن مـــنهن فى شـــؤون
وإذ ولاة الأمـــور منـــا | شرائـــح اللحـــم فى الصـــحون
فى كـــل آن إذا اشـــتهينا | نفـــدى بعجـــل مـــنهم ســـمين
مـــا إن نبقـــى فيـــه مـــدبا | للطعـــن مـــن كثـــرة الطعـــون
نســـب «بـــيض» الأعنـــاب مـــنهم | و «الســـود» قطفـــا وفى الغصـــون
لا نتـــوارى نخـــاف عينـــا | ولا نـــورى خـــوف «الأذيـــن»
إذ كـــل مستصـــعر مريـــد | يمســـخ فى صـــاغر مهـــين

آه عـــلى تلكـــم الســـنين | مـــبرءات مـــن الظنـــون
مغفـــلات وجـــدن منـــا | أى حـــرى بهـــا ، قمـــين
ذبنـــا بهـــا معـــدنا خليصـــا | يســـبك فى معـــدن ثمـــين

طيـــف حبيـــب رمـــت إلينـــا — بـــه مرامـــى نـــوى شـــطون

ولمـــح وجـــه يثـــير فينـــا — نجـــوى خـــدين إلى خـــدين

نحـــار ، أن حومـــت رؤاه — تهـــز منـــا حبـــل الـــوتين

أكـــان ســـحرا يعمـــى عيونـــا — أم نحـــن ، غفـــلا بـــلا عيـــون

وذكريـــات حلـــو شـــجاها — وأى ذكـــرى بـــلا شـــجون

يطيـــل مـــن عمرهـــا تلظـــى — أســـيان ، فى عمـــره ســـجين

يرقـــب فى غفـــوة وأخـــرى — غـــولا يســـمى «ربيـــب المنـــون»

آه عـــلى تلكـــم السنين

***

بعد العرس

مـــرت ســـنين ســـود ثـــلاث — وكـــل يـــوم مـــنهن عـــام

وأنـــت مـــن «واعـــل» حـــلال — ومـــن عميـــد صـــب حـــرام

يقظتـــه أنـــت فى نهـــار — وأنـــت فى ليلـــه المنـــام

عجـــت بمغنـــى الهـــوى عليـــه — منـــى وإن صـــوح الســـلام

قفـــر فـــلا ظبيـــة لعـــوب — فيـــه ، ولا يصـــدح البغـــام

وســـاحه مـــوحش حـــزين — يلقـــط حبـــا بـــه الحـــمام

كـــأن حيطانـــه حصـــيد — شـــب بعيدانـــه ضرام

واصـــعدت آهـــة ، وغطـــى — عينـــى مـــن رهبـــة قتـــام

وددت لـــو كـــان لى مقـــام — أو أن لحـــدى فيـــه يقـــام

يــا لليــالى .. فى أمــس ضــوى وحشــة لــيلى هــذا الحطــام

يــا حلــوة المجــتلى ســلام كيــف التــوى العهــد والــذمام
كيــف انطــوت صــفحة وأخــرى فواحــة مســكها ختــام
يــا حلــوة المجــتلى ، ســلام قريــرة العــين إذ تنــام
تــدرين أم لا؟ .. إنــى حطــام غلفــه اللحــم والعظــام

يــا حلــوة المجــتلى ، فــداء لوجهــك الأوجــه الوســام
عريــك عــرى الرمــال بكــرا لم يتهــدج بهــا النعــام
وحــين تكســين فــالروابى خضر تمشــى بهــا الغــمام

حطمــت قيثــارة وأخــرى مما اشــتكى الوجــد والهيــام
أعلــم أن لا تصــغين ســمعا أريــد أن يســمع الأنــام
فــيم عــلى صــخرة عتــاب وفــيم عــن صــدها مــلام
هــل غــير أن تتعــب القــوافى وغــير أن يــرخص الكــلام
يــا لــك «ســبعين» لا تــوفى نــذرا ولا يخمــد الضرام
لا يعــد ذام قبــيح صــنع مــن حلــو وجــه عــداه ذام

أديمــة أنــت عنــد «رومــا» ســح ، وعنــدى بــرق جهــام
عرســك لا كــان مــن مشــوم يــرفض عــن مــأتم يقــام
لا بوركــت بيعــة حوتــه ولا زكــا «قســها» الإمــام
وليــت «عشــا» أفرخــت فيــه قوضــه الــبغض والخصــام

و«غرفـــة» تسرجـــان شـــبت نـــارا لهـــا أنـــتما طعـــام

فـــإن ظلـــما دم بـــريء وإن عـــدلا منـــه انتقـــام

أعجـــب بشرع الغـــرام شرعـــا يـــدان فيـــه مـــن لا يضـــام

ولـــيس منـــه مـــن لم يغـــرر بـــه ، ولم يخفـــر الـــذمام

أعجـــب بـــه حـــائرا عســـوفا وهـــو بهـــذا ، وذا ، إمـــام

النـــاس مـــن حولـــه ســـجود فهـــم قعـــود لـــه ، قيـــام

قلـــت وقـــد راعنـــى مصـــاب إنـــا لنـــار الهـــوى طعـــام

عـــلام يلـــوى بالحـــب بغـــض وفـــيم ضـــنيم ، ومستضـــام

قـــالوا : نظـــام يســـوم كونـــا قلـــت وهـــل كـــائن ســـوام

أفظـــع مـــن أخـــرق مســـود ســـيده الأخـــلاق ، النظـــام

***

لغة الشباب ، أو حوار صامت

شـــمرت أردانـــى لنصـــف وغســـلت أثـــوابى بكفـــى

ونشرتهـــا للشـــمس للنـــظرات ، لـــلأرواح تســـفى

خالفتهـــا عـــدا ، ولونـــا خولطـــت صـــنفا بصـــنف

مـــا بـــين أربـــد لا يشـــف وبـــين مفضـــوح أشـــف

وظللـــت أرمقهـــا بأســـجاح . وترمقنـــى بعنـــف

لغـــة الثيـــاب عرفتهـــا وأجـــدتها حرفـــا بحـــرف

لم أنخـــدع برفيفهـــا علـــما بـــما تحـــت المـــرف

فلطالمـــا خفقـــت عـــلى شرس كجلـــد «الفيـــل» جلـــف

ولطالمـــا خلقـــت عـــلى ... ســمح كضــوء الفجــر عــف
نعظــــت إلى رؤوســـــها ... فيهـــا تغـــامز ألـــف طـــرف
واســـتلت الأكـــهام ألـــ ... ـــسنة مؤمنـــة .. تقفـــى
قالـــت بأفصـــح مـــا احتـــوت ... لغـــة بـــلا نحـــو وصرف :
حقبـــا طـــوالا كنـــت إلـــ ... ـــفك بـــرة يـــا شر إلـــف
درء الحتـــوف عليـــك كنـــت ... وفى يـــديك مـــدب حتفـــى
يـــا مولعـــا أبـــدا بطرحـــى ... - يتقـــى وضرى - وحـــذفى
مـــا كـــان مـــن درنـــى ، فمنـــ ... ـــك ومـــن دم غثيـــان صـــلف

كـــم أنـــت قـــاس .. يـــا بـــن حـــواء ... مولعـــــة بخصـــــف
هربـــت مـــن «العـــرى» الطهـــور ... وجنـــة تـــدوى ، وتشـــفى
وتقيلـــت «وعثـــا» تفجـــر ... عـــن قلـــوب فيـــه غلـــف
أعطـــاك مـــن ســـواك مـــلء ... العـــين مـــن مـــرح وظـــرف
أظفـــار غـــول ســـبطة ... ونيـــوب ذئـــب غـــير عقـــف

مـــا أفحـــش الغـــاوى بصـــاعر ... قـــوة .. ومهـــين ضـــعف
يعـــرى ، فتحســـب ، أنـــه ... «قـــرد» تنـــزى تحـــت ســـقف
مـــا كـــان أحـــوج مـــن يرقصـــه ... إلى «صـــــنج» و «دف»
فـــإذا تقمصـــنى تبخـــ ... ـــتر لا يطـــاق مـــن التكفـــى
وانصـــاع «كالطـــاووس» يســـ ... ـــحب ذيلـــه فـــوق المـــزف
كـــم بينـــه عرمـــا يشـــب ... حريـــق ملحمـــة ويطفـــى

يطأ الرقاب .. وبينه قزماً بسروال وخف ؟
سمج الملامح فرط ما غصب الضمير على التخفي
وكأن فوق جبينه «طغراء» مسكنة وخسف
يعمى .. ويحقر نظرتي ويذوب في نظرات خشف
وأراهما «وحشين» في قفصين .. قدام وخلف

سفها أريدك وادعاً يفتر عن لمحات عطف
وأنا التي عرفتك إعصاراً يدمر غب عصف
لم تأل تخرق ريطتي مزقاً إلى ربع ونصف
أأقول فيم هتكتني أم إن بعض اللمح يكفي

أف لسنك حلوة ولما تخبي ألف أف
وتعست من مظلومة نذر على «العورات» وقف
كم فوق ردني دمعة بدم أرقت .. ولم يجف
ورذاذ «سم» للصديق يداف في «عسل» بلطف
كف تصافحه بها ختلا .. وتذبحه بكف
وتروح في خدع، وفي ضرع، وفي نشر، ولف
لتلف نعش جريمة في بردتي عبث .. وقصف
ووراء ذلك مضغة مخنوقة في أي كهف
تلقى على قسمات وجهك ظلها «الكابي» وتضفي
أدركت سرك فوقها كالجرح تعرفه بنزف

أتقيمها رصدا – تضيـ ـق به – فتطرده وتعفى
وتعود تمسح ما تبقى فيك من «بشر» فتصفى
وكذلك يهرب سادر خوف المسف إلى الأسف
لا كان يوم قطفتني ودرجت مزهوا بخطفي
وحسبتني ألعوبة .. نسج الخيوط على الملف
أكسو «العراة» وينتهي أمري إلى «سفط» و «رف»
نشئت أطهر منك أردانا وأطيب منك عرفي
في طينة هي غير طيـ ـنك في حمى روض ألف
فلك النجوم الزهر سقفي ومطارف «الكتان» سجفي
وتلف فتنة عريتي بغدائر لليل وحف
ويرشني بطيوبه غبش الصباح المستشف
وألوذ من وهج الظهيـ ـرة معجلا نضجي، وقطفي
بمسارب الغدران تسـ ـقيني وتطربني بعزف
ومن الغيوم مظلة من ناعم الحبرات شف
وأعب من قطر الندى رشفاته فأهز عطفي
يا هذه بعض الشماتة مرة بعض التشفي
أسرفت في شتمي، فكفي وغلوت في نعتي ووصفي
وكذبت، إذ صورتني من ليس يوما في مصفي
وصدقت لو حملتني وزر الحليم المستخف
وجهلت أي بواعث تجتر من رفقي، وعنفي

مــــن دون حلـــف حلفـــة ولـــرب أحـــلاف بخلـــف

إنــــى أحـــرق زلتـــى وخطيئتـــى بجحـــيم لهفـــى

وأديـــــل سيء فعلـــــه مـا اسـطعت مـن حسـن بـألف

وإذا تـــبجح مـــن يمـــرغ أصـــغريه ومـــن يعفـــى

فأنـــا المـــدل بقـــوتى فى آن أمـــيط لثـــام ضـــعفى

كالبـــدر مـــن بعـــد الخســـوف يـــزاد مـــن وضـــح وكشـــف

فتغنجـــى – أن كنـــت حلـــف أخى شجى ، وندى ، ورفى

***

يا فرحى العمر

أختى نبيهة

سـلمت أختـى إذ لم يبـق لى زمنـى أخـا سـواها ، ولا أختـا تنـاغينى

ولا تغيـــب عـــن عينـــى منـــبلج مـــن حســـن وجهـــك يعرونـــى

يـا فرحـة العمـر ظلى بسمة عمـرت بالـذكريات ، تواسينى ، وتسـلينى

حسبى وحسبك عن بعد وعـن كثب أنى أناجيك فى هـذى «الـدواوين»

***

ذكريات من أثينا

سجا البحر . . .

سـجا البحـر وانـداحت ضـفاف ندية ولـوح رضراض الحصى والجنـادل

وفكت عرى من موجـه لصـق موجـة تماســك فــيها بينهــا كالسلاســل

وسدت كوى ظلت تسد خصاصها ... عيون ظباء ، أوعيون مطافل
ولف الدجى فى مستجد غلالة ... سوى ما تردى قبلها من غلائل
سوى ما تردى من مفاتن سحرة ... وما جرتيها من ذبول الأصائل
وما حمل «الإصباح» شوقا إلى الضحى ... من ورق النديان أشهى الرسائل
وخيم صمت فاستكنت حمائم ... وقر على الأغصان شدو البلابل
تثاءب «أملود» ولمت كمائم ... ودب فتور فى عروق الخمائل
وخولط لون فى شتيت مخالف ... لما يتراءى أو شبيه مشاكل
كأن الدنى ملت تدلى شخوصها ... بوضح السنى فاستبدلت بالمخايل
رؤى تستبيح الجن فى صبواتها ... بها ما بنى إنسيها من هياكل
سجا البحر حتى لا تعيد ضفافه ... صدى رعشات متعبات قلائل
وحتى ليبدو – فى غرابة حاله ... وغربته – عن نفسه جد ذاهل
وطال عليه فى عبوس دجنة ... ترقب «ضحاك» من الشرق قابل
ولم تبق إلا وثبة من مصابر ... ضعيف القوى كالمقعد المتحامل
فيا لك طلقا رهن أسيان موحش ... ونابة ذكر فى خفارة خامل
خلا الربع مأنوس الرحاب وأقفرت ... ملاعبه من «زغردات» الهلاهل
وماتت به الأصداء ، وارتد لاهثا ... هتاف الصبايا كالخيول الصواهل
وجفت رمال «للمسابح» بللت ... شفاها عطاشى من «عذاب» المناهل
وأعول مهجور «المساحب» وانطوت ... منازل «غيد» عامرات المنازل

سجا البحرَ رفاف السنى وتراقصت ... لئالئ تستهوى عيون الصياقل
وغص بأشباح إليه صواعد ... على أخريات من سماء نوازل

إذا هزهزته الريح وأسرحت به ... خيوط من الأضواء مثل الجدائل
وألحمه ومض من «البرق» ناعس ... وسداه شف من غيوم نواحل
حسبت «عريشا» من عناقيد كرمة ... تدلى «وحرشا» من حقول السنابل
وخلت النجوم الزهر صيدا لصائد ... ينشر من أشباكه والحبائل

تنفس عميقا أيها «الشيخ» لم يهن ... بجرى على فرط المدى المتطاول
ولم ينسه التياه من جبروته ... عناق الشواطئ، واحتضان الجداول
ولا زاده إلا سماحا وعزة ... تخطي شعوب فوقه وقبائل
فيا روعة الدنيا يسامر ركبها ... ويحمل أسرار العصور الأوائل
لك الخير هل جيل تقضي ولم تكن ... شهيدا على أعراسه والغوائل
وهل شع إلا عنك نور عباقر ... ووحي أساطير، وبدع فطاحل
وهل سعرت نار لحرب ولم تثر ... عبابك يغلي حقدها كالمراجل
غزتك أساطيل الطغاة، وطوحت ... بحابل حوت فيك أقواس نابل
ومررت منها جحفلا بعد جحفل ... وردك ملتاثا غبار الجحافل
وجازتك غضبانا كأن فضولها ... جراح بحر اللوح بادي المقاتل

ويا «خالدا» تهزا أسارير وجهه ... بمغزى خلود عادم الوجه زائل
وبالخلق منحوسا معنى يروعه ... بما يبتني من عاجل خوف آجل
عبدتك «صوفيا» يدين ضميره ... بما ذر فيه من قرون الدخائل
ويسرج منه بالندامة «معبدا» ... تشكى طويلا من دخان المشاعل
وعاطيتك النجوى معاطاة راهب ... مصيخ إلى همس من الغيب نازل

ولونت أحلامى بما لونت به ... مغانيك من كون بسحرك حافل
وغناك قيثارى فلم تلف نغمتى ... نشازا، ولا لحنى عليك بواغل
وتشهد أمات القوافى تشاغلت ... بها أكؤس السمار إنك شاغلى
فيا «صاحبى» لا تخل عينى شدتا ... لطيفك من وجه لشخصك ماثل
ولا تنسنى نفسا هوتك فتية ... وناغك بقيا جذعها المتآكل
هوى لم يمل يوما، وكم ضج خافقى ... بأهوائه من مستقيم ومائل
مفازة إعصار تظل رماحها ... تقاتل فيها بينها دون طائل

ويا مخجلى فيها تشط مزاعمى ... جنوحا، وفيها تدعى من شمائل
تنفض ما يضفى الغرور، وترتدى ... أمامك زى القابع المتضائل
ويفزعها ما بين أطماح مارد ... مقيم، وأطماع ابن يومين راحل
ترى جامحا لا ضحكة للقوابل ... ولا دمعة تمرى عيون الثواكل
ولا مصعرات للسماء متونه ... ويحطم مسمار عظام الكواهل
ترى مشرقا لا الجو رحبا بغالق ... عليه ولا ضوء الشموس بآفل
مهيبا كريما باسطا من ذراعه ... تعبد ما اسطاعت دروب السوابل
ويحنو على الشم الجوارى كما اختفت ... نطاسية بالمثقلات الحوامل

سجا البحر إلا من شراع مهوم ... يحوم على صمت الدجى كالمخاتل
وخفق مصابيح كأن خوالجى ... تغلغلن فيها من مليح وناصل
تغامزن بى يعجبن من وجد ساهر ... ويمنحن خلو البال طرف المغازل
على الشاطئ الأقصى كأن رفيفها ... على الشاطئ الأدنى بريد المراحل

معالم كون غامضات سرائر | فهن لمن يرتادها كالمجاهل
وما أصغر الدنيا على جهل ساحل | لفرط التجافي والتنافي بساحل

سجا البحر وانشق الثرى عن هواجس | ترعرع في مستوبئ الظل قاحل
وبت أساقي نبعها غير آبة | بحق أنمي زرعها أم بباطل
أقول أغنيها فتنبو مسامعي | وأحصي مساويها فتكبو أناملي
وأمضي أعانيها فترتد يقظتي | جحيما، ونومي مثل حز المناجل
وتزداد قبحا إذ أعالج قبحها | بمكذوب ظن للمعاذير فائل
ولست بدار هل أسمي أشرها | بأم المآسي، أم بأم المهازل

***

فتى الفتيان ... المتنبي

تحدى الموت واختزل الزمانا | فتى لوى من الزمن العنانا
فتى خبط الدنى والناس طرا | وآلى أن يكونهما، فكانا
أراب الجن إنس عبقري | بوادي «عبقر» افترش الجبانا
تطوف الحور زدن بما تغني | - وهن الفاتنات - به افتتانا
ضفرن جدائلا إكليل غار | ومن طرر حبكن الصولجانا
ومن غرر له ناوحن عودا | وطارحن الولائد والقيانا
ومما عتقت من ألف عام | صففن له المشارب والدنانا
وذوبن اللغى، وكفين منها | بأصداء العصور الترجمانا
ونصبن الآله على سرير | من الزهرات زين بها وزانا

وراح الخلـد يخفـق بـالقوافى عماليقـا وأغيـدة لـدانا
ومـلء رحابـه نغـم طليـق تخطـى البعـد واخـترق الأوانـا

دمـا صـاغ الحـروف مجنحـات رهافـا ، مشرئبـات ، حسـانا
يـردن حياضـه ينبـوع فكـر ويخضـن البراعـة والبنانـا
وطـار بهـن فى شرق وغـرب كـأن لهـن فى قصـب رهانـا
فويـق الشـمس كـن لـه مـدارا وتحـت الشـمس . كـن لـه مكانـا
وآب كـما اشـتهى يشـتط آنـا فيعصـف قاصـفا ويـرق آنـا
وفى حاليـه يسـحرنا هـواه فننسـى عـبر غمرتـه هوانـا
فتـى دوى مـع الفلـك المـدوى فقـال كلاهمـا : إنـا كلانـا
فيـا ابـن الرافـدين ، ونعـم فخـر بـأن فتـى بنـى الـدنيا فتانـا
حبتـك الـنفس أعظـم مـا تحلـت بـه نفـس مـع المحـن امتحانـا
وذقـت الطعـم مـن نكبـات دهـر يمـد لكـل مائـدة خوانـا
وجهلـك المخافـة فـرط علـم بكنـه حيـاة مـن طلـب الأمانـا
وأعطتـك الرجولـة خصـلتيها مـع النـوب : التمـرس والمرانـا
فكنـت إذا انـبرى لـك عنفـوان مـن الغمـرات أفظـع عنفوانـا
وكنـت كفـاء معمعـة طحـون لأنـك كنـت وحـدك معمعانـا

أسـلت الـروح فى كلـم مـوات فجـلى غـامض منهـا وبانـا
وطاوعـك العصـبى مـن المعـانى وكـم غـاو ألـح بـه فخانـا
فكـم مـن لفظـة عـف حصـان سـحرت بلطفهـا العـف الحصـانا

وأخرى برزة تجلو البلايا   عقدت بها مع البلوى قرانا
وسر الخلق ذهن عبقرى   أتى حجرا ففجره بيانا
ولم أر فى الحذاقة من شبيه   كحذق المستعين بها استعانا
جران «العود» لا يخشى شذاه   ويخشى العود إن ألقى الجرانا

ويا ابن الكوفة الحمراء وشى   بها سمط اللآلئ والجمانا
وعاطى رملها من أصغريه   عيون الشعر تبرق والحنانا
وأبقى فوقها دمه ليسقى   هناك «بشعب بوان» حصانا
فقد كره الطعان وكان أدرى   بأنك – وهو – مذبوح طعانا

ويا ذا الدولة الكبرى تعالت   – وقد سحق البلى دولا – كيانا
بحسبك أن تهز الكون فيها   فتستدعى جنانك واللسانا
وأن تطرى الشجاعة فى شجاع   فتعجب – حين يعجبك – الجبانا
وأن تعلو بدان لا يعلى   وأن تهوى بعال لا يدانى
فماذا تبتغى؟ أعلو شأن   فمن ذا كان أرفع منك شانا؟
أم الدنيا الغرور وقد تهاوت   على قدميك ذلا وامتهانا؟
تملقك «ابن عباد» وأرخى   لك العرنين منه والعرانا
وماجت أرضه ذهبا وصاحت   معاقله : هلم إلى حمانا
ونولنا نداك نعش عليه   فإن جداك باق لا جدانا
ومناك «ابن صفرة» لو توافى   بما يجبى العراق له ضمانا
وكان أرق من زبد لبانا   وكنت أشد من وتد حرانا

على ضنك وتأبى أن تراضى … بما لم تهوه أو أن تعانا
وتعلم أن نفسك لن توقى … عليك ، وأن حرفك لن يصانا
ولكن فليكن نسب قريب … يشد المستدين بها استدانا

ولما استيأسوا من مستميت … فلا أرضا أراح ولا ضعانا
ولا أبقى على صعدات رمح … ولا أعفى من الفرس اللبانا
أثاروا خلف رحلك عاويات … ضباعا تستفز الديدبانا
أراعن يطمعون بمشمخر … يدق برأسه القمم الرعانا
فكنت الحتف يدركهم عبيدا … وأربابا إذا استوفى وحانا
ورد لنحرهم كيد أحلوا … به الرئبال والقطط السمانا

تمن أبا المحسد تغل فينا … مطامحنا وتستشر منانا
«وضو» لنا ، فقد تهنا ضياعا … وخب بنا فقد شلت خطانا
وأدركنا ، فقد طالت علينا … مقاييس قصرن على سوانا
وقد غصنا فلا الأعماق منا … ولا نسم يهب على ذرانا
وقد شمخت ملاحينا علينا … وقد أكلت أباطحنا ربانا

أبا الفتكات تنزلها دراكا … فتدرك فتكة بكر عوانا
تهز بها من استغوى شعوبا … ومن أغفى بها ومن استكانا
وتبدل من أرانبها ملوكا … وأصناما تسبب «الثعلبانا»
مضت حقب وهن – كما تراها – … فقاقيع ، ونحن كما ترانا
تمزقنا دويلات تلاقت … بها الرايات ضما واحتضانا

ترقـــع رايـــة منهـــا بـــأخرى وتســـتبقى أصـــائلها الهجانـــا
وتكـــذب حـــين تصـــطفق اعتناقـــا وتصـــدق حـــين تفـــترق اضـــطغانا
وتفخـــــر أنهـــــا ازدادت عـــــدادا وتعلـــــم أنهـــــا ازدادت هوانـــــا
إمـــــارات يـــــمار بهـــــا هوانـــــا ومشـــيخة تجـــدد مـــن صـــبانا
تطيـــل العمـــة العـــذبات منهـــا ويعـــتصر العقـــال الطيلســـانا
وكـــم ســـخرية ألقـــت ظـــلالا عـــلى مـــا جـــل مـــن خطـــب فهانـــا

حلفـــت أبـــا المحســـد بـــالمثنى مـــن الجـــبروت والغضـــب المعـــانى
وبالســـلع النـــوافر فى عـــروق كـــأن بكـــل واحـــدة ســـنانا
وبالوجـــه الـــذى صـــبغ الرزايـــا ببســـمة ســـاخر فقســـا ولانـــا
بأنـــك موقـــد الجمـــرات فينـــا وإن كســـيت – عـــلى رغـــم – دخانـــا
وأن تراثنـــا مـــا أنـــت فيـــه وأشـــبارا حللـــت بهـــا قرانـــا
وأنـــا ســـوف تبعـــث مـــن جديـــد تـــنفض مـــا تلبـــد مـــن كرانـــا
تخشـــن نـــاعما أخـــوى فلانـــا وتـــنهض قعـــددا مـــل الزمانـــا
وتـــذكرنا بـــما قـــد كـــان منـــا ومـــا ســـيكون لـــو دارت رحانـــا
ولـــو طحنـــا بمـــزدرع وبيء كـــما تنفـــى المغربلـــة الزوانـــا
ولـــو ثرنـــا عـــلى النكســـات منـــا ولـــو شـــد التوحـــد مـــن عرانـــا
وأنـــا مـــا تعاضـــلت الليـــالى ومـــا طبـــع الصراع عـــلى شـــبانا
لموعـــودون فجـــرا أرحبيـــا نشـــق بـــه الغياهـــب مـــن دجانـــا
وأنـــا أمـــة خلقـــت لتبقـــى وأنـــت دليـــل بقياهـــا عيانـــا

***

محمد البكر

تعجـــل بشر طلعتـــك الأفـــول ... وغـــال شـــبابك . الموعـــود غـــول
وطـــاف بربعـــك المـــأنوس ليـــل ... تـــزول الـــداجيات ولا يـــزول
وأثقلـــك الحـــمام فلســـت تصـــحو ... ويصـــحو الـــروض أثقلـــه الـــذبول
وقاســـمك الـــردى مـــن تصـــطفيه ... كـــما يتقاســـم الشـــفق الأصـــيل
لعمـــرك إن ســـائمة الرزايـــا ... لهـــا فى ســـوحنا مرعـــى وبيـــل
يظـــل الحـــى إثـــر الميـــت فيهـــا ... يـــود لـــو أنـــه عنـــه البـــديل
يســـمم لحمـــه موهـــوم ظـــن ... ويخطـــف لبـــه لمـــح ضـــئيل
وينهشـــه عـــلى التـــذكار وحـــش ... شروب مـــن حشاشـــته أكـــول
وحيـــدا عنـــد معـــترك الليـــالى ... ينازلـــه مـــن البلـــوى قبيـــل
يزيـــد تفكـــرا فيزيـــد همـــا ... وتســـتدعى لـــه العقـــد الحلـــول
ويبتعـــث الـــدخائل قـــد تناســـى ... دفائنهـــا ، فيقتلـــه القتيـــل

أســـلت الآهـــة الحـــرى تلاقـــت ... عليهـــا دمعـــة حـــرى تســـيل
عـــلى «قمـــرين» لفهـــما حفـــير ... تجـــرر فوقـــه حزنـــا ذيـــول
وآخـــر ثالـــث حلـــو كشـــمل ... يلـــم عـــلى الـــردى منـــه فلـــول
فيـــا لـــك موقفـــا جلـــلا فظيعـــا ... ينـــوء بثقلـــه «الشـــيخ الجليـــل»
تنـــازع وجهـــه فبـــدا شـــفيفا ... مهيـــب الحـــزن ، والصـــبر الجميـــل
عجبـــت لـــه وبعـــض العجـــب حمـــد ... وبعـــض الشـــك حكـــم لا يفيـــل
أمـــن صـــلب بركـــب مـــن «نعـــوش» ... يســـار ، ولا يخـــور ، ولا يميـــل

وتمـــتحن الرجولـــة فى محـــك يـــماز بـــه المزيـــف ، والأصـــيل
وعنـــد الـــنفس شـــامخة وســـفوح مطامنـــة ، ومـــن دعـــة ســـهول
يراوحهـــا عـــلى الضراء روح وفى «النكبـــاء» أنســـام قيـــول

فـــلا تبعـــد «محمـــد» المزكـــى دعـــاء محـــاول مـــا يســـتحيل
ذكرتـــك فاســـتجدت شاخصـــات كـــأن غيابهـــا عنـــدى مثـــول
خصـــال كلهـــا شرف رفيـــع ونفـــس كلهـــا خلـــق نبيـــل
وطبـــع صـــيغ مـــن أدب ولطـــف كعطـــر الزهـــر فـــواح خجـــول
ورحـــت أعـــيش غصـــة ذكريـــات ســـجال مـــا تشـــيح ، ومـــا تنيـــل
أعقـــب مـــا تغيـــب مـــن رؤاهـــا كـــما يتعقـــب القـــداح المجيـــل
أسر عـــلى تمـــثلهن أنـــى وجـــدت عـــلى هـــدى فـــيما أقـــول
ويـــؤلمنى بهـــن مزيـــد علـــم وقـــد يتحســـد الرجـــل الجهـــول
فهـــن بـــأمس فى عينـــى سراج وهـــن اليـــوم فى كبـــدى نصـــول
أقـــول أصـــونهن مـــن التشـــكى فيـــأبى ذلـــك الـــبرح الـــدخيل
فـــلا وأبيـــك مـــا نهنهـــت نفســـى عـــلى أى وأيســـتها تميـــل
تركـــت القلـــب يـــعصره التيـــاع فـــيمضى رســـله جفـــن بليـــل
وعالجـــت الأســـى بأســـى جديـــد عـــلى أن الطبيـــب هـــو العليـــل
وقـــد يـــوقى بفـــرط الوجـــد وجـــد وقـــد يشـــفى بحرقتـــه الغليـــل
وكـــم هـــم بـــه انفرجـــت همـــوم وقـــد عمـــين وارتمـــت الســـدول
وتلتـــئم الفـــروع عـــلى التأســـى بـــما مـــدت وشـــائجها الأصـــول
وقفـــت عـــلى القبـــور ولـــيس فيهـــا حبيـــب لى ولا صـــحب حلـــول

فقلــت مســالما ودمــى دمــوع ... بيــوت أحبــة هــذى الطلــول

أبثـك يـا «ابـن أحمـد» هدهـدات ... بهــن يســامرالخل الخليــل

أتعلــم أن طيفــك لا يحــول ... يحــوم فيزحــف الربــع المحيــل

بأشــباح تحــال بنــات يــوم ... ويعــدل ســاعة منهن جيــل

وأخيلــة يــراع بهــا خــلى ... وهــن لواجــد نعــم المخيــل

صدى قـدم هنـا ، ومـدب همـس ... هنــاك يشــله فــزع مهــول

وعــش عافــه نسر مهــيض ... يلــم بــه عــلى شــعث نســيل

وألــواح كوجــه الصـبح بــيض ... يجلــل بالســواد لهــا فضــول

وخيــل ســابقت برقــا .. وكــادت ... ولكــن خانهــا لحــظ كليــل

وأرســال مــن «الفرسـان» تهـوى ... فــيلقفهن مــن «وحــش» رســيل

و «أغربـة» عـلى جـدث ، و «رفش» ... وأتربــة يغــص بهــا المهيــل

ولفــح عجاجــة ، ورؤى دخــان ... عــلى ســفح ، ونبــع سلســبيل

وحــور يبــتردن بــه ، وحشــد ... مــن «البجعــات» أسراب شــكول

ونضـح «دم» عـلى الجـرفين يسـقى ... بــه زرع ، وينــتهض «النخيــل»

وســيل يرتمــى شــفقا ، فتــدحى ... بــه أرض ، ويصــطبغ المســيل

وتضــحك غيمــة ، وتعـود «جـن» ... ملائكــة وتزدهــر الحقــول

أبــا المغــوار «هيــثم» حوطتــه ... بإخوتــه مغــاوير فحــول

تعــز .. ولا يخنــك كــريم صــبر ... وأنــت لكــل مكرمــة عــديل

يحــزُّ الــنفس أن يــمسي حزينًــا ... عرينــك أيهــا الأســدُ الثكــول

ولكــن مــا السبيل؟ وكــل حــي ... ســيقطع يومــه هــذا الســبيل

هـي الـدنيا أسـاطير تـدول ... وأفـراس مغلفـة تجـول
ودار يسـتدير بهـا عـذاب ... عليـه يصـلب «الحـي» النزيـل
ومجـزرة تسـاط بهـا جبـاه ... وتسـحق عنـدها الغـرر الحجـول
كفـيء الشـمس تأكلنـا تباعًـا ... بـها يتأكـل الظـل الظليـل
و«ذرا» نسـتطير بهـا شـعاعًا ... ونمحـق.. لا المثـال ولا المثيـل
وتـذبحنا سـيوف مـن غيـوب ... عويـل النائحـات لهـا صـليل

عـلى أن «المصـاب» إذا تلاقـت ... عليـه النـاس يسـهل أو يحـول
بكـى لمصـابك الشـعب الأصـيل ... ورد عـلى الرعيـل بـه الرعيـل
وصـاح يـوزع الحسرات نـاع ... وطـار بهـا إلى الـدنيا رسـول
تعـز «أبـا محمـد» إن حُزنًـا ... يشـارك فيـه عـن ألم بـديل

***

أبا الشعر.. تغن بـ(تموز)

أبا الشعر قل ما يعجب الابن والأبا ... وهـل لـك إلا أن تقـول فتعجبـا
وهـل لـك والـدنيا تغنـي بمولـدٍ ... لـ«تمـوز» إلا أن تغنـي فتطربـا
وهـل لـك عـذر والقـوافي تحيلهـا ... متـى شـئت «قيثـارًا» و«نايًـا» مشـببا

أبا الشعر يا من عـانق الأرض زهـرةً ... وشـوكًا فردتـه أديـمًا مخضـبا
ويـا مـن تبنـاه «التمـرد» يافعـا ... وكهـلاً، ومـن نـاغى التمـرد أشـيبا
تغـنَّ بـ«تمـوز» فتمـوز مـاردٌ ... تخطـى عقـبيات العصـور وأتعبـا
تمـادى بـه جـدب الليـالي ليخصـبا ... وطـال بـه عسر المخـاض لينجبـا

وجاءت به من مشرق الأرض غمرة ... عصوف لتذري به الشمس مغربا
تنصب «عملاقًا» عليه مخايل ... تزكيه في «العشرين» شيخًا مجربا
ومد ذراعيه ليحضن أمةً ... ترعرع في الأحلام منها تحسبا
وصاعد من أطماحه فتصاغرت ... لعينيه أمات المطاليب مطلبا

نعمتم صباحًا قادة «البعث» أصيدًا ... يسدد خطو الصيد منكم وأغلبا
وذوبٌ من «الحرف» المضيء يصوبكم ... بأعبق من صوب الغمام وأطيبا
وأنداء «ريحان» تضوع روحه ... وطاب به روض «القصيد» فأعشبا
تحية من أوصى بخير ضميره ... وألزمه صدق الوفاء وأوجبا
تمرستم بالحكم لم تتركوا به ... شبا مضرب إلا تثلم مضربا
وقارعتم الجلى، وقورعتم بها ... ولم تسألوا من ذا يكون المغلبا
وورثتم «سبعًا وخمسين» لم تلح ... بغير دم الفادين للركب كوكبا
وحملتم ثقلين قسطًا وجائرًا ... ولم يدر أي منهما كان أصعبا
وسايرتم «تموز» دربا تعثرت ... به ذكريات ما أمر وأعذبا
وعانيتم «خمسًا» عجاب شجونها ... و«خمسًا» بما حملنه كن أعجبا
تعاصت على التاريخ حتى تحيرت ... به صفحات كيف يملى ليكتبا
وحار الرواة المخلصون فلم يكن ... ليصدق فيه المرء إلا ليكذبا

أطيح بها هام الطغاة فكورت ... على هام من هز الطغاة وأرعبا
ودقت بأجراس الخلاص فأطبقت ... على من دعا يوم الخلاص وقرَّبا
وأبدل من عهدٍ رثيث بآخر ... جديد ولكن أشوه الوجه أحدبا
وجاشت به الأضغان جبنًا، وغدرة ... ولؤمًا، وإسفافًا، وعرقًا ومذهبا

وأبدت جلود ناعمات صميمها — فكن «ضباعًا» جائعات، و«أذؤبا»

وضجت «سجون» من خليط منافر — كم ضم «نزل» موحش من تغربا

تلاقت على بهم وبر وفاجر — كما خبطت عشواء ليل لتحطبا

ولاحت لـ«تموز» رؤى أم واحد — وقد أسلمته القابلات ليصلبا

وأغفى عم للطائشات تقوده — وجانب واعٍ قسطه فتهربا

وصوف من لم يعرف الدير عمره — وقد خذلته نهزة فترهبا

وقارع كأس الموت بالصبر صامد — وأفراغ من أسآرها ما ترسبا

ونمتم على جمر الغضا تحضنونه — بـ«ساعة صفر» خوف أن تتسربا

وخاطرتم إن المنية كالمنى — كفاءٌ يسوح المجد أن تتطلبا

ودوت فلا والله ما رنَّ مثلها — على سامع ممن حبا أو تنصبا

تلاقى عليها الخلق لم يبق مطرفا — من البيت لم يسحب ولن يبق مسحبا

وشعت وقد وعيَّ اللسان، ضمائر — ترف على سمر الوجوه لتعربا

عطفتم به من بعد ما كاد نقمة — على خدع الأحلام أن يتنكبا

وفجرتم منه الينابيع ثرة — من البذل لم يترك لها أمس مسربا

وأنعشتم فيها رؤى «الغد» بعدما — أطارت بها منته «عنقاء مغربا»

وجئتم بـ«تموز» جديدٍ مسعر — يلوب على ما فات أسيان مغضبا

فأسفر عن «عشر» وضاء كما انجلى — سنا الفجر عن ليل تطاول غيهبا

سنا الفجر إلا غيمة ثم تنجلي — وإلا رمادٌ ثم يذري به هبا

كشفتم بها من وجهه ما تقطبا — وقومتم من جذعه ما تخشبا

وأبدلتم تلك المغارم مغنما — وصيرتم تلك المخاسر مكسبا

وأفــرغتم قلبًــا بقلــب فأخصــبا ... وطــوعتم شكسًــا وإلبًــا فأصــحبا
وقلـتم عـما خـيرًا لـ«زاب» و«دجلـة» ... وللنخـل والزيتـون أهـلاً ومرحبًـا
وسرحـــتم الآلاف صـــعد فوقهـــا ... بـلاءُ السـجون المطبقـات وصـوبا
وأشركـتم في حُكـم «حـزب» محبـب ... أخـــي ثقـــة «حزبًـــا» وثيقًـــا محببـــا
أبـا «هيـثم» يـا موسـع النـاس حلمـه ... أفـــاء علـــيهم ظلـــه وتحـــدبا
ويا ابن «الحسين» الفذ شهمًا سميدعا ... مهيبًـــا، وثوبًـــا قبـــل أن يتوثبـــا
ويـــا ذادة «الصـــفين» قطـــرًا، وأمـــة ... يربـــون مـــن مجـــديهما مـــا تأشـــبا
نـداء صرح جنـب العجـب نفسـه ... وإن راح صـبا بـالرجولات معجبـا
تخـير حـب النـاس والخـير مـذهبا ... وفـــرق فـــيهم روحـــه فتشـــعبا
وســـاقاكم حلـــو البيـــان قصـــائدا ... من اللطـف كـادت أن تسـيل فتشربـا
لمتم على شـعث كـما انصب سـحرة ... نسـيم عـلى قطـر النـدى فتـذوبا
سرايـــا صـــفوف خـــيرات تألبـــت ... وأنـــتم عـــلى «مســـتعمر»، وتألبـــا
وظلـــت وإيـــاكم ثلاثـــين حجـــة ... تشـــدُّ عـــلى اليـــافوخ منـــه لتضربـــا
وآليـــتما أن لا تبقـــى يـــداكما ... عـــلى ذنـــب حتـــى تقـــص المـــذنبا
أحـاق بهـن، بغـى، الطغـاة، وعـذبوا ... بأسـياط «جـلاد» بكـم قـد تعـذبا
ومســـهم الضر الـــذي نـــال مـــنكم ... وطـالوا كـما طلـتم عـلى الضر منكبـا
وطــورد في عــرض الــبلاد وطولهــا ... ذووهم، وجابوا الأرض شرقًا ومغربا
ســواعدكم يــوم الكفــاح وبــوعكم ... إذا مـــا تـــأتي ســـاعد، وتهيبـــا
وبيـــنكما كـــالأمس للملتقـــى غـــد ... ويبقـى «غـد» أدنـى لسـاع وأقربـا
ويفتقـــد الغمـــر الشـــجاع دروعـــه ... وإن لم يحـــارب خـــوف أن يتحربـــا

فلا تأخذوهم في هناة وأختها | فمن ذا الذي لم يعترف فيه مثلبا
ومن ذا الذي جب الخطايا تنزهًا | وعاف الورى في «طينهم» وتربيا
وحسب الفتى أن تستبد هناته | بتهذيبه، حتى يعود المهذبا
ونعم صديق القوم من إن تقطعت | بهم وبه الأسباب يومًا تسببا
وأحسن من عاتبت، أولت، صاحب | ألام على محض الوداد، وأعتبا
فلا تخذلوا منهم «حليفًا» مقربا | ولا تشمتوا فيهم وفيكم مجنبا
أهيبوا بـ«تموز» ليضفي قلوعه | على الحب «طاووسًا» مدلا ويسحبا
وزيدوا على ما لونت من جماله | مساعيكم لونًا من الحسن مشربا
ويا «عيد تموز» لك المجد خالدًا | ولا زلت سؤلاً للجموع، ومأربا
فلا زحمتك الطارئات بثقلها | ولا زعزعت منك الكيان المطنَّبا
ولا خبطت صفوًا أكف لئيمةٌ | ولا رنقت للكوثر العذب مشربا
وعوذت سوح «الرافدين» ولا غدت | ضفافك بعد اليوم للموت ملعبا
ولا عدت مرماة يزاحم موكبٌ | على رملك الموار بالدم موكبا
ولا أظلمت منك البيوت ولا ذكا | بها خنجر «ضوى» وطلقٌ تلهبا
أبا الشعر قل ما يعجب الابن والأبا | وهل لك إلا أن تقول فتعجبا

***

إلى المجد ... إلى القمة ..

إلى المجد مستقبلٌ يصنع | «ببغداد»، من حسنها أروع
تحضنه الصفوة «الباعثون» | حماة كفاء لما استودعوا
ترعرع فى الخاطر «العبقرى» | على ومضات له يطبع

وطـاف بـه مـن دنـى الموحيـات زعـيم بإنضـاجه مولـع
وناغـاه مجـد طريـف يلـوح ومجـد تليـد ويسـترجع
فجـاء عـلى صـورة بـرزة تصـورها خـالق مبـدع

إلى المجـد .. ما روض الصـامدون مـن العاصـيات ، ومـا طوعـوا
وعاشـت يـد بـرة – عنـدها بـما غـدرت إصـبع تقطـع
وللشـمس .. يـوم أغـر الضـحى بـه الشـمل مـن أمـة يجمـع
تحـن إلى غمـرات الزحـوف فتخفـق أعلامهـا الشرع
وتصـهل خيـل إلى وقعـة يـرج بهـا الموقـع الموقـع
وتصبو الأكـف لـبرد السـيوف إلى يـوم تبـترد الأضـلع

إلى المجـد .. يـا غـرر المشرقـين عـلى «جبهـة» حـرة تطلـع
تهـادت عـلى ذكـوات العـراق ذيـول مـن العـز تسـترفع
وقفـت مواكـب «منصـورها» مواكـب نصر لهـا تتبـع
أطلـت عـلى «جبهـة» حولهـا تشـابك حبـا بهـا الأذرع
كـأن «ببغـداد» عـرس الربيـع تـزف بـه أربـع أربـع
كـأن «الهلاهـل» مـن غيـدها نـوابض أفئـدة تسرع
كـأن «المـزامير» فـوق الشـفاه طيـور عـلى فـنن تسـجع
كـأن «الصـبايا» بألعابهـا حمـائم فى شـبك وقـع
تناقـل لم يختلـف جمعهـا ولكـنها اختلـف المجمـع

ويـا «بـردى» أيهـا السلسبيـ ـل مـن كـل عـرق بنـا ينبـع

يضوع الرذاذ على الضفتين ... وتنتشق الطينة الأضوع
وترفد «:حسان» في عزه ... كؤوس «بني جفنة» تنزع
دلفنا إليك تزف الهوى ... ونشكو من الوجد ما ننزع
أحقا صددت عنه «الرافدين» ... وبابها بابك المشرع
و«شامك» «بغدادنا» المزدهاة ... و«بغدادنا» شامك الممتع
ويا نسمة الصبح في «الغوطتين» ... تنفسها المورق الممرع
نظل – على شهقات الحياة- ... بما تنفحين به نطمع

ويا إخوة الدم في المشرقين ... إلى «الضاد» ما بينها ترجع
تفيأ كل خفوق الظلال ... يثير المصيف بها المربع
وتبقى مواطنها الفاتنات ... على كل فاتنة برقع
تذاد بها فكرة حرة ... وينبو بذى الفكرة المضجع
عسى «يوم بغداد» يلغى الحجاب ... وينهى النهاة ، وما شرعوا
ويا عسى «مصر» ، يا أم ، يا أمة ... بها يشمخ الشرف الأرفع
ويا درة في زحام الخطوب ... – وقد صدئت درر – تلمع
ويا دارة «المبدعين» الضخام ... بهم يقتدى ، ولهم يخشع
على حبك انطوت الأضلع ... تلوب بها جمرة تلذع
مصيرك – يا مصر – لا الكاميات ... ولكن مصائرنا أجمع

وعندك للنخب الحافظين ... سجل يمرغ من ضيعوا
سوى أن «ذا ترة» خائنا ... مع الركب من «واتر» يضلع

يعـــرى لــــه جبهـــات الصـــمود فـــيخلى لـــه الأمـــد الأوســـع
يعـــز عـــلى الحـــر أن يفـــتلى رقـــاب بنيـــك .. ولا يخلـــع
ذليـــل .. وجرمـــا أتـــى موجـــع وأن تســـتذلى لـــــه أوجـــع
أتبقـــين «يـــا مصر» مـــن يســـتباح عـــلى يـــده الحـــرم الأمنـــع
خذيـــه «عتيقـــا» ، ولا تصرعيـــه فلـــيس جـــديرا بـــه المصرع
وتليـــه خزيـــان حتـــى الجبـــين جبـــين «لعجـــل» الخنـــا يهطـــع
ومـــدى لـــه العمـــر يجـــرع بـــه مـــن الهـــون ، والعـــار مـــا يجـــرع
دعيـــه و «كرشـــا» غنيـــا لـــه ونفســـا لهـــا فقرهـــا المـــدقع
فـــما تنفـــع الأطـــم العـــامرات نفوســـــها ضـــمائرها بلقـــع

سراة الحمـــى .. أجمعـــوا أمـــركم وحكـــم المـــروءة أن تجمعـــوا
وحكـــم المـــروءة أن تنجـــدوا هتـــاف الجمـــوع ، وأن تصـــدعوا
وشـــدوا حيـــازيمكم إنهـــا حقيـــق بهـــا الحـــازم الأروع
فقـــد هـــال أمـــركم الخـــافقين عـــلى مـــا يـــروع ، ومـــا يفـــزع
وراح وأســـماعه الواجفـــات تصـــيخ ، وأجراســـه تقـــرع
ورحـــتم بفخـــرين مـــن يستميـــت في الـــذب عـــنكم .. ومـــن يهلـــع
عـــلى أن خلفكـــم مربـــأ ومـــن خلفـــه غـــادر يقبـــع
ومســـتوحش مـــن مـــدب الـــذئاب يضـــيق بـــه المـــذئب المسبـــع
وأنـــتم كفـــاء بـــأن تلجمـــوا شـــدوقا جياعـــا ، وأن تردعـــوا
وأن تفرحـــوا كـــل ذى غلـــة ســـيثلجها غاصـــب يفجـــع

سراة الحمى .. نفثة حرة إليها – على مضض – أهرع
أسيفا على فرط صمت الشفيع على غوث أهليه يستشفع
وفرط التغامض عن أعين مضت حقب وهي تستطلع
إليكم .. وأنتم عصوف الرياح غضوب إذا انتفضت زعزع
تشممها في الوكور النسور وتستافها سحب تقشع
نبا صبرها عن دروع الصدور وشد على قوسها المنزع
ثلاثون سود كسود القبور يطوف بها الشبح المفزع
تساط بها الروح – قبل الجلود- ويعتصر الدم ، والأدمع
أنوف تراغم منها «اليهود» وعجلهم الأصلم الأجدع
وشم جباه كخفق الصقور عظاما تناثر ، أو تضرع
وصرعى خيام كثوب اليتيم بها «القر» و «الحر» يستمتع
على «مزق» بعد بيض القباب وخضر الحقول ، وما تفزع
«وقدس» تعطل فيه الأذان وذيد به السجد الركع
ونحن إلى نجدة الواهبين بأضعف إيماننا نقنع

سراة الحمى .. والحمى جذوة عجاب ، إذا اختنقت تسطع
تعد الجحيم .. ولا تجتلى ورعد الأزيز .. ولا يسمع
وتندس تحت عمى الرماد زمانا .. وتخدع من يخدع
وتطغى فلا ترحم الراحمين ولا المرضعات ، وما ترضع
وتحسو الدماء .. ولا ترتوى وتأكل خلقا .. ولا تشبع
وتصبح بردا بعيد الحصاد وتخصب دنيا بما تزرع

فكونوا بحيث يكون الوعاة ... بما يستزاد ، وما يدفع
ومدوا «يد الله» .. عن حقكم ... تذودون ، وهى اليد الأرفع
وللمجد .. مستقبل يصنع ... «ببغداد» .. من حسنها أروع

***

أسيدتي نجاح ...

دلفت إليك يفضحني لغوبي ... ويسخر من شبابي والمشيب
يجرر بالذبالة من سراجي ... ويخنق ما عهدت من اللهيب
وعجت عليك فاكهة ونبعا ... وما أنا بالأكول وبالشروب
وبي من فرط حبك ما يعني ... دمشق تحضنيني وأرفقي بي
وإني ، والغرابة في طبع ... ولوع بالغريب وبالعجيب
أزاد إذا طربت إليك حزنا ... وبعض الحزن من شيم الطروب
يرقص دمعه وعد حقيق ... فيعطفه إلى وعد حريب
ويحيي الليل يرقب منه صبحا ... وليس له سوى فجر كذوب
ولم أر في الضرائب مثل ضد ... إلى ضد نقيض من ضريب

آسيت على الرؤى مترنحات ... حططن على في قفر جديب
ومرتجع الصدى من ذكريات ... كخفق البرق في دجن ضبيب
يظل المرء مهما أخطأته ... يد الأيام طوع يد المصيب
كأن العمر ينضح من إناء ... بعيد الغور شفاف الثقوب
وما أحلى الحياة لو استراحت ... ملاعبها من الزور الغريب

مـن الهلـك الـذى لا ريـب فيـه ... وهـان الشر فى هلـك مريـب
وما أشهى حضور الشمس نابت ... نجـوم الليـل عنهـا فى المغيـب
ومـا أشـقى الغزالـة ليس تـألو ... تخاف الـدهر مـن وثبـات ذيـب
أحبتـى الـذين بهـم تسرى ... همـوم النفس فى البرح العصيب
سـلام الله مـا خفقـت غصـون ... مرفرفـة عـلى المـرج الخصيب
ومـا جـرت عـلى الـذكوات منهـا ... ذيـول صـبا معطـرة الجيـوب
ومـا انـتفض الحـمام بهـا فغنـى ... عشـية ديمـة سـمح سـكوب
عـلى نخـب النـدامى مـن هتـوف ... يحلـو الـذكريات ومـن مجيـب
ومـن مترفقـين كـما تهـادت ... عـلى نـبض العليـل يـد الطبيـب
أشـعتم فى رؤحـا مـن جديـد ... وفـرجتم عـن الوجـه الكئيـب
وعـدت بكـم وقـد بـردت شـذاتى ... إلى جـذوات خـافقى الشـبوب
ونـوت بشـكركم وقـد اسـتغلت ... بغـل يـد المثـاب يـد المثيـب

نهيـت الـنفس تغـرق فى هواهـا ... فتغـرق فى الشـكاة وفى الوجيـب
وتغـرى بالصـبابة وهـى حتـف ... كـما تغـرى الفراشـة باللهيـب

وقلت لها :

نـذيرك مـا تبقـى ... عـلى شـعفات قلبـك مـن نـدوب
وحسـبك مـا لقيـت بـأن تكفـى ... عـن المـوت البطـيء وأن تتـوبى

فقالت :

لـن أتـوب وفى دمشـق ... هـوى أصـلى عليـه ويصـطلى بـى
وهبنـى تبـت عـن صـبوات عهـد ... يـرف بملعـب الرشـأ الربيـب

فكيف أتوب عن جمرات وجد ... لديك وأنت ترفل فى المشيب
أتوب وسمار غساسنة تجلى ... بغر جباههم سود الخطوب

وأنت قد عبدت دربى ... فضاع على مفترق الدروب
وعندى بالذى آتى شفيع ... على ما فى من زلل وحوب
يجب قصيدك الحلو الخطايا ... وكان الشعر جباب الذنوب

نسيم صبا دمشق أسل نديا ... من الرشفات فى كأسى وكوبى
وهب على مرتفقا تصعد ... جمام النفس تؤذن بالهبوب
ودع عذبا من الهمسات تجرى ... على شفتى كمسترق الدبيب
وأطلق عنقلة شبكت لسانى ... وما أنا بالعقيل ولا الهيوب
وهبنى من شذاك ذكى نفح ... يليق بغصن أندلس الرطيب

أسيدتى نجاح إليك أهدى ... تحيات الأديب إلى الأديب
إلى ريحانة الأدب المصفى ... ترف بواحة الذهن الخصيب
أسيدتى نجاح وأنت أدرى ... بما تبنى القلوب عن القلوب
عرفت عميم فضلك من بعيد ... وزرت كريم نبلك من قريب
وطابقت السماع على عيان ... وجانست الإهابة بالمهيب
فكنت بحيث تلتحم السجايا ... مهذبة بمحتشم مهيب
أسيدتى وكل أخى نصاب ... من الدنيا سيقنع بالنصيب
وكل أخ مفارقة أخوه ... وكل مشعشع فإلى غروب

إليـك فزعـت منـك فقـد رمـاني ... نـداك عـلى شـفا جـرف رهيـب
وقـد بالغـت في الألطـاف حتـى ... كأنـك تحرصـين عـلى هروبـي
وأطمـع أن أثـوب وفي خـوف ... عـلى مـا أنـت فيـه أن تثـوبي
سـلمت ولا برحـت منـار مجـد ... وبـرج هـدى ، ومفخـرة الحقـوب

***

مصابيح البيان

مصـابيح البيـان لـئن تعـاصى ... عـلى مجـال قـول أو تـأبى
فقـد يلـف السـكوت أعـز نطقـا ... إذا كلـف المحـب بمـن أحبـا
لعـل البعـد يطلـق مـن لسـان ... أضـيق بـه إذا مـا ازددت قربـا
أمـا وهـواكم ونـدى شـوق ... يظـل عـلى هجـير البعـد رطبـا
وغـر مكـارم فيئـت فيهـا ... نعـيم الخلـد رفـرف واشرأبـا
يمينـا إن لي نفسـا تغنـى ... بكـم حبـا وتسـتهوى وتصـبى
سـأحفظ عهـدكم لأجـد عهـدا ... وأرهـن عنـدكم ، لأعـود ، قلبـا
وسـوف أبعثـر الأطيـاف عـلى ... إلى طيـف الحبيـب أشـق دربـا

***

يا فتية الوطن الحبيب

تحيتي إلى الطلاب العراقيين في (اليونان)

يـا فتيـة الـوطن الحبيـب تفيـأوا ... ظلـل الحضـارة «في حمـى الإغريـق»
وتلقفـوا في سـوحه ثمـر النهـى ... والعلـم مـن دوح أشـم وريـق

غطـى البسـيطة كلهـا بسـمائه ... وأنـار ليـل غروبهـا بشروق

مـن هـا هنـا نمـت الشرائـع لم تـزل ... لـلآن شرعـة عـالم مطـروق

وتكاملـت نظـم ، وشـعت أنجـم ... مـن كـل فـذ ، مـارد ، عمليـق

مـن كـل :خـلاق يريـك بهـا أتـى ... مـن معجـزات قـدرة «المخلـوق»

طابـت مـدارجكم وبـورك جمعكـم ... مـن مسـعف ، ومزامـل ، ورفيـق

ورعـاكم لطـف «الإلـه» ومـدكم ... بـالنجح والتيسـير والتوفيـق

يـا فتيـة الـوطن الحبيـب تـزودوا ... مـن خـير زاد فى أعـز طريـق

زاد النهـى ، وطريـق مجـد مسـفر ... فى «الرافـدين» عـن الغـد المرمـوق

***

خمرتى

خمرتـى فضـلك لا يحصى عـلى ... أنـت قـد حببـت دنيـاى إلى

عـدتى فى شـدتى خمـر و «نـى» ... لا أقـول الشـعر حتـى أشربـا

فطرتـى كـل عـلى مـا فطـرا

***

رسالة

مـن مبلـغ عنـى رسـالة موجـد ... كلـف إلى الرشـأ الأغـن محمـد

خـادعتنى بـاللحظ منـك فصدتنى ... ولقـد يعـز عـلى سـواك تصـيدى

ولقـد ذكرتـك والكـؤوس مرنـة ... والصـحب بـين مصرع ومعربـد

وجــذبتنى ، وأنــا البعيــد تنــاولا وبريتنـــى بـــرى الحديـــد بمـــبرد
وغمزت للساقى وقلـت لـه ادع لى باســـم الـــذى أهـــوى ولا تـــتردد
وإذا خشـيت المـرجفين فغـن لى «مـن آل ميـة رائـح أو مغتـدى»

***

وشاح من الورد

نشرت فى صحيفة «مرآة العراق» العدد ٣ فى ١ كانون الأول ١٩٢٤ .. بعنوان :

الأدب الحديث

وشاح من الورد

للشاعر المطبوع الشيخ محمد مهدى الجواهرى

قدمها الشاعر برسالة إلى صاحب الصحيفة ، محسن ناجى صالح هى :

أخى المحترم صاحب «مرآة العراق» المفضال ..

بعد السلام عليك ..

بمناسبة إرسالى الموشحة الصغيرة لجريدتك الغراء أقول :

إن إخوانى الشرقيين عامة يدينون اليوم بدين التقليد وأنا معهم .. ولكنى ، مع هذا كله ، فأنا غيرهم ..

لقد ضاقت خطة الأدب العربى الوسيعة بكثير من إخوانى أصحاب الأذواق فى الأدب الشرقى كما يظنون ، وعوضا من أن يستخرجوا من أوزانه وأعاريضه أوزانا وأعاريض أخرى ليكون لهم أيادى خالدة عليه ، فقد نزلوا كلا على الأدب الإفرنجى ، وآخر ما أتحفونا به من ذلك الشعر المنثور.

أجل .. أخى ، خير من هذا الشعر المنثور الغربى الفاقد لرنة الشعر الموسيقية التى تنزل بها القافية على أعماق القلب بلا إذن ، الموشحات الأندلسية المتشعبة الفنون ، الكثيرة اللطف والرونق .

وخير لناقلها إلى العرب الأديب أمين الريحانى أن يكون ثانى «ابن باجه» و«ابن زهر» و«ابن الخطيب» من أن يكون ثانى فلان الأفرنسى والأمريكانى وهو العربى القح .

أما أنا ، المخلص فلا أزال مشغوفا بالآثار الأندلسية المعتوقة أقرأها عند كل صباح ومساء ، بنغمتى التى أقرأ بها كل ما يعجبنى ويطربنى .. ولا تزال موشحات الأندلسيين وأهازيجهم قبلتى وقدوتى عندما أريد الخروج على بحور الخليل بن أحمد وأعاريضه الدارجة المألوفة .

وإليك واحدة منها نظمت قبل سنين عثرت عليها بين أوراقى المتناثرة ، وبعثت بها إليك ، على ما بها ، دليلا على إعجابى بهذا النوع من النظم منذ صغرى.

والسلام عليك

المخلص

محمد مهدى الجواهري

يغـزل للفجـر بـيض الخيـوط

والصـبح إذ يسرى مطـالع الـبشر عـلى النـواحى

وريـق القطـر يحـوك للزهـر ثـوب ارتيـاح

والشـهب نـدمان بعـض لـبعض

والكـــــل فرســـــان

والــــروض ميـــــدان　　للقطـــــف والعـــــض

والصــــدغ بســــتان

واللحـــــظ وســـــنان　　كـــالنرجس الغـــض

والشـــعر كالشـــعر فى اللــف والــنشر فيــه افتضــاحى
والخــد كالبــدر كالشــمس في الظهــر والأفــق ضــاحى

روح الصـــبا تسرى بالبعـــث والـــنشر عـــلى البطـــاح
ويـــانع الزهـــر يلتـــف بـــالنهر مثـــل الوشـــاح

الــــروض مـــزدان

تكســـوه ألـــوان　　مــــن الربيـــع

والنبـــت فينـــان

روح وريحـــان　　زاهـــى الفـــروع

والشــمس في ســكر مــن رشــفة الخمــر مــن الأقــاح
تسرى ولا تـــدرى بـــالنهى والأمـــر بـــلا جمـــاح

ومبســـــم الفجـــــر

يفـــــر عـــــن در　　مـــــن الســـــقيط

وطـــــائر الـــــنسر

يلـــــوذ بـــــالوكر　　خـــــوف الســـــقوط

والبـــــــدر فى الأسر

واهى الخيوط

***

امنن عليّ

مـــولاى كـــم لـــك فى العـــدى　　يـــوم ســـبقت بـــه أغـــر

ومكـــــارم فـــــت الكـــــرام　　بهـــــا ففـــــات العـــــد حصر

لم يعـــــدنى تقبيـــــل كفـــــك　　غـــير جـــودك فهـــو بحـــر

أنـــا غـــرس نعمتـــك الـــذى　　أنطقتنـــــى فـــــالقول ســـــكر

فلأجزينـــــك مـــــا حييـــــت　　ومـــــا بقـــــى ليـــــل وفجـــــر

بمـــــدائح رقـــــت كـــــما　　أخـــــذت مـــــن الألبـــــاب خمـــــر

وقصـــــائد بدويـــــــة　　يصـــــبو لهـــــا بـــــدو وحضر

أنكـــــرت منـــــى ســـــيرة　　قـــــبلى عليهـــــا الأهـــــل مـــــروا

قـــل لي : لعـــا إمـــا عثـــرت فـــإنني ذاك الأغـــر
وامـــنن عـــلى «بدميـــة» أو لا فـــإن «الـــقصر» قفـــر
ســـتريك أيـــام الشـــقاء بهـــا عـــداك ولا تسر-

***

صياد

مضى حمزة الصياد يصطاد بكرة فـآب وقـد صـاد العشـى غرابـا
وحمـزة صـياد كفـاه ذخـيرة وإن صـاد كلبـا أن يقـال أصـابا

***

عالم الغد

عـالم الغـد :يـا رهـين ضـباب
مـن دخـان ونفثـة وتـراب
وعجـاج مـن المغـانى الخـراب
تحـت أنقاضـها وجـوه كـوابى
مـن شـيوخ وصـبية وكعـاب

هـى إذ حشرجـت ورقـت وجيبـا
أودعـت فى الـتراب سرا رهيبـا
وخيـالا للملـهمين خصـيبا
أمـس هـذا الضبـاب كـان قلوبـا

نابضـات بنافـحات الشـباب

وهبـات مـن الأمـانى العـذاب
وهى للكون ، بعد ، سوط عذاب
بجنـاح المـروع المرتـاب
حلقت كالسحاب فوق السحاب

تمـنح الشـمس جـذوة واشـتعالا
ومشـت فى الثـرى تهـز الجبـالا
يمـلأ الأرض غيضـها زلـزالا
يتحـدى يثقـله الأثقـالا
فتقيـل الطغـاة والأقيـالا
والمهازيـل فى الحريـر كسـالى
عثـرات تعرقـل الأجيـالا
وبعوضـا عـلى الـدماء عيـالا

تتهـزى مـن مـاجن لعـاب
يتلهـى بكـأسـه والشراب
سـاقط فـوق غـيره كالـذباب
ذاهـل عـن دنـو يـوم الحسـاب
عصـفت بـالرؤوس والأذنـاب
مـن عبيـد وسـادة أربـاب
ثـم قالـت وأنفـذت – كالشـهاب
قال–بـالرجم– وهـو فصـل الخطـاب

أتراني مطرودة من إهابى
واللطاف الخلصان من أحبابي

ومقرى فى وارفات الظلال
خافقات : برقة ودلال
والنمير المرقرق السلسال
والطيوف المعرسات حيالى
والأحاديث ذوب سحر حلال

والأماني مثل زهر الروابي
بالصبا تستجم لا بالتصابى
أتراني اطرحت مالى ومابى
ضلة فى مسالكى كالسراب
ومهاوى تشرد واغتراب

أتراني أصبحت محض خيال
وبيان عن فكرة ومثال

لأنمى هذى الوجوه القباحا
تنذر الكون كالوباء اجتياحا
وأصون الإقطاع والأرباحا
ولأسقى هذا الزنيم الوقاحا
من دم العامل المليء جراحا
ولأبقى الأجير والفلاحا
والنفوس التى تفيض صلاحا

والـــذكاء المنـــور الوضـــاحا

رهـــن ذل وخيفـــة وارتيـــاب

وأســـارى مـــامر ومرابـــى

وصريـــح فى لؤمـــه ومحـــابى

وقـــوانين لم تجـــئ بكتـــاب

مـــن ســماء الأخـــلاق والآداب

غـــير مـــا ســـن مجرمـــون وقـــاح

شرعـــوا الظلـــم ســـنة وارتـــاحوا

وجـــرت- وفـــق مـــا أرادوا - الريـــاح

فـــإذا العـــيش ســـبة واجـــتراح

وجهـــود الأفـــراد نهـــب مبـــاح

وهنـــاء مفـــتح الأبـــواب

للنفايـــات مـــن وحـــوش الغـــاب

يلعقـــون الـــدماء مثـــل الكـــلاب

عنـــدهم مـــن مشرع مفتـــاح

بـــين حديـــه غلظـــة وســـماح

ومســـاء فى جوفـــه وصـــباح

وانقيـــاد لشـــلة وجمـــاح

عـــن ملايـــين مـــدقعين عـــراة

وجيـــاع غرثـــى ، مـــراض ، حفـــاة

وحيـــارى مشرديـــن غـــواة
نقلـــوا مـــن دمـــائهم لـــلسراة
وتخلـــوا عـــن حقـــهم فى الحيـــاة
لبقـــاء العنـــا صر المنتقـــاة
تتهـــاداهم أكـــف الجبـــاة
كـــل مســـتنزف الـــدما كـــالنواة
مـــزدراة عـــلى الثـــرى ملقـــاة

كـــل ألـــف مـــنهم بعلـــج ســـمين
نـــاتئ الأخـــدعين ضـــخم الـــوتين
فـــتراهم مـــن حرقـــة وشـــجون
وخنـــوع بـــاد ، وحقـــد دفـــين

وتمـــادى أوامـــر ونـــواهى
وتـــرد فى مهلكـــات دواهـــى
تـــرك الـــذل مـــنهم فى الجبـــاه
وأخاديـــد أعـــين وشـــفاه

ومجـــارى الدمـــوع ، والبســـمات
وخطـــوط الوجـــوه ، والقســـمات
طابعـــا فى الخلـــود كـــالنيرات
هـــو فى الأرض مكمـــن الجمـــرات
ومثـــار العـــوا طـــف الخطـــرات

قـــد علمنـــا بمنطـــق الحـــدثان

وبــدرس مــن«الحكــم» الزمــان

بــدم خــط فى ســطور كتــاب

لنظــام مهــيمن غــلاب

مســتتم الفصــول والأبــواب

مــن نتــاج الأجيــال والأحقــاب

وضــحايا الأشــراط والحجــاب

لم تعــوق خطــاه بالإرهــاب

وفنــون الإجــرام والارتكــاب

وأســاليب مغريــات كــذاب

مــن ثــواب مســتهجن وعقــاب

وبــما كــان مــن قــديم وكانــا

مــن حــديث تســمعا وعيانــا

مــن جمــوع هلكــى تثــل كيانــا

ركــزوا فى أساســه الطغيانــا

وطلــوا بالعــد الــة الجــدرانا

رافعــات مــن فوقــه بنيانــا

للــذى تســتطيعه عنوانــا

إن هــذا النضــو الــذليل المهانــا

الــذى فــاض نقمــة واحتقانــا

وتغــاضى عــن الأذى أزمانــا

يحمــل القلــب نابضـــا والهوانـــا
والشـــعور الممـــض والحرمانـــا
والـــذي ظنـــه الجبـــان جبانـــا

لم يكـــن مثـــل مـــا أرادوا وخـــالوا
بـــل هزبـــرا إذا اســـتقام مجـــال

وعصـــوفا مدمـــرا مرنانـــا
وخضـــما إذا انـــبرى طوفانـــا
وجحـــيما إذا طغـــى بركانـــا
يقـــذف الغـــيظ جوفـــه نيرانـــا
لا عتابـــا ، ورقـــة ، وحنانـــا

لم نعـــود لصـــق الـــتراب العتابـــا
غـــير مـــا كـــان زجـــرة وســـبابا
وامتهانـــا وإمـــرة وعقابـــا

وشـــحنا آدابنـــا واللغـــات
بـــاختلاف الحـــروف واللهجـــات
بنعـــوت فياضـــة وصـــفات
مجحفـــات بحقـــه مزريـــات
لائقـــات بهـــذه النكـــرات

مـــن «ســـواد» و«ســـوقة» وطغـــام
ورعـــاع تســـاق كالأنعـــام
ووضـــعناه في أحـــط مقـــام

وحرمنـــا لــــذة الاحـــترام
واجتنبنـــاه كاجتنـــاب الجـــذام
وســلبناه مـــا لــه مــن حطــام
وركلنـــاه ، بعـــد ، بالأقـــدام

لم نغـــادر عليـــه حتـــى الثيابـــا
وشربنـــا دمـــاءه أكوابـــا
طافحـــات تعاســـة واكتئابـــا

وسرقنـــا رغيـــفه والطعامـــا
ومنعنـــاه مضطـــجعا ومقامـــا
ثـــم جئنـــاه مجـــرمين لئامـــا
نترضـــاه محســـنين كرامـــا
رافعـــين الـــرؤوس والأعلامـــا
مشـــهدين الأجيـــال والأيامـــا
والطـــروس الضخـــام والأقلامـــا

ورجـــال الصـــحافة الأحـــرارا
وشـــيوخ المنـــابر الأخيـــارا

ودعـــاة التحريـــر والتفكـــير
مـــن أديـــب وشـــاعر نحريـــر
وعـــلى كـــل موجـــة فى الأثـــير

إننـــا مـــوسرون نرعـــى ذمامـــا

ونواسي الضعاف والأيتاما
ونعزي أراملاً وأياما

مؤثرين الجياع بالفضلات
ونفايا موائد ضحلات
غرقات بأدمع هطلات
من عيون ندية خضلات

وبفيض من مقذع التشهير
ومثير الإذلال والتحقير
لفقير وعائذ مستجير
وفقير لمن ؟ للص خطير
مستجير بمن ؟ بشر مجير

يا نظام الإحسان والصدقات
واقتطاع الأجراء والنفقات
من حساب الأسلاب والسرقات
واحتضان اللقيط في الطرقات
واحتيال القانون للطبقات
موبقات تسرم بالموبقات

يربأ الكون واثبا مقداما
ماشيا – والأنوف رغم – أماما
غازيا تسوره العقول اقتحاما
تاركا خلفه – الرياء – حطاما

أن تـــرى أنـــت للشـــعوب نظامـــا

أيهـــا المســـتمن بـــالتلطيف
مســـترقا بـــكسرة مـــن رغيـــف
لا تقيـــه إثـــارة مـــن جـــوع
وبكـــوخ فى ظـــل قصر منيـــف
يتمنـــى انعكـــاس ضـــوء الشـــموع
وســـميل مـــن الثيـــاب شـــفيف
يســـتر العورتـــين بـــالترقيع
وحواليـــه مـــن نتـــاج الصروف
مـــن ذويـــه «الأوبـــاش» أى قطيـــع

عجبا! هـل علمـت؟ مـن ذا تكـون؟
أنـــت يـــا مـــن تركـــز التكـــوين
فـــوق متنيـــك، والوجـــود الثمـــين
آه لـــو زايلتـــك هـــذى الظنـــون
شـــاءها الخـــوف والنظـــام المهـــين
وتجـــلى لـــك العيـــان اليقـــين
والمكـــان الـــذى تحـــل المكـــين
وبـــأى الهبـــات أنـــت قمـــين
آه لـــو كنـــت عالمـــا مـــا يحـــين

لـــو تأبيـــت أن تجـــوب القفـــارا

وتـــرود البحـــور والأنهــــارا
وتـــدك الصخـــور والأحجـــارا
وتشــــيد القـــلاع والأســـوارا
باعثـــا ميـــت الـــتراب نضـــارا
وزروعـــــا فينانـــــة وثــــمارا
وســـــلاحا وزينـــــة ودثـــــارا
لـــو تحاشـــيت أن تقـــيم مطـــارا
أو تهيـــــى دبابـــــة وقطـــــارا

أو ترفعـــت أن تـــذيب الحديـــدا
وتزجـــــى فيالــــقا وجنـــودا
وتعـــــلى معـــــابرا وســـــدودا
وتصـــــفى سبـــــائكا ونقـــودا
وتســـوى جـــواهرا وعقـــودا
وكبـــولا بجنبـــــها وقيـــودا

كــف يومـا عــن أن تكـون أسـيرا
للـــذى أنـــت«ربـــه» مـــأجورا
لـــترى هـــل تكـــون إلا أمـــيرا
وبشـــيرا إلى الـــورى ونـــذيرا؟
ذق كـــما شـــئت يومـــذاك الخمـــورا
وتخـــير كـــما تريـــد القصـــورا
ثـــم جـــاور «مخلـــدين» و «حـــورا»

واسحب الخز ناعما والحريرا
واسق أطفالك الظماء العصيرا

من مزاج التفاح والأعناب
لا خليط الأوشال والأوشاب
وترض الصغار بالألعاب
من تصاوير غابرين عجاب
نزلوا نطفة من الأصلاب
أرج المسك فوقها والملاب
والبرايا من طينة وتراب
قذر طافح بعاز وعاب
كل «رأس» محطم الأعصاب
خلفه كومة من «الأذناب»

كل مسخ بالأمس كان مخيفا
مشمخرا على الرؤوس منيفا
حبس الفكر حوله أن يطوفا
وهبوب الرياح إلا رفيفا
وطيور السماء إلا زفيفا
حذرا أن تمسه تجديفا
لا يراه العباد إلا وقوفا
وسجودا وركعا عكوفا

إنـــه «كتلــة» مـــن التقـــديس
مســـتطير الألـــوان كالطـــاووس
كـــل يـــوم زفـــاف العـــروس

أرهـــم مـــن«مقومـــات» الغبـــاء
وافتضـــاح الخمـــول في الســـيماء
وجمـــود المـــلامـــح البلهـــاء
فـــوق هـــذي«اللعيبـــة» الرعنـــاء
مـــا يـــريهم حقيقـــة النـــبلاء
أرهـــم : رأس«بومـــة» نكـــراء
صـــاعدا باســـتقامة واســـتواء
فـــوق جســـم«البغـــال» في الامـــتلاء
لوحـــــة ذات بهجـــــة ورواء
رســـمتها كـــف«النظـــام» المرائـــي
لترينـــا نمـــوذج «الكـــبراء»
أرهـــم : صـــورة لوجـــه خـــلاء
مـــن ســـات الإيحـــاء والإغـــراء
جامـــد مثـــل صـــخرة صـــاء
ومـــن الصـــخر مـــا يفـــيض بـــاء
ويقـــوى دعائـــا للبنـــاء
وتماثيـــل نطـــق خرســـاء
مـــن نتـــاج النوابـــغ العظـــاء

بجبـــين ضـــنك كطـــى الحـــذاء

أوســعته صــقلا أكــف «الهنــاء»

لا تــرى فوقــه غضـــون عنـــاء

هـــى رمـــز الرجولـــة الشـــاء

وعيـــون «كفحـــمة الطرفـــاء»

خافقـــات بنـــظرة جوفـــاء

آذنـــت مـــن خمودهـــا بانطفـــاء

هـــى عنـــوان ميـــت الأحيـــاء

أرهـــم : فى العـــروق مجـــرى الـــدماء

آســـنات فى ظـــل عـــيش رخـــاء

لم تخضـــخض بهمـــة وفتـــاء

ومهـــب العـــوا صـــف النكبـــاء

واخـــتلاط الســـراء بـــالضراء

ومثـــار العواطـــف الشـــعواء

وتجاريـــب خيـــبة ورجـــاء

مـــن أب عـــاش عيشـــة الســـفهاء

يقضـــم المـــال قضـــمة العجـــاء

حـــازه مـــن تســـفل وارتشـــاء

واقتطـــاع وســـرقة وادنـــاء

لم يكلـــف حتـــى بمعنـــى الثـــراء

ولأم مشـــــغولة بالنســــــاء
وفنــــون الأصـــباغ والأزيـــاء
ومجــــالى تبـــــذل وارتمــــاء
وانــــزلاق فى هــــوة عميــــاء
مــن مهــاوى الفجــور والأغــواء
تنهـــزا منهـــا عيـــون الإمــاء

قـل لهـم : أمـس كـان مسـخ كهـذا
يمـــلأ الأرض قــوة ونفـــاذا
وارتقـــاء بمعـــشر وانتبـــاذا
لم يكــن أمــس مــن يقــول : لمــاذا؟
كــان هــذا المســخ الغبــى معــاذا
لنفـــوس تمـــجه ومــــلاذا
أمـــس كنـــا وكنبـــتمْ شـــذاذا
أمـــس كنـــا وكنـــتم شـــحاذا

نجتـــدى مـــن دمائنـــا قطـــرات
حبســـت عنـــد هـــذه الحشرات
هـــى منـــا فى هـــذه الغمـــرات
والوجــوه «المصـــفرة» الغـــبرات
والعيـــون «الحزيـــنة» الحـــذرات
هـــى منـــا فى هـــذه النـــبرات
فى حنايـــا الصـــدور «مـــنكسرات»

والأغـــانى أفعـــمت بعويـــل
ونـــواح مرجـــع وهـــديل
بـين زاهـى الربـى وخضر الحقـول
وعـــلى كـــل جـــدول ومســـيل
ولـــدى كـــل بكـــرة وأصـــيل
صـــارخات مـــن احتـــدام الميـــول
وتقاليـــد «معـــشر» و «قبيـــل»
مـــن فـــؤاد دام وحـــب قتيـــل
و «ضـمير» سـام و«جسـم» ذليـل

وهـي ضـوء الشـموع في الحجـرات
عنـــدهم و«الكواكـــب» النـــيرات
ودلال الأواني الخفـــــــــــرات
و«تحايـــا» أنفـــا ســـها العطـــرات
واصـطخاب «الأهـواء» فى السـهرات
وأريـــج «العـــرائش» المزهـــرات
وهـــى ذوب الخمـــور معـــتصرات

أمـس هـذا «النعـيم» كـان زروعـا
والـــزروع الورفـــاء كانـــت بقيعـــا
كـم سـقينا تلـك «الكـروم» دموعـا
واحتضـــنا أصـــولها والفروعـــا

كم عصرنا- ونحن نعصر جوعا-

الــشهار التــى تســيل اللعابــا

لنســاقى هــذى«المســوخ» الشرابــا

كــم دفنــا تحــت الــتراب شــبابا

وأضــعنا الجهــود والأتعابــا

لــنجلى هــذى اللعــوب الكعابــا

تســحب الخــز نــاعما جلبابــا

مــن «إهاباتنــا» خلعنــا إهابــا

فوقهــا ســاحر الــرؤى جــذابا

و«عصرنــا» دماءنــا أحقابــا

لنصــفى منهــا اللمــى والرضــابا

نــترضى بــذلك الأربابــا

وســلوا مــن مثالــث ومثــانى

حانيــات عــلى أكــف الغــوانى

ناطقــات ، برقــة وحنــان

عن أمانى هذى«العلوج» «السمان»

وتشــهى «فلانــة»؟ و «فــلان»

كـم وكـم – مثلهـا- ظهـور حـوانى

وعيــون مقروحــة الأجفــان

عاجــت شــد هــذه العيــدان

باعثــات فى ميــت «الأحطــاب»

أى روح ملـــــطف منســـــاب

هــى لــو عــاودت إلى «الإنســاب»

وتــــراث المنـــاخ و «الأعصـــاب»

وافتقـــاد اللــــدات والأتــــراب

وهى فى العرق أخت وحش الغاب

هــى أم الطيــور ، بنــت الســحاب

ضــــاربات عروقهـــا فى الـــتراب

قــــرأت فى مقاصـــف الأقطـــاب

ومقاصـــير «نخـــبة» أطيـــاب

واقتعـــاد بهــــا وراء حجـــاب

ومراســـيم مثقــــلات الوطـــاب

باصــــطناع الوقــــار والآداب

محــض إيحاشـــة وفــرط اغــتراب

ومثــــار الشكـــوك والارتيـــاب

لتخلــت عـــن«فاتنــات» القيــان

وصـــدور «المغـــامرات» الحســـان

عبقـــات الأحضـــان ؟ والأردان

لصــــدور مكتــــظة الأشــــجان

زاخـــرات الأنغــــام والألحــــان

مثلهـــــا فى مكانـــــة وكيــــان

مـن بنـات الوحـول والأطيـان
لا صـدور الأكـابر الأعيـان

عـالم «اليـوم» أنـت ضـحكة رائـى
أنـت – لـولا العيـان – محض هـراء
أنـت فى «عـالم الغـد» المترائـى
مـن أقاصـيص صـبية أبريـاء
ونكـات الخـلان والخلطـاء
أنـت للسـامرين حـول «الصـلاء»
سـمر قاتـل ليـالى الشـتاء

«عـالم الغـد» : أمـس أبصرت «قنـا»
مجهـدا عنـد«نـاعم» يتكنـى
«سـيدا» عبـد«سـيد» يتغنـى
بنعـوت «لسـيد» يتهنـى

بنعـيم مـن «سـيد» راح عبـدا
«لسـواه» بفضـله يـتردى

وغريـب فى أمـر هـذى الجمـوع
مسـترقين للنظـام الرقيـع
إن هـذا «السـوى» مطـاع الجميـع
وأولاء السـادات بالتشـفيع
هـم عبيـد لعبـد ذاك «المطيـع»
يـا «هـواة» التنفيـذ والتشريـع

و «غـــواة» التمويـــه و «الترقيـــع»
هـل عـرفتم«جوعـان» رب «مجيـع»
ومجيعـــا يخـــاف وطـــأة جـــوع

هكـــذا . هكـــذا . دنـــا فتـــدلى
هـــرم مـــن عـــلٍ لتحـــتٍ تعـــلى
رافعـــات عنـــد الجماهـــير ثقـــلا
ســـلقيات عـــلى البســـيطة ظـــلا
يـــنعم «الفـــرد» تحتـــه مســـتغلا
بالأطاييـــب – دونـــهم – مســـتقلا
فلـــماذا ؟ وكيـــف؟ «عـــز» و «جـــلا»
وتخطـــى عـــلى«العبـــاد» ؟ مـــدلا
مـــن علـــيهم غـــدا عيـــالا وكـــلا
ولمـــاذا ؟ وكيـــف؟ عـــاد أشـــلا
ولمـــاذا عـــن كـــل حـــق تخـــلى
ولمـــاذا ؟ أضـــحى الأغـــم الأذلا
ذلـــك الأكثـــر المعيـــل «الأقـــلا»
لغـــز لم يجـــد لـــه العقـــل حـــلا

أنـــت يـــا رافعـــا مـــن الأثقـــال
هرمـــا ، كـــان مـــن ضروب المحـــال
أنـــت يـــا مـــن لا يســـتقر ببـــال

غير إلمامة كطيف خيال

كن جوابا على أدق سؤال

كان مذ كانت العصور الخوالى

عن «قيام» مهدد بالزوال

وتهاوى كواكب وجبال

وتجلى بعث ، وعقبى نشور

واطراح القبور أهل القبور

ويسير من أمرهم وعسير

وتهاويل نافخ فى الصور

وامتحانات منكر ونكير

وجزاء من جنة وسعير

ذاك رمز انتصار عهد النضال

و «رعايا» تحول وانتقام

وتصاميم دولة العمال

عالم الغد إن «سوق» العبيد

نزلوا عند حكم «لون الجلود»

وابتداعات «سيد» و «مسود»

ومآسى حواجز وحدود

وصياح «النخاس»: هل من مزيد؟

فى «تماثيل» أوثقت بالقيود

غارقات آذانها فى الصديد

منيــــت فى قيامهــــا والقعــــود
بعتـــــل فـــــظ عنيــــد مريــــد
صـــــارخات بلونهــــا المكمــــود
وبـــــما فى عيونهــــا مــــن شرود

للســـما تبتغـــى اخـــتراق النجـــوم
تتحــــرى مقــــر ذاك «الحكــــيم»
الــــذى شــــاء مــــا بهــــا مــــن همــوم

لم تعطـــــــل إلا لأن رقيقــــــا
أبيضــــا يمــــلأ العيــــون أنيقــــا
لا يــــرى مثـــل خلقــــه مخلوقــــا
فى خضـــم مـــن الغـــرور غريقــــا
يســـترق الغريـــق منــــه الغريقــــا

حـــل فى «رقـــة» محـــل الســـود
فى هبـــوط «أســـواقه» وصـــعود
ونحـــوس «نجومـــه» وســـعود

تلـك سـوق فيهـا «غنـى» ومتـاع
وعليهـــــا تســــــابق وصراع
كـــل يـــوم بـــين «الرقيـــق» نـــزاع
أيهـــم قبـــل غـــيره ينصــــاع
ســـيطرت فى ســـمائها الأطـــماع

واستوى فوق عرشها الإقطاع
وتباری الإثراء والإدقاع
والمطيعون يمتطيهم مطاع
كم، وكم تشترى بها وتباع
حرمات، وأنفس، وطباع
عريت من «ضمائر» فهى «قاع»

صفصف، موحش الثرى إمحالا
ليس فيها«للصالحات» انتجاع
فهى «جرداء» لا تفيء ظلالا
وهى «ظلماء» لم(ينرها) شعاع
من «أحاسيس» ترشد الضلالا

عرض «البائعون» فيها الرجالا
بعضهم فوق بعضهم أثقالا
كل مستكبر يتيه اختيالا
داهن منه لمة وسبالا
ساحب من«تجبر» أذيالا
حملت من «فضائح» أوحالا

وصياح «النخاس» عاد فرنا
من جديد«بسوقة» يتغنى
أيها الخائف احتقارا و«طعنا»
يتجنى ويتقى ما تجنى

كـم «مجـن» هنـا لبـاغ «مجنـا»
دون مـا شـق مـن خـروف و«سـنا»
هـا هنـا لـو أعـرتم«السـوق» «وزنـا»
سـلع تحمـل«الجرائـر» عنـا
هـن لفـظ و«مشـتريهن» معنـى
هـن مـرآى و«مجتنـيهن» مبنـى
مـن هنـا لفقـت لفيفـا وهنـا
كـم نصـبنا بخلقهـا وتعبنـا

كـم سـعينا بهمـة الجبـار
بأسـاليب جمـة الأوطـار
كـم بثثنـا الأرصـاد ليـل نهـار
فى سـواد الأقطـار والأمصـار
لشراء «البضـائع» الأشرار
تـتردى مظـاهر الأخيـار
أيهـا المبتغـون نشر دمـار
وارتجـاع عـلى يـدى «سمسـار»
يـا بغـاة الإدقـاع والإفقـار
واحتجـاز الشـعوب رهـن الأسـار
أيهـا الوالغـون فى كـل عـار
وشـنار لكـن وراء سـتار

كـم سـتار لكـم هنـا وحجـاب

نحـن حكنـا خيوطـه باقتضـاب

وأقمنـا نسـيجه باغتصـاب

مـن نثـار الأسـقاط و«الأسـلاب»

مـن مـراء ومـرتش ومحـابي

وخـؤون ومرجـف كـذاب

عنـدنا ، هـا هنـا، عـلى الأبـواب

ألـف قطـب «رخـو» مـن الأقطـاب

مـن «دهـاة» القطـاع والنهـاب

بـاختلاف الحجـوم والأضراب

وبشـتى النعـوت والألقـاب

وافـتراق «الألـوان» و «الأثـواب»

نحـن أدرى بهـذه «الأنصـاب»

و«بأحسـابهن» و«الأنسـاب»

ومحـل لهـن في «الإعـراب»

إنهـا حـين تـترك الأبوابـا

عنـدما تـدفعون عنهـا الحسـابا

ترتـدي غـير ثوبهـا أثوابـا

ثـم تلقـى عـلى«الضـمير» حجابـا

وعـلى أوجـه«خـزين» خضـابا

فالمحـابي غـدا يـروح محـابي

والمرائي مبجلا مستطابا

والخؤون «الشهم» الرفيع جنابا

والغبار الذي صببناه صبا

من «وحول» فكان شخصا مذبا

سيصلي له ويعبد ربا

عندنا ألف هيكل جبار

حوله شائك من الأسوار

من بناء «المشرع» القهار

يتراءى لأعين النظار

فارغا شامخا على الأبصار

يتحلى «بهيبة» و«وقار»

و«احتفاظ» وإمرة واقتدار

وبسر «فذ» من الأسرار

وبإحكام «صانع» مختار

نحن ضغناه من مزيج غبار

من مثار «النكباء» و«الإعصار»

ومداس «الوحوش» بين القفار

و«وحول» الأكدار والأقذار

فهو كناس – كما أردتم – وعاري

وهو «عال» على أساس هاري

عـالم الغـد : «أمـس» أبصرت فـردا

مـن أولاء البـيض«العبيـد» استبدا

دخـل «السـوق» فاشـتروا منه عبـدا

لـيس يقـوى لمـا أرادوا مـردا

ثـم ألقـوا عـلى خفافيـه بـردا

زعمـوا أنـه تضـمخ مجـدا

فـانبرى وهويحسـب الهـزل جـدا

والأناسـي أوليـاء و «جنـدا»

وخضـوعا لم يملكـوا عنـه بـدا

فـرط عجـب«بمقلتيـه» ووجـدا

بالعبوديـة الـتى يـتردى

كـذبوا أي «سـؤدد» ؟ أي مجـد؟

مسـتعار متـى اشـتهوا مسـترد

مـن غـرور وباطـل مسـتمد

أي «بـرد» مـن كـف أي «مسـدى»

ملحـم ، مالـك لحـل وعقـد

قـد تـرداه ألـف جبس ووغـد

أمـروا ، وانتهـوا بعـزل وطـرد

فـإذا «مجـدهم» هبـاء نثـير

وإذا مـاؤهم سراب يغـور

وإذا هـم قفـر صحاصـح بـور

وإذا مـــا انطـــوت عليـــه الصـــدور
جيـــف تســـتفز منهـــا القبـــور
وتخـــاف الـــدنو منهـــا العطـــور
قـــبح المســـتعار والمســـتعير
فى مصـــيريهما .. وبـــئس المصـــير
وإذا فـــوق كـــل ذاك الضـــمير
لم يســـاوم ليشـــتريه الحريـــر

«عـالم الغـد» : أمـس مـرت حيـالى
كتـــل مـــن «مـــؤمرين» مـــوالى
أخـــرجتهم «مصـــانع للرجـــال»
هـــم بـــرغم الألـــوان والأشـــكال
نســـجوا كلهـــم عـــلى «منـــوال»
مـــن «دمـــى» إمـــرة؟ و «لعبـــة» مـــال
و«مغـــاوير» منطـــق وجـــدال
و«مرايـــا» ســـيا ســـة واحتيـــال
و«ســـعالى» ذوى شـــعور طـــوال
تستســـيغ «الحـــرام» باســـم الحـــلال
ثـــم مـــرت مواكـــب مـــن «جمـــال»
بحـــراب محـــمية وعـــوالى
تتشـــكى فى الوخـــد والأرقـــال

وطء ما حملت من الأثقال

من خداع «التشريع» و «التقنين»
من شروح فياضة ومتون
دبرتها فطاحل «التدوين»
ودعاة التخدير والتسكين
ورقاة لعالم مجنون

ثم لاحت «أصابع» كالظلال
وكما طاف طائف من خيال
ثم جرت هذى الدمى بحبال
من «نضار» مزيف متلالى
و«بجاه» ممزق أسمال
وبمجد عار من «المجد» حالى
بطلاء من القرون الخوالى

والخوالى من القرون سراب
شبه كل أمرها وارتياب

***

عصامى

عصامى عفى الرحمن عنه وأسكن روحه غرف الجنان
وعوضه عن المتع الخوالى بما فى الخلد من متع حسان
وقد كان المجلى فى احتكار وقد كان المعلى فى اختزان

وقد ظل الربا يربو لديه ... وينمو فى الدقائق والثوانى

عصامى تهزأ بالمعالى ... وما يحوين من سخف المعانى
فقد كان الغنى بها لديه ... بفضل الله - عن علم مهان
وعن أديب يجوع المرء فيه ... وعن فضل تضيق به اليدان
عصامى حوى، والشكر فرض ... بحمد الله، ما لم يحو ثانى

عصامى وفذ عبقرى ... لطيف الكيد مشدود الجنان
وقد أجرى من الذهب المصفى ... ينابيعا تسيل مع الزمان
وقد عصر الدموع من اليتامى ... فقاقيعا تفر من البنان
وحولها سبيكا من نضار ... بمعجزة، وعقدا من جمان

عصامى أجاع الشعب دهرا ... وأطعمه التراب مع الزوان
وراح مبرأ الساحات برا ... نقى الذيل طهرا كالحصان

عصامى أسال ثراه كأس ... من الذهب المصفى فى الدنان

***

المصير المحتم

أيا ابن سعيد يلهب الناس سوطه ... ويحلف فيهم أن يخط المصايرا
لقد كنت أرجو أن ترى لك عبرة ... بمن رامها قبلا فزار المقابرا
ولكنه بغى وطيش وإثرة ... وواحدة منهن تعمى البصائرا

***

أطياف بغداد

كم في غمار الناس من متوقد ... أوقيد شع على البلاد كفرقد
وكم استقر على الربى من خامل ... قد كان أليق بالحضيض الأوهد
فأعد على بغداد ظل غمامة ... باللطف تنضح والندى والسؤدد
أيام كان لمذهب متعرق ... تعنو الورى ، ونموذج متبغدد
بالكرخ بغداد تتيه ، وكوفة ... بالمسجدين ، وبصرة بالمزبد
أيام كان الشعر أي كتيبة ... تحمى الثغور بها وأى مهند
كان المقصر تستفز شذاته ... ليجيد عقبى حاذق ومجود
أطياف مجد ما يزال خيالها ... مرحا بأيقاظ يطوف وهجد

ورؤى كأن الجن تبعث هزة ... منها بأعطاف الحسان الخرد
ومرد أصداء يجاوب بعضها ... بعضا بضخم تراثها المتبدد
تتمازج الألوان فيها عن سنا ... شفق بكل صبيغة ، متورد
عن بأس هارون ورقة «معبد» ... وهوى «الخليع» بها ونسك «المهتدى»
درجت سدى لم تبق غير لميظة ... من لحمها بفم الزمان الأدرد
وتعرت الآراء في ضحواتها ... إلا كومضة جمرة في موقد
أضغاث ريحان جنى ننتشى ... بمعرق من عودها ومعضد
في كل سفر نفحة من عبقر ... لمطامن في الرأى أو متمرد
وبكل ديوان مرنة ساجع ... ومحز ثوب بالعبير مجسد

آمنت بالخلاق من شعرائه ... بمبيض صحف الورى ومسود

بـالأريحى «أبـى نـواس» وصـحبه ... مـن شـارب نخـب الحيـاة معربـد

ومقــاطع بغنائـــه فى حانـــة ... ســحرا أذان العابـــد المتهجـــد

لم يلـــف جبـــار الســـماء مـــدللا ... فى المـذنبين كقائـل : قـم سـيدى

بـــابن المعـــرة ترتمـــى جمراتـــه ... بـأمض مـن عنـت الزمـان وأحقـد

بـــالبحترى أبـــى السلاســـل لمعـــا ... بـــالعبقرى «أبـــى محســـد» أحمـــد

بمـــذل «كـــافور» عجيبـــة دهـــره ... ومعـــز آل «الأرمنـــى» و «مخلـــد»

***

لو كنت خصمك

نفسي ...

ونفـــس المـــرء إن «خليـــت» ... ممـــا يثـــير فإنهـــا عـــار

يـــا نحلـــة زهراتهـــا ألمٌ ... ودمٌ، ودمـــعٌ، منـــه يشـــتار

وربيعهـــا فلـــكٌ بعاصـــفة ... حمـــراء تـــذور النـــاس دوار

هـــل أنـــت إلا طينـــة عفنـــت ... حتـــى تمســـك مـــن جـــوى نـــار

أعزيزتي..!

ظـــــلي مؤججـــــةً ... تصـــليك أحقـــادٌ، وأوغـــار

وتثيرك الذكرى، فلا عنتٌ يُشجي ... ولا حقـــــدٌ، ولا ثـــــار

النفـــوس تميـــزُ أثرتهـــا ... عنـــد الصراع المـــرِّ إيثـــار

لـو كنـتُ خصـمك كـان مطلبـي ... أن لا يهـــب عليـــك إعصـــار

لـــدعوت أن تثنيـــك بارقـــة ... ويقـــيم منـــك العـــزم أوطـــار

وتــــردُّك اللـــــذات مغريــــة جرفــا بمــوج البحــر ينهـــار
أن ترقـــد الأنغـــام في سرور مســــحورة وتمـــوت أوتـــار

***

عظماء

عظـــماء وجـــوههم موميـــاء وكـــذلك «الفــراعن» العظـــماء!!
نخـــرات لا روح فيهـــا ، ولا معنـــى ، ولا فكـــرة ولا إيحـــاء

عظـــماء .. لأنهـــم أغبيـــاء وقريـــب مـــن الغبـــاء الثـــراء
وقريـــب مـــن الثـــراء خنـــوع وخمـــول ، وغـــدرة ، وريـــاء
وقريـــب أن توســـع الـــنفس ذلا وصغارا ..
ليأنس الكبراء
عظماء .. لا كبرياء، ولا نفح شموخ وكلهم كبرياء

ونجـــى مـــثلي غبـــي وحمـــل الـــ ـــمرء هـــم المغفلـــين غبـــاء
مـــن أولاء الـــذين يســـخر راع ورعايـــا مـــنهم ، وذئـــب ، وشـــاء
قال : ما الحال ؟ ..
قلــــت : إنـــى عـــن حـــال هيـــاء خلـــو كهـــذي بـــراء
قال : والناس ؟ ..
قلـــــت : شيء هــــــراء خـــدم عنـــد غـــيرهم أجـــراء
غنـــى الـــود عـــن ســـواه بمســـتعاه وهـــم مـــن تواكـــل فقـــراء
ومســـفون يتنكـــرون عـــلى الصقـــ ـــر المعـــلى أن تحتويـــه ســـماء

الضحايا لديهم النبغاء — والبعيدون عنهم العظماء
وقريب منهم خنوع وإسفاف — وكذب وغفلة ومراء

قال : والحاكمون ؟ ..

قلت : سواء هم ومن يحكمونهم نظراء
يجذب الشئ مثله ، وتحلى — بنظام التجانس ، الأشياء

قال : لله أنتم الشعراء — عدد الرمل عندكم أهواء
أمس ..
والشعب كله معجزات — لك واليوم
كله أسواء

قلت مهلا يا صاحبى .. ظلمات الـ — ـليل فى عين حالم ..
أضواء
أرأيت «الكواز» ..أنفس ما يملـ — ـلك ذخرا ، طين خبيث ..
وماء
صانعا منه ألف شكل جرارا — قائلا فى نعوتها ما يشاء
يتغنى بـ«كوزه» .. وكأن الـ — ـكوز فى الحسن ..
كوكب وضاء
وكذا كل خالق يترضى — ما تبنى ...
وهكذا الشعراء

أرميت العود فانكسرا

أرميت العود فانكسرا؟ أم تجافى لحنك الوترا؟

أم تقول :

النطق أعوزني أنت يا من ينطق الحجرا

أنت يا من إن رمى حنقا فحمة الليل ارتمت شررا

فإذا غطت كآبته فلكا لم يطلع القمرا

وإذا ألقى ببسمته ليبس الروضة ازدهرا

يا غريب الدار في وطن بهداة قبله كفرا

بدم سوى ضم حفرا وبورد كلل الحفرا

راجما حقدا وموجدة شجرا يهدي لها الثمرا

قل ...

وأصدق قومك الخبرا إنهم لم يفضلوا «بقرا»

أبدا تجتر ما علفت ثم تعطي الضرع من عصرا

ألغير الموت يفجؤها أمة لا تبصر الخطرا

بل كأن لم تعط باصرة تستبين النفع والضررا

لفها ليل .. فأنزلها عن سماء أطلعت غررا

أسلمت للذل مقودها لا تبالي زل أو عثرا

وتخلت عن مصايرها واستنامت ترقب القدرا

وتناست أنها قدر وإله يخلق البشرا

***

نحن ..والكلم ..

إنـا ، وحسـبك تلـك مهزلـة ... نفنـى ، وتبقـى بعـدنا الكلـم
أبـدا تسـخرنا فنتبعهـا ... فكأننـا لأدائهـا قلـم
ورق يضـم شـتاتنا مزقـا ... كحـوادث الأيـام تنـتظم
أنـا ذاك بـين سـطورها عمـة ... متحـير ، يمشـى ويـرتطم

***

بكرت جلق

رن فى القلـب فهـز السـمعا ... إنـه داعـى المـروءات دعـا
بكـرت «جلـق» ترمـى كسـفا ... مـن أواذيهـا وتزجـى دفعـا
الشـباب الحـى مـا أعظمـه ... دافعـا شـيب الحمـى منـدفعا
والجمـوع الحمـس مـا أغضـبها ... وهـى فى غضـبتها مـا أروعـا
أمـة سـوف تـرى خالقهـا ... أنهـا قـد خلقـت كـى تبـدعا
تصـنع المعجـز شـتى أمرهـا ... كيـف لـو حـم لهـا أن تجمعـا
عصـف الـوعى بهـا فانـدفعت ... وصـحا الكـون عـلى كـون وعـى
مـن مريـر الجـد شعت مـا حـلا ... ومـن الضر أتـت مـا نفعـا
وبأشـلاء الضـحايا باركـت ... دمنـا طابـت بهـا مزدرعـا
زحـف الشرق إلى الغـرب بهـا ... وارتمـى الأدنـى عـلى الأقصى معـا
قـوة الحـق كـآراد الضـحى ... مـن تـرى يمنعهـا أن تسـطعا
«جـزر المغـرب» يـا أسـطورة ... تلـبس الأهـوال لونـا ممتعـا

الأذى تـــدفع عنـــه بـــالردى　　طـــاب أســـلوبا لهـــا مبتـــدعا
وعـــلى مشـــتجر مـــن أســـل　　تصـــلب الخـــوف اغـــتلى والهلعـــا
تصـــنع الثـــورة فى أتونهـــا　　فكـــرة تـــأنف أن تصـــطنعا
مـــن نفـــوس ذبـــن فى حـــب الحمـــى　　فتســـاقطن عليـــه قطعـــا
نكتـــب التـــاريخ لا تـــدرى لهـــا　　غـــير أســـفار الضـــحايا مرجعـــا
وقـــع المـــوت عليهـــا فـــرأى　　«هولـــة» أخشـــن منـــه موقعـــا
ثـــم أغرتـــه بلحـــم ودم　　ثـــم حالـــت دونـــه أن يرجعـــا
ثـــم شـــبا فى حمـــى الضـــر معـــا　　توأمـــا مـــن محـــض ثـــدى رضـــعا
الهـــداة الغـــر مـــن لـــون الـــدما　　فجـــروا للشـــمس منهـــا مطلعـــا
والـــرؤى تصـــبغها مـــن لونهـــا　　عضـــلا قفـــرا وقلبـــا ممرعـــا
جهـــل الصـــنعة نكـــس أبلـــة　　سرق البـــاب وعـــاف المصـــنعا

خمســـة .. إن بطونـــا حملـــت　　ثقلهـــم مـــا عقمـــت أن تضـــعا
حمـــق الغـــدر أيثنـــى ســـاعدا　　عـــن كفـــاح فقـــد كـــف أصـــبعا
خمســـة .. غصـــت «فرنســـا» بهـــم　　نعـــم عقبـــى خمســـة مرتجعـــا
لم أجـــد أروع منـــه مصـــطرع الـــ　　ـــخير والشر إذا مـــا اصـــطرعا
أرأيـــت الـــدهر ضـــيما دفعـــا　　أم بغـــير الـــدم حقـــا رجعـــا

***

كم ببغداد ألاعيب

كـــم ببغـــداد ألا عيـــب　　وأســـاطير أعاجيـــب

وأساطين إذا امتحنوا … فمهازيل مناخيب

و«تهاويل» يدان لها … طوع ما تومى حواجيب

وعلوج فى بلهنية … فى خناها يعبق الطيب

سرر من فوقها بقر … بسبيك التبر معصوب

ويهيم من دم سرب … طل .. مطعوم فمربوب

مد سحت من غباغبه … وغذاها الإثم والحوب

ولوى من عطفه بذخ … من سواد جاع مغصوب

كذب التاريخ لا عرب … إنهم ، لا بد ، تعريب

أو فأعراف وأنعمة … ومروءات أكاذيب

خزيت بغداد من بلد … كل شيء فيه مقلوب

فلق الإصباح غريب … ونعيق البوم تشبيب

والخنا غنم ومحمدة … والنهى جلد وتعذيب

وبيوت الفسق عامرة … وعرين الليث منهوب

ورجال كالرجال لحى … وشباب قنع شيب

خزيت بغداد تعركها … من ضباع جوع نيب

خلدت ألفا يلقنها … الذل محسوب ومنسوب

وتفاريق ومستبأ … من فجاج الأرض مجلوب

وسراة جل مجدهم … خلب .. ضحيان .. مكذوب

عاث رجس فى محارمها … وتولى رعيها ذيب

ضل واستخذى له نقد … بالحطام الدون مسحوب

كل مخضود السباب به ... من سجال الذل شؤبوب
ما بهم عرى النفوس إذا ... خضبت منهم عراقيب
وإذا رفت على طبع ... وعلى لؤم جلابيب
كم ببغداد ألاعيب ... وأضاحيك أخاشيب
وعضاريط .. مرازبة ... ويرابيع .. يعاسيب
كل منخوس ومشفره ... بيد الأطماع مثقوب
ودمى للأجنبي بها ... خبب حلو وتقريب
شد خيط في مخاصرها ... فهو للترفيه مجدوب
و «وزارات» يلم لها ... ريث تستشفى مجاذيب
كسر ضمت على عجل ... ثم سوتها تراكيب
ونفايات تحف بها ... من نفايات أصاحيب
وغباوات يتاح لها ... من غباوات أطاييب
و«دساتير» ممخرقة ... عشعشت فيها العناكيب
وسياسيات ملفقة ... وزعامات أساليب
دون أجنات .. كما جليت ... من زناديق محاريب
خزيت بغداد .. حنكها ... في المذلات التجاريب
دهرها متلونة .. ولها ... بيد البلوى تلابيب
«الفرات» العذب لوثة ... إنه بالذل مقطوب
هطعت صيد الرقاب به ... وهوت تلك الأهاضيب
وخبا في أي مختبط ... قبس غيران مشبوب
ومشى في دجلة خنث ... لم تعوده الرعابيب

خزيـــت بغـــداد ..لـــيس بهـــا مثـــل هـــذا الفحـــل يعســـوب؟
فـــوق جمـــر مـــن ذنابتـــه لفـــــراعين مســـــــاحيب
درجـــت «خمســـون» وهـــو لهـــا طالـــــب حتفـــا ومطلـــوب
كـــم بهـــا «ثبـــت» عرضـــت لـــه فهـــو مطعـــون فمشـــجوب
وهجـــين مـــا لـــه نســـب لقصـــيد قلـــت منســـوب
مـــن إمـــاء حولـــه خجـــل وحـــريم منـــه محجـــوب
ودعـــى إنـــه عطـــب نلـــت منـــه فهـــو معطـــوب
شـــقيت صـــم الرمـــاح بـــه وتحامتـــه الأنابيـــب
ورمـــى فاســـتنوقت لســـن أنهـــا بـــزل مصـــاعيب
جئتـــه بـــالهون أدمغـــه فـــإذا الغـــلاب مغلـــوب
وإذا ســـلاب أرديـــة قـــذر .. عريـــان .. مســـلوب
وإذا الصـــلاب .. مفتضـــح بعمـــود الشـــعر مصـــلوب

كـــم ببغـــداد ألاعيـــب
وأســـاطير أعاجيـــب

***

صابرت أعدائى

صـنع الوثـوق بنفسـه لا يـرتضى خـتلا إذ اختـل الكثـير مـواتى
صـابرت أعـدائى لهـم حلبـاتهم جـم مخاوفهـا ، ولى حلبـاتى

أهـوى عليهم بالجبال أدكها ... يوما ، ويوما أكتفي بحصاة
حتى إذا سرج الكمي أماله ... وكبا به طمر أخو نزوات
أهوى على الليث الجريح ينوشه ... ويفر دود مزابل قذرات
ثمنا دفعت فليته لجحاجح ... صيد ، ولا لمربلين جفاة
وأمر أثمان الخطيئة مرة ... حجر أتى من معرقين جناة
ونهضت أشمخ بعدها إذ خافقي ... حي ، وإذ مثل القناة قناتي
فتفحصوا طهر الضمير ولطفه ... وصلاحه كتفحص الأدوات
فإذا استقام فكل شيء هين ... وإلى جهنم سائر الزلات

***

كفرت..

قالوا : كفرت .. وقد نجا ... لك .. قدوة من يؤمنون
وبمن كفرت ؟ .. بمن كحلـ ... ـت له من الشعر العيون
وبمن أجعت له بنيـ ... ـك وقل مثلهم بنون
وبمن حملت من الأذى ... ما ليس تعدله المنون
شرعت لك الأبواب فارعة ... قساة – يوصدون
وتملقوك فراعنا ... أبد المدى يتملقون
وبمن ذبحت له الحياة ... وأنت منها في جنون

مهلا رويدكم فما ... صافحت يوما من يخون
أمي غذتني الملهبات ... وضرعها حفل لبون

وأبـى تخلـف أن يجـوع ... ولا يـذل ، ولا يهـون
ودرجـت دربهـما وطالـت ... بـى عـلى الـدرب السـنون
أفتحلمـون بـما رأت؟ ... رأيـت مـا يقـذى العيـون
عبـاد أصـنمة تبـاع ... وحـولهم مـن يشـترون
وصـحاب ألسـنة تـلاك ... لكـاذبين يثرثـرون
مسـتعمر يتخونـون ... ومثلـه يسـتعمرون
خشـب مسـندة عـلى ... خشـب بهـا يتسـمرون
يرقـون مـن جثـث الشـباب ... مقاعـدا يتصـدرون
ويـرون خمـر دمـائهم ... سرجـا بهـا يتنـورون
ويـؤمرون عـلى الجيـاع ... ومـنهم مـا يكتـزون
أفتعـذلون المؤمنيـ ... ـن بشـعبهم إذ يكـذبون

***

هلم معي ..

هلـم معـى نرقـب المشـهدا ... عجيبـا .. قمينـا بـأن يشـهدا
ومـاذا سنشـهد بيـت القـذى ... يغشـى العيـون ، وليـت الـردى
كعهـد «المماليك» عهـد «الملـوك» ... وعهـد «الإمـارات» منـه صـدى
وباسـم الجماهـير مكذوبـة ... نحـاس مزيفـة عسـجدا
كملقوطـة تجهـل الوالـدين ... وبيـت «الأمومـة» .. والمولـدا
ومجهـودة تلعـن الفـارهين ... وتلعـن مـن شـاء أن تجهـدا
حميـا لقـوم كلـدغ السـياط ... وبـردا لقـوم كسـقط النـدى

يا حبيبي

يـــا حبيبـــي ... لســـت وحـــدي
أنـــــا والغـــــربة والوحشـــــة ..
والـــرأس عليـــه مـــن نـــديف الـــثلج
مـــا يهـــزأ بالموقـــد في قلبـــي مشـــبوبا
كعهـــدي .. وأنـــا ابـــن الخمـــس
والعشريـــــــــن عامـــــــــا
يتلظـــــــــى بالصـــــــــبابات
ضرامـــــــــا وغرامـــــــــا ..

***

كاليجولا

كاليجولا :
لا زوريدة ..
في تخوم الدجى ..
حالمات ...
حيث السماء نجوم
حيارى تحوم
وحيث الليالي
ينفثن سحر الخيال
وإذا «النبع» .. والندى ..والرمال
وسفوح نشوانة .. وتلال
وحقول – وصبية .. وغلال
يتنفسن .. ياسمينًا ووردًا
تصطبي جبهة السماء .. فتندى

ورويدًا .. غلائل من سحاب
عطراتٌ .. يرقصن زرق القباب
في أعالي «مآذن».. «كالعلالي»
مسرجات .. تزينت باللئالي
كعناقيد .. من كروم الدَّوالي
كاليجولا .. شعرٌ، وينبوع خمر
ونجاوي «قيثارة» .. وابتهال
و«قماري» ... في ظلال نخيل
يتطارحن سحرة .. بالهديل
غنجٌ في صداحها .. ودلال
كاليجولا .. شرق يفيض سماحا
وغرامًا ، وثورةً .. وطماحا
وقلوب عطشى... تنز جراحا
وقناديل من جديل الشعور
كاليجولا ... مغنى، وعش نسور
وأباريق .. من عصير التمور
ونشيد.. من سقسقات الطيور
كاليجولا... خمرٌ، وأمرٌ، وحب
وحجال ... بالعاشقين تخب
كاليجولا... واد مدى الدهر خصب

ليس يظمأ..	وفي الشفاه مصب
لشفاهٍ...	وفي المناقير حب
وطيوف...	من ساحرات «بخاري»
و«سمرقند»..	كالنجوم عذارى
عاريات...	يرقصن بين الحقول
غار من عريها	نسيل جديل
وثنايا سنابل ..	سمراء
والفراشات يرتجفن ..	نشاوى
يتمايلن ..	في أغنَّ خميل
في مهب النسيم ..	كل مميل
وغيوم يمرحن ..	طولاً وعرضًا
معجلات	بعض يزحزح بعضا
في سماء بالحسن..	تلحف أرضا
ترتدي ..	وشي ريطة دكناء
وحي مستلهم	وفتنة رائي
و«الدراويش» ..	يمنحون الوجودا
أزليًا من طهره..	سرمديا
و«التسابيح»..	وشوشات غناء
يتهادى بها..	عنان السماء
	كلما نفضت على الكون .. فيا
	من غبار الأحقاب .. عاد فتيا

كاليجولا
مقاطع من أغاني
رُتلت للنجوم ..
والأزهار
وأريجٌ ...
ينساب في الأسحار
من شراب «التفاح» ..
والرُّمان
كاليجولا ..
من معطيات الزمان

***

سأقول فيك...

سأقول فيك ولا أخاف — قولا يهاب .. ولا يعاف
سأقول فيك من الضميـ — ـر من الصميم .. من الشغاف
سأقول فيك بدون تعـ — ـمية ، ولا حذف المضاف
سأجاذبن لك النجوم — لينسجمن مع القواف
سأنزلن .. ليخدمن — سريرك .. السور اللطاف
سأوجج النيران من — نهديك في الشبم النطاف
سأقول فيك .. ولا أخاف — أو ثم غيرك من يخاف؟

سأقول فيك ولا أخاف — فليس يملكني أحد
لا ، ليس في عنقي مسد — لا ، لست موعودا بغد
يا من أقمت على الأسد — من سحر عينيك الرصد
لم ترفعي عنك المشد — حتى تبلد ذو اللبد
لم تدر قبلك أية — لبوة .. هذا الجسد

سأجرر الدنيا إليك ليستشفوا ما لديك
سأقول : مدى نحوهم عشر الأنامل من يديك
ودعى شذا «العضاب» - يذكى جمرهم - من خنصريك
سأريهم غرف الجنان ولا أزحزح ما عليك
سأقول : هم أدنى .. وأضـ ـنعف أن يروك بصفحتيك
ألوى بوجهك عنهم لا يقربوا من وجنتيك
سأقول : حسبهم من الأفضال رعشة مقلتيك

***

يا دارة المجد

يا دارة المجد ودار السلام بغداد يا عقدا فريد النظام
يا أم نهرين استفاضا دما ونعمة من عهد سام وحام
من عهد سنحاريب إذ نينوي يتوج الحكمة منها النظام
وعهد حموراب إذ بابل يكون بالأحكام منها احتكام
شعارها الشمس وعنوانها سنابل القمح وعدل يقام
وبرجها يحضن كل اللغى وسحرها يجذب كل الأنام

وعهد هارون وفى ملكه تنقل الشمس ويرعى الغمام
إذ شهرذاد عن حقيق المنى تقص عن أحلامها فى المنام
وإذ ضروب الفكر جياشة يسحق بعض بعضها فى الزحام

بغداد والتاريخ ذو أشطر وشر شطريه عهود الجمام

يغدو بها المدرك ما لا يرام ... ميسر المأخذ سهل المرام
يغفو على المجد وأحلامه ... حتى إذا الغرور مناه نام
حتى إذا صحا رأى كوكبا ... في كفه أصبح برقا يشام

***

أبا نواف

سلمت أبا نواف الشهم إنها ... نهار وليل يوسعان بنا أكلا
أقول لها مهلا وأعلم أنها ... إلى طية تخشى مغبتها عجلى
سنبقى رسوما بعدها مثلما محت ... سموم الرياح الهوج من روضة شكلا
على أننى ملف عزاء بماجد ... كمثلك يضفى الحب والنبل والفضلا

***

أسعف فمي

يا سيدي أسعف فمي ليقولا ... في عيد مولدك الجميل جميلا
أسعف فمي يطلعك حرا ناطفا ... عسلا ، وليس مداهنا معسولا
يا أيها الملك الأجل مكانة ... بين الملوك ويا أعز قبيلا
يا ابن الهواشم من قريش أسلفوا ... جيلا بمدرجة الفخار فجيلا
نسلوك فحلا من فحول قدموا ... أبدا شهيد كرامة وقتيلا
لله درك من مهيب وادع ... نسر يطارحه الحمام هديلا
يدنى البعيد من القريب سماحة ... ويؤلف الميئوس والمأمولا
يا ملهما جاب الحياة مسائلا ... عنها وعما ألهمت مسؤولا

يهديه ضوء العبقري كأنه ... يستل منها سرها المجهولا
يرقى الجبال مصاعبا ترقى به ... ويعاف للمتحدرين سهولا
ويقلب الدنيا الغرور فلا يرى ... فيها الذي يرضي الغرور فتيلا
يا مبرئ العلل الجسام بطيبه ... تأبى المروءة أن تكون عليلا
أنا في صميم الضارعين لربهم ... ألا يريك كريهة وجفيلا
والضارعات معي مصائر أمة ... ألا يعود بها العزيز ذليلا
فلقد أضات طريقها وضربته ... مثلا شرودا يرشد الضليلا
وأشعت فيها الرأي لا متهيبا ... نقدا ، ولا مترجيا تهليلا

يا سيدي ومن الضمير رسالة ... يمشي إليك بها الضمير رسولا
حجج مضت وأعيده في هاشم ... قولا نبيلا يستميح نبيلا
يا ابن الذين تنزلت ببيوتهم ... سور الكتاب ورتلت ترتيلا
الحاملين من الأمانة ثقلها ... لا مصعرين ولا أصاغر ميلا
والطامسين من الجهالة غيها ... والمطلعين من النهى قنديلا
والجاعلين بيوتهم وقبورهم ... للسائلين عن الكرام دليلا
شدت عروقك من كرائم هاشم ... بيض نمين خديجة وبتولا
وحنت عليك من الجدود ذؤابة ... رعت الحسين وجعفرا وعقيلا

هذي قبور بني أبيك ودورهم ... يملأن عرضا في الحجاز وطولا
ما كان حج الشافعين إليهم ... في المشرقين طفالة وفضولا
حب الألى سكنوا الديار يشفهم ... فيعاودون طلولها تقبيلا

يـا ابـن النبـى وللملـوك رسـالة | مـن حقهـا بالعـدل كـان رسـولا
قسـماً بمـن أولاك أفضـل نعمـة | مـن شـعبك التمجيـد والتـأهيلا
أنـى شـقيت بقـرب مجـدك سـاعة | مـن لهفـة القلـب المشرق غلـيلا
وأبيـت شـأن ذويـك إلا منـة | ليسـت تبـارح ربعـك المـأهولا
فوسـمتنى شرفـا وكيـد حواسـد | بهـما يعـز الفاضـل المفضـولا
ولسـوف تعـرف بعـدها يـا سـيدى | أنـى أجـازى بالجميـل جمـيلا

***

انتهى الجزء الثاني.. والديوان

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

